الصراع على الديار المقدسة

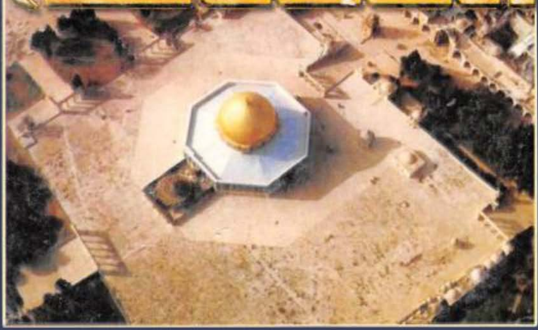

د/عصام موسى قنيبي

الصراع
على الديار المقدسة

الدكتور
عصـــام موســى قنيبـــي

الدكتور

عصـــام موســى قنيبــي

E-Mail: dr.issam951@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء ...

أهدي هذا الكتاب إلى أرواح شهداء فلسطين وشهداء الأمة العربية رحمهم الله .

مدخل

إن أغرب ما في القضية الفلسطينية أن دولة إسرائيل خطط لقيامها في الدول الأوروبية وليس في منطقة الشرق الأوسط وفي فلسطين على وجه الخصوص. وقد رسمت الخطوط العريضة لهذه الدولة في العواصم والمدن الأوروبية مثل لندن وبرلين وباريس وجنيف وزيوريخ وغيرها، ولم ترسم تلك الخطوط في مدينة القدس، ولقد جاء سكان هذه الدولة من شتى أرجاء العالم ومن أكثر من مائة دولة، ومن الغيتوات التي كانت منتشرة في المدن الأوروبية وفي شوارعها وأزقتها الخلفية، وأيضاً من حارات اليهود في المدن الشرقية، ولم يأتوا إطلاقاً من مدن وقرى وكفور وضياع فلسطين العربية وينتمي هؤلاء اليهود لقوميات وأعراق وأجناس متباينة، ولخلفيات لغوية وإثنية وثقافية وحضارية مختلفة ولا يجمعها بعضها البعض سوى انتمائها للديانة اليهودية، والحقيقة أنه لم يكن لليهود الذين توافدوا على فلسطين العربية في كل حدث وصوب آية جذور فيها، ولا حق تاريخي ذا قيمة على أرضها من الممكن الإشارة إليه سواء في التاريخ القديم أو التاريخ الحديث، ولقد كان قدوم الصهاينة إلى فلسطين العربية هو نوع من الاستعمار القديم وهو يعاني من سكرات الموت الأخيرة، واتخذ هذا الاستعمار الصهيوني طابعاً

استيطانياً احلالياً منذ البداية على حساب الشعب الفلسطيني الصاحب الأصلي والشرعي لأرض فلسطين العربية.

ولقد استند الصهاينة في عملية اغتصابهم لفلسطين العربية على مجموعة كبيرة من الأساطير والخرافات والأكاذيب التي استطاع الإعلام الصهيوني وتمكنت الدعاية الصهيونية إقناع العالم الغربي المسيحي البروتستانتي بها، ومن هذه الأساطير ما هو ديني مثل أساطير شعب الله المختار، والوعد الإلهي الأبدي لإبراهيم عليه السلام بملكية أرض كنعان "فلسطين العربية" وثالثاً أسطورة المسيح المنتظر الذي سوف يظهر بعد عودة اليهود إلى فلسطين العربية وإقامة دولتهم فيها، ومن الأساطير الصهيونية أيضاً ما هو مستحدث في الفكر الصهيوني مثل الأساطير التاريخية والقانونية لليهود في فلسطين العربية. وأسطورة أن فلسطين أرض بلا شعب يجب أن يملكها اليهود الذين هم شعب بلا أرض، علماً بأن اليهود وعلى مدى تاريخهم كله لم يكن لهم أرض معينة. ولا بلد ولا وطن، علاوة على أسطورة القبول العربي والفلسطيني بالمشروع الصهيوني في فلسطين، وأسطورة التفوق الحضاري لدى اليهود التي سوف تؤثر إيجاباً على حياة العرب، وأسطورة الطابع الإنساني للمسألة اليهودية التي وصلت أوجها مع أسطورة الهولوكست التي روج لها الإعلام الصهيوني كثيراً في العالم بأسره وضخمها

بشكل مبالغ فيه جداً لكسب مودة وعطف وشفقة الأسرة الدولية، ويزعم الصهاينة من خلال أسطورة الهولوكست أن الزعيم النازي "أدولف هتلر" أباد ستة ملايين يهودياً إبادة جماعية في غرف الإعدام النازية أبان الحرب العالمية الثانية. وهناك شكوك كبيرة في الوقت الحاضر عن الهولوكست ومجرد الشك في أي أسطورة يلغيها ويبطلها مهما كانت قوة انتشارها، وقد يسمح الصهاينة في الواقع بالانتقاد والهجوم على جميع الأساطير المؤسسة لكيانهم الغاصب ما عدا أسطورة الهولوكست لأنها هي التي سمحت للصهاينة بإقامة دولتهم في فلسطين غداة انتهاء الحرب العالمية الثانية. وإلى جانب أسطورة الهولوكست تبرز الأسطورة الدينية التوراتية كواحدة من أهم الأساطير المؤسسة لإسرائيل، والأسطورة الدينية التوراتية التي أصبحت في مقدمة المعتقدات المسيحية البروتستانتية، هي التي أضفت الشرعية الدينية على عملية اغتصاب الصهاينة لأرض فلسطين العربية في العام الميلادي **1948**، وهذا الأمر هو الذي دفع العالم الغربي المسيحي البروتستانتي للتعاطف مع الصهاينة ودعمهم وتأييدهم في كافة المجالات لتحقيق مشروعهم الاستيطاني الإحلالي في فلسطين العربية.

وهذه الأساطير جميعها وغيرها هي التي استنبط منها الصهاينة حججهم وذرائعهم وأساليبهم الدينية والتاريخية والقانونية الضعيفة والواهية

التي خولتهم اغتصاب أرض فلسطين العربية، ولقد تعاطف العالم الغربي المسيحي البروتستانتي مع الصهاينة فيما ذهبوا إليه، وساعدوهم في الهجرة إلى فلسطين ابتداءً من الربع الأخير من القرن الميلادي التاسع عشر وفلسطين كانت لا تزال تحت الحكم العثماني، ولقد أيد العالم الغربي الهجرات اليهودية إلى فلسطين العربية ومولها وعمل كل ما في وسعه لتأسيس دولة إسرائيل على أرض فلسطين العربية بالقوة العسكرية الغاشمة والعنف والإرهاب ضد الشعب العربي الفلسطيني.

ومن الممكن تلخيص الأسباب التي دفعت العالم الغربي للتعاطف مع الصهاينة وتأييدهم والوقوف إلى جانبهم في النقاط الخمس التالية :

أولاً: إيمان العالم المسيحي البروتستانتي الغربي أن عودة المسيح المنتظر ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعودة اليهود إلى فلسطين وإنشاء دولة لهم فيها. وفي الواقع أن هذا الإيمان البروتستانتي مستوحي من النبوءات التوراتية الزائفة التي تسللت للاهوت الكاثوليكي بعد حركة الإصلاح الديني البروتستانتي التي قادها "مارتن لوثر" داخل الكنيسة الكاثوليكية في القرن الميلادي السادس عشر، ولا يخفى على أحد أهمية فكرة عودة المسيح المنتظر بالنسبة للعالم المسيحي.

ثانياً: والحقيقة أن مساعدة العالم الغربي لليهود بالهجرة إلى فلسطين تعني ضمناً إعطاء الفرصة الذهبية لهذا العالم في التخلص من الوجود السكاني اليهودي في الدول الأوروبية والولايات المتحدة.

ثالثاً: إيجاد مكان آمن لليهود في فلسطين العربية يحميهم من اللاسامية أو ظاهرة العداء لليهود في الغرب الأوروبي التي كانت منتشرة فيه، وأدت إلى موجات متتالية من العداء والكراهية والعنف الموجه ضد اليهود اعتقادًا من العالم المسيحي وقتئذٍ بأن اليهود هم قتلة ابن الرب عيسى بن مريم بالمفهوم اللاهوتي المسيحي، وبهجرة اليهود إلى فلسطين تزول معاناتهم وما يقاسون منه من آلام وكوارث وويلات.

رابعاً: إن إقامة الدولة اليهودية في فلسطين العربية من شأنه أن يخلق دولة مواليه للغرب في الشرق الأوسط، ومما لا شك فيه أن هذه الدولة سوف تشكل قوة الردع العسكرية للدول العربية، وسوف تكون قادرة على حماية المصالح الغربية في المنطقة العربية، وباستطاعتها الهيمنة على الشرق الأوسط بأسره، وفي نفس الوقت تجهض جميع محاولات العرب للوحدة والتقدم.

خامساً: إن هجرة اليهود إلى فلسطين سوف يعود على الشعب العربي والفلسطيني بالخير الوفير وذلك بما يملكه اليهود من أموال ضخمة وقدرات فكرية جبارة، وأنظمة اقتصادية واجتماعية ونقابية وعمالية متقدمة، فضلاً

عما يملكونه من خبرات صناعية وتقنية عالية المستوى.وانطلاقاً مما تقدم لم يبخل العالم المسيحي البروتستانتي بمد يد العون والمساعدة للصهاينة في جميع المجالات من أجل إنجاح المشروع الصهيوني في فلسطين العربية، ولكن لم يخطر بباله ماذا سيحل بالشعب العربي الفلسطيني إذا ما استولى الصهاينة على أرضه وأرض آبائه وأجداده القدماء، أو أنه خطر بباله مثل هذا الأمر إلا أنه تجاهل الشعب العربي الفلسطيني وأنكر وجوده كنوع من المجاملة للصهاينة في إنكارهم وجود الشعب العربي الفلسطيني تطبيقاً لمقولة أن فلسطين "أرض بلا شعب" وذلك لتمرير عملية اغتصاب فلسطين دون المساس بشعبها ودون الشعور بعقدة الذنب، أو الشعور بأي إثم أو جريرة من جراء ذلك، وقد تخيل العالم الغربي أنه وضع نهاية سعيدة للمسألة اليهودية في نهاية الأمر، إلا أنه في الحقيقة خلق مشكلة أكثر إنسانية وأشد تعقيداً وأكثر إيلاماً ومأساوية من المسألة اليهودية هي المسألة الفلسطينية الراهنة ممثلة في اغتصاب الصهاينة لأرض فلسطين العربية، وتشريد شعبها وتحويله إلى مجموعات من اللاجئين تعيش على هامش أوطان الشعوب الأخرى تبحث عن المأوى والحماية ولقمة العيش بعد أن كان سيداً مكرماً معززاً في بلاده، والشعب العربي الفلسطيني الذي بلغ تعداده في نهاية العام الميلادي ٢٠٠٣ تسعة ملايين وستمائة ألف نسمة في جميع دول العالم، يعيش قسم كبير منه في مخيمات اللاجئين

الفلسطينيين على أرض فلسطين وفي الشتات ويعاني من حياة بائسة جداً ولا إنسانية وغاية في القسوة والمهانة.

وفي الواقع أنه قد استوطن فلسطين العربية وحل في مكان شعبها الأصلي خليط سكاني شاذ وغريب يتكون أساساً من أربع فئات رئيسية :

الفئة الأولى: هي فئة اليهود الشرقيين أو السفارد "السفارديم".

الفئة الثانية: هي فئة اليهود الغربيين أو الأشكناز "الأشكنازيم".

الفئة الثالثة: وهي فئة يهود الصابرا أو الصابريم، وهم اليهود الذين ولدوا في فلسطين سواء قبل أو بعد قيام دولة إسرائيل.

الفئة الرابعة: هم فئة العرب الذين يطلق عليهم اسم "حرب ٤٨"، وهم العرب الذين بقوا في فلسطين بعد حرب عام ١٩٤٨، وقد بلغ عددهم في العام الميلادي ٢٠٠٦ مليوناً وأربعمائة ألف نسمة أي خمس عدد سكان إسرائيل.

وهناك تمييز وتفرقة بين المكونات البشرية الرئيسية في المجتمع الإسرائيلي تصل على حد التمييز العنصري والتفرقة العنصرية متمثلة في التفرقة العنصرية ضد اليهود الشرقيين من قبل اليهود الغربيين، وأيضاً التمييز والتفرقة العنصرية ضد العرب من قبل اليهود الشرقيين واليهود الغربيين معاً والتي تشمل جميع جوانب الحياة.

وفي الحقيقة أن الصهاينة اختاروا الوقت المناسب جداً والمثالي بالنسبة لهم لكي يغتصبوا أرض فلسطين العربية، إذ أن فلسطين وقتئذٍ كانت ترزح تحت نير الاستعمار البريطاني الذي دام لحوالي ثلاثين عاماً وقبله الاحتلال العثماني الذي دام لأربعة قرون كاملة، وكان الشعب العربي الفلسطيني في أسوء حالة من الممكن أن يمر بها شعب من الشعوب إذ أن هذا الشعب كان شعباً منهكاً وأعزلاً، لا جيش لديه يدافع به عن نفسه ضد الأجانب والغرباء، وليس لديه قوات شرطة تحمي أمنه، وليس لديه محاكم ولا مدارس ولا جامعات، ولا يملك البنية التحتية الرئيسية اللازمة لاستمرار الحياة بطريقة سلسلة، ولا زال الشعب العربي الفلسطيني على حالته هذه حتى يومنا هذا، والأدهى من ذلك أن الدول العربية إما كانت حديثة الاستقلال من الاستعمار الأجنبي وإما لا تزال تحت نيره، وهي بذلك لا حول لها ولا قوة وغير قادرة على مواجهة القوة الصهيونية المتزايدة ومن ورائها تقف اليهودية العالمية والعالم الغربي بأسره، الأمر الذي سهل على الصهاينة اغتصاب فلسطين العربية في العام الميلادي ١٩٤٨، بالرغم من دخول سبعة جيوش عربية لتحريرها من الصهاينة، ويبدو أن الحكومات العربية حينذاك لم تكن صادقة النية لمحاربة الصهاينة. وما كان دخول جيوشها لفلسطين إلا لامتصاص غضبه ونقمة شعوبها عليها، إلا أنه بعد أن تحررت جميع الدول

العربية ونالت استقلالها وأصبحت تملك زمام أمرها بنفسها فلا عذر مقبول لها للتخلي عن القضية الفلسطينية كما يحدث في أيامنا هذه، وهذه في الواقع ليست دعوة للعرب أن يخوضوا الحروب نيابة عن الشعب الفلسطيني، وإنما هي دعوة للدول العربية لكي يؤيدوا القضية الفلسطينية العادلة، وتدعم الشعب العربي الفلسطيني سياسياً وعسكرياً ومادياً ومعنوياً واقتصادياً وإعلامياً في عملية المواجهة مع الكيان الصهيوني للاسترداد حقنا السليب في فلسطين العربية بدلاً من محاولات احتواء الشعب الفلسطيني بولاءات والتماءات مختلفة لم تعد على الشعب الفلسطيني بأي نفع أو فائدة.

والحقيقة أن الكيان الصهيوني في فلسطين العربية هو في واقع الأمر كيان عسكري ـــ نووي ذا طابع عدواني توسعي لا يكتفي بما اغتصبه من الأراضي العربية، وإنما يطمع دائماً في ضم المزيد من الأراضي العربية إليه عن طريق الحرب الوقائية التي يشنها بين الحين والآخر ضد الدول العربية كما حدث في العدوان الإسرائيلي الواسع النطاق ضد ثلاث دول عربية في حرب الأيام الستة في العام الميلادي ١٩٦٧، وعندما بدأت تلوح في الأفق بوادر الاستسلام العربي للإملاءات الصهيونية، يحاول الكيان الصهيوني الآن احتواء المنطقة العربية بأسرها تحت هيمنته وسيطرته، وضمنا في إطار منظومته السياسية والاقتصادية والإعلامية والثقافية والحضارية والتعليمية ويفرض

علينا بالتعاون مع الولايات المتحدة تاريخاً يهودياً مزوراً بعيداً كل البعد عن الواقع والحقيقة.

ونحن العرب لا خلاص لنا ولا فائدة ترجى منا ونحن نحاول أن نواجه الخطر الصهيوني المحيط بنا بمنظومتنا السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والإعلامية والتنظيمية والإدارية القديمة المهترئة، وإذا كنا نسعى فعلاً إلى تحرير فلسطين من الصهاينة، فلا بد لنا من خلق منظومة عربية جديدة متطورة ومتقدمة في جميع المجالات قادرة على التصدي للمنظومة الصهيونية. بل وتتفوق عليها وتدحرها وتهزمها، وبذلك نستطيع خلق إستراتيجية عربية جديدة في عملية المواجهة مع الكيان الصهيوني في فلسطين العربية ليست قائمة فقط على مبدأ المواجهة العسكرية معه وإنما مكونة من إستراتيجية سداسية الأبعاد تعتمد على النقاط التالية :

أولاً: السعي الدءوب إلى تحقق الوحدة العربية في أسرع وقت ممكن أو أي نوع من الاتحاد أو التضامن بين الدول العربية كخطوة هامة جداً في مواجهة الكيان الصهيوني الغاصب في فلسطين العربية، ونقف وقفة صلبه أمام هذا الكيان كوحدة عربية جغرافية إقليمية ودينية وسياسية وعسكرية واحدة.

ثانياً: إضعاف إسرائيل داخلياً وتفتيتها على كيانات ضعيفة وصغيرة لا تقوى على التصدي والصمود إذا ما حلت اللحظة المناسبة والحاسمة للمواجهة الشاملة مع هذه الدولة.

ثالثاً: عزل إسرائيل عالمياً وطردها من المجتمع الدولي، وتجريدها من جميع الأسانيد والذرائع التي قامت عليها، وإظهارها ككيان استعماري عدواني توسعي عنصري وغير شرعي.

رابعاً: تكبيد إسرائيل أكبر قدر ممكن من الخسائر البشرية والمادية والمعنوية حتى تصبح الحياة داخل الكيان الصهيوني أمراً مستحيلاً بالنسبة للصهاينة، ليفضلوا مغادرة فلسطين العربية والرحيل نهائياً عنها، ويعودوا للبلدان التي أتوا منها.

خامساً: إعادة النظر في علاقات العرب بالدول الأوروبية والولايات المتحدة بهدف إعادة تشكيل الرأي العام في تلك البلدان تشكيلاً جديداً وصياغته صياغة أخرى تخدم القضية الفلسطينية العادلة بل ويصبح معارضاً لإسرائيل وسياساتها.

سادساً: إعادة تأهيل وتشكيل المنظومة الإعلامية العربية تشكيلاً عصرياً، وتوجيه كل طاقات الإعلام العربي لخدمة القضية الفلسطينية وهزيمة المنظومة الإعلامية الصهيونية.

والنتيجة النهائية للصراع الإسرائيلي على الديار المقدسة مرهونة بتفوق أحد طرفي النزاع على الآخر، فإما أن تكون هذه النتيجة لصالح العرب وحدهم، وهذا ما نرجوه ونأمله، وإما أن تكون لصالح الصهاينة فقط، فالديار المقدسة "فلسطين العربية" ليس فيها في الواقع متسع بالكاد سوى لشعب واحد فقط، إما العرب وحدهم، وإما الصهاينة بمفردهم، وبالرغم من أن الغلبة والتفوق تبدو الآن للصهاينة في فلسطين العربية، إلا أن هذا لن يستمر طويلاً، هكذا عودتنا سنة الحياة، وجرت سنة التاريخ، وخير مثال على ذلك: الإمارات والممالك الصليبية في فلسطين وبلاد الشام التي دامت لنحو ٢٠٠ عاماً في التاريخ القديم وتحديداً بين الأعوام ١٠٩٦ و ١٢٩٤ ثم زالت زوالاً تاماً ولم يعد لها أثر.

وبالرغم من قوة وجبروت الآلة العسكرية الإسرائيلية، فإن إسرائيل تبدو ضعيفة وهشة إذا ما صادفت قوات عسكرية تقف لها الند بالند، وأبلغ مثال على ذلك معركة الكرامة التي حدثت في المملكة الأردنية الهاشمية مباشرة بعد حرب الأيام الستة في العام الميلادي ١٩٦٧ بين قوات المقاومة الفلسطينية والجيش العربي الأردني من ناحية والجيش الإسرائيلي من ناحية أخرى، وتكبد فيها الجيش الإسرائيلي خسائر فادحة في الأرواح والمعدات، وكذلك في حرب تشرين من العام الميلادي ١٩٧٣ بين الجيش المصري

والجيش السوري من ناحية والجيش الإسرائيلي من ناحية أخرى، وفي الحرب اللبنانية ــ الإسرائيلية الأخيرة التي جرت في تموز / يوليو من العام الميلادي٢٠٠٦، كان من الممكن أن تنهار إسرائيل انهيارا مدوياً فيما لو استخدمت المقاومة الإسلامية بقيادة حزب الله اللبناني كل ما لديها من قدرات عسكرية وبخاصة قدراتها الصاروخية، لو أن هذه الحرب استمرت على نفس الوتيرة لمدة أطول.

ويبدو الصهاينة في فلسطين العربية الآن كالذي يسير بثقة ومكلل بالنجاح في كل خطوة يخطوها في طريق طويل ــ وطويل جداً ــ ولكنه طريق مسدود، وكلما سار خطوة في هذا الطريق اندلعت نيران هائلة وأبدية من خلفه وعن يمينه وعن شماله من المستحيل إخمادها من جراء ما اقترفت يداه، فإذا ما وصل إلى نهاية هذا الطريق، لا يستطيع العودة من حيث أتى، وليس أمامه سوى الانتحار أو الموت احتراقاً.

الفصل الأول

الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل الحالية

يزعم الصهاينة أن الرب قد وعد اليهود بأرض فلسطين العربية ووهبهم إياها ردحاً من الزمن، وعندما طردوا منها على يد البابليين ثم الرومان وعدهم الرب على لسان أنبياء العهد القديم بالعودة إليها ثانية في الوقت المناسب، ويتحجج الصهاينة أن وجود اليهود في فلسطين العربية أمر مهم جداً لأن طقوس العبادة والصلوات اليهودية يجب أن تقام في هيكل أورشليم "القدس"، لأن هذه الصلوات والطقوس لا تكتسب معناها الكامل إلا وسط بيئتها الأصلية على أرض فلسطين. علماً بأنها أرض فلسطين العربية ليست إطلاقاً مهد الديانة اليهودية التي يؤمن بها الصهاينة، وإنما مهدها كان في صحراء سيناء حيث تلقى موسى عليه السلام التوراة بأكملها فوق جبل الطور بهذه الصحراء، وصحيح أن أرض فلسطين العربية كان لها دور كبير في نضوج الديانة اليهودية تدريجياً حتى وصلت إلى صورتها المشوهة التي هي عليها الآن، إلا أن فلسطين العربية لم تكن يوماً مهد الديانة اليهودية، ولم تطأ أقدام موسى عليه السلام أرضها ولو ليوم واحد طيلة سنوات حياته.

وإذا كان الأمر بهذا التعقيد الذي يتصوره الصهاينة، فإن هذا يعني أنه لا يحق للمسلم تأدية صلواته وعباداته إلا في مكة المكرمة والمدينة المنورة

كونهما مهد الديانة الإسلامية، وهذا غير صحيح على الإطلاق، فلا ينبغي للمسلم أن يتواجد في هاتين المدينتين من أجل إقامة صلواته وعباداته وشعائره الدينية، ومن الممكن إقامتها في أي مكان من العالم، ويكتفي المسلم بزيارة هاتين المدينتين أثناء تأديته لمراسم الحج والعُمرة، وكذلك بالنسبة للمسيحيين، فليس من الضروري تواجدهم على أرض فلسطين العربية لتأدية صلواتهم ومناسكهم الدينية في مدينة القدس كونها مهد الديانة المسيحية، فأرض الله واسعة جداً ومن الممكن للمسلم واليهودي والمسيحي إقامة الصلوات والشعائر الدينية في أي بقعة من العالم.

والحقيقة أن المزاعم والحجج التي يستند عليها الصهاينة في تبرير اغتصابهم لأرض فلسطين العربية، تقوم على العديد من الأوهام والخرافات والأساطير، بعضها قديم جداً وهو غالباً ذو طابع ديني أكل عليها الزمن وشرب، وبعضها حديث لا يتجاوز عمره القرنين الميلاديين التاسع عشر والعشرين، وهذه المزاعم كالتالي :

أولاً: مزاعم قديمة ذات طابع ديني :

١ – أسطورة شعب الله المختار.

٢ – أسطورة الوعد الإلهي.

٣ – أسطورة المسيح المنتظر.

ثانياً: الأساطير الحديثة :

١ – أسطورة الحق التاريخي.

٢ – أسطورة الوضع القانوني.

٣ – أسطورة أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض.

٤ – أسطورة التفوق الحضاري.

٥ – أسطورة القبول والرضا الفلسطيني.

٦ – أسطورة الطابع الإنساني للمسألة اليهودية.

٧ – أسطورة المحرقة النازية أو الهولوكست.

أولاً: مزاعم قديمة ذات طابع ديني :

١ – ١: أسطورة شعب الله المختار :

تداول اليهود على مر الأزمنة والعصور أنهم شعب الله المختار الذين اختارهم الرب واصطفاهم من بين شعوب الأرض، وفضلهم على العالمين. ولقد اخترع اليهود هذه الأسطورة في الزمن الغابر وتاجروا بها لقرون طويلة، وفي العصر الحديث استطاع الصهاينة توظيف هذه الأسطورة لخدمة أهدافهم السياسية. ونجحوا إلى حد كبير في التأثير على شرائح واسعة من المسيحيين في أوروبة والولايات المتحدة الأمريكية الذين صدقوا اليهود فيما يزعمون، الأمر الذي أدى إلى تعاطف العالم المسيحي الغربي مع أهداف وأحلام الصهاينة السياسية والاستعمارية، ومما لا شك فيه أن أسطورة شعب

الله المختار ولدت في نفوس اليهود شعوراً بالتعالي ونوعاً من الاعتداد بالنفس يصل إلى حد الغرور، وخلقت لديهم مفاهيم عنصرية غريبة جعلتهم يقسمون البشر إلى قسمين :

القسم الأول :

هم اليهود ـــ شعب الله المختار ـــ الذين لولاهم ما خلقت السموات والأرض، وما خلقت الشمس والقمر والنجوم، ولولاهم ما كان هناك أمطار ولا زرع ولا ضرع، وما كان كوكب الأرض ذاخر بالخيرات النباتية والحيوانية والمعدنية لأن بركة الرب لا تحل إلا باليهود وعليهم، لأنهم الشعب الذي اختاره الرب وفضله على العالمين.

والقسم الثاني :

هم بقية الشعوب الغير يهودية أو ما يطلق عليه اليهود اسم "الأغيار أو الغوييم أو الأمميون"، الذين يختلفون اختلافاً بيولوجياً عن اليهود، فالأغيار خلقوا من نطفة حيوانية هي نطفة حصان، إلا أنهم لم يخلقوا على صورة حيوانية وإنما خلقوا على هيئة آدمية ليكونوا جديرين بخدمة الشعب المختار، لأنه من غير اللائق أن يقوم حيوان على هيئته الحيوانية بخدمة شعب الله المختار ليلاً ونهاراً، فهذا منافي للذوق والفطرة السليمة.

والحقيقة أن كتاب العهد القديم يحتوى على كثير من النصوص التي توهم اليهود بأنه شعب الله المختار، نختار منها على سبيل المثال ما يلي :

١ – ورد في الإصحاح التاسع عشر من سفر الخروج ما يلي :

{ فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي، تكونون لي خاصة من بين الشعوب، فإن لي كل الأرض، وأنتم تكونون لي مملكة الكهنة وأمة مقدسة}(١).

٢ – وقد ورد في الإصحاح العاشر في سفر التثنية ما يلي :

{ ولكن الرب إنما التصق بآبائك ليحبهم فاختار نسلهم الذي هو أنتم فوق جميع الشعوب كما هو اليوم }(٢).

٣ – وفي الإصحاح السابع من سفر التثنية ورد ما يلي :

{ لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم، ابنتك لا تعطِ لابنه، وبنته لا تأخذ لابنك، لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب التي على الأرض، ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب، بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم أخرجكم بيد قوية وفداكم من يد فرعون مصر }(٣).

والاختيار في الفكر الديني يعني اختيار شعب معين لحمل رسالة الوحي السماوي والالتزام بها، وتقع على عاتقه مسؤولية تبليغ هذه الرسالة للشعوب الأخرى، ولكن هذا لا يعني إطلاقاً أن اختيار هذا الشعب يكون

بسبب جنسه وعرقه وقوميته ولونه أو أي اعتبارات أخرى، وهذا ما يؤكده كبير حاخامات مدينة فينا النمساوية عندما صرح بما يلي :

(إن عبارة شعب الله المختار ـــ التي كثيراً ما أسيء تفسيرها ـــ إنما تعني اختيار الله لليهود لتحقيق رسالتهم الدينية، وليس التركيز على طابعهم القومي)[٤].

وعلى العكس تماماً مما يعتقده اليهود، فإن هناك نصوص في سفر (أشعيا) تفيد أن الله هو رب لجميع الشعوب وليس رباً لشعب بعينه، وجاء في هذا السفر أيضاً لشعب بعينه، وجاء في هذا السفر أيضاً أن الله تعالى يقضي بين جميع الشعوب، ويباركها جميعها، ويرسم النبي أشعيا صورة لسلام عالمي يشمل جميع شعوب الأرض كما ورد في الإصحاح الثاني من سفر أشعيا بقوله:

{ من صهيون تخرج الشريعة، من أورشليم كلمة الرب، فيقضي بين الأمم، وينصف لشعوب كثيرين، فيصنعون سيوفهم سككاً، ورماحهم مناجل، لا ترفع أمة على أمة سيفاً، ولا يتعلمون الحرب }[٥].

والحقيقة أن هناك شبه إجماع بين الحاخامات اليهود الأرثوذكس على أن تعبير "شعب الله المختار" في الفكر الديني اليهودي هو تعبير ديني خالص يشير إلى طائفة من المؤمنين المتدينين المخلصين الذين يتوجهون بإعمالهم لله

تعالى، وإن التمالهم لله ﷻ مشروط بطاعتهم له، ومدى التـزامهم بتعـاليم السماء، وتشير كثير من الكتابات الدينية أن اليهود هم (شعب التـوراة)، وهذا يعني أنهم كانوا شعباً مختاراً للرب حينما عملوا وتمسكوا بتعاليم التوراة الأصلية التي أنزلت على نبي الله موسى عليه السلام. وهذا معناه أنهم شعب مجموعة من القيم الدينية لا ينتمي لأرض معينة، ولذلك فإن مسـألة الـولاء السياسي والقومي هو نوع صارخ من أنواع التزوير والتزييف للواقع الديني اليهودي، وانطلاقاً من ذلك كان لزاماً على اليهودي أن يشعر بالانتماء للبلد التي يعيش فيها.

إلا أن الحركة الصهيونية السياسية وسعياً وراء كسب مؤيدين لها في العالم المسيحي الغربي وبين الطوائف اليهودية المتباينة، اعتمدت على الدعايـة الدينية واسعة النطاق للترويج لأساطيرهم الدينية المختلفـة ومـن ضـمنها أسطورة شعب الله المختار لدعم قضيتهم السياسية في الأوسـاط المسـيحية واليهودية لكي تمد لهم يد التأييد والعون والمساعدة لاغتصاب أرض فلسطين العربية من أصحابها العرب واستيطانها استيطاناً احلالياً بعـد طـرد شـعبها الأصلي منها إلى خارجها، وبذلك تحولت الديانة اليهودية بمجملها على يـد فلاسفة الصهيونية إلى فكرة استعمارية ــ سياسية بغيضة هـدفها الاسـتيلاء على أراضي الغير، وطرد شعبها منها، وتشريده في شتى بقاع الأرض، وهنـا

في الواقع حدث الخلط الكبير بين المفهوم الديني لعبارة شـعب الله المختـار، ومفهومها الاستعماري السياسي.

والحقيقة أن مسألة الاختيار الإلهي تقوم أساساً على علاقة المختارين بالله تعالى ومدى التزامهم بأوامره ونواهيه، وبكل تأكيد فإن فترة الاختيـار مشروطة ومحددة بفترة زمنية معينة، ولقد اختار الله تعالى بـني إسـرائيل في الزمن الغابر ليحملوا على كاهلهم لواء أول ديانة سماوية توحيديـة أنزلـت للناس وهي العقيدة الموسوية القيمة، بين عالمين من الكفرة عبده الأصنام وهم فراعنة مصر وجبابرة بلاد الشام، ولقد اعتبر بني إسرائيل في هذه الحالة شعباً مختاراً بسبب الرسالة الموسوية التي حملوها لكي يقوموا بتبليغهـا للشـعوب الأخرى، ولم يكن هذا الاختيار بسبب القومية التي ينتمون إليها، أو العرق الذي ينتسبون إليه، أو بسبب أهدافهم أو تطلعـاتهم السياسـية والقوميـة، وعندما كفر بني إسرائيل وأشركوا وضلوا الطريق بعد إيمانهم، وأصروا على ذلك وتمادوا فيه، انتزع الله تعالى النبوة والرسالة والاختيار من بين أيـديهم وإلى الأبد، ثم قام باختيار الشعب العربي ليحمل لـواء العقيـدة الإسـلامية كديانة خاتمة، ورسالة عالمية ذات أبعاد إنسانية راقية المضمون، وبذلك أصبح الشعب العربي شعباً مختاراً من منظور حملة للواء العقيدة الإسلامية، وتقع على عاتقه مسؤولية تبليغها ونشرها في جميع أنحاء العالم، وهذا ما حدث فعلاً.

إلا أن الاختيار الإلهي للعرب لحمل لواء الديانة الإسلامية هو شرف لهم، ولكنه لا يعني أن الله تعالى يفضل العرب على جميع شعوب الأرض بسبب جنسهم وعرقهم وقوميتهم ولونهم وخصالصهم. وإنما بسبب إيمانهم والتزامهم بأوامر الله تعالى ونواهيه، واختيار الله ﷻ للعرب لحمل رسالته الخاتمة لا يعني إطلاقاً أن يستغلوا هذا الاختيار ويتاجرون به لتحقيق مصالحهم وأهدافهم الدنيوية الخاصة، وأن يتباهوا أمام شعوب الأرض ويتفاخروا بهذا الاختيار، ويتعالوا به، أو يسعون إلى إبادة الشعوب الأخرى وطردها من أوطانها، أو يتعصبوا لقوميتهم وجنسهم وعرقهم، فاختيار الله تعالى للعرب هو اختيار مشروط أيضاً بمدى التزامهم بتعاليمه ومدى حرصهم على جعل كلمة الله هي العليا. وإلا ما وصلت حالة العرب إلى الحالة المزرية والبائسة والمهينة التي وصلوا إليها الآن بسبب تركهم لتعاليم السماء. يقول الله في كتابه العزيز ما يلي :

{ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ }[٦].

والاختيار في الفكر الديني اليهودي هو الاصطفاء الذي يتحقق عن طريق المعاناة والآلام، وهذه في الواقع فكرة وجيهة ولكنها لا تنطبق على حالة اليهود، لأن معاناتهم وآلامهم لم تكن سوى نتيجة حتمية وعادلة لما

اقترفت أيديهم من جرائم وآثام عندما كفروا وأشركوا ومالوا عن الطريق المستقيم. ولهذا السبب غضب الله تعالى عليهم، وانتزع الاختيار والتفضيل منهم والنبوة والرسالة، ولم يعودوا شعباً مختاراً كما كانوا لفترة زمنية محددة، فالاختيار الإلهي لشعب معين لحمل رسالته، يكون دائماً مشروطاً ومحدداً بمدى التزام هذا الشعب بأوامر الله تعالى.

وفكرة شعب الله المختار ليست فكرة حديثة في التاريخ الإنساني، وإنما هي في الحقيقة فكرة طفولية وصبيانية غرست في جسد التاريخ البشري منذ أقدم العصور، فالمتتبع لتاريخ الأساطير والحكايات الشعبية يكتشف أنه ما من أمة من الأمم ولا شعب من الشعوب في الشرق والغرب إلا وترك في وثائقه ومدوناته نصوصاً توحي بفكرة الشعب المختار وبعبارات تحمل جميعها معنى الاختيار والاصطفاء والتفضيل الإلهي، وهذه الطرق الملتوية تحاول المؤسسات والهيئات السياسية والكهنوتية والدينية المختلفة تضليل الجماهير المسحوقة والمغلوبة على أمرها، من أجل إلهائها وشغلها عن همومها، لامتصاص غضبها ونقمتها، ففي التاريخ القديم كان الفراعنة والبابليون والفرس على سبيل المثال يعتقدون أنهم شعوب مختارة من الرب رغم وثنيتهم وضلالهم، وفي القرون الوسطى أضرم الفرنسيون نيران أطول حروب التاريخ وهي الحروب الصليبية التي دامت حوالي قرنين من الزمن بذريعة أنهم "يد

الله في الأرض"، وباسم الدين أيضاً قام الأسبان في عهد الملوك الكاثوليك بإبادة عشرات الملايين من الهنود الحمر "السكان الأصليين" للأمريكتين، والزعيم النازي "أدولف هتلر" كان يعتقد أن الألمان هم شعب الله المختار، ولهذا السبب تسبب في تدمير نصف العالم تقريباً وأزهق أرواح عدد يتراوح بين ٣٥ و ٥٠ مليوناً من البشر أبان الحرب العالمية الثانية، والأمريكيون أيضاً يعتقدون أنهم شعب الله المختار الذي يقع على كاهله مسؤولية خلاص العالم وسعادته ورفاهيته، ولهذا السبب أبادوا أكثر من ثلاثة ملايين إنساناً في فيتنام ودمروا هذا البلد تدميراً شاملاً بذريعة أنهم "جنود المسيح المحاطون بالعناية والرعاية الإلهية"، يقول السياسي اللاهوتي الأمريكي "روساس راشدوني" ما يلي :

" إن الشعب الأمريكي هو الشعب المختار الجديد الذي عاهد الرب على بسط سلطانه على العالم " !.

وفي يوم من الأيام خاطب المدعو "فورستر" رئيس وزراء نظام الفصل العنصري والتفرقة العنصرية السابقة في جنوب أفريقيه شعبه بقوله :-

"لا تنسوا أننا شعب الله المختار"؟!.

أليس هذا مضحكاً ؟

وفكرة شعب الله المختار فكرة غير محتملة ولا مقبولة إطلاقاً ومرفوضة من جميع النواحي وبخاصة من النواحي الدينية والأخلاقية والإنسانية لأنها تفترض وجود شعب واحد بعينه محبوب ومختار ومفضل. وشعوب أخرى منبوذة ومكروهة ومطرودة من رحمة الله تعالى، وهذا يتنافى في الواقع مع الرحمة والعدالة والمساواة الإلهية، فالله تعالى خلق الناس جميعهم من طينة واحدة وساوى بينهم وجعل مقدار حبه لعباده بمقدار ورعهم وإيمانهم وتقواهم ومدى التزامهم بأوامره، وهذه الفكرة أي فكرة شعب الله المختار، فكرة إجرامية من الناحية السياسية كما يقول الفيلسوف الفرنسي الكبير "روجيه غارودي"[٧]، لأنها هي التي أضفت صفة القداسة والشرعية الدينية على كل ألوان العدوان والسيطرة والتوسع.

والتاريخ اليهودي القديم حاشد بكل ألوان القسوة والهمجية والاستبداد، يقول الفيلسوف الفرنسي الكبير "غوستاف لوبون" في مؤلفه قصة الحضارة ما يلي :-

"لم يكن تاريخ اليهود غير قصة لضروب المنكرات، فمن حديث الأسرى الذين ينشرون أحياءً بالمناشير أو يشوون في الأفران، فإلى حديث الملكات اللاتي كن يطرحن للكلاب، فإلى سكان المدن الذين كانوا يذبحون من غير تفريق بين الرجال والنساء والشيب والولدان"..

والتاريخ اليهودي الحديث ليس أقل إجرامية في الواقع من تاريخهم القديم، فما اغتصاب أرض فلسطين العربية في العام الميلادي ١٩٤٨، وما ارتكبه الصهاينة من مجازر بربرية بشعة وإبادة جماعية وتطهير عرقي ضد الشعب العربي الفلسطيني إلا تطبيق لمفاهيم أسطورة شعب الله المختار البالدة التي تحلل قتل البشر دون أي ذنب اقترفوه، وتلغي حقوق الشعوب الأخرى وحق وجودهم أحراراً على أرضهم وفي أوطانهم، والواقع أن العالم لم ير من اليهود صورة الشعب المختار، وإنما رأى منهم فقط صورة الشعب الحاقد والفاسد والمغرور، وفي لقاء تم بمدينة القاهرة في العام الميلادي١٩٨٩ بين الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر والبابا شنودة الثاني ــ بابا الإسكندرية وسائر أفريقيه وبطريرك الكرازة المرقصية ــ وجه الرئيس جيمي كارتر سؤالاً للبابا شنودة بقوله :

– أليس صحيحاً يا صاحب القداسة أن اليهود هم شعب الله المختار ؟

فأجابه قداسة البابا شنودة بسؤال آخر حينما قال له :

– يا صاحب الفخامة... إذا كان اليهود كذلك، فمن نكون نحن إذن ؟ (٨).

١ – ٣: أسطورة الوعد الإلهي :

قبل أن نتناول مسألة الوعد الإلهي الأبدي لليهود بملكية أرض كنعان "فلسطين العربية"، يجدر بنا أن نحدد أولاً ملكية الأرض بصفة عامة كما

يتصورها كتاب العهد القديم، فقد ورد في أكثر من سفر من أسفار هذا الكتاب ما يدل على أن ملكية الأرض جميعها تعود للرب وحده، ولم يخص بها شعب معين، ولم يعطيها أو يهبها لشعب بعينه. ومن نصوص كتاب العهد القديم نختار ما يلي :

١ – ورد في الإصحاح التاسع من سفر الخروج ما يلي :

"إن للرب الأرض" [٩].

٢ – ورد في الإصحاح الخامس والعشرين من سفر اللاويين الآتي :

"لأن لي الأرض وأنتم غرباء" [١٠].

٣ – وفي الإصحاح الأول من سفر التثنية ورد ما يلي :

"هو ذا الرب إلهك، له السموات وسماء السموات والأرض وكل ما فيها" [١١].

٤ – وجاء في المزمور الرابع والعشرين ما يلي :

"للرب الأرض وملؤها المسكونة وكل الساكنين" [١٢].

إلا أن كتاب العهد القديم يقرر أن الإنسان من الممكن أن تهفوا نفسه على أرض الغير ويشتهيها، ويقومون باغتصابها كما ورد في سفر ميخا :

"فإنهم يشتهون الحقول ويغتصبونها، والبيوت ويأخذونها، ويظلمون الرجل وبيته والإنسان وميراثه" [١٣].

ويتوعد سفر الملوك الأول كل من تسول له نفسه أن يقوم باغتصاب أراضي الغير بالويل والهلاك، وبعقاب سماوي شديد مثلما حدث للملك السامرة "أخاب" وزوجته "إيزابل" عندما اغتصبا كرم المدعو "نابوت اليزراعيلي"، فكان عقاب السماء لهما بشعاً، فأماتهما الرب وطرح جثتيهما على قارعة الطريق لتأكلهما الكلاب هما ونسلهما.

إذن فالفكر الديني اليهودي بالنسبة لملكية الأرض يقرر ما يلي :

١ – أن الأرض ملك لله تعالى جميعها.

٢ – أن الأرض لا توعد ولا تهب.

٣ – أن الأرض لا تباع وتشترى، فلقد ورد في الإصحاح الخامس والعشرين من سفر اللاويين النص التالي :-

"والأرض لا تباع بته لأن لي الأرض وأنتم غرباء ونزلاء عندي" [١٤].

٤ – أن الأرض لا يجوز أن تغتصب من أصحابها.

٥ – أن الرب يعاقب عقاباً شديداً وبشعاً كل من يقدم على اغتصاب أراضي الغير وسلبها وضمها إلى أملاكه.

٦ – ويحث سفر اللاويين اليهود على احترام الضيف النازل لديهم في أراضيهم وإكرامه لأنهم هم كانوا ضيوفاً في أرض مصر في يوم من الأيام، فقد ورد في الإصحاح التاسع عشر من هذا السفر ما يلي :

"إذا نزل عندك غريب في أرضكم فلا تظلموه، كالوطني منكم يكون لكم الغريب النازل عندكم، وتحبه كنفسك لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر، أنا الرب إلهكم" (١٥).

إلا أن الصهاينة بالرغم من كل ما سبق من نصوص العهد القديم، فسروا التوراة تفسيراً انتقائياً متعسفاً بزعمهم أن لهم الحق في تملك أرض كنعان "فلسطين العربية" وما حولها من أراضٍ تمتد بين نهري الفرات والنيل، لأن الرب كان قد وعدهم إياها ملكاً أبدياً لإبراهيم ونسله من بعده، ولهذا السبب سمحوا لأنفسهم بل حللوا لها اغتصاب أرض فلسطين العربية في العصر الحديث وسلبها من أصحابها الشرعيين وهم العرب سكان فلسطين منذ أقدم عصور التاريخ. وفي هذا السياق سوف نتناول قصة الوعد الإلهي لإبراهيم عليه السلام بملكية أرض كنعان كما وردت في التوراة، ثم نتحدث قليلاً عن ذريته ونسله.

أ – الوعد الإلهي لإبراهيم عليه السلام:

في الحقيقة أن الوعود تكررت في التوراة لإبراهيم عليه السلام، وتعددت واختلفت نصوصها، فما هي قصة هذه الوعود ؟.

لقد بدأت قصة الوعود لإبراهيم عليه السلام عندما كان لا يزال في موطنه الأصلي بين قومه وأهله وعشيرته، محبطاً ومهموماً من جراء رفض قومه لرسالته التوحيدية وعدم إيمانهم بها وبه إلا نفر قليل منهم، وفي ذلك الوقت لم يكن إبراهيم عليه السلام يعرف أرض كنعان وربما لم يسمع بها قط، إذ ظهر له الرب وهو في موطنه الأصلي وبين أهله وعشيرته، وأمره أن يترك أرضه إلى المكان الذي يريه قائلاً :

"اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك، فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة، وأبارك مباركيك، ولاعنك ألعنه، وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض" (١٦).

وكما أراد كتبة التوراة أن يوقروا في نفس القارئ ترك إبراهيم عليه السلام أرضه حسب أوامر الرب، ورحل عن مسقط رأسه وهاجر هو وزوجته "سارة" وابن أخيه لوط عليه السلام والنفر القليل الذي آمن بدعوته التوحيدية، وتوجهوا إلى أرض كنعان، وما أن وصلها بعد رحلة طويلة في

الصحراء العربية، حتى ظهر له الرب ثانية في بلده بلاطه (شكيم ـ نابلس) وقال له :

"فأتوا إلى أرض كنعان، واجتاز إبرام "إبراهيم" إلى مكان شكيم إلى بلوطه موره، وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض، وظهر الرب لإبرام وقال: لنسلك أعطي هذه الأرض" (١٧).

ويتضح من النص السابق ما يلي :

١ – يعترف النص التوراتي السابق أن الكنعانيين كانوا يقطنون أرض كنعان في الزمن الذي وصل فيه إبراهيم عليه السلام إليها "وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض"، فكيف تحولت أرض كنعان إلى أرض العبرانيين كما يزعم اليهود ؟.

٢ – ورد في النص التوراتي السابق أن الرب أعطى لنسل إبراهيم "لنسلك أعطي هذه الأرض"، علماً بأن إبراهيم عليه السلام لم يكن له نسل وقتئذ، إذ أن زوجته السيدة سارة كانت امرأة عاقراً لا تنجب، ونسله كان في عالم الغيب ولم ير النور بعد!!.

لنسلك أعطي هذه الأرض، هكذا قال الرب لإبراهيم، احتار إبراهيم في أمره، فأي أرض تلك التي يعطيها الرب لنسله؟ فلم يجد الرب

بدأ من أن يظهر لإبراهيم للمرة الثالثة في بلده "بيت إيل" الواقعة بالقرب من مدينة القدس من أجل أن يبدد حيرته بقوله :

"ارفع عينيك وانظر في الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، لأن جميع الأرض التي ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد"(١٨).

ومع هذا النص التوراتي ازداد إبراهيم حيرة وارتباكاً، فهو لا يستطيع أن يرى من أمامه ومن خلفه وعن شماله وعن يمينه سوى بضع مئات من الأمتار مهما كانت حدة إبصاره وهو في سن متقدم، كما أن جغرافية الأرض الموعودة تبدو غامضة وغير محددة الطول والعرض بل وغير محددة المعالم، فما العمل الآن ؟.

يبدو أنه لا حل لهذه المشكلة سوى أن يظهر الرب للمرة الرابعة لإبراهيم في بلده أربع "الخليل" كما أراده كتبة التوراة من أجل أن يحدد لإبراهيم جغرافية الأرض الموعودة :

"في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلاً: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر الكبير إلى النهر الكبير "نهر الفرات" القينيين والقنزيين والقدمونيين والحثيين والفرزيين والرفائيين والأموريين والكنعانيين والجرشائيين واليبوسيين" (١٩).

وهكذا وضحت الصورة وانجلى الغموض وتحددت جغرافية الأرض الموعودة، فكتبة التوراة لا يريدون مكاناً آمناً لإقامة إبراهيم، وإنما يطمعون بأكثر من ذلك بكثير، فهم يتطلعون إلى ملكية جميع الأراضي الممتدة بين النيل والفرات ملكاً أبدياً حسب إرادة الرب بعد طرد القبائل العربية التي ورد ذكرها في الإصحاح السابق، وبذلك تصبح الأرض الموعودة ملكاً خالصاً وأبدياً لليهود :

"وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك، أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً وأكون إلههم" (٢٠).

ولا أحد يدري لماذا تخلى كتبة التوراة عن أرض الوعد الممتدة بين النيل والفرات في الإصحاح السابق واكتفوا بجميع أرض كنعان فقط، وكما تكرر وعد الرب بالأرض لإبراهيم مراراً، فقد تنقل أيضاً بين أولاده وأحفاده، فانتقل أولاً إلى ابنه الثاني إسحاق وليس إلى ابنه البكر إسماعيل عليهما السلام كما هي عادة القبائل القديمة، ثم انتقل إلى حفيده يعقوب، ثم إلى موسى عليه السلام، وأخيراً إلى يوشع بن نون خليفة موسى، ومن الملفت للنظر حقاً أن أرض الوعد الإلهي الأبدي لم تكون يوماً من الأيام تحت سيطرة أحد من الأنبياء السالف ذكرهم، ولا تحت النفوذ اليهودي،

وإنما كانت دائماً بحوزة أصحابها العرب منذ أقدم العصور وقبل ظهور إبراهيم في التاريخ بآلاف السنين، وبعد ظهوره أيضاً بآلاف أخرى من السنين وحتى يومنا هذا باستثناء الجزء الذي يحتله الصهاينة الآن من أرض فلسطين العربية بعد انتزاعها من أصحابها العرب ليس عن طريق الوعد الإلهي ومشيئة وإرادة الرب، وإنما بالغش والخداع والتزوير، والقوة العسكرية الغاشمة.

وقد دحض الكثيرون من علماء الدراسات التوراتية المزاعم اليهودية المتعلقة بالوعد الإلهي وأيضاً بحق اليهود في تملك أرض فلسطين العربية وفي مقدمة هؤلاء البروفيسور "ألفريد غليوم" ــ أستاذ الدراسات التوراتية بجامعة لندن ــ، فأسطورة الوعد الإلهي الأبدي بتملك اليهود لأرض كنعان "فلسطين العربية" مبنية في الأساس على مزاعم ومفاهيم مغلوطة وباطلة من أولها لآخرها، وعلى تفسيرات توراتية انتقائية مغرضة وتعسفية يرقى الشك في صحتها، وينكر البروفيسور ألفريد غليوم أن يكون وعد الرب بملكية أرض كنعان مقصور على اليهود فقط، لأنه إذا كان الوعد فعلاً لنسل إبراهيم فإنه يشمل أيضاً العرب سواءً كانوا مسلمين أو مسيحيين وعلى حد سواء لأنهم من نسل إبراهيم، وسوف نتناول نسل إبراهيم لاحقاً.

وإضافة على ذلك يقول البروفيسور ألفريد غليوم أن هناك سوء فهم أو فهم خاطئ لبعض الكلمات التي وردت في الأصل العبري للكتاب المقدس

والمتعلقة بالوعد الإلهي لإبراهيم بملكية أرض كنعان "فلسطين العربية"، فكلمة "عولام – Olam" في الترجمات العربية لكتاب العهد القديم اعتبرت هذه الكلمة أنها تعني "للأبد أو ملكاً أبدياً أو وعداً أبدياً"، وفي الترجمة الإنجليزية لكتاب العهد القديم ترجمت كلمة "عولام" العبرية إلى "Forever و Everlasting" ولكن الحقيقة أن كلمة عولام العبرية لا تعني ذلك المعنى في اللغتين العربية والإنجليزية، وإنما تعني فقط "الحين من الدهر أو الفترة من الزمن"، وهذا يعني في الواقع أن الوعد لإبراهيم (لو كان هناك وعداً أصلاً) لم يكن وعداً أبدياً وإنما وعد محدداً بفترة زمنية معينة[٢١].

ولقد فند الفريد غليوم ودحض في دراسة له المزاعم الصهيونية وكذلك ما يروجون له من أن إنشاء دولة يهودية معاصرة في فلسطين العربية هو أمر تنبأ به الكتاب المقدس.

والحقيقة أن النبوءات التوراتية التي تتحدث عن عودة اليهود إلى فلسطين العربية لا تعني أبداً العودة المعاصرة لها، إنما تعني تلك العودة التي تمت فعلاً في التاريخ القديم بحدود عام ٥٣٦ قبل الميلاد أي قبل حوالي ٢٥٠٠ عاماً من زمننا الراهن، إذ أنه بعد السبي الأشوري لليهود في عام ٧٢١ قبل الميلاد ثم الأسر البابلي لهم عام ٥٨٦ قبل الميلاد خلت فلسطين العربية من اليهود، وكان ذلك بمثابة العقاب الإلهي لهم بسبب معصيتهم لربهم

"يهوه" وكفرهم به، إلا أنه تمكن قسم صغير من يهود السبي البابلي من العودة إلى فلسطين العربية بعد عامين من الاحتلال الفارسي لها في عام ٥٣٨ قبل الميلاد، وبذلك تكون النبوءات التوراتية المتعلقة بعودة اليهود إلى فلسطين العربية قد تحققت فعلاً بهذه العودة، ومن غير الممكن أن تتحقق هذه النبوءات بإرادة إلهية مرة أخرى، وفي الواقع أنه لا يوجد في الكتاب المقدس بأكمله أية نصوص تؤيد وتدعم الدعاوى الصهيونية أو تدل على أن دولة إسرائيل الحالية قد أنشأت تحقيقاً لنبوءات توراتية بل وعلى العكس تماماً من ذلك يوجد في الكتاب المقدس نصوص تشير على أن الوعود الإلهية وفقاً للنبوءات التوراتية تشمل الجنس البشري كله وليست قاصرة على اليهود فقط.

ومما تقدم يتضح ما يلي :

أولاً: وفقاً لما ورد في التوراة فإن الأرض جميعها ملك للرب وحده لا يجوز التصرف بها بالبيع والشراء، ولا يجوز أيضاً وهبها أو وعدها أو إعطائها لمخلوقات الرب!.

وحسب النصوص التوراتية أيضاً فإنه إذا حل غرباء ضيوفاً على أرض قوم، فمن الواجب احترامهم وإكرامهم.

ثانياً: إن الوعد الإلهي المزعوم بملكية اليهود لأرض كنعان "فلسطين العربية" يتناقض مع ما ورد في التوراة من نصوص تفيد بأن الأرض جميعها يملكها الرب وحده!.

فكيف وهذا هو الحال توعد أرض كنعان لمخلوقات الرب وعبيده ؟

ثالثاً: لقد وعد الرب أرض كنعان لنسل إبراهيم في الحين الذي لم يكن لديه ذرية ولا نسل، وعندما رزق بالنسل الوفير، فإن الوعد يشمل جميع نسل إبراهيم من أبنائه الكثر، وليس فقط نسل ابنه الثاني إسحاق عليه السلام الجد الأعلى لليهود كما يزعمون.

رابعاً: رغم أن وعد الرب لإبراهيم تكرر مراراً في التوراة، إلا أن جغرافية أرض الوعد كانت مبهمة وغامضة، ففي البداية كانت جغرافية أرض الوعد غير محددة وربما كانت لبضعة أمتار حول إبراهيم، ثم ازداد حجم ومساحة أرض الوعد ليشمل الاراضي الممتدة بين نهري النيل والفرات، ثم اكتفى كتبة التوراة بجميع أرض كنعان، وبالرغم من ذلك لم تقع الأرض الموعودة جميعها في أيدي اليهود وتحت سيطرتهم!.

خامساً: إن الوعد الإلهي بملكية أرض كنعان كان مشروطاً بمدى تقيد الموعودين من نسل إبراهيم بأوامر الرب.

سادساً: إن الوعد الإلهي أصبح في حكم الملغي بسبب عدم التزام الموعودين من نسل إبراهيم بأوامر الرب.

سابعاً: إن النبوءات التوراتية المتعلقة بعودة اليهود إلى فلسطين العربية قد تحققت فعلاً بعودة اليهود من الأسر البابلي إليها، ولا يوجد في الكتاب المقدس كله بعهديه القديم والجديد أية نبوءات جديدة تدل على عودة جديدة ومعاصرة لليهود إلى فلسطين.

وفي هذا السياق يقول الأستاذ يوسف أيوب حداد ما يلي:

١ – أن الميثاق أعطي لإبراهيم قبل أن يكون له بنون.

٢ – أن الميثاق الأول كان عند اختتان إسماعيل يوم لم يكن إسحاق قد ولدته أمه سارة.

٣ – أن الميثاق كان مشروطاً وأي مخالفة له تلغيه، وهذا ما حدث بالفعل.

٤ – أن النبوءات قد تحققت بعودة اليهود من السبي البابلي، ولم تظهر نبوءة جديدة تنبأ بعودة أخرى بعد دمار هيكل أورشليم في العام الميلادي السبعين.

٥ – أن الميثاق المتضمن للوعد بأرض الميعاد كان لكافة ذرية إبراهيم وليس مقصوراً على اليهود وحدهم {لنسلك أعطي هذه الأرض،ت٢:١٢}.

والأرض المقصودة هي أرض كنعان الغير محددة تخومها، وبركة الرب لم تكن مقصورة على أمة بل على أمم كما جاء في الفقرة الثالثة من الإصحاح الثاني عشر من سفر التكوين(٢٢).

وبالرغم من الحقائق سالفة الذكر لا يشعر الزعماء الصهاينة بأي حياء أو خجل وهم يتبجحون بين الحين والآخر سواء كانوا من اليمين الإسرائيلي أو من يساره، وسواء كانوا من حزب الليكود أو من حزب العمل أو من اي حزب آخر، وساء كانوا من المؤسسة الحاخامية أو المدنية أو العسكرية بالوعد الإلهي لتبرير اغتصابهم لأرض فلسطين العربية وتشريد شعبها في شتى بقاع الأرض، ففي تصريح لرئيسة الوزراء الإسرائيلية الراحلة "جولدا مائير" أدت به لصحيفة الموندو الفرنسية بتاريخ الخامس عشر من تشرين الأول من العام الميلادي ١٩٧١ قالت فيه ما يلي :

"وجد هذا البلد {إسرائيل الحالية} تنفيذاً لوعد الرب ذاته، ولهذا لا يصح أن نسأله إيضاحاً عن شرعية هذا الوجود".

وفي تصريح له لصحيفة دافار في عددها الصادر في الرابع عشر من كانون الأول / ديسمبر في العام الميلادي ١٩٧٨، قال رئيس الوزراء الإسرائيلي الراحل الإرهابي مناحم بيغن ما يلي :

"لقد وعدنا هذه الأرض، ولنا الحق فيها".

أما وزير الدفاع الإسرائيلي الراحل الإرهابي موسي دايان، فقد أدلى بتصريح لصحيفة جيروزالم بوست الإسرائيلية بتاريخ العاشر من آب / أغسطس من العام الميلادي ١٩٦٧ قال فيه ما يلي :

"إذا كنا نملك الكتاب.. وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة.. فينبغي أن نملك أيضاً أرض التوراة، بلاد القضاة وأرض أورشليم وحبرون وأريحا وأماكن اخرى".

ونحن لا ندري على وجه التأكيد إذا ما كان الجنرال موسي دايان يعي تماماً ما يقوله أم لا؟ فأرض فلسطين العربية وكما هو معروف جيداً لم تكن أبداً أرض التوراة، وإنما أنزلت التوراة بأكملها، واكتملت العقيدة الموسويه القيمة في صحراء سيناء، فأرض سيناء هي في الواقع أرض التوراة، ولكن لا يحق لليهود المطالبة بها الآن فهي تحت السيادة المصرية، وإذا كانت نظرية وزير الدفاع الإسرائيلي المتعلقة بتملك اليهود لأرض التوراة صحيحة سواء كانت هذه الأرض هي أرض سيناء أو أرض فلسطين العربية، فإنه بالقياس يحق لأي مسيحي من روسية أو إيطالية أو كندا المطالبة بتملك أرض فلسطين لأنها أرض الإنجيل، وكذلك فإنه يحق لأي مسلم من اندونيسيا أو باكستان أو الشيشان المطالبة بتملك أرض الجزيرة العربية لأنها أرض الكتاب أيضاً، فهي أرض القرآن الكريم، وأرض مكة المكرمة والمدينة المنورة، وأرض

الطائف وتبوك واليمن، أليس كذلك ؟، أليست نظرية وزير الدفاع الإسرائيلي موسي دايان نظرية سخيفة ومضحكة ؟

وإذا ما كان اليهود لا يملكون دليلاً حقيقياً على الوعد الإلهي لهم بملكية أرض كنعان سوى توراقم المحرفة والمزورة والمبدلة التي وضعوها بأيديهم نقلاً عن روايات شفهية وحكايات شعبية ينقصها جميعها السند اللازم لصحة التواتر ومصداقيته ولم تدون إلا بعض مضي ما يقرب من ألف عاماً على وفاة موسى عليه السلام، ولا يوجد في مجموعة الأناجيل أو كتاب العهد الجديد أي دليل يدعم موقف الصهاينة، أو يشير على ضرورة تملك اليهود لأرض فلسطين العربية، وقديماً قال يتودور هرتزل الأب الروحي للصهيونية أثناء مقابلته للإمبراطور الألماني "غليوم" ما يلي :

"نحن" اليهود" لا يربطنا بالأرض المقدسة "فلسطين العربية" أية حقوق ملكية صحيحة، ولقد مرت أجيال عديدة منذ أن كانت هذه الأرض يهودية، وإذا تحدثنا عنها نتحدث فقط مثلما يتحدث المرء عن حلم من الزمن العريق في القدم" (٢٤).

والأهم من ذلك كله لم يرد في القرآن الكريم أي إشارة أو تلميح للوعد الإلهي لإبراهيم رغم أن القرآن الكريم تحدث كثيراً عن إبراهيم عليه السلام وأفرد سورة من سوره لهذا النبي العظيم، ولم يأتِ في القرآن الكريم ما

يدل على أن فلسطين يجب أن تكون لليهود أو غيرهم، والحقيقة أننا نحن كمسلمين لدينا وعد إلهي حقيقي بعودة الأرض المباركة "فلسطين العربية" مهما طالت فترة احتلالها واستعمارها. يقول الله تعالى في كتابه العزيز :

١ – { وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ــ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا }[٢٤].

٢ – { إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا }[٢٥].

ب – نسل إبراهيم :

اعتاد الناس منذ قرون طويلة بتأثير من الفكر التوراتي والكتابات والمزاعم اليهودية على فهم أن نسل إبراهيم وذريته قاصرة على اليهود فقط، ووفقاً للمفاهيم التوراتية المغلوطة يعتقد اليهود أنهم وحدهم هم الورثة الوحيدون والشرعيون للوعد الإلهي بملكية أرض كنعان "فلسطين العربية"، وهذه في الواقع مفاهيم خاطئة ومغلوطة يجانبها الكثير من الصواب ولا يمكن قبولها بالمطلق، فإبراهيم عليه السلام ترك نسل وذرية كبيرة من زوجاته الأربع، فقد تزوج إبراهيم أولاً من زوجته البابلية سارة "ساراي" التي ولدت

له ابنه الثاني إسحاق عليه السلام بعد أربعة عشر عاماً مرت على مولد ابنه البكر إسماعيل عليه السلام من زوجته الثانية المصرية هيجر "هاجر"، وتزوج ثالثاً من زوجته الكنعانية "قطورة بنت يقطن" التي أنجبت له كل من: زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحاً، فقد ورد في الإصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين ما يلي :

"فعاد إبراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة فولدت له: زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحاً" (٢٦).

وأخيراً تزوج إبراهيم عليه السلام من زوجته الرابعة الكنعانية "حجون بنت أمين" التي ولدت له خمسة أبناء هم: كيسان ـ سورغ ـ أميم ـ لوطان ـ نافيس.

وتعترف التوراة بأن إسماعيل عليه السلام هو الابن البكر والأكبر لإبراهيم، وتقر أيضاً أن إسماعيل هو من نسل وذرية إبراهيم، فقد ورد في الإصحاح الحادي والعشرين من سفر التكوين ما يلي :

"وصنع إبراهيم وليمة عظيمة يوم فطام إسحاق، ورأت سارة ابن هاجر المصرية التي ولدته لإبراهيم يمزح، فقالت لإبراهيم: أطرد هذه الجارية وابنها لأن ابن الجارية لا يرث مع ابني إسحاق، فقبح الكلام جداً في عيني

إبراهيم بسبب ابنه، فقال الله لإبراهيم: اسمع لقولها لأنه بإسحاق يدعى لك نسل، وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة عظيمة لأنه من نسلك" (٢٧).

وتشير التوراة في أكثر من مناسبة أن أعداد نسل إبراهيم كانت كبيرة جداً، فقد كانت بعدد حبات تراب البحر كما ورد في الإصحاح الثالث عشر من سفر التكوين، وبعدد نجوم السماء كما ورد في الإصحاح الخامس عشر من سفر التكوين، وبعدد حبات الرمل كما ورد في الإصحاح الثاني والعشرين من سفر التكوين أيضاً، وإذا كان اليهود يحتكرون نسل إبراهيم لأنفسهم فقط، فمتى كان عدد اليهود في أي مرحلة من تاريخهم بهذه الضخامة لكي يصل إلى تلك الأرقام الفلكية التي تساوى حبات الرمل وتراب البحر وعدد النجوم التي في السماء التي لا يمكن عدها وحصرها؟ فاليهود في الواقع عاشوا كأقليات ضئيلة في المجتمعات التي عاشوا فيها على مدى تاريخهم ؟!..

فمن هم نسل إبراهيم الذين عددهم كعدد نجوم السماء وحبات الرمل وتراب البحر؟

في الحقيقة أن العرب مسلمين ومسيحيين وعلى حد سواء هو الورثة الشرعيون والوحيدون لنسل إبراهيم بعد انقراض يهود بني إسرائيل منذ زمن طويل، وإذا كان الوعد الإلهي الأبدي لإبراهيم بملكية أرض كنعان "فلسطين

العربية" حقاً لنسل إبراهيم فإن الشعب العربي أولى وأحق بهذا الوعد من اليهود، لأن اليهود الأوائل من بني إسرائيل انقرضوا منذ أمد بعيد ولم يعد لهم وجود، واليهود المعاصرون لا ينتمون لهم ولا لنسل وذرية إبراهيم، فمن المعروف أن الغالبية العظمى من يهود اليوم والتي تبلغ حوالي ٩٢ % من تعداد اليهود الكلي ينحدرون بجذورهم العرقية أصلاً من سلالة شعب الخزر الأسيوي المصنف توراتياً بأنه ينحدر من سلالة يافث بن نوح وليس لسلالة سام بن نوح التي ينتمي إليها إبراهيم عليه السلام ونسله، ويذكر الإصحاح السادس والعشرين من سفر التثنية أن إبراهيم كان ارامياً تائهاً في الصحراء، والسلالة الأرامية هي من الشعوب السامية التي شهدتها المنطقة العربية في التاريخ القديم، إلا أن إبراهيم عليه السلام لم يكن أبداً من الأراميين لأن الأراميين ظهروا على مسرح الأحداث والتاريخ بعد الزمن الذي عاش فيه إبراهيم بفترة طويلة، والحقيقة أن نسب إبراهيم العرقي يعود إلى العرب العموريين الذين هاجروا إلى بلاد الشام من شبه الجزيرة العربية ثم اجتاحوا وادي الرافدين في هجرة سامية معاكسة وأسسوا هناك سلالة بابل الأولى.

ولكن ما هي قصة التفرقة والتمييز بين الجيل الأول من نسل إبراهيم؟

وهل من الممكن أن يفرق نبي عظيم من طراز إبراهيم بين أولاده؟

أليس جميع نسل إبراهيم ينتسبون إليه دون تفرقة أو تمييز بين أحد منهم؟.

في الواقع أن التفرقة والتمييز بين الجيل الأول من نسل إبراهيم وجعله قاصراً على نسل إسحاق ويعقوب غير موجود أصلاً إلا في خيال كتبة التوراة، ووليد أوهامهم، وتبدأ قصة التفرقة بين إسماعيل الابن البكر لإبراهيم من زوجته الثانية هيجر أو هاجر، وإسحاق ابنه الثاني من زوجته سارة "ساراي"، عندما كانت هاجر حاملاً بإسماعيل. ولما كانت سارة وقتئذ عجوزاً عاقراً، فقد اشتعلت نيران الغيرة والحسد والحقد في صدرها ضد هاجر، فأساءت سارة معاملتها وأذلتها وهي في أشهر الحمل إلى الدرجة التي فضلت هاجر ترك بيت زوجها والفرار إلى جوف الصحراء هروباً من المذلة والهوان الذي تعانيه على يد سارة، إلا إن الرب أرسل إليها ملاكاً من السماء ليواسيها ويخفف من ثورتها وينصحها بالعودة إلى بيت زوجها. فقد ورد في الإصحاح السادس عشر من سفر التكوين ما يلي :

"وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلى فتلدين ابناً وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب سمع لمذلتك" (٢٨).

وبناءً على نصيحة ملاك الرب عادت هاجر إلى بيت زوجها وعدلت على فكرة الهروب إلى جوف الصحراء، وعندما انقضت فترة حملها وضعت طفلها إسماعيل الذي أبصر النور بعد طول انتظار، وما أن ولد إسماعيل حتى غمرت الأفراح والمسرات بيت إبراهيم ابتهاجاً بالحدث السعيد ما عدا سارة زوجة إبراهيم الأولى التي كانت عاقراً حتى ذلك الوقت.

ولكن السيدة سارة حملت بولدها إسحاق الذي ولدته بعد أربعة عشر عاماً من مولد إسماعيل، وما أن ولد إسحاق تبخرت أحلام إسماعيل بوراثة والده كما يقول كتبة التوراة، وفي مناسبة فطام إسحاق حاول إسماعيل السخرية من أخيه الطفل إسحاق أمام أعين الأشهاد، فغضبت سارة غضباً شديداً وطلبت من إبراهيم أن يطرد إسماعيل ووالدته هاجر نهائياً من المكان، وأمره الرب أن يطيع زوجته سارة بقوله :

"لا يقبح في عينك الغلام ومن أجل جاريتك، في كل ما تقوله لك سارة اسمع لقولها، لأنه بإسحاق يدعى لك نسل، وابن الجارية سأجعله أمة عظيمة لأنه من نسلك" (٢٩).

إلا أن إبراهيم كان يرغب في أن يعيش إسماعيل في كنفه وبالقرب منه، فتوجه إلى الرب وقال له :

"ليت إسماعيل يعيش أمامك" (٣٠).

ولكن الرب لم يستجب لتضرع إبراهيم بإبقاء ابنه إسماعيل بجانبه وقضى قضاءً مبرماً على رغبته بقوله :

"بل سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحاق، وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً ولنسله من بعده، وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً، اثنى عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة، ولكن عهدي أقيمه مع إسحاق الذي تلده سارة في مثل هذا الوقت من السنة الآتية" (٣١).

وبحسب أوامر الرب لم يجد إبراهيم مفراً من طرد جميع أولاده بعيداً عنه، ليس إسماعيل فقط وإنما جميع أولاده من زوجاته الكنعانيات أيضاً: قطورة بنت يقطن وحجون بنت أمين، ورد في الإصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين ما يلي :

"وأعطي إبراهيم إسحاق كل ما كان له، أما بنو السراري فأعطاهم عطايا وصرفهم عن إسحاق شرقاً إلى أرض المشرق وهو بعد حي" (٣٢).

ومن سياق السرد التوراتي السابق لقصة إبراهيم وأولاده، من الممكن الاستنتاج بسهولة أنها قصة خيالية وأسطورية لا يمكن أن تكون قد حدثت فعلاً إلا في خيال كتبة التوراة المريض، ومن الممكن تلخيص هذه القضية فيما يلي :

إن قصة التفريق والفصل بين أبناء إبراهيم في التوراة قد بدأت عندما كانت الزوجة الثانية لإبراهيم "هاجر" حاملاً بطفلها

إسماعيل، وحيث أن زوجته الأولى "سارة" كانت امرأة عاقراً لا تحمل ولا تلد فقد تأججت نيران الغيرة والحسد والحقد في صدرها على هاجر.

١ – وبالرغم من أن سارة أنـجبت ابنها إسحاق بعد أربعة عشر عاماً مرت على مولد إسماعيل، إلا أن حالة الغيرة والحسد من إسماعيل ووالدته ظلت تلازمها لدرجة أنها طلب من زوجها إبراهيم إبعاد إسماعيل ووالدته بعيداً عن إسحاق حتى يخلو له الجو ويرث كل ما كان لوالده.

٢ – إلا أن إبراهيم التوراتي لم يطرد إسماعيل ووالدته فقط من أمامه وإنما قام بطرد جميع أولاده من زوجاته الكنعانيات وأقصاهم أيضاً بعيداً عن إسحاق بعد أن استرضاهم ببعض العطايا.

وهكذا تم لكتبة التوراة التفريق بين إبراهيم وجميع أولاده ماعدا ابنه الثاني إسحاق الذي أصبحت الأمور مواتيه له وحده لوراثة جميع ما كان يملك إبراهيم من أموال وماشية وإبل وكل ما كان يملك من أراضي بما فيها الوعد الإلهي بملكية أرض كنعان "فلسطين العربية"، وبذلك أصبحت الأرض الموعودة في التوراة ملك لليهود الذين يعتبرون أنفسهم نسل إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

والحقيقة أن الدين لا يمكن تحت أي ظرف من الظروف أن يكــون مستنداً حقوقياً بيد البعض لتملك الأرض أو غيرها، ولو افترضنا جـدلاً أن هذا من الممكن اعتباره كذلك، فإن هذا في الواقع لا ينطبق على حالة اليهود لأنهم ليسوا من نسل إبراهيم للأسباب التالية :

١ – لا علاقة تربط بين يهود اليوم والآباء الأوائل إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، لأن بني إسرائيل الأوائل قد انقرضوا واختفــوا في وقت مبكر من عمر هذه الجماعة. ويقول المؤرخ فيليب حـتي في مؤلفـه "خمسة آلاف سنة من عمر الشرق الأدنى" أن الجماعة التي قادها موسى عليه السلام كانت مؤلفة من تحالف قبلي متعدد الأعراق والأهــواء، ولا يوجـد بينهم من يمكن نسبه إلى بني إسرائيل سوى أحفاد راحيل "راشيل" والدة نبي الله يوسف عليه السلام.

٢ – وحيث أن بني إسرائيل الأوائل قد انقرضــوا واختفــوا عــن مسرح الأحداث في وقت مبكر من عمر هذه الجماعة، فيذهب المؤرخ أحمـد سوسة ما يلي :

"أما حقيقة الخروج كما يستدل من الأحداث التاريخية كانوا جماعــة من المصريين الذين أخلوا بديانة التوحيد في عهد اخناتون فرعــون مصـــر، وأكثرهم من الجنود المصريين أتباع موسى ومن بقايا الهكسوس الذين بقوا في

مصر، وقد انضم هؤلاء بعض الأسرى الهاربين والعبيد الفارين من سادهم، والظاهر أن فلسطين كانت أقرب ملجأ للعبيد المصريين الفارين من أسيادهم. أما النبي موسى الذي خرجت الجماعة بقيادته فهو نفسه مصري صميم ووصف بأنه قائد مصري.

أما ما دونه كتبه التوراة من أن هذه الجماعة ترجع في أصلها إلى إبراهيم الخليل وأنها من ذرية يعقوب "إسرائيل" وقد سميت هذه الجماعة ببني إسرائيل ونسبت كل شيء إلى إلهها "يهوه" فلا يوجد أي دليل تاريخي أو حتى مجال افتراض للأخذ به" (٣٣).

أن يهود اليوم لا يمتون بصلة من قريب أو من بعيد للآباء الأوائل من بني إسرائيل الذين انقرضوا واختفوا منذ زمن طويل، والحقيقة أن يهود اليوم ليسوا أصلاً من سكان المنطقة العربية في التاريخ القديم، وينحدرون بجذورهم العرقية من سلالة شعب الخزر الآسيوي الذي تهود في القرن الميلادي الثامن بعد اعتناق الملك الخزري "بولان"، واستطاع هذا الملك الخزري تأسيس مملكة يهودية كانت تعرف باسم "خزاريا"، وكانت بلاد الخزر تقع جنوبي روسية على ضفاف نهر الفولجا وحول مصبه في بحر قزوين، ولقد عمرت المملكة اليهودية الخزرية "خارطة رقم ١" حتى القرن الميلادي العاشر عندما قضى عليها الروس، وفي القرن الميلادي الثالث عشر اجتاح القائد المغولي

جنكيز خان بلاد الخزر وألغى أي وجود ليهود الخزر في خزاريا، وبعد هذه الحادثة انتشر يهود الخزر في كافة أرجاء الإمبراطورية الروسية ومنها إلى دول أوروبا الشرقية وأوروبة الغربية ثم إلى القارة الأمريكية الشمالية بعد اكتشافها في القرون الوسطى.

وفي الواقع أن يهود الخزر ليسوا من الشعوب السامية التي يزعم يهود اليوم أنهم ينتمون إليها، وإنما ينحدر شعب الخزر الآسيوي بجذوره العرقية من سلالة يافث بن نوح وتحديداً في ابنه "جومر" حسب التقسيم التوراتي لشعوب العالم القديم، وينحدر ٩٢% من يهود اليوم من سلالة شعب الخزر الأسيوي الذي لا يمت بصلة للشعوب السامية، إلا أن الصهاينة نجحوا إلى حد كبير في إخفاء حقيقتهم الخزرية عن جميع وسائل الإعلام في أوروبة والولايات الأمريكية من أجل أن يظهروا أمام العالم المسيحي وكأنهم امتداد عرقي نقي للآباء الأوائل من بني إسرائيل ولقبيلة يسوع المسيح الإسرائيلية.

٣ – يزعم الصهاينة أن يهود اليوم هم سلالة عرقية نقية منذ عهد الآباء الأوائل إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، وذلك من أجل أن تنطبق عليهم أطروحات التوراة البائدة والمتعلقة بالعبارات التقليدية التي اعتاد اليهود تداولها على مر الأزمنة والعصور مثل عبارات: الوعد الإلهي،

والأرض الموعودة، وأرض الميعاد وشعب الله المختار، ولو فرضنا جدلاً صحة هذه العبارات فإنها لا تنطبق على اليهود المعاصرين، فأسطورة النقاء العرقي لليهود قد سقطت تماماً ولم يعد لها وجود بالأدلة التاريخية والعلمية.

فمن الناحية التاريخية من المتفق عليه أن الديانة اليهودية اعتنقها أقوام كثيرة من أعراق مختلفة على مدى التاريخ، وكان اليهود أكثر شعوب الأرض اختلاطاً بالشعوب الأخرى عن طريق التزاوج، ولقد ساهمت ظروف النفي والطرد والحروب والتجارة في اختلاط اليهود بالتزاوج مع جميع أعراق الأرض، وحتى الأشخاص الذين يعتقد اليهود أنهم من رموزهم اختلطوا اختلاطاً غير محدود بالأجناس الأخرى، فإبراهيم عليه السلام تزوج من امرأة مصرية هي السيدة هاجر، وتزوج أيضاً من امرأتين كنعانين هما قطورة بنت يقطن وحجون بنت أمي، ويوسف عليه السلام تزوج بامرأة مصرية، وموسى عليه السلام تزوج بامرأة عربية من أرض مدين وامرأة أخرى كانت كوشيه، ويهوذا بن يعقوب تزوج من امرأة كنعانية، وداود عليه السلام اتخذ زوجة حثية وأخرى مؤابيه، وسليمان عليه السلام كما تذكر التوراة تزوج بنساء كثيرات، فقد تزوج ابنه الفرعون المصري "سي أمون" واتخذ ايضاً زوجات مؤابيات وأدوميات وعمونيات.

ومن الناحية العلمية فشل اليهود فشلاً ذريعاً في انتزاع اعتراف من علماء الأجناس بنقاء الجنس اليهودي، فقد رفض علماء الأجناس البشرية في مؤتمرهم الذي عقد في الولايات المتحدة الأمريكية في العام الميلادي ١٩٣٣ الاعتراف باليهود كجنس نقي واعترفوا فقط بالديانة اليهودية.

ويقول علماء الأجناس البشرية في كولومبيا ما يلي :

"إن اليهود شعب يعتنق الديانة اليهودية، وهم خليط من جميع الأجناس، بما فيها الزنجي والمغولي، أما ما يسمونه الطابع اليهودي الخاص، فهو طابع شائع بين جميع شعوب بلدان الشرق الأوسط الممتدة على شواطئ البحر الأبيض المتوسط" (٣٤).

ويقول عالم الأجناس البشرية لا ميروز ما يلي :

"إن اليهود المحدثين أدنى إلى الجنس الأرى منهم إلى الجنس السامي، وهم عبارة عن طائفة دينية تميزت بمميزات اجتماعية واقتصادية، وقد انضم إليها في جميع العصور أشخاص من شتى الأجناس ومن مختلف أصناف البشر، وجاء هؤلاء المتهودون من جميع الآفاق، فمنهم الفلاشا سكان الحبشة، ومنهم الألمان ذوي السحنة الألمانية، ومنهم التامل أو يهود الهند السود، ومنهم الخزر وينتمون إلى الجنس التركي".

ورداً على المزاعم اليهودية بأن اليهود هم من نسل إبراهيم، جاء في إنجيل متى على لسان يوحنا المعمدان "يحيى عليه السلام " ما يلي :

"فلما رأى كثير من الفريسيين والصديقيين يأتون إلى معموديته قال لهم: يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي، فاصنعوا ثماراً تليق بالتوبة، ولا تفتكروا أن تقولوا في نفوسكم لنا إبراهيم أباً، لأني أقول لكم أن الله قادر على أن يقيم في هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم"(٣٥).

وقال السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام كما ورد الإصحاح الثامن من إنجيل يوحنا ما يلي :

"لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم، ولكنكم تطلبون أن تقتلوني لأن كلامي لا موضع له فيكم، أنتم من أبٍ هو إبليس وبشهوات أبيكم تعملون".

أما القديس بولس فقد وجه كلامه لليهود قائلاً ما يلي :

"فإنه ليس بالناموس كان الوعد لإبراهيم ونسله أن يكون وارثاً للعالم، بل ببر الإيمان، لأنه إن كان الذين من الناموس ورثة، فقد تعطل الإيمان وبطل الوعد" (٣٦).

ومن الممكن تلخيص كل ما تقدم في النقاط الست التالية :

١ – أن الوعد الإلهي لإبراهيم عليه السلام قد أعطى له قبل أن يكون لديه نسل وذرية، وكتبة التوراة في الواقع كانوا لا يعرفون الغيب ولا يستطيعون التنبؤ به.

٢ – أن نسل إبراهيم كان أكبر بكثير من أن يحتكره حفنة من اليهود يعتقدون أنهم ورثة إبراهيم عليه السلام.

٣ – أن الأمة العربية مسلمين ومسيحيين هم الورثة الشرعيون والوحيدون لنسل إبراهيم بعد انقراض بني إسرائيل منذ زمن طويل، وهم الذين يحاول اليهود نسب أنفسهم إليهم.

٤ – أن الوعد الإلهي لإبراهيم عليه السلام قد أبطل وألغي بسبب عدم التزام الموعودين بأوامر الله تعالى.

٥ – إن اليهود الأوائل ليسوا بأي حال من الأحوال من نسل إبراهيم من جراء اختلاطهم اختلاطاً واسعاً بالأقوام الأخرى بالتزاوج على مدى تاريخهم.

٦ – أن اليهود المعاصرين لا يمتون بصلة أو أي ارتباط أو أواصر عرقية باليهود الأوائل، إذ أن السواد الأعظم من يهود اليوم ينحدرون بجذورهم العرقية من سلالة شعب الخزر الآسيوي، وهؤلاء لم تطأ أقدام آبائهم وأجدادهم الأولين قط أرض فلسطين على مدى التاريخ كله.

فهل هناك أي مجال حتى ولو كان افتراضياً للأخذ بعين الاعتبار المزاعم اليهودية على محمل الجد والمتعلقة بالوعد الإلهي لإبراهيم عليه السلام ونسله؟

لا أعتقد ذلك !.

١-٣: أسطورة المسيح المنتظر :

خلال الألف الأول قبل الميلاد كانت فلسطين العربية مسرحاً لالتقاء وتفاعل واندماج الحضارات القديمة العملاقة كالحضارة الكنعانية: حضارة سكان البلاد الأصليين، إضافة إلى الحضارات الفرعونية والأشورية والبابلية والفارسية والإغريقية والرومانية التي تقلبت على أرض فلسطين العربية بسبب ظروف الغزو والاحتلال الأجنبي لها، وبمرور الزمن تولدت في فلسطين العربية حالة رفيعة المستوى من الرقي الحضاري والمعرفي والانفتاح الثقافي واسع النطاق على جميع الثقافات القديمة، الأمر الذي استوعب جميع التيارات والاتجاهات المختلفة التي كانت تموج بها أرض فلسطين والتعامل معها بصدر رحب وعقل ناضج مفتوح ثم صهر الحضارات والثقافات القديمة في بوتقة واحدة هي بوتقة الفكر والحضارة الفلسطينية بعيداً عن جميع أشكال وأنواع التعصب والعنصرية.

وفي الظلام الحالك قبع أفراد الجالية اليهودية بمدينة القدس يراقبون باهتمام بالغ وقلق شديد مجريات المتغيرات والمستجدات التي طرأت على

الساحة الفلسطينية، فهم لم يكن بمقدورهم قبولها أو التعايش معها أو حتى مهادنتها خوفاً من انهيار منظومتهم الدينية والسياسية والاجتماعية المهترئة العنصرية المتحجرة والمتزمتة التي أكل عليها الزمن وشرب والتي توارثوها في أجيالهم جيلاً بعد جيل، وظلوا أسرى وعبيداً لها لا يستطيعون منها فكاكاً، والمنظومة اليهودية العنصرية مؤلفة من عدة عناصر تدور في حلقة مفرغة هي كالتالي :

اعتقاد اليهود أنهم شعب الله المختار فوق جميع شعوب الأرض الذي لولاه ما خلقت الدنيا. ولا تحل بركة الرب على الأرض إلا بهذا الشعب وعليه :

١ – تميز اليهود الديني والعرقي والتاريخي علي بقية شعوب الأرض.

٢ – خصوصية اليهود الدينية كونهم حملة الشريعة والناموس المنوط بهم هداية البشرية جمعاء، أما بقية الشعوب فهي شعوب وثنية كافرة.

٣ – ألوهية التوراة التي وضعها الكهنة والأحبار والحاخامات اليهود بأيديهم بعد ما يقرب من ألف عاماً مرت على وفاة نبي الله موسى عليه السلام.

٤ – أبدية الوعد الإلهي لإبراهيم عليه السلام بتملك جميع أرض كنعان والأراضي التي تقع حولها والممتدة بين نهري الفرات والنيل.

٥ – قدسية هيكل أورشليم الذي لا تتوفر أية دلائل أركيولوجية على وجوده في التاريخ القديم.

وقبل بعثة السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، كان يهود مدينة أورشليم "القدس" ينتظرون بفارغ الصبر قدوم المسيح اليهودي لكي ينقذهم من المحن والكوارث والويلات التي ألمت بهم من جراء كفرهم ومعصيتهم لربهم "يهوه"، ثم ينتقم لهم من جميع أعدائهم وينكل بهم تنكيلاً شديداً، ويعيد لهم أمجادهم المزعومة في فلسطين العربية زمن داود وسليمان، ثم يضع العالم بأسره تحت أقدامهم.

ولما بعث السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام في مدينة القدس قبل حوالي ألفي عاماً، أنكره اليهود وهو محسوب عليهم وكانوا ينتظرونه، ولم يعترفوا بنبوته ولا برسالته واتهموه والسيدة والدته "مريم العذراء"، بأبشع التهم وأحط العبارات الوقحة والبذيئة، إذ يبدو أن تعاليم المعلم الجديد تؤدي إلى انهيار المنظومة اليهودية الدينية والاجتماعية والسياسية العفنة والمتوارثة في أجيالهم جيلاً بعد جيل بل وتؤدى إلى زوالها نهائياً، فالتعاليم الجديدة تهدد الوجود اليهودي كله كشعب وديانة لأنها:

أولاً: تكشف بوضوح تام عن كفر اليهود وفسادهم وضلالهم، وخستهم ووضاعة أخلاقهم.

ثانياً: تنتزع من اليهود ميزة الشعب المختار التي ابتدعوها وصدقوها، واستغلوها لقرن طويلة وتاجروا بها مدة زمنية غير قصيرة.

ثالثاً: تحطم قيود الدين القبلي محدود الأفق ذا النزعة العنصرية المتطرفة والطابع الاستعلائي المجنون، وتبد لها برسالة سماوية إنسانية الطابع وراقية المضمون.

رابعاً: تجرد اليهود من زعمهم القائل بأن الرب لهم وحدهم وتنفي عنه جميع الصفات العنصرية والعصبية التي وصفوه بها.

خامساً: تتبأ تعاليم المعلم الجديد بدمار هيكل أورشليم حتى لا يبقى حجر واحد من حجارته فوق حجر آخر.

وإزاء التطورات الخطيرة التي تواجه اليهود في مدينة القدس بسبب تعاليم السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، اجتمع المجلس اليهودي الأعلى "السنهدرين" (٣٧)، وكهنة معبد أورشليم للبحث في أمر المعلم الجديد السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وبعد نقاش ومداولات اتخذ السنهدرين القرارات التالية :

أولاً: أن عيسى بن مريم عليه السلام ليس هو مسيح اليهود المنتظر، وإنما رجل محتال ودجال تقمص شخصية المسيح المنتظر من أجل أن يضل اليهود ويفسدهم، ويأخذهم بعيداً عن الطريق الصواب.

ثانياً: لا تتوفر في عيسى بن مريم عليه السلام شروط أنبياء العهد القديم المتعلقة بشخصية المسيح المنتظر ولا بالزمن المفترض لبعثه إذ أن بعثة المسيح اليهودي المنتظر يجب أن يمهد لها أولاً بعودة النبي إلياس عليه السلام للأرض.

ثالثاً: جاء المعلم الجديد عيسى بن مريم عليه السلام بتعاليم شاذة وغريبة من شأنها أن تهدم الناموس ولا تكمله أبداً.

وبناءً على القرارات السابقة اجتمع رؤساء الكهنة والأحبار والحاخامات اليهود واتخذوا قراراً بالقبض على السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وسجنه ومحاكمته، ولقد تمت عملية القبض على السيد المسيح أثناء الليل وهو عاكف يصلي فوق الجبل بتآمر اليهود مع تلميذ السيد المسيح الخائن والمدعو "يهوذا الإسخريوطي" ويصف القديس مرقص عملية إلقاء القبض على السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بقوله :

"فيما هو يتكلم أقبل يهوذا واحد من الاثنى عشر ومعه جمع كثير بسيوف وعصي من عند رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ، وكان مسلّمه قد أعطاهم علامة قائلاً: الذي اقبل هو، هو، امسكوه وامضوا به بحرص، فجاء للوقت وقال له: يا سيدي.. يا سيدي وقبله، فالقوا أيديهم عليه وامسكوه" (٣٨).

وبعد إلقاء القبض على السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وزجه في أحد السجون، أجرى المجلس اليهودي الأعلى "السنهدرين" محاكمة صورية له ثم أصدر عليه حكماً بالإعدام صلباً بعد أن وجهت له عدة تهم باطلة ولكنها كفيلة بتأليب اليهود عليه والسلطات الرومانية في مدينة القدس، والتهم التي وجهت للسيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام هي كالتالي :

أولاً: زعم عيسى بن مريم عليه السلام بأنه المسيح المنتظر.

ثانياً: تبجح عيسى بن مريم عليه السلام بدمار هيكل أورشليم حتى لا يبقى حجر فوق حجر.

ثالثاً: مخالفة عيسى بن مريم عليه السلام للناموس والشريعة وهدم أصولها، ومحاولته لتضليل اليهود وإفسادهم.

رابعاً: تهديد عيسى بن مريم عليه السلام لسلطة القيصر الروماني بزعمه أنه المسيح الملك، واليهود لا يعترفون بملك سوى إمبراطور روما.

خامساً: تحريض عيسى بن مريم عليه السلام لعامة الناس بالتوقف عن دفع الضرائب للسلطات الرومانية في مدينة القدس.

وبعد انتهاء جلسات محاكمة السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام قام اليهود بتسليم السيد المسيح للسلطات الرومانية لتنفيذ حكم

الإعدام صلباً به، ويبدو أن الوالي الروماني لمدينة القدس "بيلاطسي البنطي" لم يكن مقتنعاً بالتهم الموجهة للسيد المسيح وبدا متردداً في تنفيذ حكم الإعدام به، وفي اللحظات الأخيرة التي سبقت إعدام السيد المسيح حاول ثني اليهود عن عزمهم ولكنه فشل في ذلك، فقد ورد في إنجيل متى ما يلي :

"وكان الوالي معتاداً في العيد أن يطلق للجمع أسيراً واحداً من أرادوه، وكان لهم حينئذٍ أسير مشهور يسمى بارا باس، ففيم هم مجتمعون قال لهم بيلاطس: من تريدون أن أطلق لكم ؟ باراباسي أم يسوع الذي يدعى المسيح ؟ لأنه علم أنهم أسلموه حسداً، وإذا كان جالساً على كرسي الولاية، أرسلت إليه امرأته قائلة :

إياك وذلك البار لأني تألمت اليوم كثيراً في حلم من أجله، ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ حرضوا الجموع على أن يطلبوا بارا باس ويهلكوا يسوع، فأجاب الوالي وقال لهم :

مَن مِن الاثنين تريدون أن أطلق لكم ؟ فقالوا بارا باس، فقال لهم بيلاطس: فماذا أفعل بيسوع الذي يدعى المسيح ؟

قال الجميع ليصلب !

فقال الوالي :

وأي شر عمل؟

فكانوا يزدادون صراخاً قائلين :

ليصلب !

فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئاً بل بالحرى يحدث شغب، أخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع قائلاً :

إني برئ من دم هذا البار، ابصروا أنتم فأجاب جميع الشعب :

دمه علينا وعلى أولادنا !

حينئذٍ أسلمه ليصلب" (٣٩).

وفي الفكر اللاهوتي المسيحي فإن عملية إعدام السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام صلباً قد تمت بطريقة غاية في القسوة والهمجية مارس اليهود خلالها كل أنواع الأذى والتعذيب الجسدي والمعنوي بالسيد المسيح كما هو المأثور في الفكر اللاهوتي المسيحي.

وبإعدام السيد المسيح صلباً كما في الفكر اللاهوتي المسيحي أو برفعه معززاً مكرماً إلى السماء كما في الفكر الإسلامي، أسدل الستار على آخر فصول قصة نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام.

وحتى يومنا هذا لا يزال اليهود ينتظرون قدوم مسيحهم المنتظر !

فهل ينتظر اليهود عودة السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ؟

أم ينتظرون قدوم مسيحهم هم ؟

أي مسيح ينتظرون بالضبط ؟

وفي الواقع أن هناك خلطاً غريباً لدى بعض المذاهب المسيحية بتأثير من الفكر التوراتي الذي تسلل إلى الكنيسة الكاثوليكية بين مفهوم عودة المسيح ومفهوم مجيء المسيح [40]، والفرق بين المفهومين شاسع وكبير :

- فعودة السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام شيء ومجيء مسيح اليهود المنتظر شيء آخر.
- فعودة السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام تستلزم الإيمان المطلق بأنه قد بعث قبل حوالي ألفي عاماً، ولم يؤمن به اليهود ولا برسالته، وبسببهم انتهى وجوده على الأرض.
- فعودة السيد المسيح هي إذاً عودة الذي جاء قبل ألفي عاماً، إنها عودة السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان.
- أما مجيء مسيح اليهود المنتظر فيفترض أنه السيد المسيح لم يأتِ بعد، والذي جاء قبل ألفي عاماً كان رجلاً محتالاً ودجالاً ونال ما يستحق من عقاب!

في الحقيقة أن اليهود ينتظرون مسيحهم هم ولا ينتظرون عودة مسيح الآخرين [41]، إنهم ينتظرون مجيء مسيح يهودي من طراز ليودود هرتزل وفلاديمير جابو تنسكي ودافيد بن غوريون ومناحيم بيجن وإسحاق

شامير وبنيامين نتنياهو وموسى دايان وأيهود أولمرت وإسحاق رابين وأيرليل شارون لكي يعيد لهم أمجادهم المزعومة في فلسطين العربية زمن داود وسليمان عليهما السلام.

ومما لا شك فيه أن الخلط بين مفهوم عودة المسيح في آخر الزمان ومفهوم مجيء المسيح اليهودي المنتظر قد أدى إلى ظهور نتائج خاطئة ومضللة، إذ أن طوائف مسيحية معينة انساقت وراء الخرافات التوراتية واعتبرت أن نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام ومسيح اليهود المنتظر هما شخص واحد، الأمر الذي شجع العالم المسيحي الغربي للتعاطف مع المزاعم الصهيونية وأيدوا بشدة عودة اليهود إلى فلسطين العربية وإنشاء دولة لهم فيها تمهيداً لعودة المسيح المنتظر.

ومجيء المسيح اليهودي المنتظر هي قضية محورية في الفكر الديني اليهودي، فاليهود يؤمنون أن مسيحهم المنتظر لم يأتِ بعد، والذي جاء قبل أكثر من ألفي عاماً ليس هو مسيحهم، ولذلك يردد اليهود في صلواتهم ما يلي :

"إني مؤمن إيماناً كاملاً أن المسيح سوف يأتي، وحتى إن تأخر مجيئه فسأظل أنتظر قدومه كل يوم من أيام حياتي".

وفي الإصحاح التاسع من سفر أشعيا، يتنبأ النبي أشعيا بقدوم المسيح اليهودي المنتظر بقوله ما يلي :

"يولد لنا ولد، ونعطي ابناً، ويكون إلهاً قديراً وأباً وأبدياً رئيس السلام، لنمو رياسته يجلس على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن وإلى الأبد، غيره رب الجنود تفعل هذا" (٤٢).

ومن الواضح من سياق النص التوراتي السابق أن النبي أشعيا يقصد بنبوءته هذه السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، إلا أن اليهود بحسب تفسيرهم المشوه والتعسفي للنبوءات التوراتية، لم يعترفوا بعيسى بن مريم عليه السلام حين بعث فيهم، ولم يؤمنوا أيضاً برسالته وعقيدته، وعملوا بكل ما لديهم من قوة لإهلاكه، وفي نهاية المطاف استطاعوا التخلص منه نهائياً، ولا يزال اليهود حتى يومنا هذا ينتظرون مجيء مسيحهم المنتظر.

أما بالنسبة للمسيحيين فإنهم يؤمنون بأن يسوع الناصري (عيسى بن مريم عليه السلام) هو المسيح المنتظر الذي بشرت بقدومه نبوءات كتاب العهد القديم، وأنه هو الذي جاء قبل ألفي عاماً، وهو الذي ينتظرون قدومه مرة ثانية في آخر الزمان، وقد لجأت الكنيسة الكاثوليكية منذ زمن طويل إلى اللجوء للتفسير المجازي لنبوءات كتاب العهد القديم من أجل تجاوز ذلك التناقض في أمر السيد المسيح، فالقديس "أوغسطين" على

سبيل المثال يعتقد أنه بقدوم المسيح الأول وقيامته أصبحت الكنيسة الكاثوليكية هي مملكة الرب بدلاً من شعب الله المختار أو بني إسرائيل أو اليهود في كتاب العهد القديم، وأصبحت مدينة أورشليم هي مدينة العهد الجديد ولم تعد مدينة "صهيون" أي بمعنى آخر لقد انتهى الهدف من الديانة اليهودية بظهور الديانة المسيحية كبديل لها.

إلا أنه بعد الحركة الإصلاحية الدينية البروتستانتية التي قادها داخل الكنيسة الكاثوليكية "مارتن لوثر" في القرن الميلادي السادس عشر، تبنت هذه الحركة المفاهيم الدينية اليهودية التي تسللت للفكر اللاهوتي المسيحي، وبالتالي أصبحت المفاهيم والمعتقدات والنبوءات التوراتية من صميم الفكر الديني المسيحي البروتستانتي، وظهر اهتمام العالم المسيحي بالنبوءات التوراتية الزائفة المتعلقة بعودة المسيح المنتظر، وفي الواقع أن الغزو التوراتي للكنيسة المسيحية وصل إلى ذروته في القرن الميلادي السابع عشر أبان الثورة البيوريتانية في إنجلترا التي تزعمها "جون كالفن"، ولهذا السبب تعرف هي الثورة باسم الثورة الكالفينية، وتعتبر الكالفينية أشد أنواع البروتستانتية تطرفاً ومغالاة في إجلال كتاب العهد القديم وتعاليمه ومعتقداته.

وبالرغم من أن الهدف الأساسي من حركة مارتن لوثر الإصلاحية داخل الكنيسة الكاثوليكية كان لمساعدة اليهود وتشجيعهم على التحول عن

دياناتهم واعتناق الديانة المسيحية على المذهب البروتستانتي، إلا أنه وعلى العكس تماماً مما كان يتوقع مارتن لوثر كان اليهود يجمعون حولهم لأنصار والمؤيدين لتهويد الديانة المسيحية، وكرد فعل على ذلك عبر مارتن لوثر عن مقته وكرهه لليهود في كتابه الذي يحمل عنوان "ما يتعلق باليهود وأكاذيبهم" ونشر هذا الكتاب في العام الميلادي ١٥٤٤، وطالب فيه بطرد اليهود من دولة ألمانية بقوله ما يلي :

"من الذي يحول دون اليهود وعودتهم إلى أرضهم في يهوذا ؟ لا أحد، إننا سنزودهم بكل ما يحتاجونه في رحلتهم، لا لشيء إلا للتخلص منهم، إنهم عبء ثقيل علينا، وهم بلاء وجودنا".

وكنتيجة لتغلغل المفاهيم والمعتقدات التوراتية للفكر الديني البروتستانتي وفي مقدمة هذه المفاهيم والمعتقدات أسطورة المسيح المنتظر وعودته أو مجيئه الثاني، وتبنى العالم المسيحي هذه المفاهيم والمعتقدات،وانشغل هذا العالم بالرغبة الجامحة لرؤية المسيح ثانية على وجه الأرض مصدقاً المزاعم والنبوءات التوراتية الزائفة، ومن هنا ظهر للعلن ما يسمى باسم "الصهيونية المسيحية" التي ولدت قبل ما يقرب من ثلاثة قرن من مولد الحركة الصهيونية السياسية الهرتزلية في أواخر سنوات القرن الميلادي بما يلي:

أولاً: عودة اليهود إلى فلسطين العربية.

ثانياً: إقامة دولة يهودية في فلسطين العربية، وهذا ما تحقق في العام الميلادي ١٩٤٨.

ثالثاً: توحيد مدينة القدس تحت السيطرة اليهودية، وهذا ما تم في العام الميلادي ١٩٦٧ بعد حرب الأيام الستة.

رابعاً: إعادة بناء هيكل أورشليم فيما بعد على أنقاض المسجد الأقصى المبارك تمهيداً لعودة المسيح أو مجيئه الثاني.

خامساً: وتمهيداً لعودة المسيح المنتظر، تعتقد الصهيونية المسيحية أن تلك العودة سيسبقها حروب عربية ـــ إسرائيلية تدور رحاها على الأرض المقدسة "فلسطين العربية"، وتلي تلك المعارك معركة المحرقة النووية أو معركة "هرمجدون" التي سوف تندلع بين الأشرار المسلمين وقوى الخير اليهودية على حد تعبيرهم، ويعتقد الصهاينة المسيحيون بأنه سوف ينجون من هذه المحرقة ومعهم عدد من اليهود الذين سيتحولون للديانة المسيحية، يقول الرئيس الأمريكي الراجل "رونالد ريجان" ما يلي :

"في سفر حزقيال أن الرب سيأخذ أولاد إسرائيل (يعقوب عليه السلام) من بين الوثنيين ويعودون جميعهم مرة ثانية على الأرض الموعودة. لقد تحقق ذلك بعد ألفي عاماً، ولأول مرة يبدو أن كل شيء في مكانه في انتظار معركة هرمجدون والمجيء الثاني للمسيح".

سادساً: وتؤمن الصهيونية المسيحية أيضاً أنه بالعودة الثانية للمسيح سوف يتبدل حال كوكب الأرض ويختفي منه المرض والفقر والظلم وتنتهي الحروب، وسيعم السلام العالم بأسره، وسوف يدوم ذلك لمدة ألف عاماً، وفي هذه الحقبة الألفية لن يعيش الإنسان وحده في سلام وأمن وسعادة. وإنما يشمل ذلك جميع حيوانات الأرض التي ستشارك الإنسان في النعيم الألفي، فالذئب يسالم الحمل، والعجل يداعب الأسد، ويربض النمر مع الجدي والعجل المسمن والشبل معاً، وصبي صغير يسوقها، والدبة والبقرة ترعيان!!!! ولكن....

إذا كان المسيح المنتظر سيأتي من أجل أن يقيم مملكة الرب العالمية ؟ والتي سينعم الإنسان والحيوان بالسلام لمدة ألف عاماً ! فلماذا يسبق قدومه محرقة نووية رهيبة تأكل الأخضر واليابس، ولا تبقي إنساناً ولا حيواناً على وجه الأرض ؟!.

وعندما فشلت الحركة الإصلاحية الدينية البروتستانتية في دفع اليهود لاعتناق الديانة المسيحية، تبنت هذه الحركة فكرة عودة اليهود إلى فلسطين العربية، ليس هذا فحسب، فالحقيقة أن حركة الإصلاح الديني البروتستانتي أعادت لليهود اعتبارهم ابتداءً من القرن الميلادي السادس عشر بعد أن كانوا يعيشون في وحل وظلمة التاريخ، وبعد حركة مارتن لوثر

الإصلاحية داخل الكنيسة الكاثوليكية، أقدمت المسيحية الكاثوليكية نفسها منذ انعقاد مجمع الفاتيكان في العام الميلادي ١٩٦٢ على الاعتذار باسم الكنيسة الكاثوليكية لليهود في العام الميلادي ١٩٩٨ عما سببته لهم المسيحية لهم من آلام عبر الأزمنة والعصور، ولكن المسيحية الكاثوليكية متمثلة في الفاتيكان ما كان من الحكمة والعدل والمساواة بين شعوب الأرض وكان يجب عليه أن يعتذر للمسلمين عما سببته لهم المسيحية من آلام وكوارث وويلات أثناء الحروب الصليبية التي قادها الغرب المسيحي على ديار المسلمين في القرون الوسطى التي دامت ما يقرب من قرنين من الزمن، وبذلك تعتبر الحروب الصليبية أطول حروب عرفها التاريخ كله.

وبالرغم من مرور ما يقرب من ستة عقود على عودة اليهود إلى فلسطين العربية وإنشاء دولتهم فيها وتوحيد مدينة القدس تحت السيطرة الإسرائيلية، إلا أن المسيح اليهودي المنتظر لم يأت بعد تحقيقاً للنبوءات التوراتية الزائفة التي انخدع بها العالم المسيحي وآمن بها، والحقيقة أن مسيح اليهود المنتظر يبدو أنه سوف لا يأتي أبداً، وفكرة المسيح المنتظر ليست فكرة يهودية خالصة، وإنما اقتبسها اليهود أو سرقوها من فكرة (المنقذ المخلص) في الديانة المجوسية الزرادشتية عندما كانوا في الأسر البابلي خلال القرن الخامس قبل الميلاد.

ولا يزال اليهود ينتظرون حتى يومنا هذا مجيء مسيحهم المنتظر.

وينتظرون... وينتظرون من يأتي ليعيد لهم أمجادهم المزعومة الغابرة في فلسطين العربية.

ينتظرون مسيحهم المنتظر الذي سوف يأتي على متن صاروخ أو طائرة عسكرية أو دبابة من صنع أمريكي، لينتقم لهم من أعدائهم ويؤسس لهم دولتهم العالمية.

والمسيحيون ينتظرون العودة الثانية لمسيحهم الذي أتى قبل ألفي عاماً !.

وأتباع فرق إسلامية كثيرة ينتظرون قدوم رجل معين ليعيد لهم أمجادهم في زمن دولة الخلافة الإسلامية !.

والواقع أن مليارات من البشر في كافة أرجاء الأرض، لا ينتظرون قدوم أحدٍ على الإطلاق!.

١ – ٤: أسطورة الحق التاريخي لليهود في فلسطين العربية :

يزعم الصهاينة أن لهم الحق التاريخي في الاستيلاء على أرض فلسطين العربية لأن أجدادهم القدامى الغابرين أقاموا فيها ردحاً من الزمن منذ ما يقرب من ثلاثين قرناً، ويضيفون أن علاقتهم بأرض فلسطين هي علاقة فريدة ونادرة من نوعها، وأنها مستمرة ومتواصلة ولم تنقطع أبداً منذ العهد الروماني

في فلسطين العربية وحتى يومنا هذا!!، ووفقاً للمزاعم الصهيونية تصبح أرض الغير "فلسطين العربية" حقاً تاريخياً وطبيعياً لإقامة شعب الله المختار!.

وفي بيان الإعلان عن قيام إسرائيل الحالية ليلة الخامس عشر من أيار / مايو من العام الميلادي ١٩٤٨. وردت فيه عبارة تقول ما يلي :

"بموجب الحق الطبيعي والتاريخي للشعب اليهودي، تقوم على أرض فلسطين دولة لليهود".

فما هي الحقوق التاريخية التي يتشدق بها الصهاينة ؟

في الواقع أن مسألة الحقوق التاريخية التي استنبطتها المدرسة الألمانية القانونية ـ التاريخية في القرن الميلادي التاسع عشر توصلت إلى أن الحق التاريخي في بلد ما يعود إلى ما يسمى "التقادم المكتسب" في أحكام القانون الدولي، وبذلك يصبح الحق التاريخي في أرض معينة هو كالتالي :

"الحق المكتسب نتيجة لتقادم العهد بممارسته واستعماله، والحق التاريخي يصبح حقاً نتيجة مباشرته فعلاً خلال حقبة تاريخية طويلة، وهو الذي يجعل الحق حقاً تاريخياً [٤٣].

وتربط الدعاية الصهيونية دائماً بين فكرة الحقوق التاريخية وفكرة الأرض الموعودة أو أرض الميعاد التي تبدو وكأنها تعطي لليهود حقاً إلهياً لتملك أرض فلسطين العربية واحتلالها والسيطرة عليها وعلى مقدراتها، إلا

أن الصهاينة ليس بوسعهم الاعتماد على هذه المزاعم لإثبات حقهم التاريخي في فلسطين العربية، ولو فرضنا جدلاً صحة الوعد الإلهي لليهود بتملك أرض فلسطين العربية، فإن القانون الدولي لا يعترف إطلاقاً بـالمزاعم والمفـاهيم القائمة أصلاً على معطيات ذات طبيعة دينيـة مثـل أرض الميعـاد والأرض الموعودة والوعد الإلهي وشعب الله المختار، وإلا لكان من الأولى أن نطالـب نحن العرب بالقضاء على دولة إسرائيل الحالية لأنه لدينا أيضاً وعـد إلهـي حقيقي وأكيد بتدمير إسرائيل في يوم من الأيام.

وفي هذا السياق ينطبق على الصهاينة الأحكام التي يقرها القـانون الدولي من حيث فقدان أرض معينة أو إقليم ما من الناحيتين التاليين :

الناحية الأولى: هي الترك والتخلي عن الإقليم بقصد الانسحاب منه والتنازل على السيادة عليه.

الناحية الثانية: هي ما يسمى "التقادم المسقط"، وهذا يعني أنـه إذا وضعت دولة يدها على إقليم دولة أخرى واستمر ذلـك لفتـرة طويلـة، ويسقط عن الدولة التي كان لها الإقليم الحق في هذا الإقليم (٤٤).

ولذلك لا يحق للصهاينة الآن إدعاء السيادة على فلسطين العربيـة لأنه انقطع وضع اليد عليها منذ مدة طويلة، هذا لو كان اليهود قد وضـعوا أيديهم على فلسطين أصلاً في الزمن الغابر، والحقيقة أن ما يزعمه الصـهاينة

من حق تاريخي في فلسطين العربية ليس سوى صيغة مشابهة لمسألة الحق الإلهي الذي قضت عليه الثورة الفرنسية ولفظته مفاهيم القرن الميلادي الثامن عشر وأفكاره المستنيرة.

وإذا كان تزوير وقائع وأحداث التاريخ سمة بارزة من سمات التكوين الهيكلي لمنظومة المزاعم والافتراءات الصهيونية وبخاصة أسطورة الحق التاريخي لليهود في فلسطين العربية، إلا وأنه من المتفق عليه دولياً أن حق شعب معين على أرض بعينها يعتمد أساساً على قاعدتين قانونيتين مهمتين هما كالتالي :

أولاً: أسبقية شعب معين بالسكن والاستقرار بذلك الوطن.

ثانياً: هي استقرار ذلك الشعب المتواصل في ذلك الوطن دون انقطاع.

وهذه القواعد لا تنطبق بأي حال من الأحوال على اليهود، وإنما تنطبق فقط على حالة العرب الكنعانيين سكان فلسطين الأصليين، وليس من حق أي جهة سياسية كانت من تكون انتزاع هذا الحق من أصحابه وإضفاء طابع الحقوق التاريخية لأي شعب أجنبي عن فلسطين العربية وتمنيح أراضيها بصفة غير شرعية عن طريق تصاريح وقرارات واتفاقيات ظالمة وجائرة مثل تصريح بلفور الصادر عن الحكومة البريطانية في العام الميلادي

١٩١٧، وقرار انتداب بريطانية على فلسطين العربية الصادر عن عصبة الأمم في العام الميلادي ١٩٢٢، وقرار تقسيم فلسطين إلى دولتين واحدة عربية والثانية يهودية الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في العام الميلادي ١٩٤٧.

من أين كان إبراهيم عليه السلام؟

إن نبي الله إبراهيم عليه السلام الذي يتعلق به اليهود وينسبون أنفسهم إليه، ويعتبرون تاريخه هو بداية تاريخهم المزعوم، لم يكن أصلاً من أرض كنعان "فلسطين العربية"، ولم يولد فيها، ولم يعش صباه وشبابه فيها، وإنما وصل إليها مهاجراً قادماً من بابل بعد أن تقدمت به الأيام وأصبح شيخاً هرماً لا نسل له ولا ذرية، ولا قبيلة تحميه وتذود عنه وقت الشدائد بالرغم أن التوراة تزعم أنه كان زعيماً للقبائل العبرانية، وكما هو متوارث وشائع فإن إبراهيم عليه السلام ولد في مدينة "أور" العراقية الواقعة جنوبي بابل وعلى بعد حوالي ثمانية أميال جنوبي مدينة الناصرية الحالية الواقعة جنوبي العراق وعلى مسافة نحو ١٢٠ ميلاً شمالي مدينة البصرة العراقية، ويطلق عليها السكان المحليون على أنقاض مدينة أور اسم "تل المقير"، ولقد اكتشف عالم الآثار "ليوناردو ولي" في موقع تل المقير أو "أور كاصديم" الأثري بين الأعوام الميلادية ١٩٣٢، ١٩٣٤ عن مدينة أثرية تعرف باسم "أور" تدل آثارها على أنها كانت على مستوى متقدم من الرقي والحضارة،

إلا أن علماء الآثار لم يعثروا في الألواح والرقم الفخارية التي استخرجوها من موقع تل المُقير الاثري على أية إشارات تدل على إبراهيم عليه السلام ولا عن قومه.

وكما هو متوارث فقد شهدت مدينة "أور" البابلية مولد إبراهيم عليه السلام وفيها نشأ وشب وترعرع، وشهدت أيضاً بدايات شيخوخته وهرمه، وهذه المدينة هي مهد رسالة إبراهيم التوحيدية، ومنها رحل مهاجراً إلى بلاد الشام بعد أن لفظه قومه ولم يؤمنوا برسالته وعملوا على تصفيته جسدياً، ويقسم المؤرخون والعلماء الهجرات العبرانية التي ينسب إليها إبراهيم إلى ثلاث موجات هي كالتالي :

الموجة الأولى :

كانت في القرن التاسع عشر أو الثامن عشر قبل الميلاد هجرة القبيلة الإبراهيمية من مدينة أور البابلية إلى بلاد الشام، وقد اعتبرت هذه الهجرة هجرة عبرانية استناداً إلى ما ورد في الفقرة الثالثة من الإصحاح الرابع لسفر صموئيل الأول بأن إبراهيم عليه السلام كان عبرياً، وقد عاصرت هذه الهجرة غزو القبائل الهكسوسية لبلاد الشام ومصر.

الموجة الثانية :

كانت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد هجرة القبائل الأرامية من شبه الجزيرة العربية إلى بلاد الشام، والسبب الذي دفع المؤرخون والباحثون

للاعتقاد بأن هذه الموجة هي هجرة عبرية هو فهمهم الخاطئ لمعنى كلمة "عبيرو" التي وردت في مراسلات تل العمارنة التي يعود تاريخ كتابتها للقرن الرابع عشر قبل الميلاد، لقد اختلط الأمر على هؤلاء المؤرخين والباحثين بين كلمة "عبيرو" وكلمة "عبري"، وربطوا الكلمتين ببعضهما تعسفاً وكأنهما يعنيان شيء واحد، وهلل اليهود وابتهجوا لأنهم اعتقدوا وقتئذ أنهم عثروا على دليل تاريخي يشير على وجود العبرانيين الذين ورد ذكرهم في التوراة فقط دون غيرها من الكتب التاريخية التي تتحدث عن تاريخ الشرق القديم، إلا أنه لم يمضِ وقت طويل إلا وخاب أمل اليهود وتبخرت أحلامهم وأمانيهم، إذ اكتشف علماء الآثار أن لا علاقة تربط بين العبرانيين الذين ورد ذكرهم في التوراة وبين العبيرو أو العابرو الذين ورد ذكرهم في مدونات الأمم القديمة، فكلمة العبيرو "العابيرو – الخابيرو – الهبيري" الذي وردت في مراسلات تل العمارنة لا تعني إطلاقاً العبرانيون الذين ورد ذكرهم في التوراة، فكلمة عبيرو تعني في الحقيقة الجماعات الخارجة عن القانون والثائرة على الحكم الفرعوني في بلاد الشام، وتأتي كلمة عبيرو أيضاً للإشارة إلى اللصوص وقطاع الطرق والخدم والعبيد.

الموجة الثالثة والأخيرة :

من موجات الهجرات العبرية فهي تلك التي تمت بحدود القرن الثالث عشر قبل الميلاد بخروج بعض الجماعات من مصر إلى صحراء سيناء بقيادة موسى عليه السلام، ثم منها إلى أرض كنعان "فلسطين العربية".

وتبقى حقيقة هذه الموجات الثلاث من الهجرات العبرية موضع شك كبير لأن الدراسات الأثرية التي تمت في المشرق العربي لم تكشف عن أي دليل أثري يثبت أن هذه الهجرات قد تمت بالفعل. وهناك دلائل قوية في المصادر الإسلامية وأيضاً في المصادر الإسرائيلية تشير على أن الموطن الأصلي لإبراهيم عليه السلام لم يكن في بابل جنوبي العراق، وإنما كان في أرض مدين العربية الواقعة شمالي الحجاز وإلى الشرق من خليج العقبة في البحر الأحمر (٤٥).

وكما هو المألوف غادر إبراهيم عليه السلام موطنه الأصلي جنوبي بابل وعبر الأراضي العراقية ثم توجه للأراضي السورية واجتازها من جنوبها لشمالها وقت أن كانت الأراضي السورية في القبضة الحديدية للقوات المكسوسية دون أن يثير موكب إبراهيم اهتمام تلك القوات أو يحتك احتكاكاً مباشراً معها الأمر الذي يدل على أن هجرات إبراهيم لم تكن هجرة لقبائل كبيرة كما ورد في التوراة، وإنما كانت مجرد هجرة لعائلة محدودة

العدد مؤلفة من إبراهيم عليه السلام وزوجه سارة وابن أخيه نبي الله لوط عليه السلام ونفر قليل من الأتباع إضافة إلى بعض الخدم. وصل الموكب النبوي بعد اجتيازه للأراضي السورية إلى مدينة حاران الواقعة في اقصى شمال الأراضي السورية ويذكرها جغرافيو العرب باسم مدينة "حران" ولا تزال هذه البلدة قائمة حتى الآن قرية صغيرة شمالي الأراضي السورية وعلى ضفاف نهر "بليخ" وعلى مسافة عشرين ميلاً من مدينة الرها، كانت بلدة حاران مركزاً تجارياً هاماً ومركزاً لعبادة القمر الأمر الذي جعل إبراهيم عليه السلام يسارع في مغادرتها جنوباً متوجهاً إلى أرض كنعان التي كانت تعج بسكانها العرب الكنعانيين، وتعترف التوراة بهذه الحقيقة كما ورد الإصحاح الثاني عشر في سفر التكوين بقوله :

"وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض"(٤٦).

ويستفاد من النص التوراتي السابق أن العرب الكنعانيين كانوا يعيشون في أرض كنعان ومستقرين بها قبل وصول إبراهيم إليها، وبذلك تكون لهم الأسبقية التاريخية على العبرانيين في السكن والإقامة بفلسطين العربية، ليس هذا فحسب بل هم سكانها الأصليون.

قضى إبراهيم عليه السلام ردحاً من الزمن في فلسطين العربية ثم غادرها ورحل إلى مصر وأقام فيها ما قدر له أن يقيم ثم عاد إلى فلسطين

العربية، إلا أنه غادر فلسطين ورحل إلى الحجاز حيث ترك زوجته هيجر "هاجر" وابنه الطفل إسماعيل في مكة المكرمة ثم قفل عائداً بعد حين إلى أرض كنعان "فلسطين العربية" وكان يتردد بين الحين والآخر على مكة مكرمة لزيارة زوجته وابنه.

وعندما توفت زوجة إبراهيم الأولى السيدة سارة "ساراي"، ذهب إبراهيم عليه السلام إلى قبيلة "بني حث" سكان قرية أربع "مدينة الخليل حالياً"، وعرف نفسه لديهم بقوله: "أنا غريب ونزيل عندكم" وطلب منهم أن يعطوه قطعة أرض صغيرة عندهم حتى يتمكن من دفن زوجته سارة، وهذا يعني ما يلي :

أولاً: أن إبراهيم كان ضيفاً ونزيلاً في أرض كنعان.

ثانياً: أن إبراهيم كان لا يملك شبراً واحداً من أرض فلسطين العربية بالرغم من القضاء فترة طويلة على إقامته فيها.

ثالثاً: أن إبراهيم ضرب بعرض الحائط بالوعود الإلهية التي منحه إياها الرب ويستطيع بموجبها تملك أرض كنعان جميعها هو ونسله من بعده وسارع إلى بني حث سكان قرية أربع الكنعانية ليطلب منهم إعطائه قطعة أرض ليدفن زوجته سارة، فقد ورد في التوراة على لسان إبراهيم ما يلي :

"أنا غريب ونزيل عندكم، أعطوني ملك قبر معكم لأدفن ميتي من أمامي" (٤٧).

رابعاً: والحقيقة أن الشعور بالغربة والاعتراف بها كان مستمراً عند أبناء وأحفاد إبراهيم وإقرارهم بأنهم لا يملكون شيئاً في أرض كنعان "فلسطين العربية".

فقد ورد في الإصحاح السابع والثلاثون من سفر التكوين ما يلي :

"وسكن يعقوب في أرض غربة أبيه في أرض كنعان" (٤٨).

والعرب الكنعانيون الذين حل إبراهيم عليه السلام ضيفاً عليهم هو وأولاده وأحفاده هم في الحقيقة أصحاب وسكان أرض فلسطين العربية منذ أقدم العصور، فبلا جدال فجر التاريخ والحضارة عرف العرب الكنعانيون كأول سكان لفلسطين، وبذلك تكون لهم الأسبقية التاريخية في السكن بأرض كنعان منذ الأزمنة التاريخية الموغلة في القدم وحتى يومنا هذا، وهذا بالطبع كان قبل آلاف السنين من وجود الجماعات اليهودية على أرض بحدود القرن الثالث عشر قبل الميلاد وأيضاً بعد وجودهم على أرضها بعدة آلاف من السنين، وبالرغم من الاحتلال العسكري الإسرائيلي الراهن للأراضي العربية الفلسطينية، إلا أن الشعب العربي الفلسطيني لا يزال يعيش على أرضه في الضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة وحتى داخل الأراضي الفلسطينية

المحتلة منذ عام الميلادي ١٩٤٨، وهؤلاء في الواقع هم أحفـــاد أســـلافهم العظام العرب الكنعانيين، وحتى لو استطاع الصهاينة طرد الشعب الفلسطيني كله من أرضه، لتظل هذه الحقيقة قائمة إلى الأبد.

وبداية الاستقرار العربي الكنعاني في أرض فلسطين كان في الألـــف السادس قبل الميلاد كما تدل الدراسات التاريخية والأثرية، إلا أن وجـــودهم على هذه الأرض اتخذ طابعاً متواصلاً ومستمراً منذ أواخر الألف الرابع قبل الميلاد، عندما وصلت إلى بلاد الشام موجه هجرة كـبيرة والـــتي اصـــطلح وسميت خطأً باسم الهجرات السامية، وقد عرف هذه الموجه باســـم الموجـــه الكنعانية – العمورية، ولقد كانت هذه الموجه قادمة مـــن بـــلاد العـــرب، استمرت إقامة العرب الكنعانيين في أرض فلســـطين دون انقطـــاع وبصـــفة مستمرة لحوالي ألفي عاماً من عمر التاريخ حتى عرفت تلك الـــبلاد بـــاسمهم "أرض كنعان" نسبة إليهم.

ومن الجدير بالذكر أن التوراة وكتاب العهد القديم كله لم يذكر اسم أرض كنعان "فلسطين العربية" ولو لمرة واحدة باسم أرض العبرانيين أو أرض الإسرائيليين أو أرض اليهود مما يدل على أن أرض فلسطين لم تكن في يوم من الأيام تحت النفوذ العبري أو الإسرائيلي أو اليهودي، وعلى العكس من ذلك تكرر في التوراة ذكر لشخصيات وقبائل وأسماء عربية كنعانية وفلسطينية في

أسفارها المختلفة، والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها على سبيل المثال ما يدل على ذلك وتحوى نصوصها أيضاً على مختلف مظاهر الحياة العمرانية والزراعية والدينية والعسكرية للكنعانيين :

أولاً: جاء في الإصحاح الرابع عشر من سفر التكوين ما يلي :

"وملكي صادق ملك شاليم أخرج خبزاً وخمراً، وكان كاهناً لله العلي وقال: مبارك إبرام[٤٩] من الله العلي مالك السموات والأرض"[٥٠].

ومن المعروف أن ملكي صادق هو ملك القدس العربي الكنعاني، وكان هذا الملك العربي صديقاً حميماً لنبي الله إبراهيم عليه السلام، وتتحدث بعض المصادر اليهودية والمسيحية على ملكي صدق بأنه كان واحداً من الأنبياء العرب إلى جانب أيوب وبلعام وشعيب[٥١]، ولقد قام الملك العربي الكنعاني ملكي صادق ببناء هيكله في مدينة القدس للصلاة وإقامة الشعائر الدينية، ولقد استخدم هذا الهيكل فيما بعد كل من داود وسليمان عليهما السلام، فتخيل كتبة التوراة أن هيكل ملكي صادق هو هيكل سليمان المزعوم في مدينة القدس، ولكن هيكل ملكي صادق دمر على يد القائد البابلي "نبوخذ نصر" فزعم كتبة التوراة أنه قد دمر هيكل سليمان المزعوم.

ثانياً: ورد في الإصحاح السادس والعشرين من سفر التكوين ما يلي:

"فذهب إسحاق إلى أبيمالك ملك الفلسطينيين إلى جرار" (٥٢).

والملك العربي الفلسطيني أبي مالك "أبيمالك" كان ملكاً على مدينة "جرار" الفلسطينية الواقعة حالياً على التل المعروف باسم "تل جمة" شرقي مدينة خان يونس الفلسطينية إلى الجنوب من مدينة غزة بحوالي خمسة وعشرين كيلو متراً، ومن الأخطاء التاريخية الفادحة التي وقع فيها كتبة التوراة أن الفلسطينيين لم يقيموا على الساحل الكنعاني الجنوبي إلا في القرن الثاني عشر أو الحادي عشر قبل الميلاد في حين أن إبراهيم وإسحاق عليهما السلام عاشا في القرن التاسع عشر أو الثامن عشر قبل الميلاد، أي أن هناك حوالي سبعمائة عاماً بين زمن إبراهيم وإسحاق والزمن الذي أقام فيه الفلسطينيون جنوبي أرض كنعان.

ثالثاً: أرسل موسى عليه السلام بعض الجواسيس إلى أرض كنعان من أجل استكشافها والوقوف على مداخلها ومخارجها، والتعرف على مدنها وقراها وحقولها ومزارعها، ومعرفة حالة الشعب الساكن فيها حسب ما جاء في الإصحاح الثالث عشر من سفر التثنية، فقد جاء في هذا الإصحاح ما يلي:

"وأرسلهم موسى ليتجسسوا أرض كنعان وقال لهم :

- أنظروا الأرض فما هي ؟

- والشعب الساكن فيها، أقوى أم ضعيف ؟ قليل أم كثير ؟

- وكيف هي الأرض التي هو ساكن فيها ؟ أسمينة أم هزيلة ؟ أفيها شجر أم لا ؟

- وتشددوا فخذوا من ثمر الأرض.

وأما الأيام فكانت بكورات عنب، فصعدوا وتجسسوا الأرض من برية صين إلى رحوب في مدخل حماه، صعدوا إلى الجنوب وأتوا حبرون، وكان هناك بني عناق، وأتوا إلى وادي أشكول وقطعوا من هناك زرجونة عنب بعنقود واحد من العنب وحملوه بالدقرانة بين اثنين مع شيء من الرمان، ثم رجعوا من تجسس الأرض بعد أربعين يوماً" [٥٣].

رابعاً: بعد أربعين يوماً عاد جواسيس موسى الذين تجسسوا أرض كنعان، وبمجرد وصولها إلى صحراء سيناء وقدموا التقرير التالي لموسى :

"ذهبنا إلى الأرض التي أرسلتنا إليها، وحقاً أنها تفيض لبناً وعسلاً وهذا هو ثمرها، غير أن الشعب الساكن في الأرض ومعتز والمدن حصينة عظيمة جداً، وليس لنا طاقة بحربهم" [٥٤].

خامساً: وتعترف التوراة بأن الشعوب الكنعانية التي كانت تعيش في أرض كنعان هي أكبر وأعظم من الجماعات اليهودية التي كانت بصدد

الدخول إلى فلسطين العربية، وأن مدنهم عظيمة وجيدة التحصين، كما أن أبناء الشعب العربي الكنعاني طوال القامة وأقوياء البنية، فقد ورد في الإصحاح التاسع من سفر التثنية ما يلي :

"تدخل وتمتلك شعوباً أكبر وأعظم منك، ومدناً عظيمة ومحصنة إلى السماء، قوماً عظاماً وطوالاً، بني عناق الذين عرفتهم وسمعت، من يقف في وجه بني عناق" (٥٥).

سادساً، وتذكر التوراة أن أرض فلسطين كانت عامرة بالقبائل العربية الكنعانية وتورد أسماء بعض هذه القبائل، بينما كانت الجماعات اليهودية خارج أرض فلسطين ولم تطأ أقدامهم ولا أقدام نبيهم موسى عليه السلام قط أرض كنعان "فلسطين العربية"، فقد جاء في الإصحاح الثالث من سفر الخروج ما يلي :

"فقلت أصعدكم من مذلة مصر إلى أرض الكنعانيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين، إلى ارض تفيض لبناً وعسلاً" (٥٦).

وعقب وفاة هارون ثم موسى عليهما السلام في أراضي شرقي الأردن دون أن يدخلا قط أرض فلسطين العربية، تذكر التوراة أن خادم موسى المدعو "يوشع بن نون" قد تولى قيادة الجماعات اليهودية من بعد موسى، وحسب ما تزعم التوراة استطاع يوشع بن نون عبور نهر الأردن

بقومه، واحتل العربي الكنعاني عن بكرة أبيه وطهر أرض فلسطين تطهيراً عرقياً من سكانها وأصحابها العرب، ويوجد في التوراة نصوص كثيرة تنفي هذا الزعم وتدحضه، إذ تذكر التوراة في أكثر من سفر من أسفارها أن اليهود عاشوا جنباً إلى جنب مع العرب الكنعانيين سكان فلسطين الأصليين، ومن هذه النصوص نختار ما يلي على سبيل المثال :

١ – تعترف التوراة أن بني يهوذا لم يستطيعوا أن يطردوا اليبوسيين من مدينة أورشليم "القدس" وسكنوا معهم في المدينة كما ورد في الإصحاح الخامس عشر من سفر يشوع :

"أما اليبوسيون الساكنون في أورشليم فلم يقدر بني يهوذا من طردهم، فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في أورشليم إلى هذا اليوم" (٥٧).

٢ – ولم يتمكن سبط أشير من طرد سكان مناطق واسعة في فلسطين العربية فسكنوا في وسطهم، ورد في الإصحاح الأول من سفر القضاة ما يلي:

"لم يطرد أشير سكان عكو ولا سكان صيدون وإحلب وإكرب وأفيق ورحوب، فسكن الاشيريون في وسط الكنعانيين سكان الأرض ولم يطردوهم" (٥٩).

٣ – وجاء في الإصحاح الأول من سفر القضاة أن سبط يهـوذا لم يطرد سكان غزة وأشقلون وعقرون وعاشوا بينهم :

"وأخذ يهـوذا غـزة وتخومهـا وأشـقلون وتخومهـا وعقـرون وتخومها، ولكن لم يطرد سكان الوادي" (٥٩).

٤ – ولم يتمكن بنو إسرائيل من طرد الجشـوريين والمعكـيين مـن أراضيهم، وعاشوا في وسطهم، فقد ورد في الإصحاح الثالث عشر من سفر يشوع ما يلي:

"لم يطرد بنوإسرائيل الجشوريين والمعكيين، فسكن الجشوري والمعكي وسط إسرائيل حتى هذا اليوم" (٦٠).

وفي الواقع أن الباحثين والمؤرخين اعتادوا على اعتماد رواية كتـاب العهد القديم في سرد وقائع وأحداث تاريخ الجماعـات اليهوديـة وبخاصـة تاريخها المزعوم في فلسطين العربية، وربما كان ذلك بسبب هالات الإلوهيـة والنبوة والقداسة التي أحاط بها اليهود هذا الكتاب علاوة علـى أنـه هـو المصدر التاريخي الوحيد الذي يحتوي بين دفتيه على تاريخ الشرق القديم، إلا أن رواية كتاب العهد القديم لأحداث ووقائع الجماعات اليهوديـة القـديم رواية كاذبة ومزورة ويغلب عليها الطابع الخيالي والخرافي والأسطوري، إذ لا يوجد دليل آركيولوجي أو تاريخي واحد يدل على هذه الروايات أو يثبـت

صحتها، فقد فشلت جميع الدراسات التاريخية والأثرية التي أجريت في العالم العربي فشلاً ذريعاً في العثور حتى ولو على أثر واحد مهما كان بسيطاً يبرهن على صحة روايات كتاب العهد القديم المتعلقة بإبراهيم عليه السلام ولا بمجراته، ولا يوجد دليل واحد يشير على إقامة بني إسرائيل في مصر ولا حتى الخروج الإسرائيلي من مصر، والأدهى من ذلك أنه لا يوجد حتى ولو دليل واحد يدل على وجود شعب اسمه "إسرائيل" في مصر خلال التاريخ القديم.

أما بالنسبة لأسطورة الغزو العسكري الإسرائيلي لأرض كنعان بقيادة يوشع بن نون في الزمن الغابر، فلم تبرهن الدراسات الأثرية الواسعة النطاق والمكثفة في أرض فلسطين العربية وفي العالم العربي على مدى ما يقرب من قرنين من الزمن على صحة جميع الوقائع والأحداث التي وردت في التوراة بما فيها أسطورة تمكن اليهود من تأسيس مملكة لهم في فلسطين العربية خلال التاريخ القديم، فقد برهنت الدراسات الأثرية التي أجريت في فلسطين العربية بالدليل القاطع والبرهان الساطع على كذب وزيف وضلال قصة الغزو العسكري الإسرائيلي لأرض كنعان "فلسطين العربية" قبل حوالي ثلاثة آلاف عاماً، وهذه الأسطورة سقطت سقوطاً مدوياً ولم تعد قائمة الآن، وقد تم استبعادها من الحسابات، وبالتالي سقطت جميع الأحداث والوقائع التي

صاحبت هذه الأسطورة بما فيها أسطورة المملكة اليهودية القديمة في فلسطين العربية للأسباب التالية :

أولاً: لقد أثبتت عالمة الآثار البريطانية الآنسة "كاثلين كنيون" وآخرون أن مدينة أريحا الكنعانية التي تزعم التوراة أن يوشع بن نون قد استهل بها غزوه لأرض كنعان كانت مدينة مهجورة وغير مأهولة إطلاقاً في الزمن المفترض لغزو يوشع بن نون المزعوم لهذه المدينة.

ثانياً: لقد برهنت الدراسات الأثرية في فلسطين العربية أن أسوار مدينة أريحا التي تزعم التوراة أنها انهارت ودمرت بمعجزة إلهية إبان هجوم يوشع بن نون المزعوم عليها، لم تكن قائمة في ذلك الوقت لأنها كانت قد دمرت قبل الزمن المفترض لهجوم يوشع المزعوم عليها بفترة طويلة.

ثالثاً: وبالنسبة لمدينة "عاى" الكنعانية التي تزعم التوراة أن يوشع بن نون قد احتلها بعد احتلاله لمدينة أريحا، فقد أثبتت الدراسات الأثرية أن مدينة عادى لم تكن قائمة في الزمن المفترض لهجوم يوشع بن نون المزعوم عليها لأنها كانت قد دمرت في القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد ولو بعد إعمارها ثانية.

رابعاً: أما نظرية تمكن اليهود من تأسيس مملكة موحدة لهم بفلسطين العربية في التاريخ القديم، فيبدو أنها سقطت هى الأخرى للأسباب التالية :

١ – لم يتمكن علما الآثار من العثور على اثر واحد مهما كان بسيطاً وتافهاً يؤكد صحة المرويات التوراتية، ويبرهن على وجود هذه المملكة في الزمن الغابر.

٢ – إن الأمم القديمة المعاصرة التي لم تترك صغيرة ولا كبيرة حدثت في الشرق القديم إلا وسجلتها في وثائقها ومدوناتها بصدق ودقة متناهية، إلا انها لم تأتِ بذكر للمملكة اليهودية القديمة في فلسطين العربية في سجلاتها، وتأسيس مملكة يهودية من الطراز الأسطوري الذي يتحدث عنها كتاب العهد القديم كان من المستحيل أن يمر دون تسجيل في وثائق ومدونات وسجلات الأمم القديمة.

٣ – لا يوجد ذكر لملوك المملكة اليهودية القديمة (شاؤول ــ داود ــ سليمان) في أي من المصادر التاريخية للأمم العملاقة القديمة، فخارج كتاب العهد القديم لا يوجد ذكر لهؤلاء الأشخاص كملوك للمملكة اليهودية على الإطلاق، مما يدل على عدم وجود هذه المملكة في التاريخ القديم كله، وأيضاً عدم وجود هؤلاء الملوك لتلك المملكة.

ومما لا شك فيه أن الحق التاريخي للعرب في أرض فلسطين أقوى وأمتن وأكثر أهمية من صلات اليهود الطارئة والعابرة بها، وعلاقة الشعب العربي الفلسطيني بأرضه تمتد منذ أقدم عصور ما قبل التاريخ وحتى يومنا هذا

مروراً بالعصور الموغلة في القدم والعصور الحديثة، ولا يحق للصهاينة بأي حال من الأحوال اللجوء إلى حجة الحقوق التاريخية في فلسطين العربية لأنه ليس لهم حقوق تاريخية فيها، وصلتهم بها لا تزيد إطلاقاً عن الصلات التاريخية القديمة لشعوب متعددة كالفراعنة والأشوريين والبابليين والفرس والإغريق والرومان والأتراك والإنجليز وغيرهم، وصلات هذه الشعوب التاريخية بأرض فلسطين العربية تفوق قوة ومتانة وأهمية صلات اليهود العابرة بها.

وأبلغ دليل على ضعف مزاعم الحق التاريخي لليهود في فلسطين العربية هو سعي الصهاينة للحصول على براءة استيطان فلسطين من السلطان العثماني، ثم محاولاتهم لتضمين نصوص تصريح بلفور وصك الانتداب البريطاني على فلسطين العربية عبارة "الحق التاريخي لليهود في فلسطين"، إلا أن محاولات الصهاينة فشلت في هذا الأمر لأن هذه العبارة لم ترق للسياسيين البريطانيين ولم تصادف القبول المطلوب منهم، ولهذا السبب لم يضمنوا نصوص تصريح بلفور ولا نصوص صك الانتداب البريطاني مسألة الحق التاريخي لليهود في فلسطين العربية، واكتفت تلك النصوص بالإشارة إلى صلات اليهود القديمة في فلسطين العربية.

وفي الواقع أن أجداد اليهود الغابرين لم يكسبوا اليهود المعاصرين أية حقوق تاريخية من أي نوع في فلسطين العربية، لأن اليهود المعاصرون لا يمتون بصلة من قريب أو بعيد لليهود القدماء، فأكثر من ٩٢ % من يهود اليوم ينحدرون بجذورهم العرقية من سلالة شعب الخزر الأسيوي، ولا تنطبق عليهم إطلاقاً أطروحات التوراة المتعلقة بالوعد الإلهي لإبراهيم والأرض الموعودة وأرض الميعاد إذا ما سلمنا جدلاً بصحة هذه الأطروحات التوراتية البائدة.

وفي سياق الحديث عن الحقوق التاريخية نقتطف بعض الفقرات المترجمة عن الصحف الإيطالية ونشرت في العام الميلادي ١٩٩٢ نقلاً عن عالم الآثار الإيطالي "باولو ماتييه"، رداً على عالم الآثار اليهودي الإيطالي "إيمانويل أناتي"، كما نشرته السيدة هيام جلاد مراسلة صحيفة البعث السورية في روما بعددها الصادر في الأول من حزيران / يونيو من العام الميلادي ١٩٩٢، فقد قال باولو ماتييه ما يلي :

١ - إن مزاعم إسرائيل في امتلاك هذه الأرض منذ ألفي عاماً تؤدي إلى إزالة ألفي عاماً من التاريخ، فهل نستطيع أن نمحي من ذاكرة الزمن والأرض ألفي عاماً من التاريخ ؟

٢ – هل نستطيع أن نلغي حق ساكن الأمس واليوم، ونقلع شعباً ضرب بجذوره في هذه الأرض، لأن جد اليهود موسى مر بمجرد مرور في فلسطين منذ ألفي عاماً ؟

٣ – إن الرومان سكنوا فرنسا ورومانيا وشمال أفريقيا وسوريا. وفي فرنسا كانوا روماناً أكثر من الرومان أنفسهم، وتكلموا باللاتينية الأصلية، فهل لإيطاليا الإدعاء بحقها في الاستيلاء على فرنسه أو العودة إلى شمال أفريقيه وسوريه والإدعاء بحقها التاريخي فيها ؟

٤ – كما أن شعب الفايكنج سكن سهول روما، فهل للسويد أن تدعى ملكية روما الآن ؟

٥ – وسكن العرب شبه الجزيرة العربية الأيبريه والصين، فهل للعرب الإدعاء بملكية هذه البلاد الشاسعة وراء حدودهم والعودة إلى سيادتها ؟

٦ – وهل للدول الأوروبية اليوم إعلان حقها في إعادة تقسيم القارة الأمريكية لأن أجداد سكانها الحاليين هم أوربيون وهم الذين اكتشفوها ؟

٧ – وهل يحق لأسبانية اليوم استعادة سيادتها على الولايات المتحدة الأمريكية ؟

٨ – لنتصور الفوضى الحدودية والحروب الطاحنة والدمار الـذي سيحل في العالم إذا قام كل منها بالمطالبة بالأرض التي سكنها يوماً غابراً مـن أيام التاريخ أحد أجداده البعيدين، هذا إذا ما سـلمنا بـأن موسـى وداود وسليمان هم أجداد اليهود، لأن الأمر ليس كذلك مطلقاً، لأن المسيح ليس جداً لكافة المسيحيين في العالم، والنبي محمد ﷺ ليس جداً لكافة المسـلمين في العالم.

وإيجازاً لما تقدم من الممكن القول بكل سهولة أنه لا يوجد حقـوق تاريخية لليهود في فلسطين العربية ولا حق حقوق من أي نوع، ولا يوجد لهم أصلاً تاريخ ذو قيمة أو أهمية فيها، وصلاتهم التاريخية بها لا تعطيهم الحـق في المطالبة بحقوق تاريخية في فلسطين للأسباب التالية :

أولاً: أن العرب الكنعانيين هم أول سكان عرفهم التاريخ لفلسطين باعتراف التوراة نفسها، وبذلك تكون لهم الأسبقية التاريخية لهم بالسكن والإقامة فيها.

ثانياً: استمرت إقامة العرب الكنعانيين في فلسطين لأكثر من ألفـي عامـاً متواصلة من عمر التاريخ، وذلك بالطبع قبل الوجود اليهودي فيها بـآلاف السنين، ولم تنقطع صلة العرب بفلسطين حتى ولو لفترة زمنية قصيرة جـداً منذ أقدم الأزمنة والعصور وحتى يومنا هذا.

ثالثاً: إن نبي الله إبراهيم عليه السلام الذي تزعم التوراة بأنه الجد الأعلى لليهود، لم يكن أصلاً من أرض كنعان "فلسطين العربية"، ولم يولد فيها أيضاً، وإنما أتى إليها مهاجراً من بابل كما هو المتوارث، وحل ضيفاً مكرماً على أهلها، وفي الواقع أن إقامة إبراهيم في فلسطين العربية لم تكن إقامة دائمة ومتواصلة ومستمرة فمن المعروف تاريخياً وتوراتياً أن إبراهيم عليه السلام غادر فلسطين بعد حين من وصوله إليها وتوجه إلى مصر، وبعد زمن رحل عن مصر وعاد إلى فلسطين ثانية، ثم ترك فلسطين وهاجر إلى مكة المكرمة بأرض الحجاز حيث أنزل هناك زوجته هاجر وابنه إسماعيل، وظل بقية حياته متنقلاً بين فلسطين والحجاز.

رابعاً: إن الجماعات اليهودية التي تمكنت من الاستقرار على أرض فلسطين العربية جاءت أصلاً من أرض مصر ولم يكن لها أي جذور أو تاريخ فيها، وإنما أتوا إليها فراراً من فرعون مصر، وطلباً للحماية والمأوى، وبحثاً على ما يسدون به جوعهم وعطشهم بعد أن تقطعت بهم السبل في صحراء سيناء.

خامساً: لم يشكل اليهود في أي مرحلة من مراحل تاريخهم الغابر أغلبية سكانية في فلسطين العربية، ووجودهم الطارئ فيها لم يؤثر على التركيبة السكانية فيها، فقد برهنت الدراسات الديموغرافية أن السكان الأصليين

لفلسطين لم يطرأ عليهم أي تغيير منذ عصور موغلة في القدم، وقد خلت فلسطين العربية من اليهود تماماً في أكثر من مناسبة.

سادساً: إن الوجود اليهودي القديم في فلسطين العربية كما رسم هيكله كتاب العهد القديم هو تاريخ كاذب ومزور، ولا يوجد أدلة تاريخية وآركيولوجية عليه ولو كان دليلاً واحداً بسيطاً ويتيماً، ولا يوجد حتى ولو اثر واحد يدعم موقف المرويات التوراتية بشأن المملكة اليهودية في فلسطين العربية، الأمر الذي يدل على عدم وجود هذه المملكة اليهودية المزعومة في التاريخ القديم، ويؤكد على أن الوجود اليهودي في فلسطين كان وجوداً طارئاً وعابراً لا يزيد عن كونه عدد من المستوطنات اليهودية الصغيرة يربط بينها ممرات ضيقة وسط محيط من السكان العرب.

سابعاً: في الحقيقة أنه توجد صلات تاريخية مكتسبة لقوميات أخرى في فلسطين العربية بسبب ظروف الغزو والاحتلال الذي تعرضت له أرض فلسطين مرات عديدة من قبل المستعمر الأجنبي كالفراعنة والأشوريين والبابليين والفرس واليونانيين والرومان والصليبيين والأتراك وغيرهم، وصلات هذه الأمم التاريخية القديمة بفلسطين تفوق صلات اليهود التاريخية الطارئة والعابرة بها. وإذا كان الأمر بهذه البساطة والسهولة فإنه يحق لهذه الأمم المطالبة أيضاً بحقوق تاريخية في فلسطين العربية.

فلماذا نصدق اليهود فقط فيما يزعمون ؟؟

ثامناً: لا توجد في الكتاب المقدس كله بعهديه القديم والجديد أي إشارة أو لمحة عابرة تدل على ضرورة تملك اليهود لأرض فلسطين العربية، وعلى العكس تماماً من ذلك، توجد نصوص في التوراة تفيد بأن فلسطين هي ملك لأصحابها العرب الكنعانيين سكان فلسطين الأصليين.

تاسعاً: إن عودة اليهود إلى فلسطين العربية في العصر الحديث ليست عودة تحقيقاً للنبوءات التوراتية، لأن عودة اليهود إلى فلسطين تحقيقاً للنبوءات التوراتية قد تمت بالفعل في التاريخ القديم بعودة اليهود من الأسر البابلي بعد الاحتلال الفارسي فلسطين في عام ٥٣٨ قبل الميلاد، وانتهى الأمر.

عاشراً: لا يوجد في الكتاب المقدس كله نبوءات أخرى تدل على عودة جديدة لليهود إلى فلسطين في العصر الحديث، وإنما عاد اليهود إليها بالغش والخداع والتزوير، وبالغزو العسكري الأجنبي لأرضها.

٥ – ١: أسطورة الحقوق القانونية لليهود في فلسطين العربية:

نظراً للضعف الشديد في الحجة الدينية والتاريخية للصهاينة وفشلهما الذريع في إضفاء صفة الشرعية والطابع القانوني على مزاعم الصهاينة في فلسطين العربية استناداً على مفاهيم ومعطيات دينية وتاريخية بالسدة، أدرك الصهاينة في وقت مبكر من عمر الحركة الصهيونية أن الحق الديني والتاريخي

المزعوم في فلسطين العربية ليس له قيمة من الناحية القانونية والدولية، ولهذا السبب سعى الصهاينة الأوائل للحصول على ما يسمى "البراءة" التي تمنحهم الحق القانوني في استيطان أرض فلسطين العربيـــة، وكـــان الأب الروحـــي للصهيونية (ثيودور هرتزل : ١٨٦٠ـــ ١٩٠٤)، يأمل بنيل هذه البراءة من السلطان العثماني عبد الحميد الثاني. وفي المؤتمر الصهيوني الثالث الذي عقـــد وفي العام الميلادي ١٨٩٩ تقدم هرتزل بالصيغة الرسمية للبراءة التي يرجوها من السـلطان العثماني فقال :

"نتيجة مساعينا للحصول على براءة من الحكومة التركية بحيث تأتي هذه البراءة في ظل سيادة صاحب الجلالة السلطان العثماني، وحين تصـــبح هذه البراءة في حوزتنا شرط أن تشمل على الضـــمانات القانونيـــة العامـــة اللازمة، يمكننا آنذاك الشروع في استعمار عملي واسع النطـــاق وســـوف نـــجلب للحكومة التركية منافع كبرى لقاء منحها إيانا هذه البراءة" (٦١).

وعندما فشل الصهاينة فشلاً ذريعاً في الحصول على براءة اســـتيطان فلسطين العربية من السلطان العثماني عبد الحميد الثـــاني، قـــاموا بـــإجراء اتصالات واسعة النطاق مع دول أخرى ومنظمات وهيئات دولية كثيرة مـــن أجل أن توفر لهم القاعدة القانونية لاغتصاب أرض فلسطين العربية، وبالرغم من أن القاعدة القانونية التي استند عليها الصهاينة لتبرير اغتصـــابهم لأرض

فلسطين العربية هي قاعدة ضعيفة جداً، إلا أنهم تمسكوا بشدة بها لتغطية الضعف الشديد في الحجة الدينية والتاريخية التي يزعمونها في فلسطين العربية.

والحقيقة أن الصهاينة لم يكن بمقدورهم اللجوء إلى مزاعم الحقوق القانونية لولا أنه كان هناك موافقة دولية عليها وبخاصة من دولة بريطانية والولايات المتحدة الأمريكية اللتين وفرتا الغطاء القانوني للصهاينة لانتزاع فلسطين العربية من أصحابها وتسليمها للمستعمر الصهيوني الغاصب، والأسانيد القانونية التي اعتمد عليها الصهاينة في اغتصاب أرض فلسطين العربية هي كالتالي :

أولاً: تصريح أو وعد بلفور الصادر عن الحكومة البريطانية في العام الميلادي ١٩١٧.

ثانياً: صك الانتداب البريطاني على فلسطين العربية الصادر عن الحكومة البريطانية بالتواطأ مع عصبة الأمم في العام الميلادي ١٩٢٢.

ثالثاً: قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بتقسيم فلسطين إلى دولتين واحدة عربية والأخرى يهودية الصادر في العام الميلادي ١٩٤٧.

وعندما أعلن الصهاينة عن قيام دولة إسرائيل في الخامس عشر من أيار / مايو من العام الميلادي ١٩٤٨، استعرض الصهاينة الأحداث التي أدت إلى قيام دولة إسرائيل وهي كالتالي :

١ – تيودور هرتزل هو الأب الروحي للصهيونية.

٢ – أعلن المؤتمر الصهيوني الأول عن حق الشعب اليهودي في تحقيق بعثه القومي.

٣ – اعترف تصريح بلفور بهذا الحق وأكده من جديد في صك الانتداب الذي أقرته عصبة الأمم.

٤ – اعترف كل من التصريح والصك على صعيد دولي بالأمرين التاليين :

أ – الصلة التاريخية بين الشعب اليهودي وفلسطين.

ب – حق اليهود في إعادة تأسيس وطنهم القومي.

٥ – أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في العام الميلادي ١٩٤٧ مشروع التقسيم الذي يدعوا إلى إقامة دولة يهودية على أرض إسرائيل، وناشدت سكان البلد اتخاذ الخطوات الكفيلة بوضع المشروع موضع التنفيذ.

٦ – يؤلف اعتراف هيئة الأمم بحق الشعب اليهودي في إقامة دولته أمراً يتعذر الرجوع عنه أو إلغاؤه.

٧ – أن هذا الحق هو الحق الطبيعي للشعب اليهودي أن يكون سيد نفسه ومصيره، ويصبح أمة كالأمم الأخرى في دولته السيدة.

وقبل أن نتناول بالحديث الأسانيد القانونية الواهية التي اعتمد عليها الصهاينة في اغتصابهم لأرض فلسطين العربية، يجدر بنا أن نتحدث قليلاً عن اتفاقية هامة جداً وخطيرة تم الاتفاق عليها خلال سنوات الحرب العالمية الأولى وسبقت صدور تصريح بلفور ومهدت له وهي اتفاقية سايكس – بيكو.

اتفاقية سايكس – بيكو:

في الوقت الذي كانت فيه الحكومة البريطانية تبذل الوعود السخية للشريف حسين بن علي أمير مكة، وتمنيه بدولة عربية موحدة ومستقلة يجلس هو على عرشها، كانت تعقد في العام الميلادي ١٩١٦ محادثات سرية في مدينة بطرس بورغ الروسية بين عضو البرلمان البريطاني "مارك سايكس"، وقنصل فرنسه الاسبق في بيروت "جورج بيكو" بإشراف وزير خارجية روسيه القيصرية "سوازنوف"، لتقسيم العالم العربي بين بريطانية وفرنسه بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى، وقد عرفت هذه الاتفاقية باسم اتفاقية "سايكس – بيكو"، وبموجب هذه الاتفاقية تم الاتفاق على ما يلي:

أولاً: تضع بريطانيا يدها على العراق وفلسطين وأراضي شرق الأردن.

ثانياً: تستولى فرنسا على سوريا ولبنان وأراضي جنوبي الأناضول.

ثالثاً: يترك للدولة الروسية حرية التصرف في أراضي الدولة العثمانية المتاخمة للحدود الروسية شرقي الأناضول وعلى جانبي مضيق البسفور.

وخلال محادثات سايكس ـ بيكو ـ سوازنوف قدمت لمارك سايكس الصيغة النهائية التي تتضمن المطالب الصهيونية وهي كالتالي :

"الاعتراف بفلسطين على أنها الوطن القومي اليهودي، حيث يمنح اليهود حرية الهجرة إليها من جميع البلدان، ويتمتعون بكافة الحقوق القومية والسياسية والمدنية، ومنح براءة لشركة يهودية والسماح للسكان اليهود في البلد إنشاء حكومة محلية والاعتراف رسمياً باللغة العبرية" (٦٢).

أما عن الكيفية التي افتضحت فيها اتفاقية سايكس ـ بيكو وخروجت للعلن ولم تعد سرية أبداً، فكانت بعد نجاح ثورة أكتوبر على حكم القياصرة في روسيا في العام الميلادي ١٩١٧، إذ أصدر "تروتسكي" الذي كان يشغل منصب مفوض الخارجية الروسية أوامره بالإفراج عن الاتفاقيات السرية المحفوظة في قسم المخطوطات بوزارة الخارجية الروسية ونشرها على الملأ، وكانت صحيفة المانشستر غاردديان البريطانية قد نشرت هذه الاتفاقيات السرية مباشرة بعد أن أبرق مراسلها في بتروغراد "فيليب برايس" بموجز عن ما تضمنته اتفاقية سايكس ـ بيكو في نصوص، ثم نشرت

هذه الصحيفة في عددها الصادر بتاريخ ٢٦ و ٢٨ تشرين الثاني من العام الميلادي ١٩١٧ على النصوص الكاملة لاتفاقية سايكس ــ بيكو بعد أن نشرتها صحيفتا الإزفستيا والبرافدا السوفيتان في عدديهما الصادرين بتاريخ الثالث والعشرين من تشرين الثاني ١٩١٧، وفور نشر نصوص اتفاقية سايكس ــ بيكو ثارت ثائرة اللورد بلفور وأدلى بتصريح قال أن هذه الاتفاقية لا علاقة لها بهذه البلاد بل يتعلق بحكومات الدولة الحليفة.

وأثناء الحرب العالمية الأولى أرسل القائد العثماني في بلاد الشام "جمال باشا" برسول من مقر قيادته في مدينة دمشق للأمير فيصل الابن الأصغر للشريف حسين بن علي أمير مكة لكي يعلمه باتفاقية سايكس ــ بيكو، ووجه إليه دعوة مباشرة على عقد صلح بين العرب والأتراك، وقد حذر القائد العثماني جمال باشا الأمير فيصل من أنه قد وقع هو ووالده ضحية الوعود الكاذبة من جانب الحلفاء ونواياهم الخبيثة التي ترمي إلى اقتسام الولايات العربية العثمانية فيما بينهم، وقد نصح القائد العثماني جمال باشا الأمير فيصل بالعودة للحظيرة العثمانية، والحصول على حقوقهم عن طريق المفاوضات والتفاهم.

وبعد أن تسلم الشريف حسين بن علي أمير مكة رسالة جمال باشا بدا عليه الغضب والامتعاض الشديد من اتفاقية سايكس ــ بيكو، ولكنه لم

يوافق إطلاقاً على العرض التركي، وطلب من ابنه الأمير فيصل الرد على عرض جمال باشا برسالة مقتضبة، وأكد مجدداً تأييده ودعمه للحلفاء، وإمعاناً في التعبير عن ولائه لبريطانية قام الشريف حسين بن علي بإرسال رسالة جمال باشا إلى المندوب السامي البريطاني في مصر "ريجنالد وينغيت" طالباً منه تفسيراً عاجلاً لاتفاقية سايكس ـ بيكو، فجاء رد الحكومة البريطانية عن طريق اللورد بلفور الذي أبرق للمندوب السامي البريطاني في مصر برسالة صيغت بأسلوب التضليل والخداع يقول فيها أن الاتفاق الذي فضح أمره لا يزيد عن كونه (مثالاً جديداً عن الدسائس التركية)، ثم أرسل اللورد بلفور بمذكرة للشريف حسين بن علي نقلها إليها نائب المعتمد البريطاني في جده الليفتنانت كولونيل "باست" بالنيابة عن المندوب السامي البريطاني في مصر، كانت هذه المذكرة تجزل الثناء للشريف حسين بسبب إطلاعه الحكومة البريطانية على العروض التركية المقدمة له، وتعتبر رمزاً للصداقة العربية البريطانية، وتحذره من النوايا التركية التي توسوس للعرب بنوايا الحلفاء الخبيثة، وتؤكد المذكرة أن ملك بريطانيا العظمى وحلفائها ما زالت على العهد وواقفة موقف الثبات إزاء كل نهضة تؤدي إلى تحرير الأمم المظلومة ورغبتها في أن تبني عالماً عربياً يسود فيه القانون والشرع بدل الظلم العثماني، وأن تحفظ للعرب الذين تحرروا من

السقوط في وهده الدمار، وتساعد العرب الذين لا يزالون تحت نير الظالمين لينالوا حريتهم" (٦٣)، ومن الغريب أن الشريف حسين بن علي صدق الوعود البريطانية.

والآن....

سوف نتناول ببعض التفصيل الأسانيد القانونية الواهية التي اعتمد عليها الصهاينة لتبرير اغتصابهم لأرض فلسطين العربية :

أولاً: تصريح أو وعد بلفور :

أصدرت الحكومة البريطانية على لسان وزير خارجيتها "آرثر جيمس بلفور" في الثاني من تشرين الثاني / نوفمبر من العام الميلادي ١٩١٧ تصريحاً أو وعداً للصهاينة يتضمن عطف الحكومة البريطانية على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وقد وجه التصريح إلى اللورد روتشيلد زعيم الطائفة اليهودية الإنجليزية، وفيما يلي نص هذا التصريح :

عزيزي اللورد روتشيلد

زعيم الطائفة اليهودية البريطانية

يسرني أن أنقل إليكم باسم جلالة الملك هذا التصريح المتضمن عطفها على الأماني الصهيونية التي عرضت عليها ونالت قبولها، إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في

فلسطين، وسوف تبذل أقصى جهودها لتحقيق هذا الهدف. هذا مع العلم بأن حكومة جلالة الملك لن تفعل شيئاً من شأنه المساس بالحقوق المدنية والدينية غير اليهودية في فلسطين ولا بحقوق اليهود ومركزهم السياسي الذي يتمتعون به في غيرها من البلاد.

وأكون شاكراً لو تفضلتم بإبلاغ هذا التصريح إلى اتحاد الهيئات الصهيونية.

التوقيع

أرثر جيمس بلفور ٢ نوفمبر ١٩١٧

وبهذا التصريح البريطاني حصل الصهاينة على ما اعتبروه في حينه المستند القانوني الأول وهم في طريقهم إلى فلسطين العربية، وكذلك حصلوا بهذا التصريح على صك استيطان ارض فلسطين أو ما يسمى "البراءة" التي طالما سعوا للحصول عليه طيلة العشرين عاماً التي أعقبت المؤتمر الصهيوني الأول.

ومما لا شك فيه أن النص الحرفي لتصريح بلفور حظي بعناية فائقة وجرى اختيار كلماته بدقة متناهية، فلم ينطو إلا على كل ما هو متعمد ومقصود، كما وأن الصهيونيين مثلوا الدور الرئيسي في كتابة وإعداد صيغته النهائية(٦٤)، وعقب صدور تصريح بلفور سعت الحركة الصهيونية إلى

الحصول على موافقة الدول الكبرى عليه، ففي شباط / فبراير ١٩١٨ وافقت عليه الحكومة الفرنسية، ثم حكومات الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وإيطاليا واليابان، وبعد صدور تصريح بلفور سارع رئيس الحكومة البريطانية "لويد جورج" إلى إيضاح الملابسات التي حملت حكومة بلاده على إصدار تصريح بلفور فقال ما يلي :

"إن الزعماء الصهيونيين قطعوا لنا وعداً أكيداً مآله أنه إذا أخذ الحلفاء على عاتقهم إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، فإنهم سيعملون كل ما في وسعهم لإيقاظ عاطفة اليهود في كافة أنحاء العالم وتأليبهم لمعاضدة قضية الحلفاء، وقد بروا بوعدهم" (٦٥).

ولكن...

ألم يبر العرب بوعودهم وساعدوا بريطانية في الحرب العالمية الأولى ؟

والآن... لماذا وافقت الحكومة البريطانية على إصدار تصريح بلفور ؟ ولماذا التزمت بتطبيقه ؟

في الواقع أن الحكومة البريطانية وافقت على إصدار تصريح بلفور والتزمت بتطبيقه للأسباب التالية :

١ – تحقيق هدف استراتيجي هام جداً لبريطانية عن طريق زرع كيان بشري غريب من اليهود في فلسطين العربية تحت الرعاية والوصاية

البريطانية المباشرة، وبذلك تمنع بريطانية وحدة العرب وسعيهم إلى تأسيس دولة عربية واحدة وموحدة، وتحافظ في نفس الوقت على حرية الملاحة في قناة السويس، وبالتالي تؤمن طرق مواصلاتها للهند والشرق الأقصى.

٢ – مكافأة اليهود بسبب اشتراك فرقة من المقاتلين اليهود في معارك الحرب العالمية الأولى، علماً بأن الشريف حسين بن علي أمير مكة قد اشترك بجيش كامل في تلك المعارك.

٣ – نجاح المنظمة الصهيونية بما لديها من نفوذ في الولايات المتحدة الأمريكية لدفعها إلى التدخل في الحرب العالمية الأولى إلى جانب قوات الحلفاء، الأمر الذي أدى إلى انفراج الموقف العسكري للحلفاء على جبهة القتال الغربية الذي لم يكن أبداً يميل لصالحهم في بداية الحرب.

٤ – الخدمات العظيمة التي قدمها الزعيم الصهيوني الدكتور حاييم وايزمان (أستاذ الكيمياء الإنجليزي اليهودي)، باستخراجه لمادة الأسيتون المستخدمة في صناعة المتفجرات من الحبوب المتوفرة بكثرة في بريطانية مثل حبوب الذرة، ومن المعروف أن بريطانية واجهت أزمة حقيقية في صناعة الأسيتون المستخرج من الأخشاب، وحيث أن بريطانية لا يتوفر فيها غابات واسعة لاستخراج الأخشاب، اضطرت بريطانية إلى استيراد مادة الأسيتون من الولايات المتحدة بتكاليف مالية باهظة، ولكن إمدادات الأسيتون

الأمريكي إلى بريطانية نقصت جداً بسبب ازدياد خطر الغواصات الألمانية على طرق الملاحة البحرية إلى الجزر البريطانية، الأمر الذي أثر سلباً على وصول إمدادات الأسيتون إلى بريطانية وبالتالي على صناعة المتفجرات فيها، وباستخراج وايزمان لمادة الأسيتون من الحبوب المتوفرة في بريطانية حل هذا الكيميائي أخطر معضلة واجهتها الحكومة البريطانية في الحرب العالمية الأولى.

وأثناء الحرب العالمية الأولى أيضاً، من المعروف أنه كان هناك تحالفاً بين وزارة الدفاع البريطانية والمنظمة الصهيونية أملته ظروف القتال في الحرب العالمية الأولى التالية :

١ – المنطق الملحاح للوضع العسكري على جانبي قناة السويس.

٢ – مجيء اللورد لويد جورج إلى الحكم في بريطانية وتوقه للعثور على سياسة بديلة للهجمات الانتحارية على الجبهة الغربية.

٣ – الرغبة في استجلاب الولايات المتحدة الأمريكية إلى جانب الحلفاء في الحرب العالمية الأولى.

٤ – الخوف من أن تسبق ألمانية الحلفاء وتعلن تأييدها للصهاينة [٦٦].

ولكن...

- إذا ما أعطى تصريح بلفور مكافأة لليهـود علـى تعـاطفهم مـع الحلفاء ؟
- ألم يتعارض تصريح بلفور مع اتفاقيات حسين ــ مكمـاهون الـتي سبقت التصريح بعامين ؟
- ألم تندلع الثورة العربية الكبرى ضد الحكم العثماني من أجل العرب والحلفاء معاً ؟
- ألم تكن مشاركة العرب في معارك الحرب العالمية الأولى كبيرة جـداً وأكبر بكثير من مشاركة اليهود في هذه الحرب ؟

في الحقيقة أن موقف الحلفاء في السنوات الأولى للحرب العالمية الأولى لم يكن لصالحهم، فعلى الجبهة الشرقية "جبهة قناة السـويس" تقهقـرت القـوات البريطانية واتخذت لها مواقع دفاعية غربي قناة السـويس، بينمـا تمركـزت القوات العثمانية ــ الألمانية شرقي قناة السويس في تشكيلات هجومية، وفي الحين الذي كانت فيه القيادة العسكرية البريطانية تفكر جدياً في الانسحاب عن جبهة قناة السويس، جاءها الانفراج العسكري بتدخل قـوات الجـيش العربي التابع للشريف حسين بن علي أمير مكة إلى جانب الحلفاء في معـارك الحرب العالمية الأولى. ولقد كان تدخل الجيش العربي نتيجة لمحادثات مسبقة تمت بين الشريف حسين والمعتمد البريطاني في مصر هنـرى مكمـاهون في

الفترة الواقعة بين تموز / يوليو وآذار / مارس من العام الميلادي ١٩١٦، وقد شجع هنري مكماهون الشريف حسين على إعلان الثورة العربية ضد الدولة العثمانية في مقابل تعهد الحكومة البريطانية بالاعتراف بدولة عربية موحـــدة ومستقلة تضم جميع البلدان العربية بما فيها فلسطين، اقتنع الشريف بخديعــة مكماهون وأعلــن الثــورة العربيـــة وأعلــن الثــورة العربيــة الكــبرى على الدولة العثمانيـــة في الخـــامس مـــن حزيـــران / يونيـــو مـــن العـــام الميلادي ١٩١٦، ودخل بقواته إلى جانب الحلفاء في معارك الحرب العالميـــة الأولى، وكان لهذا التدخل العسكري للجيش العربي أكبر الأثر في انفـــراج الموقف العسكري البريطاني على الجبهة الشرقية، إذ تمكنت القوات البريطانية من اكتساح الدفاعات العثمانية في صحراء سيناء وإبـــادة فرقـــة عســـكرية كبيرة.

أما على الجبهة الغربية فقد تحسن الموقف العسكري للحلفاء كـــثيراً بســـبب تدخل الولايات المتحدة الأمريكية إلى جانبهم في الحرب، وكـــان التـــدخل الأمريكي هذا نتيجة للجهود المكثفة التي قام الصهيوني البريطـــاني هربـــرت صموئيل، واستغلاله لنفوذ الصهاينة الأمريكيين لدى الحكومـــة الأمريكيـــة لدخول الحرب من أمثال القضاة برانلس ومارك فورتز وشماريا ليفن.

وبعد صدور تصريح بلفور سارعت المنظمة الصهيونية إلى إصدار بيان وقعه كل من سوكولوف وتشلينوف ووايزمان أعلنوا فيه أن الأماني التي جرى التعبير عنها في برنامج بازل قد وجدت الآن مرساها وقاعدة أرضية صلدة في تصريح الحكومة البريطانية الرسمي، وأن فترة الانتظار قد انتهت لتبدأ فترة التحقيق من الآن (٦٧).

وعندما وصل خبر تصريح بلفور لمسامع الشريف حسين بن علي امتعض كثيراً وتكدر خاطره وسارع بالطلب من الحكومة البريطانية تفسيراً لمعنى تصريح بلفور، فأرسلت الحكومة البريطانية القائد العسكري دافيد جورج من أجل تهدئة خواطره، وأوكلت لهذا القائد بنقل رسالة شفوية للشريف حسين بتاريخ الثاني من كانون الثاني / يناير من العام الميلادي ١٩١٨ جاء فيها ما يلي :

"إن الاستيطان اليهودي في فلسطين لن يكون مسموحاً به إلا بالقدر الذي يتفق مع حرية السكان العرب من الناحيتين الاقتصادية والسياسية (٦٨).

وبناءً على هذه التطمينات الشفهية البريطانية صدق الشريف حسين الأكاذيب البريطانية واطمأن للموقف البريطاني واقتنع به وأعرب أنه سيقوم بما لديه من نفوذ بالعمل على تحقيق تصريح بلفور لكي يوفر ملجأً آمناً لليهود يحميهم من الاضطهاد، وذلك لاعتقاده أن الاستيطان اليهودي في

فلسطين العربية لن يتعارض مع استقلال العرب، وكتب في إحدى الصحف المحلية مقالاً لتذكير عرب فلسطين بما يلي :

"إن كتبهم المقدسة وتقاليدهم توصيهم بواجبات الضيافة التسامح... وحض عرب فلسطين في مقاله على الترحيب باليهود إخواناً والتعاون معهم في سبيل المصلحة المشترك" (٦٩).

وبالرغم من أن تصريح بلفور يمثل وجهة نظر معظم السياسيين البريطانيين وقتئذ، إلا أنه كان هناك معارضة شديدة له من بعض السياسيين البريطانيين وفي مقدمتهم اللورد "كيروزون" الذي كان يرى أن تصريح بلفور يتعارض مع المصالح الإسلامية والمسيحية في الديار المقدسة، أما اللورد أدوين مونتاغو وهو الوزير اليهودي الوحيد في الحكومة البريطانية وكان يشغل منصب وزير الدولة لشؤون الهند، فكانت معارضته الشديدة لتصريح بلفور نابعة مما يلي:

١ – ليس هناك قومية يهودية.

٢ – لا تزيد اليهودية عن كونها دين من الأديان.

٣ – لا علاقة ليهود اليوم بفلسطين.

٤ – أن إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين سوف يؤدي بالضرورة إلى إضعاف حركة اندماج اليهود في المجتمعات التي يعيشون بينها ويخلق لديهم مشكلة الولاء المزدوج.

وعقب صدور تصريح بلفور علت صرخة الضمير لدى مجموعة من المؤرخين والمفكرين اليهود الغير صهاينة، وأدانوا بشدة هذا التصريح وقـال المـؤرخ اليهودي المجري أرثر كوستلر ما يلي :

"لقد وعد شعب، شعباً آخر بأرض شعب ثالث"

وشن المفكر اليهودي الفريد ليتال هجوماً عنيفاً على الصهيونية ونقداً لاذعاً لها، وأبدى إعراضاً عن واقعها منطلقاً وتاريخاً واستقراراً، وقد حـذا حـذوه الحاخام ألمر برغر وعالم الاجتماع اليهودي مكسيم رودنسون الذي وصـف إسرائيل بالواقع الاستعماري.

وقد قال المؤرخ البريطاني الكبير أرنولد توينبي معلقاً على تصريح بلفور بمـا يلي :

"كيفما فسر تصريح بلفور عام ١٩١٧، وكيفما فسر معنى الوطن القـومي اليهودي والحقوق الدينية والمدنية للجماعات غـير اليهوديـة الموجـودة في فلسطين، فإننا أخذنا على أنفسنا أن ننتزع شيئاً لم يكن لنا ونعطيـه للغـير، ولقد وعدنا بحقوق ما في بلاد العرب الفلسطينية لفريق ثالث، لقـد دعمنـا تصريح بلفور في وثيقة، وفي نفس الوقت رضينا أن تكون فلسـطين تحـت الانتداب من النوع (A)، وهو نوع من الانتداب الذي يلزم القوة المنتدبة أن تعطي الاستقلال لسكان البلاد المنتدب عليها حالما يصبحون ناجحين سياسياً

لذلك الاستقلال. وبما أن ٩٥% من سكان فلسطين غربي نهر الأردن في ذلك التاريخ كانوا عرباً، وفي شرق الأردن نسبة العرب أكثر، فقد كان التعهد ضمناً أنه مهما كان تصريح بلفور فإن فلسطين لابد وأن تصبح دولة مستقلة بأغلبية ساحقة من السكان العرب، وكان لابد وأن نجلو عن فلسطين كما حدث في مصر، ولكننا تركنا فلسطين في ظروف جلبت على العرب نكبة قومية كانت أعظم من أشد مما كانوا يخافون".

ومن الناحية القانونية فإن تصريح بلفور هو مجرد تصريح من طرف واحد تعهدت به دولة معينة (بريطانية)، لم يكن لها حق في فلسطين في الفترة الزمنية التي صدر فيها التصريح على إنشاء الوطن القومي اليهودي على أرض فلسطين التي لا يملكها أحد الطرفين بل تخص شعباً.

ثالثاً: ولهذا السبب يعتبر تصريح بلفور باطلاً من الناحية القانونية للاعتبارات التالية :

١ – كانت فلسطين حتى تاريخ صدور تصريح بلفور من ممتلكات الدولة العثمانية وتابعة إدارياً لولاية الشام الكبرى وولاية بيروت الجديدة ولا يحق لبريطانية أو لغيرها التصرف ولو بشبر واحد من أرض فلسطين.

٢ – عدم أهلية الطرفين المتعاقدين للتصرف بأرض فلسطين لأن هذا يعني التصرف في حقوق الغير.

٣ – صدر تصريح بلفور دون موافقة الشعب الفلسطيني ولا حق بعلمه ومعرفته، وهذا يتعارض مع أبسط المبادئ الديمقراطية التي ينادي بها العالم الغربي ويتشدق بها على الدوام.

٤ – ينص تصريح بلفور على عدم المساس بحقوق غير اليهود في فلسطين، وهذا بالطبع غير ممكن من الناحية العملية، لأن المنظمة الصهيونية كحركة استعمارية عدوانية كانت تهدف إلى اغتصاب أرض فلسطين العربية واستعمارها استعماراً استيطانياً إحلالياً بشعاً وطرد شعبها منها.

ثانياً: صك الانتداب البريطاني على فلسطين:

أما المستند الثاني في الحجة القانونية التي يتذرع بها الصهاينة لإثبات حقهم القانوني في أرض فلسطين العربية فهو صك الانتداب البريطاني على فلسطين الصادر عن الحكومة البريطانية في الرابع والعشرين من تموز / يوليو من العام الميلادي ١٩٢٢، وبعد أن وافق مؤتمر سان ريمو الذي عقد في العام الميلادي ١٩٢٠ على تصريح بلفور وعلى مشروع فرض الانتداب البريطاني على فلسطين، سارعت الحكومة البريطانية والمنظمة الصهيونية بالسعي لدى عصبة للحصول على موافقة دولية على انتداب بريطانية على فلسطين، وقد تم وضع هذا المشروع حيز التنفيذ في العام الميلادي ١٩٢٣.

تألف صك الانتداب البريطاني على فلسطين العربية من توطئة (مقدمة) وثماني وعشرين مادة اعتبرت بمثابة الدستور الذي حكمت فيه بريطانية

فلسطين حتى العام الميلادي ١٩٤٨، وصك الانتداب البريطاني على فلسطين هو الذي أعطى الغطاء الدولي لتهويد فلسطين العربية، وقد تضمنت توطئة صك الانتداب البريطاني على فلسطين نص تصريح بلفور وأيضاً على وثيقة موافقة عصبة الأمم على هذا الصك، وأكدت التوطئة على الصلة التاريخية القديمة لليهود في فلسطين، ولكن ليس على حقهم التاريخي لها وذلك لعدم اقتناع السياسيين البريطانيين بصحة المزاعم الصهيونية، ويعتبر صك الانتداب البريطاني على فلسطين وثيقة شديدة الخطورة لأنه هو المستند الذي اعتمدت عليه بريطانية في تنفيذ المشروع الصهيوني في فلسطين العربية بموافقة دولية.

ويؤخذ على صك الانتداب البريطاني على فلسطين العربية المخالفات القانونية التالية :

١ – مخالفة صك الانتداب البريطاني على فلسطين للفقرة الأولى من المادة رقم (٢٢) من ميثاق عصبة الأمم والتي تنص على مساعدة الشعوب الغير مستقلة على الوقوف على أرجلها، واعتبارها وديعة مقدسة في عنق العالم المتمدن، فقد ورد في الفقرة الأولى من المادة الثانية والعشرين من ميثاق عصبة الأمم ما يلي :

"بجعل سعادة الشعوب التي لا تزال إلى الآن غير قادرة على الوقوف منفردة في معترك الحياة وتقدمها وديعة مقدسة في يد العالم المتمدن".

٢ – مخالفة صك الانتداب البريطاني على فلسطين للفقرة الثانية من المادة رقم (٢٢) لميثاق عصبة الأمم التي تتحدث عن الوصاية ونصت على أنه من حق السكان الأصليين لأي بلد اختيار الدولة المنتدبة، والحقيقة أن عرب فلسطين الذين يمثلون الأغلبية الساحقة من سكان فلسطين حينذاك لم يختاروا قط دولة بريطانية لتقوم بالانتداب عليهم، فقد ورد في الفقرة الثانية من المادة (٢٢) لميثاق عصبة الأمم ما يلي :

"وتختلف طبيعة هذه الوصاية باختلاف درجات الشعوب في التقدم، وباختلاف موقعها الجغرافي وأحوالها العمرانية وما أشبه من ذلك من ظروف، ولما كانت بعض الشعوب الصغيرة التي كانت ضمن السلطة العثمانية قد بلغت من الرقي درجة يمكن أن يُعترف مؤقتاً بكونها مستقلة شرط أن تسترشد إدارتها بنصائح مستمرة تستمدها من دولة منتدبة إلى أن تصير أهلاً للسير وحدها، على أن تحل رغبة هذه الدولة في اختيار الدولة المنتدبة محلها في الاعتبار" (٧٠).

٣ – تجاهل صك الانتداب البريطاني على فلسطين للأكثرية العربية الساحقة في فلسطين، إذ أن عدد سكانها في العام الميلادي ١٩٣٢ كان ٦٢٨,٢٥٨ نسمة في مقابل ٨٣,٧٩٠ يهودياً فقط. ومن الجدير بالذكر أن صك الانتداب البريطاني على فلسطين قد صدر دون موافقة الشعب العربي

الفلسطيني ولا حق بعلمه ووسط إصرار هذا الشعب على تقرير مصيره بنفسه وممارسة حقه في اختيار الدولة المنتدبة التي يأمنون جانبها.

٤ – تجاهل صك الانتداب البريطاني على فلسطين للواقع التاريخي والقومي للشعب العربي الفلسطيني وركز هذا الصك فقط على الصلة التاريخية القديمة لليهود في فلسطين واعتبرها كافية لإنشاء الوطن القومي اليهودي فيها.

٥ – يعتبر صك الانتداب البريطاني على فلسطين العربية خرقاً صارخاً لاتفاقيات حسين – مكماهون التي نصت على منح الاستقلال للعرب بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وبذلك تكون بريطانية قد استثنت فلسطين من هذه الاتفاقيات دون وجه حق.

٦ – الحقيقة أن الحكومة البريطانية وضعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني من النوع (A)، وهذا النوع من الانتداب يلزم الدولة المنتدبة أن تمنح الاستقلال للبلد المنتدب عليه حالما يصبح سكانه ناضجين سياسياً هذا الاستقلال مثلما حدث في سورية والعراق ولبنان، حيث جرى وضع صكوك انتداب لكل دولة من هذه الدول مع مراعاة الأسس التي تنص عليها المادة (٢٢) من ميثاق عصبة الأمم.

ثالثاً: قرار تقسيم فلسطين العربية :

أما الحجة الثالثة والأخيرة من الأسانيد القانونية التي يتذرع بها الصهاينة لتبرير اغتصابهم لفلسطين العربية فهي قرار تقسيم فلسطين إلى دولتين: الأولى

دولة عربية، أما الثانية فهي دولة يهودية الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في التاسع والعشرين من تشرين الثاني / نوفمبر من العام الميلادي ١٩٤٧، وبموجب هذا القرار حصل الصهاينة على نسبة ٥٥% من الأراضي الفلسطينية دون وجه حق، علماً بأن الجمعية العامة للأمم المتحدة لم تجرى أي استفتاء في فلسطين العربية للوقوف على رأى أهلها فيما تخطط له الجمعية العامة للأمم المتحدة بتقسيم بلادهم بين العرب واليهود، والحقيقة أن الجمعية العامة للأمم المتحدة غير مؤهلة إطلاقاً لا إلى إصدار قرار التقسيم ولا إلى تنفيذ هذا القرار دون موافقة الشعب العربي الفلسطيني.

وفور صدور قرار تقسيم فلسطين بين العرب واليهود هلل الصهاينة كثيراً وسروراً وابتهجوا، واعتبروا هذا القرار بمثابة الوثيقة القانونية الثالثة في جعبتهم إلى جانب تصريح بلفور وصك الانتداب البريطاني والتي تخولهم حق اغتصاب أرض فلسطين العربية، وفي الواقع أن الصهاينة كانوا يميلون إلى القبول بقرار تقسيم فلسطين لسببين :

الأول: هو أن قرار تقسيم فلسطين كان الحد الأدنى الذي يمكن للصهاينة قبوله من الأمم المتحدة، ولهذا قبلوا قرار التقسيم على مضض.

الثاني: أما السبب الثاني فهو ثقة الصهاينة على مقدرة الدول الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة على تنفيذ قرار تقسيم فلسطين ولو أدى ذلك إلى استخدام القوة العسكرية.

ومن الجدير بالذكر أنه عند التصويت على مشروع تقسيم فلسطين من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة، مارست الولايات المتحدة الأمريكية ضغوطاً شديدة على أعضاء الوفود المشاركة في التصويت، وقدمت لهم الهدايا الثمينة والرشاوى المالية الضخمة لحملهم على التصويت لصالح قرار تقسيم فلسطين، ولقد جاءت نتيجة التصويت لصالح قرار تقسيم فلسطين بأغلبية ثلاثة وثلاثين صوتاً، وعارضته ثلاثة عشر دولة، بينما امتنعت عشر دول على التصويت.

والدول التي وافقت على مشروع تقسيم فلسطين هي ما يلي :

استراليا – بلجيكا – بوليفية – البرازيل – بيلاروسيا – كندا – كوستاريكة – تشيكوسلوفاكيا – الدانمرك – الدومنيكان – الإكوادور – فرنسا – غواتيمالا – هايتي – أيسلندا – ليبريا – لوكسمبورج – هولندا – نيوزيلندا – نيكاراغوا – النرويج – بنما – بيرو – باراغواي – الفلبين – بولندا – السويد – أوكرانيا – جنوب أفريقيا – الاتحاد السوفيتي – الولايات المتحدة الأمريكية – أورغواي – فنزويلا.

والدول التي عارضت مشروع تقسيم فلسطين هي :

أفغانستان – كوبا – إيران – تركيا – الهند – مصر – العراق – باكستان – المملكة العربية السعودية – سوريا – لبنان – اليمن.

أما الدول التي امتنعت عن التصويت فهي ما يلي :

الأرجنتين – تشيلي – هندوراس – الصين – كولومبيا – السلفادور – الحبشة – المكسيك – المملكة المتحدة – يوغوسلافيا.

وبالرغم من أن نتيجة التصويت على مشروع تقسيم فلسطين كانت لصالح التقسيم، إلا أن قرار تقسيم فلسطين الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة يعتبر في الحقيقة مجرد توصية وقراراً غير ملزماً من الناحية القانونية، ونتيجة لرفض العرب لقرار تقسيم فلسطين، اندلعت الحرب العربية – الإسرائيلية الأولى في الخامس عشر من أيار / مايو من العام الميلادي ١٩٤٨، وانتهت هذه الحرب بهزيمة عسكرية نكراء للجيوش العربية واستيلاء الصهاينة على٧٦٠٤% من مساحة فلسطين الكلية بدلاً عن ٥٥% التي حددها لهم قرار تقسيم فلسطين.

ولقد بادرت الدول العربية وممثلو الشعب الفلسطيني آنذاك إلى إثارة شتى الاعتراضات القانونية والدستورية والسياسية ضد التقسيم بالإضافة إلى ما ينطوي عليه المشروع من مشاكل تتعلق بتوزيع السكان والأراضي وقضايا

الأمن والتجزئة الاقتصادية للبلد الذي يشكل وحدة اقتصادية غير قابلة للتجزئة، ولا يخفى على كل من درس مشروع القرار ذلك الإجحاف الذي ألحقه بعرب فلسطين وحقوقهم المشروعة [٧١].

ومن الممكن تلخيص النقاط الأساسية التي تضمنتها الحجة العربية في طعنها بقانونية قرار تقسيم فلسطين، وأيضاً الأمم المتحدة في اتخاذ هذا القرار على النحو التالي :

١ – تأكيد الحق الثابت والأصلي لسكان فلسطين بتقرير دستورهم وحكومتهم في المستقبل.

٢ – العهود والتأكيدات التي أعطتها بريطانية للعرب في أثناء الحرب العالمية الأولى بصدد استقلال البلاد العربية ومستقبلها عند نهاية الحرب، هل كانت تشمل فلسطين أم لا؟.

٣ – هل تصريح بلفور الذي أعطي دون معرفة سكان فلسطين الأصليين أو موافقتهم يتمتع بالصحة القانونية ويلزم شعب فلسطين؟

وهل هو منسجم مع الوعود والتأكيدات السابقة واللاحقة المعطاة للعرب ؟

٤ – هل نصوص صك الانتداب على فلسطين والمتعلقة بإنشاء الوطن القومي اليهودي فيها مطابقة لأهداف عصبة الأمم ونصوص ميثاقها (المادة ٢٢ منه بنوع خاص)، ومتمشية مع تلك الأهداف والنصوص ؟

وهل يمكن التوفيق في هذا الصك بين النصوص الواردة فيه والمتعلقة بإنشاء الوطن القومي اليهودي وبين ما تضمنه من نصوص أخرى متعلقة بتطوير الحكم الذاتي والحفاظ على حقوق عرب فلسطين ومركزهم ؟

٥ – ألا يعني حل عصبة الأمم بدوره زوال الأساس القانوني للانتداب على فلسطين.

أو ليس من واجب الدولة المنتدبة إذ ذاك أن تسلم السلطة والإدارة إلى حكومة فلسطينية تمثل الشعب الشرعي والحقيقي في فلسطين ؟

٦ – هل يتلاءم مشروع تقسيم فلسطين دون موافقة أغلبية أهلها مع ميثاق عصبة الأمم ونصوص صك الانتداب ؟

٧ – هل الأمم المتحدة مؤهلة لإصدار توصية بصدد أي من المشروعين الصادرين عن لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين ؟ أو لإصدار توصية بأي حل ينطوي على تقسيم فلسطين، أو وضع أية مدينة أو جزء من فلسطين تحت الحماية الدائمة دون موافقة أكثرية الشعب الفلسطيني ؟

٨ – هل الأمم المتحدة أو أي دولة من الدول الأعضاء فيها مؤهلة أو تملك السلطة لتنفيذ أي اقتراح يتعلق بدستور فلسطين وحكومتها في المستقبل ؟ وخصوصاً أي مشروع للتقسيم يتعارض مع رغبات سكان فلسطين أو يجري تبنيه دون الحصول على موافقتهم(٧٢).

يقول المفكر والفيلسوف الفرنسي الكبير الدكتور روجيه غـارودي ما يلي :

"في الفترة الواقعة بين صدور قـرار تقسـيم فلسـطين في التاسـع والعشرين من تشرين الثاني / نوفمبر من العام المـيلادي ١٩٤٧ والانتـهاء العملي للانتداب البريطاني على فلسطين في الخامس عشر من أيـار / مـايو ١٩٤٨، استولت القوات الصهيونية بالقوة على المناطق التي خصصها قـرار التقسيم للعرب ومنها على سبيل المثال يافا وعكا.

فمن يستطيع إذنٍ في مثل هذه الظروف أن يعيب على الفلسـطينيين أو على البلدان العربية المجاورة عدم قبولها لذلك الظلم الفـادح ورفضـهم الاعتراف بالأمر الواقع وبالدولة الصهيونية ؟

ولكن لم ترض الدولة الصهيونية بما حصلت عليه مـن أرض، فما كانت الأرض لترضيها وأرادت أن تخلي البلاد من أهلها حتى تجعـل منـها أرض استيطان يحل فيها المهاجرون محل السكان الأصليين.

ولكي تبلغ ذلك الهدف قامت الدولة الصـهيونية بإرهـاب علـى مستوى الدولة أي بمذابح بمعنى الكلمة ضد السكان الفلسطينيين.

ولعل أبرز مثل على ذلك مذبحة دير ياسين في ٩ / ٤ / ١٩٤٨ التي تمت بطريقة مماثلة لما سبق للنازيين أن فعلوه، فقام جنود الأرغون بذبح أهـل

القرية البالغ عددهم ٢٥٤ فرداً من رجال ونساء وأطفال وشيوخ، وكان رئيس الأرغون عند ذاك هو مناحم بيجن. ولقد ذكر بيجن في كتابه "التمرد – قصة الأرغون" قائلاً: أنه لولا انتصار دير ياسين لما أمكن لدولة إسرائيل أن توجد، ثم أضاف: كانت الهاغاناه تقوم بهجمات مظفرة على جبهات أخرى... وانتاب العرب الفزع فأخذوا يصيحون: دير ياسين [٧٣].

١-٦: أسطورة أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض:

روج الصهاينة الأوائل في أوروبة أواخر القرن الميلادي التاسع عشر أن أرض فلسطين العربية هي أرض بلا شعب ويجب أن يتملكها ويعيش عليها اليهود الذين هم شعب بلا أرض ومشردون في كافة أرجاء العالم، وأشاع الصهاينة أيضاً أن فلسطين العربية عبارة عن أرض صحراوية قاحلة لا زرع فيها ولا ضرع، وغير مأهولة بالسكان ومن يريد أرضاً من اليهود فما عليه إلا أن يأتي إلى فلسطين ويأخذ ما يشاء من أرض، وإذا كان هذا صحيحاً، فأين كان الشعب العربي الفلسطيني إذن؟، الحقيقة أن في هذه المزاعم الصهيونية تجنياً صارخاً على الحقائق والتاريخ، وهي مزاعم زائفة ومزورة، لأن الشعب العربي الفلسطيني كان في الواقع متجذراً ومتسمراً على أرضه وأرض آبائه وأجداده منذ آلاف السنين، فهو في الحقيقة امتداد طبيعي

وشرعي لأسلافه القدماء العرب الكنعانيين سكان فلسطين الأوائل وأصحابها الأصليين على مدى عشرات الآلاف من السنين.

ووجود الشعب العربي الفلسطيني على أرضه وأرض آبائه وأجداده الأوائل وجود قديم جداً يسبق الوجود اليهودي الطارئ والعابر على أرض فلسطين بعشرات الآلاف من السنين، فمن المعروف أن الوجود اليهودي على أرض فلسطين كان بحدود القرن الثالث عشر قبل الميلاد، بينما يمتد الوجود العربي فيها للألف السادس قبل الميلاد وربما أقدم من ذلك بكثير.

وإمعاناً في سياسة إنكار وجود الشعب العربي الفلسطيني التي اتبعها الصهاينة منذ تأسيس حركتهم السياسية في العام الميلادي ١٨٩٧، قال رئيس الوزراء الإسرائيلي الراحل دافيد بن جوريون ما يلي :

"لقد أقيمت دولة إسرائيل في بلاد قطنها الغزاة العرب طوال ثلاثة عشر قرناً".

وأيضاً قالت رئيس الوزراء الإسرائيلي الراحلة "جولدا مائير" في تصريح أدلت به لصحيفة صنداي تايمز اللندنية في عددها الصادر بتاريخ الخامس من حزيران / يونيو من العام الميلادي ١٩٦٩ ما يلي :

"لا وجود للشعب الفلسطيني، وليست المسألة وجود شعباً في فلسطين يسمى نفسه الشعب الفلسطيني، وليست المسألة أننا أتينا وطردناهم من بلادهم وأخذنا أرضهم لأنه لم يوجدوا أصلاً".

ومثل هذه الأقاويل وغيرها كثير هي في الحقيقة أقاويل خاطئة ومغرضة تكشف بوضوح تام عن غباء أصحابها وجهلهم المخزي بالتاريخ إذا ما كانوا يؤمنون بهذه الأقاويل، وأعتقد أن الحقيقة غير ذلك ويعرفون تماماً لمن هي أرض فلسطين العربية، إلا أنهم ساروا على طريق معلمهم الأول ثيودور هرتزل في سياسة إنكار وجود الشعب العربي الفلسطيني من أجل أن يحققوا أهدافهم الاستعمارية في فلسطين العربية، فثيودور هرتزل الأب الروحي للصهيونية، وصلت به سياسة إنكار وجود الشعب العربي الفلسطيني حداً جعله لم يحاول أبداً الالتقاء بأحد من زعماء الشعب الفلسطيني رغم زياراته المتكررة لفلسطين، لأن إنكار وجود الشعب العربي الفلسطيني هو من صميم الفكرة والعقائد الصهيونية، وهو الأساس في جميع الجرائم الهمجية والوحشية والبربرية التي ارتكبها الصهاينة بحق الشعب الفلسطيني ولا تزال ترتكب حتى يومنا هذا، وبذلك يكون الصهاينة كالذي يحدق في قرص الشمس في يوم صافٍ ثم يزعم أنه لا يراها لأنها غير موجودة!

وإذا ما كان لليهود الأوائل وجود سكاني طارئ وعابر على ارض فلسطين العربية في التاريخ القديم، إلا أنهم لم يشكلوا قط أغلبية سكانية فيها منذ أن تواجدوا على أرضها وحتى العام الميلادي ١٩٤٨ حيث كانوا يشكلون في هذا العام حوالي ثلث عدد سكان فلسطين بالرغم من موجات الهجرة المحمومة والمكثفة الواسعة النطاق إليها منذ الربع الأخير من القرن الميلادي التاسع عشر، وهذه الهجرات اليهودية إلى فلسطين العربية حملت إليها حثالات المجتمعات الأوروبية تحت رعاية وحماية القوى الاستعمارية الكبرى وقتئذٍ، ويوضح الجدول رقم (١) أعداد اليهود في فلسطين في سنوات مختارة.

وقبل حوالي ألفي عاماً ونيف طرد اليهود نهائياً من فلسطين العربية على يد الرومان بعد احتلالهم لفلسطين في عام ٦٣ قبل الميلاد، ولقد بقي اليهود خارج أرض فلسطين لأكثر من ألفي عاماً من عمر التاريخ، والحقيقة أن اليهود الأوائل أحفاد التحالف متعدد الأعراق الذي خرج من مصر بقيادة موسى عليه السلام قد انقرضوا منذ أمد بعيد ولم يعد لهم وجود، أما يهود اليوم الذين توافدوا على أرض فلسطين العربية من كل حدب وصوب، ومن كافة أقطار العالم، ومن جميع الأجناس والأعراق والقوميات، فالسواد

الأعظم منهم ينحدر من سلالة شعب الخزر الآسيوي ولا يمتون بصلة ليهـــود فلسطين الأوائل.

ويوضح الجدول رقم (٢) تطور عدد السكان العــرب واليهــود في فلسطين العربية من العام الميلادي ١٩٢٢ وحتى العام الميلادي ١٩٤٨ :

العام الميلادي	عــــدد اليهـــــود
١١٧١	١٤٤٠
١٧٩٩	٥٠٠٠
١٨٢٥	١٠٠٠٠
١٨٤٥	١٢٠٠٠
١٨٨٠	٢٦٠٠٠
١٨٩٥	٤٧٠٠٠
١٩٢٢	٨٣٠٠٠

جدول رقم (١)

أعداد اليهود في فلسطين في سنوات مختارة [٧٤]

م	السنة الميلادية	عدد السكان		المجموع
		العرب	اليهود	
١	١٩٢٢	٦٦٨٢٥٨	٨٣٧٩٠	٧٥٢٠٤٨
٢	١٩٢٦	٧٤٩٤٠٢	١٤٩٥٠٠	٨٩٨٩٠٢
٣	١٩٢٩	٨٠٣٥٦٢	١٥٦٤٨١	٩٦٠٠٤٣
٤	١٩٣١	٨٥٨٧٠٨	١٧٤٦٠٦	١٠٣٣٣١٤
٥	١٩٣٣	٩٠٥٩٧٤	٢٣٤٩٦٧	١١٤٠٩٤١
٦	١٩٣٦	٩٨٣٦١٤	٣٨٤٠٧٨	١٣٦٦٦٩٢
٧	١٩٣٩	١٠٥٦٢٤١	٤٤٥٤٥٧	١٥٠١٦٩٨
٨	١٩٤٢	١١٣٥٥٩٧	٤٨٤٤٠٨	١٦٢٠٠٠٥
٩	١٩٤٤	١٢١٠٩٢٢	٥٣٣٦٠٠	١٧٦٤٥٢٢
١٠	١٩٤٦	١٣٢٨٨٠٠	٦٠٨٠٠٠	١٩٣٦٠٠٠
١١	أيار/مايو ١٩٤٨	١٤١٥٠٠٠	٦٥٠٠٠٠	٢٠٦٥٠٠٠

جدول رقم (٢)

سكان فلسطين من العام ١٩٢٢ إلى العام ١٩٤٨ [٧٥]

أما أسطورة أن فلسطين العربية هي عبارة عن أرض صحراوية قاحلة لا زرع فيها ولا ضرع فقد كلها الصهاينة أنفسهم على لسان واحد من أبرز فلاسفتهم وهو أشير غنزبرج المشهور باسمه المستعار "آحاد هاعام" عندما كتب في العام الميلادي ١٨٩١ قائلاً ما يلي :

"اعتدنا أن نقول في الخارج بأن ارض فلسطين شبه صحراوية، وأنها لا زرع لها ولا ضرع، وعلى من شاء الحصول على أرض فليأت إليها ويأخذ ما شاء من أرض. غير أن الواقع مخالف لذلك تماماً، إذ يصعب أن تجد في طول فلسطين وعرضها أرضاً بلا زرع، والمناطق الوحيدة غير المزروعة هي مساحات من الرمان وجبال صخرية يمكن أن تنمو لها أشجار الفاكهة بعد جهد شاق من استصلاح الأرض وإعدادها" (٧٦).

وكيف تكون أرض فلسطين أرضاً قاحلة لا زرع فيها ولا ضرع ؟ فمن المعروف أن أرض فلسطين على مدى تاريخها هي أرض زراعية خصبة من طراز أول، وكانت تنتج كميات كبيرة من الحبوب والخضروات والفواكه وبخاصة البرتقال الفلسطيني الذي كان يحظى بشهرة عالمية إضافة إلى أنواع الحمضيات الأخرى، وقد تضاعفت زراعة البرتقال في فلسطين سبع مرات بين الأعوام الميلادية ١٩٢٢ و ١٩٤٧ وأصبحت فلسطين الدولة الأولى المصدرة للبرتقال والحمضيات الأخرى على مستوى العالم، كما وأن زراعة الخضروات في فلسطين قد تضاعفت عشر مرات بين الأعوام ١٩٢٢ و ١٩٤٨، علماً بأن المناطق الصحراوية في فلسطين كان يزرعها بدو الصحراء بالحبوب، فقد كان بدو النقب يزرعون حوالي مليون دونماً بالقمح والشعير ويصدرون منها نحو ٣٠ ألف طناً في العام الواحد، لقد حول

الشعب الفلسطيني أرضه إلى جنة خضراء قبل قيام دولة إسرائيل بفترة طويلة وليس اليهود هم الذين فعلوا ذلك كما يزعمون، إذ أن اليهود عشية قيام دولتهم كانوا يملكون نسبة ٥,٦% فقط من الأراضي الفلسطينية، فكيف حولوا فلسطين إلى جنة خضراء ؟

ويوضح الجدول رقم (٣) الإنتاج الزراعي الفلسطيني واليهودي حسب ما ورد في التقرير الرسمي المقدم إلى لجنة التحقيق الأنجلو ـ الأمريكية في العام الميلادي ١٩٤٦ :

[illegible]	[illegible]	[illegible]		[illegible]	
		[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
١	الحبوب	٤,١٥٢,٤٢٨	١٩٢,٣٧٦	٢١٥,١٩١٤	١٦,٥٧٩
٢	الخضروات	٢٣٩,٧٢٢	١٨٩,١٠٤	٤٠,٢٠٧	٥٥,٧٢٠
٣	الفواكه	٣٢٥,٧٠٩	٧٢,٢٢٠	٣٧,٢١٧	٢١,٣٩٨
٤	الزيتون	٥٩٢,٥٤٦	٧٨,٢٨٧	٧,٥٨٧	١,١٨٢
٥	البطيخ	١٢٠,٣٠٤	١٢٥,٦٢٤	١٢٥,٦٢٤	٧,١٩٢
٦	الحمضيات	١١٤,٣٥٢	ـ	١٢٢,٩٥٨	ـ
٧	الأعلاف	٢٢,٩٧٠	٢٠,٨٢٧	١١٩,٥٧٢	١٧٦,٥٢٥

جدول رقم (٣)

الإنتاج الزراعي الفلسطيني واليهودي حسب التقرير الرسمي

للجنة التحقيق الأنجلو ـ أمريكيةعام ١٩٤٦م.

ويوضح الجدول رقم (٤) نسبة ملكية الأراضي في مختلف المناطق الفلسطينية حتى العام الميلادي ١٩٤٥ :

م	المنطقة	أملاك عربية (٪)	أملاك يهودية (٪)	أملاك أميرية (٪)
١	صفد	٦٨	١٨	١٤
٢	عكا	٨٧	٣	١٠
٣	طبرية	٥١	٣٨	١١
٤	الناصرة	٥٢	٢٨	٢٠
٥	حيفا	٤٢	٣٥	٢٣
٦	بيسان	٤٤	٣٤	٢٢
٧	جنين	٨٤	١	١٥
٨	طولكرم	٧٤	١٧	٩
٩	نابلس	٨٧	١	١٢
١٠	رام الله	٩٩	١	١
١١	يافا	٤٧	٣٩	١٤
١٢	الرملة	٧٧	١٤	٩
١٣	القدس	٨٤	٣	١٣
١٤	الخليل	٩٦	١	٣
١٥	غزة	٧٥	٤	٢١
١٦	بئر سبع	١٥	١	٨٤

جدول رقم (٤)

النسبة المئوية لملكية الأراضي الفلسطينية حتى عام ١٩٤٥

معلومات الجدول: العميد الركن/ فايز جابر – الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان في الأرض المحتلة، ص ٦٨.

١ – ٧: أسطورة التفوق الحضاري لليهود:

في الربع الأخير من القرن الميلادي التاسع عشر سادت في أوروبا نظرية عرفت باسم نظرية "الفراغ الحضاري" التي تتلخص في أن الدول الواقعة جغرافياً خارج نطاق قارة أوروبة هي مناطق متخلفة جداً وغير متمدنة خالية من أي من المظاهر الحضارية، ولذلك يجب على الدول الأوروبية المتمدنة والمتقدمة حضارياً أن تعمل على الارتقاء بهذه الدول لكي تصبح دولاً متقدمة وحضارية ولو أدى ذلك إلى استخدام العنف والقوة العسكرية للاستيلاء على تلك الدول واستعبادها واستعمارها. وبصفتها حركة استعمارية قامت الحركة الصهيونية السياسية الهرتزلية بعد تأسيسها في العام الميلادي ١٨٩٧ بتبني هذه النظرية واستماتت في الدفاع عنها والترويج لها رغم أن اليهود هم أبعد الناس عن الحضارة ويعيشون حياة "الغيتو" المتخلفة والقذرة في المدن الأوروبية المختلفة، على أي حال تبنى الصهاينة نظرية الفراغ الحضاري في دول المشرق العربي وزعموا في جميع المحافل الدولية وبخاصة في الأوساط العربية ولدى الزعماء العرب أن قدوم اليهود إلى فلسطين العربية سيعود على العرب بوجه عام وعلى الفلسطينيين بوجه

خاص بمنافع وفوائد كثيرة من منطلق أن الصهاينة أتوا من بلدان أوروبية متقدمة وذات خلفيات حضارية رفيعة المستوى. ومن الغريب أن الصهاينة قدموا أنفسهم للعالم العربي بصفتهم حملة ورسل المدنية والحضارة الأوروبية إلى هذه المنطقة من العالم والجسر الحضاري الذي يصل الشرق المتخلف بالغرب المتقدم.

والحقيقة أن الصهاينة أدخلوا في روع الزعماء العرب أن الشعب العربي المتخلف حضارياً سوف يستفيد من قدوم اليهود إلى فلسطين من جميع النواحي، فمن الناحية الاجتماعية سوف يستفيد العرب من اليهود في أسلوب حياتهم الراقي المتقدم في تحسين أحوالهم الاجتماعية والبيئية والصحية والتعليمية، وعلى المستوى الاقتصادي أدخل الصهاينة في مخيلة العرب أن دخول رؤوس الأموال اليهودية إلى فلسطين سوف ينعش الاقتصاد الفلسطيني ويدعمه ويقويه. وسياسياً زعم الصهاينة أن تحالف العمال والفلاحين الفلسطينيين مع الطبقات العاملة اليهودية سوف يعود على العرب بالخير الوافر لأن الطبقة العاملة اليهودية قطعت أشواطاً طويلة في حقل التنظيم والوعي والإدارة علاوة على استفادة العرب من النظم النقابية اليهودية!!.

أليس هذا مجرد هراء ؟

فالصهاينة أتوا إلى فلسطين العربية كمستعمرين لكي يستعمروها استعماراً استيطانياً إحلالياً ولم يأتوا إليها كفاعلي خير ومصلحين اجتماعيين تهمهم القضايا الاجتماعية والاقتصادية والحضارية العربية، وهذا ما برهنت عليه الأحداث والوقائع التي جرت على أرض فلسطين العربية زمن الانتداب البريطاني لها الذي انتهى باغتصاب اليهود لفلسطين من أصحابها العرب وطرد شعبها منها. والصهاينة الذين يدعون الحضارة إنما جاؤوا إلى فلسطين العربية من الشوارع الخلفية القذرة في أوروبة، ولولا الدعم المادي والتقني والسياسي البريطاني والأمريكي ما وصلت دولة إسرائيل إلى ما وصلت إليه الآن، فاليهود في الواقع لا يعرفون سوى حضارة القتل والتدمير والتشريد التي تتم كل يوم على أرض فلسطين العربية.

١ – ٨: أسطورة القبول الفلسطيني :

وهذه الأسطورة مكونة من شقين :

الشق الأول: يقوم على معطيات زائفة ووهمية كانت الحركة الصهيونية قد روجت لها في بعض أوساطها وهي أن إدراك العرب لمسألة قدوم اليهود إلى فلسطين لاستيطالها سوف يعود على أهلها بفوائد جمة ومنافع كثيرة، وأن المقاومة الفلسطينية للمشروع الاستعماري الصهيوني في بلادهم ليس قائماً على أسس ومقاييس قومية ووطنية، وإنما ينبع من مصالح شخصية لطبقات معينة من أبناء الشعب العربي الفلسطيني لتخوفها من أن يسيطر اليهود على العمال والمزارعين الفلسطينيين.

الشق الثاني: فهو قائم على تساؤل صهيوني مضمونه: إذا كان العرب يعارضون الوجود اليهودي في بلادهم، فلماذا قاموا ببيع أراضيهم لليهود ؟

وهذه الأسطورة في الحقيقة قائمة على أطروحات مغلوطة وغير صحيحة بالمطلق، فبالنسبة للشق الأول من هذه الأسطورة فإن الشعب العربي الفلسطيني أدرك مبكراً خطورة المشروع الصهيوني في بلاده وأيضاً للاحتلال البريطاني لأرضه، ولقد بدأت المقاومة الفلسطينية للمشروع الصهيوني في الربع الأخير من القرن الميلادي التاسع عشر وقبل صدور تصريح بلفور

واشتركت في هذه المقاومة جميع طوائف الشعب العربي الفلسطيني منذ ذلك الوقت وحتى العام الميلادي ١٩٤٨، ولم تقتصر هذه المقاومة على طوائف وشرائح معينة من الشعب العربي والحقيقة أن المقاومة الفلسطينية الباسلة للمشروع الصهيوني كانت من الصلابة والقوة والأصالة ما جعلها تهدد بإفشال المشروع الصهيوني في فلسطين العربيةس ودحر قوات الاحتلال البريطاني لو أنها كانت قد تلقت الدعم المعنوي والعسكري والمادي من الدول العربية أسوة باليهود الذين كانوا يتلقون الدعم والمساعدة والتأييد من العالم الغربي كله.

أما بالنسبة للشق الثاني من هذه الأسطورة فهي مجرد أكذوبة، وأكذوبة سخيفة جداً في الواقع، ولو كانت هذه الأسطورة صحيحة فعلاً، فبماذا يفسر الصهاينة وجود عرب فلسطين في الأرض والممتلكات ذاتها التي يزعم الصهاينة أنهم اشتروها من عرب فلسطين الذين ظلوا يقيمون في تلك الأراضي والممتلكات حتى عشية قيام الدولة الصهيونية في فلسطين العربية في الخامس عشر من أيار / مايو عام ١٩٤٨ م. وبماذا يفسر الصهاينة أيضاً تملكهم فقط لما مجموعة ٦,٥ % من مجموع الأراضي الفلسطينية بالرغم من الإغراءات والضغوط الشديدة التي مارسها الصهاينة على أبناء الشعب

الفلسطيني لحمله على بيعهم أراضيه، واستخدامهم لشق أساليب التحايل والخداع على السلطات العثمانية قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى ؟

ولكن كيف حصل اليهود على نسبة ٦,٥% من الأراضي الفلسطينية ؟

في الحقيقة أن نسبة الـ ٦,٥ % التي تملكها الصهاينة من الأراضي الفلسطينية والتي تساوى مليوناً وثمانية آلاف دونماً من المساحة الكلية لفلسطين العربية البالغة سبعة وعشرون مليون دونماً، لقد حصل عليها وتملكها اليهود بالطرق التالية حسب الإحصاليات الرسمية للوكالة اليهودية :

أولاً: مساحة ٤٢٠ ألف دونماً حصل عليها اليهود من الأراضي الفلسطينية في عهد الدولة العثمانية أي قبل الحرب العالمية الأولى.

ثانياً: مساحة ٦٢٠ ألف دونماً كان يملكها الإقطاعيون العرب من غير الفلسطينيين إضافة إلى هيئات أجنبية غير عربية، وقد انتقلت ملكية هذه الأراضي لليهود بسبب بيع هؤلاء لتلك الأراضي نتيجة للمستجدات السياسية في فلسطين وأيضاً بسبب الوضع المتفجر والخطير فيها.

ثالثاً: مساحة ٣٢٥ ألف دونماً من أملاك الدولة منحتها حكومة الانتداب البريطاني للصهاينة.

رابعاً: مساحة ١٧٥ ألف دونماً قامت سلطات الاحتلال البريطاني في فلسطين بتأجيرها للوكالة اليهودية التي استولت عليها فيما بعد.

خامساً: مساحة ٢٦١ ألف دونماً انتزعتها سلطات الاحتلال البريطاني من أصحابها العرب بموجب قانون نزع الأراضي البريطاني، ثم قامت بنقل ملكيتها لليهود.

يتضح مما تقدم زيف وضلال وكذب نظرية بيع الشعب العربي الفلسطيني لأراضيه إلى اليهود، وإذا ما كانت بعض الأراضي الفلسطينية قد تسربت إلى أيدي اليهود عن طريق عرب فلسطين أنفسهم، فالإجابة على ذلك يكون بالسؤال التالي :

هل توجد أمة من الأمم أو شعب من الشعوب على وجه الأرض على جانب مأمون من الوطنية بحيث لا تستسلم نسبة ضئيلة منه للإغراءات المادية متى واجهها من أجل الثراء الفاحش والسريع؟ أنا شخصياً لا اعتقد ذلك إطلاقاً، فالبشر في الواقع ليسوا ملائكة بأي حال من الأحوال.

١ – ٩: أسطورة الطابع الإنساني للمسألة اليهودية :

اعتاد الصهاينة فيما مضى ولا يزالون حتى يومنا هذا عرض قضيتهم في مختلف الأوساط على أنها قضية ذات طابع إنساني نتيجة لتشردهم وضياعهم في بلدان كثيرة، ووضعهم الشاذ في المجتمعات التي يعيشون بينها،

إضافة إلى ما عانوه من عنف وكراهية واضطهاد بسبب ظاهرة اللاسامية أو العداء لليهود في الغرب الأوروبي، وطالبوا المجتمع الدولي أن يساعدهم ويمد لهم يد العون لوضع نهاية إنسانية لقضيتهم بتمكينهم من اغتصاب أرض فلسطين العربية وطرد شعبها منه وتشريده ثم إقامة دولة لهم فيها على أنقاض دولة فلسطين. والحقيقة أن هذا الزعم ينطوي على معطيات مغلوطة يدحضها الواقع ومن المستحيل القبول بها، لأن الزعم بأن مشكلة اللاسامية لن تجد لها حلاً إلا بخروج اليهود من أوروبة والسماح لهم باستيطان فلسطين هو زعم خاطئ، فبالرغم من خروج اليهود من أوروبة إلى فلسطين إلا أن ظاهرة العداء لليهود أو اللاسامية لا تزال موجودة حتى الآن في وجدان الشعوب الأوروبية والأمر الذي يمنعها من الظهور هو القوانين الصارمة التي تجعل من تهمة اللاسامية جريمة نكراء يعاقب عليها القانون بشدة في البلدان الأوروبية. ومن الذي قال أن جميع اليهود يرغبون في الهجرة والقدوم إلى فلسطين فراراً بحياتهم من ظاهرة اللاسامية ؟ فدولة إسرائيل الحالية لا تضم سوى ثلث أو ربع يهود العالم فقط، ومن المعروف أن فلسطين بحدودها الطبيعية الحالية ليس بمقدورها استيعاب جميع يهود العالم علاوة على شعبها، ولقد كان متوقعاً قبل إنشاء دولة إسرائيل أن قيام مثل هذه الدولة لن يمر دون هضم خطير لحقوق الشعب العربي الفلسطيني على أرضه وأرض آبائه

وأجداده، وهذا ما حدث بالفعل وترتب عليه قضية مؤلمة وخطيرة للشعب الفلسطيني أشد إيلاماً وقسوة مما عاناه اليهود في الغرب الأوروبي على حد زعمهم.

أما ما يزعمه الصهاينة من أنهم يعانون من التشرد والضياع والوضع الشاذ فهذا ما لا توجد أدلة قاطعة تؤكد صحته، فاليهود عاشوا في مختلف دول العالم كمواطنين يحملون جنسيات تلك الدول ويتمتعون بقدر وافر من حرية الحركة والتنقل إلى أي مكان في العالم ويعملون بحرية في مختلف الوظائف ويعيشون حياة طبيعية للغاية، ولا يمكن بأي حال من الأحوال فصل معاناة اليهود عن معاناة الشعوب الأوروبية التي عانت الكثير بسبب الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كانت سائدة في أوروبة الوسطى والشرقية خلال الربع الأخير من القرن الميلادي التاسع عشر وهي الفترة التي ظهرت فيها الحركة الصهيونية السياسية إلى الوجود، ثم أن اليهود طوال مراحل تاريخهم لم يكن لهم وطن يأويهم ولا دولة مستقلة تقوم برعاية شؤونهم، وعانوا من الاضطهاد والكراهية والعداء قبل ظهور ظاهرة اللاسامية بقرون طويلة لأسباب تكمن دائماً في اليهود وليس فيمن عاداهم من الشعوب.

والحقيقة أن اليهود المنتشرين في شتى أنحاء العالم لا يشكلون قومية واحدة وإنما ينتمون إلى ديانة واحدة فقط هي الديانة اليهودية شأنهم في ذلك شأن المليارات من المسلمين والمسيحيين الذين ينتمون إلى قوميات متعددة ولكنهم ينتمون إلى ديانة واحدة هي الديانة الإسلامية أو المسيحية. وهناك نسبة كبيرة من يهود العالم تعيش منذ قرون عدة في الولايات المتحدة الأمريكية والعالم العربي وبخاصة دول الشمال الأفريقي وغيرها من الدول خارج قارة أوروبة ولم يعانوا قط من مشاكل اللاسامية وربما لم يسمعوا بها، فهل يجب على جميع هؤلاء أن يتركوا أوطانهم وأعمالهم وممتلكاتهم وماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم ويسارعوا بالهجرة إلى فلسطين فراراً من شعور وهمي بالتشرد والضياع واللاسامية ؟

١ – ١٠: أسطورة الهولوكست :

الهولوكست عبارة عن اصطلاح ديني يوناني قديم يعني تقديم قربان للآلهة على هيئة ذبيحة أو أكثر ثم حرقها حتى الفناء والعدم، ويستخدم اليهود هذا الاصطلاح للإشارة إلى المحرقة النازية المزعومة ضدهم، وبالرغم من وجود العشرات بل والمئات من "الهولوكست" في التاريخ البشري، إلا أن الدعاية الصهيونية نجحت في جعل مصطلح الهولوكست مصطلحاً خاصاً باليهود فقط دون غيرهم، والدليل على ذلك يكفي أن يذكر هذا المصطلح حتى يفهم المستمع أنه الهولوكست اليهودي دون الإشارة إليه بالاسم.

ويزعم الصهاينة أن عدد ضحايا اليهود في الحرب العالمية الثانية بلغ ستة ملايين يهودياً أبيدوا إبادة جماعية في غرف الإعدام بالغاز في أوروبة على يد الزعيم النازي أدولف هتلر، وتقوم أسطورة الهولوكست اليهودي على ثلاثة عناصر :

الأول: الإبادة الجماعية لليهود في أوروبة أثناء الحقبة النازية.

الثاني: غرف الإعدام بالغاز النازية.

الثالث: الستة ملايين يهودياً ضحايا المحارق النازية.

وقد يسمح الصهاينة بالهجوم وانتقاد جميع المزاعم والأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل الحالية إلا العناصر الثلاثة المؤلفة للهولوكست اليهودي، ولولا هذه الأسطورة ما تمكن الصهاينة من تأسيس دولتهم في فلسطين العربية غداة انتهاء الحرب العالمية الثانية، والحقيقة أن العالم إنساق وراء مزاعم الصهاينة وصدقهم فيما يقولون، ووقع العالم تحت الإرهاب الفكري الصهيوني، واستغل الصهاينة أسطورة الهولوكست جنباً إلى جنب مع أسطورة اللا سامية كسلاح رهيب لإرهاب الشعوب لتحقيق الأهداف التالية:

أولاً: تعويض العجز الخطير والضعف الشديد في المزاعم الصهيونية المؤسسة لدولة إسرائيل الحالية وبخاصة الأساطير الرئيسية وهي الأساطير

والحجج الدينية والتاريخية والقانونية إضافة إلى أسطورة أرض بلا شعب لشعب بلا أرض.

ثانياً: عزل ضحايا اليهود عن بقية ضحايا الزعيم النازي أدولف هتلر الذي تسبب في قتل عشرات الملايين من البشر، ودمر نصف العالم تقريباً، ومحاولة الصهاينة التركيز على ضحاياهم فقط وإبرازهم وإضفاء صفة القداسة على قتلاهم دون الشعور بالحزن والأسى على الملايين من ضحايا الشعوب الأخرى.

ثالثاً: تحميل الغرب الأوروبي وزر ما حدث لليهود في أوروبا، وخلق عقدة الشعور بالذنب لديه، وإمعاناً في ترسيخ هذه العقدة أنشأ الصهاينة العديد من المتاحف الهولوكستية المزورة كان من أشهرها متحف "ياد فاشيم" بمدينة القدس الذي ينبغي أن تزوره كل شخصية أجنبية زائرة لإسرائيل من أجل تنشيط عقدة الشعور بالذنب لدى الأمين، ولقد قام الرئيس الأمريكي السابق بل كلينتون بافتتاح متحف الهولوكست التذكاري في العام الميلادي ١٩٩٣ في العاصمة الأمريكية واشنطن، ولقد أقيم هذا المتحف لنفس الهدف الذي أقيم له متحف يا فاشيم الهولوكستي بمدينة القدس، وقد صمم متحف الهولوكست اليهودي الماني الأصل "جيمس فريد"، وقد روعي أثناء تصميم هذا المتحف الخرافة والخيال والأوهام.

رابعاً: الحصول على أموال طائلة وهبات عينية ضخمة كتعويض عن قتلى اليهود في الحرب العالمية الثانية، بالإضافة إلى التعويضات المعنوية، وكلما فتر حماس العالم نحو الهولوكست اختلق الصهاينة أساليب جديدة ومبتكرة لتاجيج حماس العام وتعاطفه معهم، وأسهل طريقة إلى ذلك هي التباكي بأسطورة اللاسامية بين الحين والآخر.

خامساً: استدرار عطف العالم الغربي لكلي يساعد اليهود في تمرير جريمة اغتصاب فلسطين العربية وطرد شعبها منها، إن معاناة اليهود على يد أدولف هتلر لو كانت قد حدثت بالفعل أمر يتعلق بالتاريخ الأوروبي وعار يلحق بألمانية وبهذا التاريخ وبالديمقراطية الغربية التي سمحت لشخص من طراز أدولف هتلر أن يصل إلى سده الحكم في بلاده، ولكن لا تتعلق معاناة اليهود إطلاقاً بالشعب العربي الفلسطيني الذي لم يكن له أي دور بما حدث لليهود في أوروبة حتى تغتصب أرضه ويطرد منها ويشرد في كافة أرجاء العالم حتى يكون لليهود دولة على أنقاض الشعب العربي الفلسطيني ودولته.

والآن....

- هل الهولوكست اليهودي حقيقة مؤكدة ؟
- وهل أباد هتلر ستة ملايين يهودياً بالفعل ؟
- وهل كانت هناك محارق نازية ؟

في الحقيقة أن هناك قائمة طويلة من البحثين والمؤرخين والمفكرين والعلماء الذين درسوا بعمق أسطورة الهولوكست دراسة وافية ومكثفة، وبناءً على ما توصلوا إليه من نتائج موثقة ومؤكدة قاموا بنفي حدوث إبادة جماعية لليهود على يد النازي نفياً قاطعاً، ونتائج هذه الدراسات التي أجريت في بلدان كثيرة تدحض حدوث الهولوكست وتنسف عناصره الثلاثة من أساسها، فقد أكدت معظم الدراسات أنه لم يكن هناك إبادة جماعية لليهود في الحقبة الهتلرية ولا في أي حقبة أخرى.

ويبدو أن العداء المعلن بين النازية والصهيونية كان عداءً ظاهرياً فقط أملته الظروف الإستراتيجية لكلا الطرفين أبان الحرب العالمية الثانية، وهناك وثائق نازية وأدلة كثير تشير على أن التعاون النازي — الصهيوني كان يجري على قدم وساق خلال الحرب العالمية الثانية، وأبلغ مثال على ذلك التعاون تلك الاتفاقية التي عرفت باسم اتفاقية "الهعفراه" التي أبرمت في العام الميلادي ١٩٣٣ بين السلطان الألمانية والصهاينة بعلم وموافقة أدولف هتلر نفسه، وقد سمحت السلطات النازية بموجب هذه الاتفاقية بهجرة اليهود الألمان إلى فلسطين العربية ويحولون إليها جزء من أموالهم، وسمحت أيضاً لمن لا يرغب من اليهود في الرحيل إلى فلسطين بتحويل أموال كافية إليها لشراء عقارات أو أراضي فيها، وذلك مقابل كسر

الصهاينة للمقاطعة الاقتصادية العالمية المضروبة على ألمانية، وقد نجح اليهود في هذه المهمة الأمر الذي كان له أكبر الأثر في صمود الاقتصاد الألماني خلال الحرب العالمية الثانية.

وقد كشف النقاب مؤخراً عن وثائق ألمانية تشير على أنه كان هناك اتفاقية نازية ـــ صهيونية أخرى تقضي إلى قتل الشباب اليهودي الرافض في الهجرة إلى فلسطين العربية، وتسليم كبار السن من اليهود رجالاً ونساءً للمذابح النازية لإعدامهم، وعلى عكس ما يروج الصهاينة من أن اليهود في ألمانية كانوا عرضة للتصفية الجسدية على يد النازي، فقد كانت المحاكم النازية تصدر أحكاماً قد تصل للإعدام ضد أي فرد من القوات المسلحة الألمانية تثبت إدانته بقتل يهود على أسس دينية أو عرقية، هذا إضافة إلى وجود قوات يهودية خاصة تعمل تحت إمرة القيادة العسكرية الألمانية كانت تعرف باسم قوات "سوندر كوماندو" علماً بأن نسبة ليست قليلة من الصهاينة كانت تراهن على انتصار ألمانية في الحرب العالمية الثانية من أجل أن يساعدهم النازي في إنشاء دولتهم الغاصبة في فلسطين العربية.

وتشير جل الدراسات أن عدد اليهود في أوروبة كلها أبان الحرب العالمية الثانية كان لا يتجاوز الثلاثة ملايين نسمة من جميع الأعمار!

- فكيف كان بإمكان الزعيم النازي أدولف هتلر إبادة ستة ملايين يهودياً من هذه الملايين الثلاثة ؟!

أما أسطورة غرف الإعدام بالغاز في معسكرات الاعتقال النازية وبخاصة معسكر "أوشفيتس" سيئ السمعة في بولنده، والذي يزعم الصهاينة أن النازي كان يعدم به اليهود عشوائياً باستخدام مبيد "زيكلون — بي" السام جداً والمتفجر والذي كان يصب في ثقوب بأسقف هذه الغرف، والحقيقة أن الغرف التي قيل أنها غرف الإعدام النازية هي عبارة عن غرف مزيفة أقامها البولنديون بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وهذه الغرف المزيفة لم يكن بأسقفها ثقوب على الإطلاق.

وفي الواقع لم يتمكن أحد من الباحثين أو المؤرخين أو العلماء أو أي مهندس أو فني من إعطاء وصف دقيق لغرف الإعدام بالغاز النازية، ولا طريقة عملها ولا للكيفية التي كان يصب فيها مبيد "زيكلون — بي" في ثقوب بأسقف تلك الغرف، ومن الجدي بالذكر أن مبيد "زيكلون — بي" يتكون أساساً من غاز الهيدروجين سيانيد السام والمتفجر جداً، وليس من السهل التخلص من هذا الغاز بطرق التهوية التقليدية لأنه يخترق الجدران وطوب البناء والأسمنت والجبس والخشب والأثاث والطلاء بسهولة، ويقول خبراء الغازات السامة والتطهير منها أنه يجب على كل إنسان يعمل في جو

من غاز الهيدروجين سيانيد أن يرتدي الملابس والكمامات الواقية وأن يتجنب القيام بأي مجهود عضلي والكمامات الواقية وأن يتجنب القيام بأي مجهـــود عضلي غير عادي حتى لا يتسارع تنفسه ويخترق الغاز الســـام مرشـــحات الكمامة الواقية ويؤدي إلى الموت في الحال، كما وأن غاز الهيدروجين سيانيد يخترق بسهولة جلد الإنسان وأغشيته المخاطية ويقضي على المتلقـــي فـــوراً، ويجب أن تكون مفاصل غرف الإعدام بالغاز "الهيدروجين سيانيد"

مصنوعة من التيفلون أن الأسبستوس، واستخدام هذا الغاز في غرف الإعدام عملية مكلفة مادياً فضلاً عن خطورتها، ولهـــذا الســـبب أوقفـــت الولايات المتحدة الأمريكية استخدامه في إعدام المجرمين.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو :

- كيف كان أفراد القوات اليهودية الخاصة أو قـــوات الســـوندر كوماندو العاملة تحت إمرة القيادة العسكرية الألمانية، الـــدخول إلى غـــرف الإعدام بالغاز دون ارتداء الملابس والكمامات الواقية ويعملون لفترة طويلة داخل هذه الغرف لإخلاء جثث القتلى من اليهود بل ويـــأكلون ويشـــربون ويدخنون لفائف التبغ أيضاً حسب اعتراف ملفق لرودلف هيس أشهر قائـــد لمعسكر أوسفيتش. في ذلك الجو الغازي السام والمتفجر جداً دون أن يصابوا بأي أذى أو ينفجر المكان كله ؟

ومن المؤرخين الذين نفوا نفياً قاطعاً أسطورة الهولوكست المؤرخ الأمريكي أرثر باتس والمؤرخ التشيكي إيفان هربرك والمؤرخ الفرنسي روبير فوريسون، والمفكر والفيلسوف الفرنسي الكبير الدكتور روجيه غارودي والمؤرخ السويسري يورغن غراف والمؤرخ البريطاني المشهور ديفيد إيرفنج الذي أكد أن عدد قتلى اليهود في الحرب العالمية الثانية كان لا يتجاوز المائة الف قتيلاً إضافة إلى مئة ألفاً أخرى قتلوا لأسباب لا تتعلق بالعمليات الحربية مثل البرد والجوع والمرض.

وبما أن إنكار أسطورة الهولوكست يعتبر جريمة لا تغتفر في أوروبة والولايات المتحدة الأمريكية فقد تعرض جميع هؤلاء المفكرين والباحثين والمؤرخين والعلماء لحملات عنيفة وشرسة من الإرهاب الصهيوني، ولمحاكمات جائرة وظالمة وصدرت ضدهم أحكام بالسجن وبغرامات مالية فادحة، وصودرت كتبهم من الأسواق، وشوهت سيرتهم الذاتية، وشهر بهم واتهموا بالنازية اللاسامية ومنعوا من الدخول إلى كثير من الدول حتى يكونوا عبرة لغيرهم من المؤرخين والباحثين والمفكرين والعلماء الذين يحاولون كتابة التاريخ بصدق وأمانة ونزاهة وحيادية.

هوامش ومداخل الفصل الأول

١- سفر الخروج: الإصحاح التاسع عشر (٥ – ٨).

٢- سفر التثنية: الإصحاح العاشر (١٠).

٣- سفر التثنية: الإصحاح السابع (٢ – ٨).

٤- ألفرد ليلنتال: ثمن إسرائيل – هذه الراية ليست رايتي.

ترجمة: حبيب نحولي وياسر هوراي، دار الكشاف، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٥٤، ص – ٢٢٥.

٥- سفر أشعيا: الإصحاح الثاني (٣ – ٤).

٦- قرآن كريم: سورة آل عمران، الآية ١١٠.

٧- روجيه غارودي: ملف إسرائيل – الصهيونية السياسية.

ترجمة: الدكتور مصطفى كامل فودة، دار الشروق ١٩٨٣، القاهرة، ص – ٢١.

٨- محمد حسنين هيكل: حرب الخليج. إصدار مؤسسة الأهرام، القاهرة، ص – ١٩٥.

٩- سفر الخروج: الإصحاح التاسع (٢٩).

١٠- سفر اللاويين: الإصحاح الخامس والعشرون (٢٣).

١١- سفر التثنية: الإصحاح الأول، الفقرة الأولى.

١٢- سفر المزامير: الإصحاح الرابع والعشرون (١).

١٣- سفر ميخا: الإصحاح الثاني، الفقرة الثانية.

١٤- سفر اللاويين: الإصحاح الخامس والعشرون (٢٣).

١٥- سفر اللاويين: الإصحاح التاسع عشر (٣٣).

١٦- سفر التكوين: الإصحاح الثاني عشر (١ – ٣).

١٧- سفر التكوين: الإصحاح الثاني عشر (٥ – ٧).

١٨- سفر التكوين: الإصحاح الثالث عشر (١٤).

١٩- سفر التكوين: الإصحاح الخامس عشر (١٨ – ٢١).

٢٠- سفر التكوين: الإصحاح السابع عشر (٦ – ٨).

٢١- البروفيسور ألفريد غليوم: في دراسة له بعنوان:

"Palestine and the Bible"

صادرة ضمن دراسات أخرى عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت ١٩٦٧، ص ١٣ و ١٨.

٢٢- يوسف أيوب حداد: هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين، دار بيان للطباعة والنشر والإعلام، بيروت، الجزء الثاني، الطبعة الأولى ٢٠٠٤، ص ١٢٢ و ١٢٣.

٢٣- إبراهيم العابد: دليل القضية الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت ١٩٦٩، ص ٤٣ و ٤٤.

٢٤- قرآن كريم: سورة الإسراء، الآيات ٤ و ٥.

٢٥- قرآن كريم: سورة الإسراء، الآية السابعة.

٢٦- سفر التكوين: الإصحاح الخامس والعشرون (١ – ٢).

٢٧- سفر التكوين: الإصحاح الحادي والعشرون (٨ – ١٢).

٢٨- سفر التكوين: الإصحاح السادس عشر (١٥).

٢٩- سفر التكوين: الإصحاح الحادي والعشرون (١٣).

٣٠- سفر التكوين: الإصحاح السابع عشر (١٨).

٣١- سفر التكوين: الإصحاح السابع عشر (١٩ - ٢١).

٣٢- سفر التكوين: الإصحاح الخامس والعشرون (٥ - ١٦).

٣٣- الدكتور أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، العربي للإعلان والنشر والطباعة، دمشق، الطبعة الرابعة ١٩٧٥، ص ٤٨٠ و ٤٨١.

٣٤- ألفريد ليلتال: مصدر سابق، ص ٢٣٦ - ٢٤٠.

٣٥- إنجيل متى: الإصحاح الثاني (٧ - ٩).

٣٦- رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية (٧).

٣٧- السنهدرين أو المجلس اليهودي الأعلى: كلمة السنهدرين كلمة يونانية الأصل وتعني "المجمع العظيم" ويقابلها باللغة العبرية كلمة "الكنيست" التي تطلق على البرلمان الإسرائيلي في الوقت الراهن، وفكرة السنهدرين بدأت في عهد موسى عليه السلام بانعقاد مجلس السبعين المؤلف من سبعين عضواً كما جاء في الإصحاح الحادي عشر من سفر العدد، وبالإضافة إلى أن السنهدرين كان يشرف على معبد أورشليم، فإنه كان بمثابة المحكمة الاستئنافية العليا التي تنظر في القضايا المحولة من مجمع القرى والمدن، والسنهدرين هو الذي كان يسيطر على حياة اليهود الدينية والمدنية، وهو كان يمثل حكومة يهودية تملك جميع السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية.

٣٨- إنجيل مرقص: الإصحاح الرابع عشر (٤٣ - ٤٦).

٣٩- إنجيل متى: الإصحاح السابع والعشرون (١٥ - ٢٦).

٤٠- الدكتور عدنان حداد: الخطر الصهيوني على المسيحية والإسلام.

٤١- البيروني – بيروت – الطبعة الأولى، ١٩٩٧، ص – ٢٥٠.

٤٢- المصدر السابق.

٤٣- سفر أشعيا: الإصحاح التاسع (٦ – ٧) محمد طلعت الغنيمي: قضية فلسطين أمام القانون الدولي، دار المعارف ١٩٦٧، الإسكندرية، طبعة فريدة ومنقحة، ص ٥٦.

٤٤- المصدر السابق: ص ٥٩.

٤٥- أحمد عثمان: تاريخ اليهود، مكتبة الشروق، الطبعة الأولى، ١٩٩٤، ص ١١.

٤٦- سفر التكوين: الإصحاح الثاني عشر (٦).

٤٧- سفر التكوين: الإصحاح الثالث والعشرون (٤).

٤٨- سفر التكوين: الإصحاح السابع والثلاثون (١).

٤٩- إبرام: إبراهيم عليه السلام.

٥٠- سفر التكوين: الإصحاح الرابع عشر (١٨).

٥١- عباس محمود العقاد: إبراهيم أبو الأنبياء، ص ١٥٩ و ١٦٠.

٥٢- سفر التكوين: الإصحاح السادس والعشرون (١).

٥٣- سفر التثنية: الإصحاح الثالث عشر (١٨ – ٢٥).

٥٤- سفر التثنية: الإصحاح الثالث عشر (٢٧).

٥٥- سفر التثنية: الإصحاح التاسع (١ – ٢).

٥٦- سفر الخروج: الإصحاح الثالث (١٧).

٥٧- سفر يشوع: الإصحاح الخامس عشر (٦٣).

٥٨- سفر القضاة: الإصحاح الأول (٣١ – ٣٢).

٥٩- سفر القضاة: الإصحاح الأول (١٨).

٦٠- سفر يشوع: الإصحاح الثالث عشر (١٣).

٦١- القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني، تأليف نخبة من المفكرين، إصدار وزارة الدفاع الوطني، الجيش اللبناني، الأركان العامة، الشعبة العامة، سلسلة دراسات رقم (٣٤). بالاشتراك مع مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٧٣، ص ١٧٣.

62- Leonard Stien: The Balfor Declaration Valentine Mitchell – London. P. 369.

٦٣- امين سعيد: أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين، دار الكاتب العربي، بيروت، الجزء الأول، ص ٣١٤.

64- J. M. N. Jeffrie's: Balfor Declaration, Monograf Series No. 7, Beirut, Institute of Palestine Studies, 19 67, PP, 5 – 6

٦٥- تقرير اللجنة الملكية البريطانية لفلسطين (الكتاب الأبيض رقم ٥٤٧٩)، القدس ١٩٣٧، ص ٣٢.

66- Great Britain And Palestine, 1937, P. 32.

٦٧- سوكولوف: تاريخ الصهيونية، الجزء الأول، ص ١٢ – ١٢٧.

٦٨- الدكتور أسعد رزوق: إسرائيل الكبرى – دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية ١٩٧٣، ص ٣٦٦.

٦٩- نشر المقال في صحيفة "القبلة" التي تصدر في مكة المكرمة في عددها الصادر بتاريخ ١٨-٣-١٩١٨.

٧٠- أمين سعيد: مصدر سابق. ص ٢٨٠.

٧١- القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني: مصدر سابق، ص ١٧٦.

٧٢- المصدر السابق: ص ١٧٦ و ١٧٧.

٧٣- روجيه غارودي: ملف إسرائيل، دراسة في الصهيونية السياسية.

ترجمة: الدكتور مصطفي كامل فودة، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٢، ص ٥٩ و ٦٠.

٧٤- معلومات الجدول عن كتاب: الدين والسياسة في إسرائيل، تأليف: عبد الفتاح محمد ماضي، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ص ٢٩.

٧٥- معلومات الجدول حسب إحصائيات حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين العربية.

٧٦- الأعمال الكاملة لأحاد هاعام باللغة العبرية، نقلاً عن روجيه غارودي، مصدر سابق، ص ٤٤.

الفصل الثاني

أوضاع الشعب العربي الفلسطيني

في القرن العشرين

في الواقع لم يكن القرن الميلادي العشرون هو قرن الشعب العربي الفلسطيني على الإطلاق، فقد خرج هذا الشعب من قبضة الاحتلال العثماني الذي دام نحو أربعة قرون ليقع مباشرة تحت نير الاستعمار البريطاني في العام الميلادي ١٩١٨، وخلال فترة الاستعمار البريطاني لفلسطين العربية التي استمرت ثلاثين عاماً (١٩١٨ – ١٩٤٨) سعت سلطات الاحتلال البريطاني بالتعاون مع المنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية إلى تهويد فلسطين العربية وإعدادها إعداداً سياسياً واقتصادياً وإدارياً بالطريقة التي تؤدي في النهاية إلى إنشاء الوطن القومي اليهودي فيها تطبيقاً لروح تصريح بلفور الصادر عن الحكومة البريطانية في العام الميلادي ١٩١٧.

ولقد ترك الشعب العربي الفلسطيني بمفرده ليقارع قوات أكبر إمبراطورية في العالم وقتئذ بكل إمكانياتها وجبروتها وبطشها إضافة إلى اليهودية العالمية، وقد قاوم الشعب العربي الفلسطيني المشروع الصهيوني الذي يرمي إلى اغتصاب أرض فلسطين العربية مقاومة باسلة وعنيدة أربكت قوات الاحتلال البريطاني وألقت الرعب والخوف في قلوب الصهاينة وكادت

أن تؤتي ثمارها وتدحر قوات الاحتلال البريطاني وتفشل المشروع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين العربية برمته.

وعندما أعلنت الحكومة البريطانية عن إنهاء انتدابها على فلسطين ليلة الخامس عشر من أيار / مايو من العام الميلادي ١٩٤٨، أعلن الصهاينة من جانبهم قيام دولة إسرائيل في فلسطين العربية، وكرد فعل لذلك دخلت سبعة جيوش عربية إلى فلسطين بهدف معلن هو تحريرها من الصهاينة، واندلعت الحرب العربية – الإسرائيلية الأولى والتي انتهت بهزيمة نكراء لمجموع الجيوش العربية في فلسطين واستيلاء الصهاينة على مساحة ٧٦,٤% من الأراضي الفلسطينية وتشريد الشعب الفلسطيني وتحويله إلى مجموعات من اللاجئين تهيم على وجه الأرض تبحث عن المأوى وما تسد به الرمق.

٣ – ا: جهاد شعب فلسطين:

في الحقيقة أن أي حركة نضال وكفاح وطني سواء كانت سلمية سياسية أو عسكرية مسلحة ضد الاستعمار الأجنبي والمحتل الغاشم هي في الواقع حركة تحرير وطنية شرعية وعادلة وليس لها أدنى صلة بالإرهاب من قريب أو من بعيد، فحركات التحرر الوطني في أي مكان من العالم التي تقدم الغالي والنفيس من أجل تحرير أوطانها التي ترزح تحت نير الاستعمار الأجنبي البغيض أو تلك التي تسعى إلى دحر المحتل الغاشم الجاثم فوق صدورها، وتقدم التضحيات تلو الأخرى من أجل حرية وسمو ورفعة أوطانها ليس من

العدل والإنصاف نعتها بالإرهاب ومساواتها بعصابات القتل والجريمة المنظمة المنتشرة في شتى بقاع الأرض كما يحدث في الوقت الراهن.

ولقد أدرك الشعب العربي الفلسطيني في وقت مبكر من عمر الصراع العربي ـ الإسرائيلي جوهر هذا الصراع وأبعاده على القضية الفلسطينية، فقد تنبأ المفكر اللبناني الكبير الأستاذ نجيب عازوري في مطلع القرن الميلادي العشرين، بالنتيجة النهائية لهذا الصراع في مقدمة كتابه الذي يحمل عنوان "يقظة الأمة العربية" الذي صدر في مدينة باريس في العام الميلادي ١٩٠٥ وجاء في مقدمته ما يلي :

"هناك حادثان هامان من طبيعة واحدة ولكنهما متعارضان وهما يقظة الأمة العربية والجهد اليهودي الخفي لإنشاء ملك إسرائيل وعلى مقياس أوسع، إن مصير هاتين الحركتين هو الصراع المستمر إلى أن تغلب إحداهما على الأخرى، ومصير العالم كله منوط بالنتيجة النهائية لهذا الصراع بين الشعبين اللذان يمثلان مبدأين متعارضين"(١).

إن في هذه الرؤية الفذة والثاقبة لأحداث الصراع العربي ـ الإسرائيلي مطلع القرن الميلادي العشرين هي في واقع الأمر جوهر هذا الصراع منذ أن كان وحتى يومنا هذا، فالحقيقة أنه على أرض فلسطين العربية

يوجد بالكاد مكان ومتسع لشعب واحد فقط، فإما العرب وحدهم على أرض فلسطين وإما اليهود فقط.

وعلى العكس تماماً مما تردده بعض المصادر المغرضة ومنها مصادر عربية للأسف من أن تصدى الشعب الفلسطيني للصهيونية بدأ متأخراً، ففي الواقع أن مقاومة الشعب الفلسطيني للمشروع الصهيوني على أرضه بدأت في وقت مبكر من الصراع العربي الإسرائيلي وتحديداً في الربع الأخير من القرن الميلادي التاسع عشر عندما كانت فلسطين العربية لا تزال ولاية عثمانية، واتخذ الاستيطان اليهودي فيها منحناً خطراً جداً تحت سمع وبصر السلطات العثمانية في فلسطين، إذ سارع زعماء الشعب الفلسطيني حينذاك برفع الأمر للسلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ – ١٩٠٩) يشكون إليه من تصرفات اليهود في فلسطين العربية ومساعدة السلطات العثمانية المحلية في فلسطين لهم وتغاضيها عن تجاوزاتهم المتكررة، فاستجاب السلطان العثماني عبد الحميد الثاني للمطالب العادلة والمشروعة لزعماء الشعب الفلسطيني وأمر بمنع الاستيطان اليهودي في فلسطين، ومنع أيضاً بيع الأراضي الفلسطينية الحكومية لليهود.

ومن الدراسات القليلة جداً التي تناولت قضية المقاومة الفلسطينية للمشروع الصهيوني في فلسطين العربية في العهد العثماني فيها منذ مطلع

الثمانينيات من القرن الميلادي التاسع عشر وحتى اندلاع الشرارة الأولى للحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨) تلك الدراستان اللتان قام بإعدادهما الباحث البريطاني اليهودي "نيفل ماندل" وقال فيهما ما يلي :

"من الخطأ الفادح ذلك الاعتقاد القائل بأن العرب خلال الفترة الممتدة منذ مطلع الثمانينيات من القرن التاسع عشر وحتى صدور تصريح بلفور تميزوا بالغفلة عن الصهيونية والأطماع اليهودية بفلسطين ولم تبدر أي مقاومة للهجرة اليهودية والمخطط الصهيوني إلا بعد أن ترامي إلى مسامعهم خبر التصريح البريطاني، ورأوا أمانيهم تتلاشى أمام الانتداب البريطاني الذي جرى فرضه على فلسطين وسائر البلاد العربية بعد أن أدت الحرب العالمية الأولى إلى انقسام الولايات العربية التي كانت تابعة للإمبراطورية العثمانية المنهار" (٢).

وقد وضح "نيفل ماندل" في دراسته أن الشعب العربي الفلسطيني كان في حالة هياج وغليان وثورة بسبب الاستيطان اليهودي على أرضه، وتكررت شكاويه للسلطات المركزية العثمانية في إستانبول عن طريق نواب القدس ودمشق في البرلمان العثماني. وما أن علم زعماء الحركة الوطنية الفلسطينية الذين كانت السلطات العثمانية قد نفتهم إلى خارج البلاد بخبر تصريح بلفور بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى حتى قاموا برفع مذكرة عاجلة

بتاريخ الثاني عشر من كانون الأول / ديسمبر من العام الميلادي ١٩١٨ إلى هيئة مؤتمر السلام المزمع عقده في العام الميلادي ١٩١٩ عقب انتهاء العمليات العسكرية في الحرب العالمية الأولى، ومذكرة أخرى إلى وزارة الخارجية البريطانية معبرين عن استيائهم الشديد من تصريح بلفور واحتجاجهم البالغ على هذا التصريح ومعارضتهم له، مضمنين المذكرة تمسكهم بالحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني.

وبدلاً من تقوم الحكومة البريطانية بإنصاف الشعب الفلسطيني وتعطيه حقوقه المشروعة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وبخاصة أن الشعب العربي الفلسطيني قضى نحو أربعة قرون كاملة تحت الاحتلال العثماني، إلا أن الحكومة البريطانية وضعت فلسطين تحت الحكم العسكري البريطاني الذي استبدلته بإدارة مدنية في العام الميلادي ١٩٢٠ ووضعت على رأسها السياسي البريطاني اليهودي "هربرت صموئيل"، وهو من عتاة الصهاينة والذي باشر منذ توليه مهام منصبه بوضع فلسطين العربية في ظروف سياسية واقتصادية وإدارية من شأنها تهويد فلسطين وتحويلها في نهاية المطاف إلى دولة يهودية.

وفي العام الميلادي ١٩٢٢ وضعت الحكومة البريطانية فلسطين العربية تحت الانتداب البريطاني دون موافقة أهلها ولا حتى بعلمهم أو

استشارتهم، ثم صادق مجلس عصبة الأمم على مشروع انتداب بريطانية على فلسطين ووضعته حيز التنفيذ في العام الميلادي ١٩٢٣ رغم أنه يتعارض مع ميثاقها وبخاصة المادة رقم (٢٢) من هذا الميثاق.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ووقوع فلسطين العربية في قبضة الاحتلال البريطاني لم يكن الشعب الفلسطيني أحسن حالاً من بقية الشعوب العربية، فهو كان شعباً أعزلاً ويعاني من نقص خطير في الأسلحة والكوادر العسكرية المدربة، فهو خرج من الاحتلال العثماني لأراضيه صفر اليدين، إذ لم يكن لدى هذا الشعب جيش وطني ولا قوات شرطة عربية ولا قوات حرس حدود عربية لأن السلطان العثمانية كانت تمنع هذا من منطلق أنها هي المنوط بها حماية أمن فلسطين وحدودها، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى والاحتلال البريطاني لفلسطين، اتخذت السلطات البريطانية إجراءات قاسية ووحشية لمنع الشعب الفلسطيني من امتلاك الأسلحة والذخائر والعتاد الحربي.

وبالرغم من جميع الإجراءات القمعية البريطانية ضد أبناء الشعب الفلسطيني، فقد تأجج الكفاح والنضال الوطني الفلسطيني ضد قوات الاحتلال البريطاني والمستوطنين الصهاينة معاً. وسار نضال الشعب الفلسطيني السياسي جنباً إلى جنب مع جهاده العسكري حتى يومنا هذا،

بالرغم من الإمكانيات المتواضعة جداً لهذا الشعب. وسنتناول هنا جهاد الشعب العربي المسلح ضد الاحتلال البريطاني والعصابات الصهيونية المسلحة مع التطرق لبعض الأحداث السياسية التي صاحبت هذا الجهاد عندما يتطلب الأمر ذلك.

انتفاضات وثورات الشعب العربي الفلسطيني :

اندلعت في فلسطين العربية الكثير من الانتفاضات والثورات المسلحة ضد قوات الاحتلال البريطاني والعصابات الصهيونية المسلحة إضافة إلى الآلاف من العمليات العسكرية الفردية ضدهم، ولقد كانت أولى هذه الثورات في العام الميلادي ١٩٢٠ عندما تأكد الشعب العربي الفلسطيني من نوايا الحكومة البريطانية الغادرة نحوه، ونذكر هنا بإيجاز أهم هذه الثورات والانتفاضات على سبيل المثال فقط :

أولاً: انتفاضة موسم النبي موسى :

في العام الميلادي ١٩٢٠ اندلعت أولى الانتفاضات المسلحة للشعب العربي الفلسطيني ضد قوات الاحتلال البريطاني والعصابات الصهيونية المسلحة، وقد عرفت هذه الانتفاضة باسم انتفاضة موسم النبي موسى، إذ أنه كان من عادة الشعب الفلسطيني أن يحتفل المسلمون في كل عام بهذه المناسبة في مدينة القدس، وقد أدى الاحتفال بموسم عام ١٩٢٠ الميلادي إلى ثورة شعبية عارمة في مدينة القدس كان من جرائها سقوط عدد من الشهداء

والجرحى العرب إضافة إلى عدد من القتلى والجرحى في صفوف الجيش البريطاني والصهاينة. وسرعان ما عمت الثورة الشعبية الفاضبة جميع أرجاء فلسطين ولم تهدأ إلا بعد حين من الزمن، وفي أعقاب انتفاضة موسم النبي موسى بمدينة القدس شكلت سلطات الاحتلال البريطاني لجنة عسكرية للتحقيق في أسباب انتفاضة موسم النبي موسى، وقد عرفت هذه اللجنة "بالين العسكرية"، وجاء في التقرير النهائي لهذه اللجنة أن أسباب انتفاضة موسم النبي موسى في مدينة القدس ترجع لما يلي :

١ – حماس أبناء الشعب الفلسطيني لتأسيس المملكة السورية المتحدة التي تضم سورية وفلسطين ولبنان ويجلس على عرشها الأمير فيصل بن الحسين النجل الأصغر للشريف حسين بن علي أمير مكة الذي أشعل نيران الثورة العربية الكبرى ضد السلطات العثمانية في العام الميلادي ١٩١٦.

٢ – يأس عرب فلسطين من الوعود المتعلقة بمنحهم الاستقلال.

٣ – اعتقاد الشعب الفلسطيني أن تصريح بلفور هو في الواقع اعتداء على حقوقه المشروعة والثابتة في أرضه.

إلا أن سلطات الاحتلال البريطاني في فلسطين لم يعر تقرير لجنة بالين العسكرية للتحقيق أي اهتمام من جانبها.

ثانياً: ثورة مدينة يافا :

في العام الميلادي ١٩٢١ اندلعت الثورة الشعبية في مدينة يافا الفلسطينية، أما أسباب هذه الثورة فكانت كما يلي :

١ – استياء الشعب الفلسطيني من تصريح بلفور.

٢ – استياء أبناء الشعب الفلسطيني من الهجرة اليهودية على فلسطين العربية.

٣ – مزاحمة الصهاينة للفلسطينيين في أرضهم وممتلكاتهم وبلادهم.

٤ – الانحياز البريطاني التام لليهود في فلسطين العربية في كافة المجالات.

بدأت ثورة مدينة يافا بمهاجمة مكتب الهجرة اليهودية في المدينة، ثم هوجمت المستعمرات اليهودية في محيط مدينة يافا، وامتدت العمليات الحربية الفلسطينية شمالاً لتطال المستعمرات اليهودية في محيط مدينة طولكرم، فسارعت قوات الاحتلال البريطاني في فلسطين لنجدة العصابات الصهيونية وحشدت قوات ضخمة لقمع ثورة الشعب الفلسطيني في مدينة يافا، واستعانت ببارجتين حربيتين بريطانيتين وصلتا إلى ميناء حيفا الفلسطيني للمشاركة في قمع الثورة في مدينة يافا، فعمت الثورة الشعبية التي استمرت خمسة عشر يوماً معظم القرى والمدن الفلسطينية، وقد استشهد في هذه الثورة ٥٠ فلسطينياً وجرح ٧٥ غيرهم سقط معظمهم برصاص القوات البريطانية، أما من الجانب اليهودي فقد قتل ٥٠ يهودياً وجرح ١٥٠ آخرين.

وفي أعقاب ثورة مدينة يافا شكلت سلطات الاحتلال البريطـاني في فلسطين لجنة في التحقيق في أسباب ثورة مدينة يافا، وقد رأس هذه اللجنـة كبيرة قضاة فلسطين المدعو "توماس هيكرافت" وبعد انتهاء التحقيق أرجعت لجنة هيكرافت للتحقيق في تقريرها النهائي أسباب ثـورة مدينـة يافـا لمـا يلي :

١ – معارضة الشعب الفلسطيني للصهيونية.

٢ – معارضة الشعب الفلسطيني لسياسة الحكومة البريطانية الموجهة غالبـاً نحو إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين، وليست موجهة إطلاقاً لمنفعة ومصلحة الشعب الفلسطيني.

٣ – عدم رضا الشعب الفلسطيني عن المركز الممتاز التي تتمتع به المنظمـة الصهيونية في فلسطين والذي يجعلها بمثابة حكومة داخل حكومة الانتـداب البريطاني في فلسطين.

٤ – معارضة الشعب الفلسطيني لتدفق اليهود الغرباء عن فلسطين وبأعداد كبيرة على مرأى ومسمع وعلم قوات الاحتلال البريطاني في فلسطين، الأمر الذي يشكل خطراً رهيباً على مستقبل ومصير الشعب الفلسطيني بل وعلـى وجوده في وطنه.

وقد أوصت لجنة توماس هيكرافت في تقريرها بضرورة حماية الشعب الفلسطيني وإزالة مخاوفه، إلا أن سلطات الاحتلال البريطاني وكعادتها لم تعطِ أي اعتبار من جانبها لتوصيات لجنة توماس هيكرافت للتحقيق.

ثالثاً: ثورة البراق:

في العام الميلادي ١٩٢٩ شبت في مدينة القدس ثورة البراق بسبب محاولة الصهاينة استفزاز مشاعر المسلمين أمام حائط البراق الذي يشكل جزءاً لا يتجزأ من الحائط الغربي للحرم القدسي الشريف، وخلق واقع جديد في المدينة المقدسة، فما كان من الجماهير الفلسطينية الغاضبة إلا أن هاجمت جميع المواقع اليهودية في مدينة القدس، وبعد ساعات قليلة عمت الثورة الشعبية فلسطين بأسرها، فهرعت قوات الاحتلال البريطاني إلى حماية المستعمرات اليهودية واستدعت قوات بريطانية إضافية من مصر يدعمها سرب من الطائرات الحربية مكون من ثلاثة عشر طائرة حربية لقمع ثورة البراق، ووزعت كميات كبيرة من الأسلحة على الصهاينة، وأحكمت إغلاق الحدود الفلسطينية بالتعاون مع قوات الاحتلال الفرنسي في سورية لمنع وصول الأسلحة والذخائر والمساعدات للشعب الفلسطيني من سورية، وبالرغم من ذلك لم تفلح الإجراءات القمعية البريطانية في إيقاف ثورة البراق، وحسب الإحصاءات الرسمية البريطانية فقد استشهد ١١٦ فلسطينياً برصاص القوات

البريطانية وجرح ٢٤٠، أما اليهود فقد قتل منهم ١٣٥ شخصاً وقع معظمهم في مدينة الخليل، وجرح ٣٤٠ يهودياً.

وكعادتها بادرت قوات الاحتلال البريطاني في فلسطين إلى تشكيل العديد من لجان التحقيق في أسباب ثورة البراق وكأنها لا تعرف هذه الأسباب دون أن تحاول السلطات البريطانية الأخذ ولو لمرة واحدة بنصائح لجان التحقيق وتوصياتها، وقد كانت أولى لجان التحقيق هي لجنة (والتر شو) للتحقيق، وكانت الثانية هي لجنة (جون هوب سمبسون)، ثم شكلت عصبة الأمم لجنة (البراق الدولية)، وأخيراً أصدرت الحكومة البريطانية الكتاب الأبيض للعام الميلادي ١٩٣٠.

أ – لجنة "والتر شو" للتحقيق :

أرسلت الحكومة البريطانية إلى فلسطين لجنة للتحقيق في أسباب ثورة البراق برئاسة والتر شو وعضوية ثلاثة نواب من أعضاء البرلمان البريطاني يمثلون الأحزاب السياسية الرئيسية في بريطانية، وقد أرجعت لجنة والتر شو للتحقيق أسباب ثورة البراق إلى ما يلي :

١ – عداء الشعب الفلسطيني للصهاينة وتخوفهم من أن يسيطروا على فلسطين.

٢ – انحياز بريطانية السافر لليهود في فلسطين.

٣ – استمرار الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

٤ – مخالفة اليهود للاتفاق الذي نص عليه الكتاب الأبيض للعام الميلادي ١٩٢٢.

وأوصت لجنة والتر شو للتحقيق حكومة الانتداب البريطاني في تقريرها النهائي بالتالي :

١ – ضرورة مراعاة مصالح عرب فلسطين.

٢ – ضرورة إعادة النظر في قوانين انتزاع الأراضي من أصحابها العرب.

٣ – ضرورة الحد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

٤ – ضرورة تشكيل لجنة دولية من عصبة الأمم للبت في الصراع العربي – اليهودي حول حائط البراق.

ب – لجنة جون هوب سمبسون الفنية :

أرسلت الحكومة البريطانية ثاني لجان التحقيق إلى فلسطين وهي لجنة جون هوب سمبسون الفنية المتخصصة في شؤون الأراضي والهجرة والسكان والإسكان، وقد عارض الخبير البريطاني "جون هوب سمبسون" استمرار الهجرة اليهودية إلى فلسطين لأنها تضر بمصالح الشعب الفلسطيني، وأوصى هذا الخبير في تقريره إرسال لجنة تنمية إلى فلسطين لدراسة سبل تطوير الزراعة فيها، ووسائل الاهتمام بالمزارعين الفلسطينيين الذين سادت البطالة بينهم بسبب انتزاع أراضيهم منهم بموجب قوانين انتزاع الأراضي البريطاني.

جـ- لجنة البراق الدولية :

بناءً على توصيات لجنة "والتر شو" للتحقيق شكلت عصبة الأمم لجنة أطلق عليها اسم لجنة البراق الدولية للتحقيق في ملكية حائط البراق المتنازع عليها بين العرب واليهود، وجاء التقرير النهائي لهذه اللجنة مخيباً لآمال الإنجليز واليهود معاً، إذ أعلنت لجنة البراق الدولية في تقريرها ما يلي :

١ - أن ملكية حائط البراق والرصيف المقابل له تعود للمسلمين وحدهم.

٢ - أن زيارة اليهود لحائط البراق يجب أن تتم على الصورة التي كانت عليها في العهد العثماني، أي قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى.

د- الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٠ :

انتهى التحقيق في ثورة البراق بإصدار الحكومة البريطانية للكتاب الأبيض للعام الميلادي ١٩٣٠، وقد جاءت نصوص هذا الكتاب متناقضة جداً ولم تكن أبداً في صالح العرب حسب توصيات لجان التحقيق المتتالية.

رابعاً: انتفاضة العام الميلادي ١٩٣٣ :

أدرك الشعب الفلسطيني أنه لولا الانحياز البريطاني الكامل للعصابات الصهيونية ما كان بإمكان هذه العصابات أن تصل إلى ما وصلت إليه في فلسطين العربية، فقرر قادة الجهاد الفلسطيني نزولاً عند رغبة الشعب الفلسطيني توجيه كفاحهم المسلح ضد القوات البريطانية بعد أن كان موجهاً

في الأساس للعصابات الصهيونية، وفي العام الميلادي ١٩٣٣ خرجت تظاهرة شعبية في المسجد الأقصى في مدينة القدس بعد صلاة الجمعة وسار في مقدمتها الزعيم الوطني الفلسطيني موسى كاظم باشا الحسيني للتعبير عن رفض الشعب الفلسطيني للوجود البريطاني واليهودي في فلسطين العربية، فقامت القوات البريطانية بالتصدي لهذه التظاهرة وأطلقت عليها نيران كثيفة مما أدى إلى حدوث اشتباك مسلح مع أبناء الشعب الفلسطيني أسفر عن سقوط العشرات من القتلى والجرحى من الطرفين، ثم دعت اللجنة التنفيذية للمؤتمر الوطني الفلسطيني إلى تظاهرة أخرى في مدينة يافا، فتصدت لها القوات البريطانية بوابل من النيران، واعتدت بالضرب الهمجي على الزعيم الوطني الفلسطيني موسى باشا كاظم الحسيني وهو شيخ هرم في التسعين من العمر، وأصيب بإصابات خطرة ظل يعاني منها حتى توفاه الله تعالى، كما وأن القوات البريطانية اعتدت بالضرب المبرح على عدد كبير من الزعماء الفلسطينيين.

خامساً: ثورة الشيخ عز الدين القسام:

في العام الميلادي ١٩٣٥ اندلعت الثورة الشعبية التي قادها الشيخ المجاهد عز الدين القسام[٢] في منطقة المثلث "نابلس ــ جنين ــ طولكرم" الذي كان يعرف باسم "مثلث الرعب"، وقد قام الثوار الفلسطينيين بعمليات

حربية واسعة النطاق ضد قوات الاحتلال البريطاني والعصابات الصهيونية المسلحة وألقت الخوف والرعب في قلوبهم وكبدتهم خسائر فادحة في الأرواح والأسلحة والعتاد الحربي، وفي نهاية المطاف تمكنت قوات بريطانية ضخمة من محاصرة الشيخ عز الدين القسام وعدد من رفاقه في أحراج يعبد القريبة من مدينة جنين، ودارت هناك معركة عسكرية رهيبة استشهد خلالها الشيخ عز الدين القسام وأربعة من رفاقه وأسر بقية الثوار بعد نفاذ ذخيرتهم.

سادساً: الثورة الفلسطينية الكبرى:

ما أن تنفست سلطات الانتداب البريطاني في فلسطين الصعداء بعد قتلها للشيخ المجاهد عز الدين القسام وقضاؤها على ثورته المسلحة التي أربكت قوات الاحتلال البريطاني في فلسطين وأقلقتها بشكل جدي وخطير، حتى انطلقت الثورة الكبرى في فلسطين العربية والتي دامت ثلاث سنوات كاملة (١٩٣٦ – ١٩٣٩)، وفور اندلاع الشرارة الأولى للثورة الفلسطينية الكبرى اجتمعت الأحزاب السياسية الفلسطينية واختارت من بينها أعضاء اللجنة العربية العليا لفلسطين برئاسة سماحة الحاج أمين الحسيني، وهذه اللجنة هي التي قادت الحركة الوطنية الفلسطينية بصورة موحدة حتى العام الميلادي ١٩٤٨.

وقد بدأت الثورة الفلسطينية الكبرى في العام الميلادي ١٩٣٦ بإضراب عام شل جميع مرافق وأوجه الحياة تقريباً في فلسطين بأسرها،

واستمر هذا الإضراب لمدة ستة شهور كاملة، وصاحب الإضراب عمليات عسكرية جهادية واسعة النطاق طالت جميع أرجاء فلسطين ضد القوات البريطانية والعصابات الصهيونية المسلحة، فقد هاجم المجاهدون الفلسطينيون المستعمرات اليهودية في شتى أرجاء فلسطين، وهاجموا معسكرات الجيش البريطاني ومخازنه ومراكز اتصالاته، ودمروا خطوط السكك الحديدية والجسور وطرق إمداد الجيش البريطاني، ومطاراته واسقطوا الكثير من طائراته العسكرية، وعطلوا البث الإذاعي في محطة إذاعة القدس، ودمروا شبكات الهاتف وشبكات المياه التي تموّل المستعمرات اليهودية، ودارت بينهم وبين القوات البريطانية معارك طاحنة على جبهات يصل طولها أحياناً إلى عشرين كيلو متراً.

ومن جراء بسالة وشجاعة ثوار فلسطين وضراوة ثورتهم، جن جنون سلطات الاحتلال البريطاني في فلسطين، وحشدت قوات عسكرية ضخمة لقمع الثورة الفلسطينية الكبرى بلغ قوامها أربعون ألف جندياً بريطانياً، واستعانت بقوات إضافية أخرى أتت لها على عجل من شرقي الأردن ومصر وجزيرة مالطة تدعمها أسراب من الطائرات الحربية القاصفة، وألوية من الدبابات والعربات المدرعة، وانضم للقوات البريطانية العاملة في فلسطين في حربها مع المجاهدين الفلسطينيين نحو عشرين ألف مقاتلاً

يهودياً، وقد أسندت قيادة القوات البريطانية ــ اليهودية المتحالفة للجنرال البريطاني "جون ديل".

وبالرغم من تلك الحشود العسكرية البريطانية واليهودية إلا أن سلطات الاحتلال البريطاني في فلسطين الكبرى أو الحد من ضراوتها، وقد كانت هذه الثورة قاب قوسين أو أدنى من تحقيق أهدافها وتدحر المحتل البريطاني من فلسطين وتفشل المشروع الصهيوني فيها نهائياً، وفي نهاية الأمر لجأت الحكومة البريطانية للملوك والأمراء العرب للتدخل لدى قادة الجهاد الفلسطيني لإيقاف الثورة والتخلي عن سياسة الجهاد، واعدة قادة الجهاد الفلسطيني بإرسال لجنة ملكية إلى فلسطين العربية للنظر في مطالب الشعب الفلسطيني فسارع الأمراء والملوك العرب بتوجيه نداء إلى الشعب الفلسطيني وقادته تطلب منهم الكف عن القتال والإخلاد للسكينة إلى أن تحقق لهم الحكومة البريطانية مطالبهم العادلة !

وبعد ثلاث سنوات من القتال الضاري لم يكن بإمكان الثورة الفلسطينية الكبرى أن تستمر متأججة وضارية أطول من ذلك للأسباب التالية :

١ – العجز الخطير في الأسلحة والذخائر والعتاد الحربي لدى القوات الفلسطينية، مع عدم المقدرة على تعويض ما تخسره هذه القوات من أسلحة وذخائر بالسرعة والنوعية المطلوبة.

٢ – سعي الحكومة البريطانية على تهدئة الأوضاع الأمنية في فلسطين من أجل كسب مودة الشارع العربي وكسب تأييده حتى تتفرغ هي لمعارك الحرب العالمية الثانية.

٣ – عدم وصول الدعم العسكري والمادي المتوقع من الدول العربية والإسلامية أسوة بالصهاينة الذين كان يدعمهم العالم الغربي كله.

٤ – الحالة الاقتصادية البائسة جداً التي وصلت إليها حالة الشعب العربي الفلسطيني بعد ثورة ضارية استمرت ثلاث سنوات أكلت الأخضر واليابس وتوقفت خلالها جميع مصالح وأشغال الشعب الفلسطيني وصناعته وزراعته وتجارته.

٥ – إحكام الجيش البريطاني لإغلاق الحدود الفلسطينية ـ السورية بالتعاون مع قوات الاحتلال الفرنسي في سورية، وبذلك توقفت المساعدات العسكرية التي كانت تأتي لثوار فلسطين من سورية.

٦ – تفاؤل العرب مما ورد في الكتاب الأبيض للعام الميلادي ١٩٣٩ الصادر عن الحكومة البريطانية، والذي احتوى على ما يلي :

أ – إمكانية إعطاء فلسطين استقلالها.

ب – الحد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

جـ – منع انتقال الأراضي الفلسطينية إلى أيدي اليهود.

وبجميع المقاييس يعتبر ما ورد في الكتاب الأبيض للعام الميلادي ١٩٣٩ انتصاراً للثورة الفلسطينية كما كان يعتقد البعض، إلا أن الموقف الحقيقي للحكومة البريطانية كان موقفاً خبيثاً ومخادعاً، فهي ما قصدت من الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ سوى تخدير مشاعر العرب، وحمل قادة الثورة الفلسطينية الكبرى على إلقاء السلاح والكف عن الأعمال الحربية والجنوح للسلم استجابة للنداءات المتتالية من الأمراء والملوك العرب انتظاراً لحل بريطاني منصف وعادل للقضية الفلسطينية.

وكعادتها الأزلية أرسلت الحكومة البريطانية لجان التحقيق الواحدة تلو الأخرى إلى فلسطين العربية للتحقيق في أسباب اندلاع الثورة الفلسطينية الكبرى، فوصلت إلى فلسطين بادئ ذي بدء لجنة "بيل الملكية" للتحقيق التي أرجعت في تقريرها أسباب الثورة الفلسطينية الكبرى (١٩٣٦ – ١٩٣٩) إلى ما يلي :

١ – عدم ثقة الشعب الفلسطيني بالحكومة البريطانية.

٢ – رغبة الشعب الفلسطيني في نيل استقلال بلاده أسوة بعرب سورية والعراق ومصر.

٣ – غضب الشعب الفلسطيني من نفوذ الوكالة اليهودية في فلسطين والتي تعتبر حكومة داخل حكومة الانتداب البريطاني معترف بها من السلطات البريطانية.

أوصت لجنة "بيل الملكية" للتحقيق في تقريرها النهائي بضرورة تقسيم فلسطين إلى دولتين بين العرب واليهود ــ الأولى عربية أما الثانية فهي دولة يهودية. ولدراسة مشروع تقسيم فلسطين الذي أوصت به لجنة بيل الملكية للتحقيق أرسلت الحكومة البريطانية لجنة فنية إلى فلسطين هي لجنة "وودهيد الفنية" التي اقترحت ثلاثة مشاريع لتقسيم فلسطين بين العرب واليهود، ولقد مضى وقت طويل التزمت فيه بريطانية الصمت المطبق حيال مشاريع تقسيم فلسطين، ثم أصدرت الكتاب الأبيض الميلادي ١٩٣٩ الذي طرحت فيه إمكانية منح فلسطين استقلال والحد من الهجرة اليهودية إليها ومنع انتقال الأراضي الفلسطينية لليهود.

سابعاً: قوات الجهاد المقدس الفلسطينية :

بعد صدور قرار تقسيم فلسطين عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في التاسع والعشرين من تشرين الثاني / نوفمبر من العام الميلادي ١٩٤٧، أسست الهيئة العربية العليا لفلسطين[٤] برئاسة سماحة الحاج أمين الحسين قوات الجهاد المقدس الفلسطينية للدفاع عن فلسطين العربية ضد

مشروع تقسيم فلسطين الأعمى، وقد أسندت قيادة هذه القوات للمجاهد الفلسطيني الكبير عبد القادر الحسيني، ولقد كانت هناك صعوبات مالية جمة في إعداد هذه القوات وتسليحها وإمدادها بالذخائر والمعدات الحربية، وفي نهاية المطاف تمكنت الهيئة العربية العليا لفلسطين من إعداد خمسة آلاف مقاتلاً على أحسن تقدير. وبالرغم من قلة عدد القوات الفلسطينية وتواضع تدريبها وتسليحها، إلا أنها أبلت بلاءً حسناً في ميادين القتال، وكبدت الصهاينة خسائر فادحة في الأرواح والأسلحة والعتاد الحربي، واستطاعت هذه القوات الاحتفاظ بمعظم الأراضي الفلسطينية تحت سيطرتها لحين دخول الجيوش العربية إلى فلسطين في الخامس عشر من أيار / مايو من العام الميلادي ١٩٥٨.

وقد قال أحد مؤرخي القضية الفلسطينية وهو المؤرخ الكبيرة "عارف العارف" عن قوات الجهاد المقدس الفلسطينية ما يلي :

"وما ذكر الناس قوات الجهاد المقدس الفلسطينية كما ذكروها بعد أن دخلت الجيوش العربية إلى فلسطين وتولت مهمة القتال وانتهت إلى ما انتهت إليه من فشل ذريع. ورغم أن مجال العمل أمام هذه القوات قد ضاق بعد دخول الجيوش العربية إلى فلسطين، فقد ظلت هذه القوات قائمة إلى أن

صدر الأمر بحلها من عمان، وقد حدث هذا في الثامن عشر من كانون الثاني / يناير عام ١٩٤٩م[٤].

ثامناً: العمليات العسكرية للفدائيين الفلسطينيين :

في مطلع الخمسينيات من القرن الميلادي العشرين انطلقت من قطاع غزة الذي كان وقتئذٍ تحت إشراف الإدارة المصرية، العمليات العسكرية للفدائيين الفلسطينيين الذين كان يقودهم الضابط المصري الشهيد المقدم مصطفى حافظ، ولقد أوقعت هذه العمليات الفدائية الذعر والرعب والخوف بين سكان المستعمرات اليهودية الواقعة جنوبي فلسطين المحتلة، وأقلقت هذه العمليات القيادة السياسية والعسكرية الإسرائيلية وأربكتها، فما كان من المخابرات الإسرائيلية إلا أن أقدمت على اغتيال المقدم مصطفى حافظ قائد المجموعات الفدائية الفلسطينية بواسطة طرد ملغم أرسلته على عنوانه، ومما هو جدير بالذكر أن هذه العمليات العسكرية للفدائيين الفلسطينيين كانت سبباً رئيسياً ومباشراً من أسباب إسراع إسرائيل في الاشتراك في العدوان الثلاثي على مصر في العام الميلادي ١٩٥٦ إلى جانب بريطانية وفرنسة، أما الأسباب الأخرى للعدوان الثلاثي على مصر فكان أهمها تأميم الرئيس جمال عبد الناصر للشركة البحرية لقناة السويس ودعمه لثوار الجزائر في حربهم لنيل الاستقلال عن فرنسا.

تاسعاً: المقاومة الفلسطينية المعاصرة :

في مطلع كانون الثاني / يناير من العام الميلادي ١٩٥٦. أصدرت حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) بلاغها الأول عن عمليات عسكرية نفذتها وحداتها المسلحة ضد الصهاينة في فلسطين العربية معلنة بذلك بداية المقاومة الفلسطينية المعاصرة ضد إسرائيل. وفي المذكرة التي قامت برفعها حركة فتح إلى مؤتمر القمة العربية الثالث الذي عقد في مدينة الدار البيضاء في عام ١٩٦٥، حددت حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) برنامجها الكفاحي لتحرير فلسطين من الصهاينة في النقاط التالية :

أولاً: الإيمان الجازم بأن الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين.

ثانياً: إيمان الحركة بأن الشعب العربي بأسره هو مادة الكفاح المسلح.

ثالثاً: اعتقاد الحركة بأن الزمن يعمل لصالح العدو، وأن المعركة يجب أن تكون اليوم وليس غداً.

رابعاً: أن معركة تحرير فلسطين سوف تؤدي إلى حل التناقضات القائمة في العالم العربي، كما وأن حرب التحرير، هي وحدها الكفيلة بتوحيد الأمة وإذابة الشقوق والصدوع في بنيانها.

خامساً: استعداد الحركة للتنسيق والتعاون مع أي جهة فلسطينية أو عربية تعمل أو تنوي العمل من أجل تحرير، واشتراطها في ذلك :

أ – أن يكون اللقاء في أرض المعركة.

ب – إبقاء القيادة في يد الشعب الفلسطيني وفي منأى عن الخصومات والتيارات السياسية التي تتنازع العالم العربي[٦].

ولكن المقاومة الفلسطينية المعاصر للكيان الصهيوني الغاصب في فلسطين العربية لم تبرز واضحة وجلية للعيان إلا عقب العدوان الإسرائيلي على الدول العربية في الخامس من حزيران / يونيو من العام الميلادي ١٩٦٧ في صورة الأعمال الفدائية الفلسطينية التي قادتها كافة التنظيمات الفلسطينية المسلحة، ونظراً لتعدد التنظيمات الفلسطينية المسلحة العاملة في مجال العمل الفدائي ضد إسرائيل، تعالت الأصوات والدعوات للوحدة بين هذه التنظيمات، وقد عقدت معظم التنظيمات الفلسطينية المسلحة مؤتمراً في عام ١٩٦٨، وقررت فيه تلك التنظيمات ما يلي :

أولاً: تشكيل مجلس عسكري للمنظمات المجتمعة مهمته الإشراف على جميع الشؤون العسكرية تخطيطاً وتنسيقاً.

ثانياً: اتفق على توحيد الفرق العسكرية التالية :

١ – الجناح العسكري في جبهة تحرير فلسطين (ج. ت. ف).

٢ – الجناح العسكري في حركة الشباب الثوري الفلسطيني.

٣ – الجناح العسكري للهيئة العامة لدعم الثورة.

٤ – الجناح العسكري لحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح).

وأن تصدر البلاغات العسكرية الخاصة بهذه الفرق باسم "قوات العاصفة".

كما اتفق على توحيد المنظمات العسكرية الفلسطينية التالية :

٥ – الجناح العسكري لجبهة ثوار فلسطين.

٦ – الجناح العسكري لطلائع حرب التحرير الشعبية.

٧ – الجناح العسكري لجبهة التحرير الشعبية الفلسطينية.

وأن تصدر جميع البلاغات العسكرية الخاصة بها باسم "قوات العاصفة" (٧).

وقد تبنى هذا المؤتمر التأكيد على الوحدة الوطنية، والتشديد على ما يلي :

١ – اعتبار الكفاح بمثابة الطريق الوحيد لتحرير فلسطين، فهو يعتمد على الشعب الفلسطيني كأساس. وعلى الشعب العربي كمركز كبير للتنفس من خلاله تدريباً وإعداداً وإمداداً ومشاركة.

٢ – رفض كل حل لا يؤدي إلى تصفية الكيان الصهيوني المحتل في فلسطين، ورفض كل المشاريع الرامية إلى تصفية القضية الفلسطينية أو تدويلها أو فرض الوصاية على شعبنا من قبل أية جهة.

٣ – العمل على إبراز الشخصية الفلسطينية بمحتواها النضالي الثوري في الحقل الدولي.

٤ – اعتبار الكفاح المسلح إستراتيجية وليس تكتيكاً، واعتبار الثورة المسلحة والشعب العربي الفلسطيني عاملاً حاسماً في معركة التحرير وتصفية الوجود الصهيوني، وبالتالي: لن يتوقف هذا الكفاح المسلح إلا بالقضاء على مصدر العدوان وتحرير فلسطين كلها.

٥ – مناشدة الدول الصديقة والقوى التحررية في العالم استنكار الاحتلال الصهيوني الذي يستخدم الأساليب النازية البربرية والمذابح الجماعية ضد شعبنا المناضل، ودعوة هذه الدول والقوى إلى مساندة كفاح الشعب الفلسطيني العادل في تقرير مصيره.

٦ – مناشدة الدول العربية الشقيقة في المغرب العربي بنوع خاص أن تقف في وجه الهجرة اليهودية التي تدبرها الحركة الصهيونية إلى بلادنا فلسطين[٨].

وفي الثامن عشر من شباط / فبراير عام ١٩٦٨، أصدرت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بياناً أعلنت فيه تشكيل قيادة عسكرية

موحدة أطلق عليها اسم "قيادة الكفاح المسلح" بهدف توحيد الجهد العسكري الفلسطيني، وقد بلغ عدد المنظمات الفلسطينية التي انضمت تحت لواء قياد الكفاح المسلح حتى عام ١٩٧١ إحدى عشر منظمة، إلا أن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ظلت خارج إطار قيادة الكفاح المسلح، ولكن الظروف التي مرت بالمقاومة الفلسطينية أدت إلى إنشاء هيئة موحدة أخرى في أوائل عام ١٩٧٠ هي "القيادة الفلسطينية الموحدة" ضمت منظمات قيادة الكفاح المسلح والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وقد أدت أحداث الأردن في عام ١٩٧٠ إلى توحيد جميع المنظمات الفلسطينية تحت رئاسة الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات.

ولقد اتخذت المقاومة الفلسطينية من المملكة الأردنية الهاشمية ثم من الجمهورية اللبنانية مسرحاً لنشاطها :

أ - العمليات الفدائية الفلسطينية من الأردن :

عقب انتهاء الحرب العربية ــ الإسرائيلية في عام ١٩٦٧، اندلعت حرب العصابات الفلسطينية ضد إسرائيل من أراضي الضفة الشرقية لنهر الأردن في المملكة الأردنية الهاشمية، وقد اشترك في تلك الحرب جميع فصائل المقاومة الفلسطينية باختلاف عقائدها وأيديولوجياتها واتجاهاتها، ولو أن البعض يأخذ عليها أنها لم تكن بمجمعها اتحاداً حقيقياً وفاعلاً فضلاً على أنها أقحمت نفسها في قضايا بعيدة كل البعد عن هدفها الأساسي، ولقد انتهى

الأمر بالمقاومة الفلسطينية في الأردن إلى ما انتهى إليه من القتال بين القوات الفلسطينية والجيش العربي الأردني، ثم خروج المقاومة الفلسطينية من المملكة الأردنية الهاشمية إلى لبنان.

ب - المقاومة الفلسطينية في لبنان:

بعد خروج المقاومة الفلسطينية من المملكة الأردنية الهاشمية، انتقلت إلى الجمهورية اللبنانية، ومن الجنوب اللبناني عاودت المقاومة الفلسطينية نشاطها العسكري ضد المستعمرات الصهيونية في شمالي الأراضي الفلسطينية المحتلة، وكنتيجة للعمليات العسكرية الفلسطيني اجتاح الجيش الإسرائيلي في عام ١٩٨٢ الأراضي اللبنانية واحتل العاصمة بيروت، وفي تلك الآونة ارتكب السفاح أرئيل شارون مذبحة صبرا وشاتيلا التي راح ضحيتها الآلاف من الفلسطينيين واللبنانيين.

وبعد الاجتياح الإسرائيلي للأراضي اللبنانية خرجت المقاومة الفلسطينية من لبنان إلى عدد من الدول العربية مثل تونس والجزائر والسودان، وكما هو الحال مع المقاومة الفلسطينية في المملكة الأردنية الهاشمية فإن قضية المقاومة الفلسطينية في الأردن ولبنان قضية شائكة ومعقدة، وهذه القضية تحتاج إلى دراسة منفصلة، وهي خارج موضوع هذه الدراسة.

عاشراً: الانتفاضة الفلسطينية الأولى:

في الثامن من كانون الأول / ديسمبر من العام الميلادي ١٩٨٧، اندلعت انتفاضة الشعب الفلسطيني الأولى في الأراضي الفلسطينية المحتلة، ولقد انطلقت الشرارة الأولى لهذه الانتفاضة من داخل مخيم جباليا للاجئين الفلسطينيين الواقع في شمال مدينة غزة الساحلية عقب أن أقدم سائق شاحنة إسرائيلي على صدم أربعة عمال من عمال مخيم جباليا بشاحنته الأمر الذي أدى إلى استشهادهم في الحال، ومن مخيم جباليا للاجئين الفلسطينيين امتدت فاعليات الانتفاضة الفلسطينية الأولى ضد قوات الاحتلال الصهيوني إلى جميع الأراضي الفلسطينية احتجاجاً على استشهاد العمال الفلسطينيين بما فيها الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ العام الميلادي ١٩٤٨، وسارت المظاهرات الحاشدة والغاضبة في معظم المدن والقرى في الأراضي الفلسطينية الواقعة تحت الاحتلال الصهيوني، وقد أدى ذلك إلى صدامات دامية مع القوات الإسرائيلية.

ولقد جاءت الانتفاضة الفلسطينية الأولى في الوقت الذي اعتقد فيه العالم والدولة الصهيونية معاً أن الشعب الفلسطيني قد استسلم واستكان وقبل بالأمر الواقع، ولقد استمرت الانتفاضة الفلسطينية الأولى لمدة سبع سنوات كاملة، الأمر الذي ضاعف من مشاعر القلق والحيرة داخل إسرائيل، وأثرت سلباً على سمعة الجيش الإسرائيلي لاسيما وأن الشعب

الفلسطيني كان يقاوم هذا الجيش بالحجارة فقط. وأثرت أيضاً على قطاع السياحة والصناعة والزراعة والتجارة في إسرائيل، وقللت من معدلات الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة، وزادت معدلات الهجرة اليهودية المعاكسة من فلسطين المحتلة إلى خارجها والرحيل عنها نهائياً. وقد استخدم الجيش الإسرائيلي كل ما لديه من أدوات القمع والتنكيل والقتل وكافة أنواع الأسلحة والذخائر لقمع انتفاضة الشعب الفلسطيني، فقتل أعداد كبيرة من أبناء هذا الشعب، وجرح الآلاف منهم، وقد أدت إصابات العديد منهم إلى إعاقات دائمة لديهم وإلى عاهات مستديمة مختلفة، وزج الصهاينة في سجونهم الآلاف من أبناء الشعب الفلسطيني، ونفى أعداد كبيرة منهم إلى خارج أرض فلسطين.

لم يكتف الجيش الإسرائيلي بهذه الإجراءات القمعية، وإنما قام بهدم عدد كبير من المنازل الفلسطينية مما أدى إلى فقدان عائلات كاملة للمأوى وتركهم دون ما يأويهم، وقد شرد الجيش الصهيوني نسبة كبيرة من أبناء الشعب الفلسطيني، وأغلق الجامعات الفلسطينية، وعطل الدراسة في المدارس العربية، واصدر هذا الجيش تعليمات مشددة لجنوده بإطلاق الرصاص الحي على المتظاهرين الفلسطينيين وأيضاً على رماه الحجارة، وضاعفت سلطات الاحتلال الإسرائيلي من ضغطها الاقتصادي على الشعب الفلسطيني من

أجل تجويعه وحمله على التخلي عن انتفاضته، وارتكب الصهاينة العديد من المجازر البشعة مثل مجزرة الحرم الإبراهيمي بمدينة الخليل، ومجزرة الحرم القدسي الشريف ومجزرة عيون قاره، وفي المقابل ضاعف المجاهدون الفلسطينيون من معدلات هجماتهم على الجنود والمستوطنين الصهاينة.

وبعد سبع سنوات من انتفاضة الشعب الفلسطيني، وجدت إسرائيل نفسها مضطرة للدخول في مفاوضات سلام مع الفلسطينيين من أجل إيقاف انتفاضتهم، ولقد انتهت الانتفاضة الفلسطينية الأولى بتوقيع القيادة الفلسطينية لاتفاقيات أوسلو مع الكيان الصهيوني في العام الميلادي ١٩٩٣.

حادي عشر: الانتفاضة الفلسطينية الثانية:

في العام الميلادي ٢٠٠٠ قام السفاح أرئيل شارون مصحوباً بحراسات مكثفة من الجيش الإسرائيلي والقوات الخاصة بتدنيس باحة المسجد الأقصى المبارك بمدينة القدس الشرقية، فاندلعت من جراء هذا العمل الاستفزازي الخطير انتفاضة الشعب الفلسطيني الثانية أو ما عرف في حينه باسم انتفاضة الأقصى.

وفي الانتفاضة الفلسطينية الثانية أو انتفاضة الأقصى قامت القوات الإسرائيلية بإعادة احتلال المدن الفلسطينية التي كانت قد انسحبت منها عسكريا عقب توقيع اتفاقيات أوسلو المبرمة بين منظمة التحرير الفلسطينية والكيان الصهيوني الغاصب، ودمرت القوات الإسرائيلية البنية التحتية

للاقتصاد الوطني الفلسطيني ومنشآت السلطة الوطنية الفلسطينية، والمؤسسات والمعاهد التعليمية، وقد استخدام جيش الدفاع الإسرائيلي كل ما في ترسانته العسكرية المتطورة من أسلحة وذخائر ودبابات ومدافع ثقيلة وطائرات عسكرية متقدمة جداً مثل طائرات إف – ١٦ ومروحيات الأباتشي القتالية ضد الشعب الفلسطيني الأعزل وإخماد انتفاضته، فاغتالت القوات الإسرائيلية المئات من أبناء الشعب الفلسطيني، وزجت في سجونها ومعتقلاتها بالآلاف من أبناء هذا الشعب، وقامت القوات الإسرائيلية بناءً على تعليمات من القيادة السياسية الإسرائيلية بمحاصرة الرئيس ياسر عرفات في مقره بمبنى المقاطعة في مدينة رام الله وظل محاصراً فيه حتى رحلة العلاج الأخيرة في فرنسة ثم وفاته هناك وفاة غامضة ومحيرة.

وأعلنت مؤسسة فلسطينية هي المركز القومي للعدل والسلام أن الشعب الفلسطيني تكبد خسائر جسيمة خلال هذه الانتفاضة، فقد كانت خسائره حتى العام الميلادي ٢٠٠٣ على النحو التالي :

١ – ١٦٦٧ شهيداً من بينهم ٤٥٠ طفلاً، و ١٩٨ من طلاب المدارس و ٢٣٠ عنصراً من عناصر الأمن، و ٧٠ عضواً من عضوات الحركة النسائية، و ٤٦ سقطوا على الحواجز العسكرية الإسرائيلية إضافة إلى ١٥٠

شخصاً اغتيلوا أو أعدموا خارج نطاق القانون، ٢٨ مواطناً قتلوا برصاص المستوطنين اليهود.

٢ – أربعون ألف جريحاً و ٣١٥٠ معاقاً.

٣ – عشرة آلاف معتقلاً من بينهم ٣٥٠ معتقلاً تم تحويلهم للاعتقال الإداري.

٤ – تجريف ما يزيد عن ٣٣ ألف دونماً من الأراضي الزراعية، واقتلاع ٥٠٨,٠٨٠ شجرة مثمرة.

٥ – تدمير أو إلحاق أضرار بالغة بما يقرب من ٩٩٥٠ منزلاً و ١٥١ بئراً للمياه النظيفة الصالحة للشرب، و ٧١ مزرعة دواجن.

٦ – تدمير أو إلحاق أضرار بالغة بنحو ثلاثة وأربعين مسجداً، وأربع كنائس من بينها كنيسة المهد في مدينة بيت لحم.

٧ – طال العدوان الإسرائيلي المدمر العديد من المدارس والمؤسسات التعليمية.

٨ – تدمير مبنى مطار غزة ومدرجاته والعديد من مراكز الشرطة والأمن الفلسطيني.

ولا يزال موكب الشهداء من الشعب العربي الفلسطيني يتساقطون يومياً حتى يومنا هذا، وآلة الدمار الإسرائيلية تعيث خراباً في الأراضي

الفلسطينية المحتلة، ولا أدرى كيف أصبحت الأرقام سالفة الذكر في الوقت الراهن. كل هذا وذاك على مرأى ومسمع من العالم بأسره.

٣ – ٣: مشروعية النضال الوطني الفلسطيني :

في الواقع أن الصهاينة اعترفوا في وقت مبكر من عمر الصراع الإسرائيلي بمشروعية المقاومة الفلسطينية، وأدركوا أن أرض فلسطين هي أرض مأهولة بالسكان وليست ارض بال شعب كما كانوا يروجون لهذه الأسطورة في أورروبة وجميع المحافل الدولية أواخر سنوات القرن الميلادي التاسع عشر، وأيقن الصهاينة أنهم ما جاؤوا إلى فلسطين العربية إلا ليغتصبوها من سكانها الأصليين ويطردوهم إلى خارج فلسطين، ولهذا السبب توقع الصهاينة أن يعلن الفلسطينيون حرباً لا هوادة فيها ضدهم من أجل الذود عن أراضيهم والاحتفاظ بها.

وفي العام الميلادي ١٩٣٦ عرف رئيس الوزراء الإسرائيلي الراحل "موسى شاريت" الثورة الفلسطينية في خطاب له أما اللجنة السياسية لحزب الماباى "حزب العمل فيما بعد" بأنها كالتالي :

"الثورة الفلسطينية هي ثورة الجماهير التي تمليها المصالح القومية الحقة، وأن الفلسطينيين يشعرون أنهم جزء لا يتجزأ من الأمة العربية التي تضم العراق والحجاز واليمن، ففلسطين بالنسبة لهم تشكل وحدة مستقلة لها

وجه عربي، وهذا الوجه آخذ في التغير، فمدينة حيفا من وجهة نظرهم كانت بلدة عربية، وها هي الآن أصبحت بلدة يهودية".

وفي نفس السياق قال رئيس الوزراء الإسرائيلي الراحل "دافيد بن جوريون" ما يلي :

"نحن هنا "فلسطين" لا نجابه إرهاباً وإنما نجابه حرباً أعلنها العرب علينا، وما الإرهاب سوى إحدى وسائل الحرب لما يعتبرونه اغتصاباً لوطنهم من قبلنا، ولهذا هم يحاربون. ووراء الإرهابيين توجد حركة بدائية ولكنها ليست خالية من المثالية والتضحية بالذات، ويجب أن لا نبني الآمال على أن العصابات الإرهابية سينال منها التعب، فإذا نال التعب من أحدهم سيحل آخرون محلهم، فالشعب الذي يحارب ضد اغتصاب وطنه لا ينال منه التعب سريعاً، وحينما نقول أن العرب هم البادئون في العدوان ونندافع عن أنفسنا، فإننا نذكر نصف الحقيقة وحسب، ومن الناحية السياسية فنحن البادئون في العدوان وهم المدافعون عن أنفسهم، إن الأرض أرضهم لأنهم قطنوا فيها، بينما نحن نريد أن نأتي ونستوطنها ونأخذها منهم حسب تصورهم".

وفي الحقيقة أنه فيما مضى كانت الحقوق القانونية الدولية حكراً على الدول والحكومات فقط، أما الآن فقد حدث تطور جذري في هذه الحقوق

القانونية — إلا فيما يتعلق بالصراع العربي — الإسرائيلي فما زال العالم الغربي منحازاً انحيازاً كاملاً للصهاينة — وأصبحت الحقوق القانونية تتعلق أيضاً بالشعوب والجماعات الوطنية، فحق تقرير المصير في القانون الدولي ينص على ما يلي :

"اعتراف بالكيان القومي الجماعي الذي يمنح الحقوق بموجب ميثاق الأمم المتحدة وبموجب القانون الدولي، إن الاعتراف بحقوق شعب ما ذو أهمي مساوية لذلك لأنه يفترض مقدماً أن مثل هذه الحقوق سوف يطالب بها أو من الممكن المطالبة بها عن طريق أداه هي هيئة عامة تعرف باسم "حركة تحرير وطنية"، وأن الكفاح نفسه تبعاً لذلك قد منح وضعاً شرعياً بموجب القانون الدولي" [٦].

ولقد نشأ هذا التطور في القانون الدولي من نضال شعوب أنجولا وموزمبيق وغينيا بيساو في حقبة الستينيات من القرن الميلادي العشرين، وقد طبقت الجمعية العامة للأمم المتحدة وأيضاً مجلس الأمن الدولي على نطاق أضيق هذا التطور في القانون الدولي على أوضاع مشابهة في العالم، وفي دورة انعقادها العشرين في العام الميلادي ١٩٦٥، اعترفت الجمعية العامة للأمم المتحدة لأول مرة في تاريخها بنضال الشعوب التي تعاني من نير الاستعمار وبحقها في تقرير مصيرها، ودعت الجمعية العامة للأمم المتحدة جميع دول العالم

إلى تقديم الدعم المادي والمعنوي لحركات التحرير الوطنية المختلفة في شتى أرجاء العالم، وفي العام الميلادي ١٩٦٦ أعلنت الجمعية العامة للأمم المتحدة أن الاستعمار وما ينجم عنه من مظاهر عنصرية مثل التفرقة والتمييز العنصري كنظام الفصل العنصري السابق في جنوب أفريقية، يتنافى في الواقع مع ميثاق الأمم المتحدة.

وبالرغم من أن الأمم المتحدة قد اعترفت بحق إسرائيل في الوجود بصفتها عضو في الأمم المتحدة. إلا أن اعتراف الجمعية العامة للأمم المتحدة بالشعب الفلسطيني وبحقوقه المشروعة قد جاء متأخراً لبعض الوقت، فاعتراف الجمعية العامة للأمم المتحدة بالشعب العربي الفلسطيني كان في العام الميلادي ١٩٧٤ عن طريق القرار الصادر عنها ويحمل رقم "٣٢٣٦" وقد اعترف هذا القرار بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وفقاً لميثاق الأمم المتحدة، وأكد القرار على حقوق الشعب الفلسطيني المتضمنة لما يلي :

أولاً: حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره دون تدخل خارجي.

ثانياً: حق الشعب الفلسطيني في الاستقلال الوطني والسيادة.

ثالثاً: حق الفلسطينيين الثابت في العودة إلى وطنهم وبيوتهم.

رابعاً: حق الشعب الفلسطيني في أن يكون طرفاً أساسياً في إقامة سلام دائم وعادل في الشرق الأوسط (٧).

وبعد اعتراف الأمم المتحدة بالشعب العربي الفلسطيني، اعترفت بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي للشعب الفلسطيني في قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة والذي يحمل رقم "٣٢٧٥" الصادر في العام الميلادي ١٩٧٥، ودعت الجمعية العامة للأمم المتحدة منظمة التحرير الفلسطينية للمشاركة في جميع الجهود والمؤتمرات والمباحثات المتعلقة بالشرق الأوسط بصفتها ممثلاً شرعياً للشعب الفلسطيني، وقد كتب أحد الكتاب الأجانب وقتئذٍ معلقاً على ذلك بقوله :

"بعد مضي ما يزيد عن ثلاثين عاماً من تشتتهم، وافق العالم أخيراً على أن الظلم النازل بعرب فلسطين يجب إزالته وتصحيحه، وقد تقبل هذا العالم أخيراً أن الفلسطينيين يكونون شعباً منفصلاً، وأنه يتحتم أن يكون لهم وطنهم الخاص لا إقليم عبيد منبوذين يحرسه الجيش الإسرائيلي وإنما وطن صحيح بمعنى الكلمة، ويجب أن يكون لهم دولة لا تطرد إسرائيل وتحل محلها، وإنما دولة تستطيع العيش جنباً إلى جنب معها" (٨).

اعترفت الأمم المتحدة بالشعب العربي الفلسطيني وبحقه في الاستقلال وفي أن يكون له وطنه الخاص على أرضه، ثم وقعت القيادة الفلسطينية في

العام الميلادي ١٩٩٣ اتفاقيات أوسلو مع الدولة الصهيونية التي وافقت على الاعتراف بدولة فلسطينية على أراضي الضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة، وهذا الأمر جعل منظمة التحرير الفلسطينية تبدل في ميثاقها وتعترف بوجود دولة إسرائيل، وهذا في الحقيقة موضوع شائك ومعقد جداً، وكان يجب التأني في الاعتراف بدولة إسرائيل حتى تبرهن على صدق نواياها حيال الشعب العربي الفلسطيني وتعترف به اعترافاً كاملاً لا رجعة فيه، وتعترف أيضاً بحقه في إقامة دولته المستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة كخطوة أولى فقط تمهيداً لتطبيق قرار تقسيم فلسطين الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في العام الميلادي ١٩٤٧.

وبالرغم من ذلك فلا يبدو أن الصهاينة قد بدلوا من نظراتهم تجاه الشعب العربي الفلسطيني، فلا تزال الأراضي الفلسطينية محتلة من قبل القوات الإسرائيلية حتى يومنا هذا، ولا يزال السواد الأعظم من أبناء الشعب الفلسطيني مشرداً ويعيش في الشتات، ولا يزال الصهاينة يمارسون ضد هذا الشعب شتى أنواع التفرقة العنصرية والإرهاب والقتل والإبادة الجماعية، ولا تزال المذابح والمجازر البربرية الصهيونية ترتكب يومياً في الأراضي الفلسطينية المحتلة ضد الشعب الفلسطيني، ولا يبدو أن هناك بادرة أمل في إمكانية اعتراف الصهاينة بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني الذي

اعترف به العالم بأسره، لأن إنكار وجود الشعب الفلسطيني هو من صميم الفكر والعقائد الصهيونية، وكان أولى بإسرائيل أن تعترف بحقوق شعب فلسطين من جانبها أيضاً وبدون شروط مسبقة، لأنه وكما يقول المفكر والفيلسوف الفرنسي الكبير الدكتور روجيه غارودي من غير المعقول وليس من العدل مطالبة منظمة التحرير الفلسطينية وحدها فقد الاعتراف بإسرائيل للأسباب التالية :

أولاً: إن معنى اعتراف منظمة التحرير الفلسطينية بدولة إسرائيل يعني الاعتراف بمشروعية اغتصاب الأرض وطرد أصحابها منها، ويمكن على مضض قبول إسرائيل كواقع، ولكن لا يمكن قبولها إطلاقاً كحق.

ثانياً: دولة إسرائيل بطبيعتها الصهيونية وبوجودها القائم على تتابع الاغتصابات وعلى الحروب في توسع دائم، وهي دائماً طامعة بعد كل هجوم وكل ضم للأراضي في مجال حيوي جديد، فلا يمكن إذن الاعتراف بصحة حدود مطاطة.

فبأي إسرائيل يراد أن تعترف منظمة التحرير الفلسطينية ؟

١- هل تعترف بتقسيم العام الميلادي ١٩٤٧ كما حددته الأمم المتحدة ؟

٢ - أم تعترف بما استولت عليه إسرائيل بعد ذلك، وحصلت عليه بالحرب الوقائية والغزو؟

٣ – أم تعترف بإسرائيل عام ١٩٨٢ بمستوطناتها المتغلغلة في كل مكان؟

٤ – أم تعترف بإسرائيل كما هي في أحلام جنون العظمة عند ثيودور هرتزل "من نهر الفرات إلى نهر النيل"، وعند دافيد بن غوريون "من الليطاني إلى سيناء"، أو لدى أرئيل شارون الذي يحلم بالسيطرة على الشرق الأدنى من الدردنيل إلى مصر وقناة السويس ؟

٥ – أم تعترف بإسرائيل صاحبة مشروع تفتيت الدول العربية وفقاً لما فيها من جنسيات وأديان ؟

ثالثاً: كيف يمكن لمنظمة التحرير الفلسطينية الاعتراف بصحة شيء ينكرون عليها هي حقها في الوجود، وكيف يطالبون اعترافاً من هيئة لا يعترفون هم أصلاً بوجودها [٩].

٣ – ٣: مشروع الدولة الفلسطينية المستقلة :

بعد انتهاء الحرب العربية – الإسرائيلية الأولى التي اندلعت في العام الميلادي ١٩٤٨، استولى الصهاينة على نسبة ٧٦,٤ % من أرض فلسطين، أما بقية الأراضي الفلسطينية وهي الضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة، فقد ضمت الضفة الغربية لنهر الأردن إلى الدولة الأردنية في دولة واحدة هي المملكة الأردنية الهاشمية وبقيت الضفة الغربية تحت الإدارة الأردنية حتى شهر حزيران / يونيو من العام الميلادي ١٩٦٧ عندما سقطت

الضفة الغربية لنهر الأردن عسكرياً في قبضة القوات الإسرائيلية، أما مدينة غزة وريفها فقد خضعت بعد حرب العام الميلادي ١٩٤٨ للدولة المصرية، ووضعت أولاً تحت إشراف إدارة المناطق الخاضعة لرقابة القوات المسلحة المصرية ثم تحت إشراف إدارة الحاكم الإداري العام لقطاع غزة، وبقي هذا هو حالها إلى أن سقطت في أيدي القوات الإسرائيلية بعد الحرب العربية – الإسرائيلية الثالثة في العام الميلادي ١٩٦٧.

ولكن..

ألم يكن منطقيا وطبيعياً بل ومن حق الشعب الفلسطيني الشرعي أن يعطي الفرصة كاملة لكي يقوم ببناء دولته المستقلة التي طالما نادى بها على ما تبقى من أرضه، ويشكل حكومته الديمقراطية ويؤسس جيشه الوطني القوي لكي يتحمل مسؤولية تحرير وطنه من أيدي الغاصب الصهيوني ؟

ألم يكن من الأجدى للدول العربية أن تترك له المجال واسعاً ليضطلع بشؤونه بدلاً من محاولات احتواء الشعب الفلسطيني بانتماءات وولاءات متعددة ومتباينة لم تعد عليه بأي خير ؟

في الحقيقة أن الهيئة العربية العليا لفلسطين برئاسة سماحة الحاج أمين الحسيني التي تولت قيادة النضال السياسي والجهاد العسكري الفلسطيني منذ العام الميلادي ١٩٣٦ وحتى العام الميلادي ١٩٤٨ بإجماع الشعب الفلسطيني وموافقة جميع الأحزاب السياسية الفلسطينية حينذاك، قد باشرت

فعلاً منذ مطلع العام الميلادي ١٩٤٧، بوضع الأسس اللازمة لقيام حكومة مدنية فلسطينية لملئ الفراغ السياسي الذي سوف ينجم حتماً عن رحيل القوات البريطانية عن فلسطين بعد إنهاء الحكومة البريطانية لانتدابها على فلسطين.

وعقب عودة سماحة الحاج أمين الحسيني إلى المنطقة العربية قادماً من ألمانيا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، قدم اقتراحاً لمجلس جامعة الدول العربية الذي عقد في السابع من تشرين الثاني / نوفمبر من العام الميلادي ١٩٤٧ بشأن إقامة حكومة عربية مدنية في فلسطين، إلا أن هذا الاقتراح لم يصادف القبول المرجو والمطلوب من جامعة الدول العربية.

وفي أوائل شهر شباط / فبراير من العام الميلادي ١٩٤٨ طلبت الهيئة العربية العليا لفلسطين الحصول على الموافقة الرسمية من جامعة الدول العربية على قيام الحكومة المدنية الفلسطينية، وكانت الهيئة العربية العليا لفلسطين قد تقدمت بمشروع الحكومة الفلسطينية إلى الجامعة العربية وتجنبت في طلبها كل ما يثير الخلاف بين الدول العربية. ونظراً لتعذر إجراء انتخابات حرة في فلسطين العربية بسبب تردى الأوضاع الأمنية فيها، فقد اقترحت الهيئة العربية العليا لفلسطين إنشاء نظام مدني مؤقت في فلسطين يعرف باسم "الإدارة المدنية المؤقتة"، يتألف أعضاؤها من أعضاء الهيئة العربية

العليا لفلسطين لتمتعها بثقة غالية أبناء الشعب العربي الفلسطيني، إضافة إلى حق الهيئة العربية العليا لفلسطين في تمثيل الشعب الفلسطيني بصفة رسمية باعتراف حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين، وأيضاً باعتراف هيئة الأمم المتحدة، وبذلك تتمكن الهيئة العربية العليا لفلسطين من إعلان استقلال دولة فلسطين كدولة ديمقراطية ابتداءً من الخامس عشر من أيار / مايو من العام الميلادي ١٩٤٨.

وقد اقترحت الهيئة العربية العليا لفلسطين أن تقوم "الإدارة المدنية المؤقتة" بتولي شؤون فلسطين متمتعة بجميع السلطات التي تتمتع بها الحكومات الديمقراطية المستقلة وفقاً لدستور يتم الموافقة عليه لاحقاً، على أن تكون مهمة الإدارة المدنية المؤقتة ما يلي :

١ – المحافظة على الأمن والنظام في ربوع فلسطين بعد رحيل القوات البريطانية عنها.

٢ – تأمين حقوق السكان ومصالحهم، وتوفر لهم أسباب السلام والطمأنينة.

٣ – تسيير الخدمات العامة والدوائر الرسمية.

٤ – احترام حقوق الأقليات ومصالحها، وتعمل على المحافظة على حرية العبادة والشعائر الدينية لجميع الطوائف، وعلى حماية الأماكن المقدسة على اختلافها وتأمين زيارتها للجميع.

وعندما تتاح الفرصة المناسبة ستدعي البلاد إلى انتخابات عامة لاختيار جمعية تأسيسية لوضع دستور لدولة فلسطين الديمقراطية المستقلة يتم خلالها اختيار نوع الحكم[١٠]. وقد قامت الهيئة العربية العليا لفلسطين بالطلب من الموظفين الفلسطينيين الاستمرار في تأدية وظائفهم والقيام بأعمالهم وواجباتهم حتى إنشاء الإدارة المدنية المؤقتة[١١]. إلا أن طلب الهيئة العربية العليا لفلسطين بإنشاء الإدارة المدنية المؤقتة لم يحظ بموافقة الدول العربية ولم ينل الموافقة الرسمية العربية.

وعندما أعلنت الحكومة البريطانية عن نهاية انتدابها لفلسطين في الخامس عشر من أيار / مايو من العام الميلادي ١٩٤٨، وفي نفس اليوم أعلن الصهاينة عن قيام دولة إسرائيل في فلسطين العربية، فما كان إلا أن دخلت سبعة جيوش عربية إلى فلسطين العربية بهدف معلن هو تحريرها من الصهاينة.

وفي تلك الفترة الزمنية لم يكن للشعب الفلسطيني أي هيئة سياسية تمثله، أو أي تمثيل دبلوماسي رسمي ينوب عنه في الأوساط العربية وفي المحافل الدولية، وكانت معظم القيادات السياسية الفلسطينية موجودة خارج أرض فلسطين بل وطلبت منهم جامعة الدول العربية عدم العودة إلى فلسطين وترك مشكلتها للجيوش العربية من أجل العمل على تحريرها من الصهاينة.

وعندما أعلن عن الهدنة الأولى بين الجيوش العربية والقوات الصهيونية في ١١-٦-١٩٤٨، كررت الهيئة العربية العليا لفلسطين طلبها للجامعة العربية مؤكدة على ضرورة موافقة العرب على إنشاء حكومة مدنية عربية في فلسطين لإدارة شؤون البلاد، إلا أن جامعة الدول العربية رفضت هذا الطلب، وأعلنت من جانبها تشكيل إدارة مدنية في فلسطين ! بالاتفاق مع العناصر الفلسطينية الأعضاء في اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية مثل أحمد حلمي عبد الباقي والدكتور حسين الخالدي وأيضاً مستشار اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية السيد هنرى كاتن والسيد أحمد الشقيري[١٢]، وفي ١٠-٧-١٩٤٨، أعلن الأمين العام لجامعة الدول العربية السيد عبد الرحمن عزام عن تشكيل الإدارة المدنية لفلسطين من السادة التالية أسمائهم :

١ – أحمد حلمي عبد الباقي – رئيساً.

٢ – جمال الحسيني – أميناً عاماً.

٣ – سليمان طوقان – للمواصلات.

٤ – عوني عبد الهادي – للشؤون الاجتماعية.

٥ – دكتور حسين الخالدي – للصحة.

٦ – على حسنا – للعدلية.

٧ – رجائي الحسيني – للدفاع.

٨ – يوسف صهيون – للدعاية.

٩ – ميشال أبكاريوس – للمالية.

١٠ – أمين عقل – للزراعة.

ولقد جاء في مشروع الإدارة المدنية المؤقتة لفلسطين الذي تبنته جامعة الدول العربية ما يلي :

أولاً: تؤلف الإدارة المدنية المؤقتة لفلسطين من عشرة أعضاء.

ثانياً: تكون مهمة الإدارة المدنية المؤقتة لفلسطين قاصرة على إدارة الشؤون المدنية العامة ولا تشمل الشؤون السياسية والعسكرية، ولا يكون لها صفة تمثيلية بين أهالي فلسطين.

ثالثاً: تسترشد هذه الإدارة بالتوجيهات التي تشير بها جامعة الدول العربية.

رابعاً: يعين مديرو هذه الإدارة بالاتفاق مع الجامعة العربية والهيئة العربية العليا لفلسطين.

خامساً: تكون دوائر الإدارة المدنية المؤقتة لفلسطين كما يلي :

المالية – العدلية – الصحة – الشؤون الاجتماعية – المواصلات – الإدارة العامة – الاقتصاد الوطني – الأمن العام – الدعاية والنشر.

حكومة عموم فلسطين :

في الواقع أن القرار أحادي الجانب من قبل الجامعة العربية بإنشاء إدارة مدنية مؤقتة في فلسطين قد فسر في حينه على أنه تجاوز سافر لشرعية

الهيئة العربية العليا لفلسطين، وإلغاء لصفتها التمثيلية كممثل رسمي للشعب الفلسطيني، إلا أن الهيئة العربية العليا لفلسطين استمرت في مساعيها المتواصلة إلى أن تمكنت من انتزاع موافقة اللجنة السياسية للجامعة العربية على إقامة الحكومة المدنية الفلسطينية، وكان ذلك في اجتماع هذه اللجنة الذي عقد بمدينة الإسكندرية المصرية أوائل شهر أيلول / سبتمبر من العام الميلادي ١٩٤٨.

وفي ذلك الوقت وصل سماحة الحاج أمين الحسيني إلى مدينة غزة، فبادر أحمد حلمي عبد الباقي ــ رئيس الإدارة المدنية المؤقتة لفلسطين ــ بدعوة المؤتمر الفلسطيني للانعقاد في مدينة غزة بتاريخ ٣٠ / ٩ / ١٩٤٨ لدراسة تشكيل الحكومة الفلسطينية، وقد عقد المؤتمر الفلسطيني برئاسة ــ سماحة الحاج أمين الحسيني، وأعلن هذا المؤتمر استقلال دولة فلسطين، وتشكيل حكومة فلسطينية تحت اسم "حكومة عموم فلسطين"، وقد ورد في إعلان استقلال دولة فلسطين ما يلي :

إعلان استقلال دولة فلسطين في اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في مدينة غزة ١-١٠-١٩٤٨ بناءً على الحق الطبيعي والتاريخي للشعب العربي الفلسطيني في الحرية والاستقلال، هذا الحق المقدس الذي بذل في سبيله زكي الدماء وقدم من أجله أكرم الشهداء وكافح من دونه قوى

الاستعمار والصهيونية التي تألبت عليه وحالت بينه وبين التمتع به، فإننا نحن أعضاء المؤتمر الفلسطيني المنعقد في غزة هاشم نعلن في هذا اليوم ٢٨ ذي القعدة سنة ١٣٦٧ هـ الموافقة أول تشرين الأول سنة ١٩٤٨ م، استقلال فلسطين كلها التي يحدها شمالاً سورية ولبنان، وشرقاً سورية وشرق الأردن، وغرباً البحر الأبيض المتوسط، وجنوباً مصر استقلالاً تاماً، وإقامة دولة ديمقراطية ذات سيادة يتمتع فيها المواطنون بحرياتهم وحقوقهم وتسير هي وشقيقاتها الدول العربية متآخية في بناء المجد العربي وخدمة الحضارة الإنسانية مستلهمين في ذلك روح الأمة وتاريخها المجيد مصممين على صيانة استقلالها والذود عنها، والله تعالى على ما نقول شهيد.

تواقيع :

ميشال ابكاريوس – د. فوزي فريج – رجالي الحسيني – يوسف صهيون – علي حسنا – أميل الغوري – رفيق التميمي – رشدي الشوا – محمد صبري عابدين – محمد رفيق اللبابيدي – أمين عقل – حسني خليفة – علي رضا النحوي – كامل القاضي – فارس سرحان – عبد الله سماره – محمد علي الصالح – محمد العفيفي – خليل خليف – محمد رجب – رشدي الإمام الحسيني – يوسف الصايغ – السيد أبو شرخ – سعيد

جحوت – أنور نسيبه – حسين أبو سته – عبد الرحمن الفـرا – فهمـي الأغا – فيصل النابلسي – رشاد يوسف السقا – عبد الرحيم إسماعيـل – عيسى نخلة – صالح محمد الموعد – عبد الحي عرفه – محمد أمين الحسيني – أحمد حلمي – جمال الحسيني – ميشيل عازر – حمدي سلطان – محمد غـرار – توفيق جبران – الشيخ محمد أحمد أبو عارية – عبد الحاج خليل عطيـة – عبد ربه حسن أبو شعيرة – طلعت يعقوب الغصين – حسن ابو جابر – أحمد محمود حجة – زكي محمد عبد الرحيم – موسى محمد – علي أحمد العطار – أحمد عبد العزيز مهنا – أكرم زعيتر – أديب الرعاوي – خليل السـكاكيني – حمدي الحسيني – واصف كمال – عوني عبدالهادي – معـين الماضـي – محمد يوسف نـجم – صدقي طبري – الشيخ حسن محمد النـهار – عـز الدين الشوا – موسى الصوراني – خالد الفرخ – منيف الحسيني.

ولقد تألفت حكومة عموم فلسطين تقريباً من نفس أعضـاء الإدارة المؤقتة لفلسطين التي شكلتها جامعة الدول العربيـة مـع دخـول بعـض الشخصيات الفلسطينية الجديدة لها، وتكونت هذه الحكومـة مـن رئـيس وسكرتير عام وعشرة وزراء على النحو التالي :

١ – أحمد حلمي عبد الباقي – رئيساً للوزراء.

٢ – أنور نسيبه – سكرتيراً عاماً.

٣ – جمال الحسيني – وزيراً للخارجية.

٤ – عوني عبد الهادي – وزيراً للشؤون الاجتماعية.

٥ – ميشال أبكاريوس – وزيراً للمالية.

٦ – رجائي الحسيني – وزيراً للدفاع.

٧ – د. حسين الخالدى – وزيراً للصحة.

٨ – د. فوتي فريج – وزيراً للاقتصاد.

٩ – أمين عقل – وزيراً للزراعة.

١٠ – يوسف صهيون – وزيراً للدعاية والنشر.

١١ – أكرم زعيتر – وزيراً للمعارف.

١٢ – على حسنا – وزيراً للعدل.

النظام المؤقت لحكومة عموم فلسطين :

في الأول من تشرين الأول / أكتوبر من العام الميلادي ١٩٤٨ أعلنت حكومة عموم فلسطين النظام المؤقت لها وهو مكون من سبعة عشرة مادة على النحو التالي :

المادة (١): يعرف هذا النظام بالنظام "المؤقت لحكومة فلسطين".

المادة (٢): تتألف حكومة عموم فلسطين بموجب هذا النظام من مجلس وطني ومجلس وزراء ومجلس أعلى.

المادة (٣):

أ – يظل هذا النظام معمولاً به حتى تقوم جمعية تأسيسية تضع دستور البلاد وتختار لها نوع الحكم.

ب – المجلس الوطني يقرر موعد الانتخابات للجمعية التأسيسية.

المادة (٤): يتألف المجلس الوطني من مندوبي الهيئات التمثيلية في فلسطين وهم الذين وجهت إليه الدعوة لحضور الاجتماع الأول، على أنه يحق لمجلس الوزراء في حالة وفاة أو استقالة أحد أعضائه أو أسقطت عضويته أن يرشح بدلاً منه عضواً تراعى فيه صفته التمثيلية، على أن يصدق المجلس هذا الترشيح، وإذا لم يحصل نصاب الأكثرية فإن الاجتماع يتأجل أربع وعشرين ساعة ويتألف النصاب عندئذ من الحضور مهما كان عددهم.

المادة (٥): يتألف المجس الأعلى من رئيس المجلس الوطني رئيساً، ورئيس مجلس الوزراء، ورئيس المحكمة العليا أعضاءً.

المادة (٦): يعقد المجلس الوطني كل ستة أشهر مرة ويحق للرئيس أن يدعوا المجلس إلى الانعقاد بصورة استثنائية بالإضافة إلى دوراته العادية كلما رأى ضرورة لذلك، على أنه إذا طلب خطياً خمسون عضواً من أعضاء المجلس من رئيسه عقد جلسة استثنائية فعلى الرئيس أن يدعو المجلس للاجتماع في المكان الذي يعينه في خلال أسبوع من تقديم الطلب.

المادة (٧): الرئيس ونائبا الرئيس وأمينا السر الذين ينتخبهم المجلس يؤلفون مكتب المجلس الوطني ويستمر هذا المكتب في أعماله ما دام المجلس قائماً.

المادة (٨): تعتبر "حكومة عموم فلسطين" جهازاً شرعياً لممارسة جميع السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية وفق نصوص هذا النظام في جميع فلسطين بكل حدودها كما كانت قبل إنهاء الانتداب البريطاني في ١٥ آيار سنة ١٩٤٨، ويمارس القضاء صلاحياته مستقلاً استقلالاً تاماً عن السلطة التشريعية والتنفيذية ويؤمن استقلاله بموجب قانون خاص.

المادة (٩): الوزارة هي السلطة التنفيذية للحكومة وتستمد سلطتها من المجلس الوطني وفقاً لهذا النظام وتكون مسئولة أمامه وتستمر في أعمالها ما دامت حائزة على ثقته.

المادة (١٠): في حالة استقالة الوزراء تقدم الاستقالة على رئيس المجلس وعند قبولها من المجلس الأعلى يكلف الرئيس من يرى فيه الكفاءة لتأليف وزارة جديدة.

المادة (١١): جميع الاتفاقيات الدولية والمعاهدات السياسية أو القروض المالية وجميع الامتيازات الاقتصادية وغيرها التي تعقدها الوزارة تصبح نافذة المفعول بعد الحصول على موافقة المجلس الوطني، ويفوض مجلس

الوزراء بعقد القروض المالية الضرورية لتسيير دفة الحكم وتنظيم النضال الوطني واعتبارها نافذة فور عقدها.

المادة (١٢): السلطة التشريعية تنحصر في المجلس الوطني الذي له الحق في إقرار أو رفض مشاريع القوانين والأنظمة والأوامر المتعلقة بالمجهود الحربي كقانون الطوارئ دون الرجوع بها إلى المجلس إذا لم يكن منعقداً على أن تعرض هذه المراسيم والقوانين والأنظمة والأوامر على المجلس في أي جلسة يحضرها.

المادة (١٣): إن حق تحضير مشاريع القوانين والأنظمة إلى المجلس الوطني لمناقشتها وإقرارها ينحصر في مجلس الوزراء، على أن يحق لأي عضو من أعضاء المجلس الوطني أن يتقدم إلى مجلس الوزراء عن طريق مكتب المجلس الوطني بأي مشروع لقانون أو نظام يرغب في أن يقره المجلس، وإذا رفض مجلس الوزراء عرض هذا المشروع على المجلس الوطني وطلب ثلاثون عضواً من أعضاء المجلس المذكور النظر في المشروع، فعلى رئيس المجلس أن يطرح هذا الموضوع للمناقشة.

المادة (١٤): مدينة القدس هي عاصمة الحكومة ويحق للوزارة بموافقة رئيس المجلس الوطني اختيار مركز آخر للحكومة.

المادة (١٥): يؤلف مجلس للدفاع الوطني قوامه رئيس المجلس الوطني ورئيس الوزراء ووزير الدفاع، ويكون من الاختصاص المطلق لهذا المجلس اتخاذ جميع الوسائل للدفاع عن فلسطين ووحدتها بكامل حدودها وإقرار السلم والطمأنينة منها.

المادة (١٦): يمارس المجلس الأعلى السلطات التالية :

أ – قبول استقالة الوزراء.

ب – العفو عن المحكومين وتصديق أو تبديل عقوبة الإعدام على أن يبدل رئيس المحكمة العليا بوزير العدلية عند التصديق على حكم بالإعدام صادر عن رئيس المحكمة العليا.

جـ – الأمر بتنفيذ القوانين المصدق عليها من المجلس الوطني والمقدمة من مجلس الوزراء.

د – قبول أوراق اعتماد ممثلي الدول العربية والأجنبية.

المادة (١٧): يصبح هذا النظام معمولاً به بعد موافقة المجلس الوطني عليه، ولهذا المجلس الحق في تعديله أو استبداله وفقاً للمصلحة الوطنية العامة بأكثرية ثلث الحاضرين في جلسة قانونية.

والآن..

– أين هي حكومة عموم فلسطين ؟

- وما هو مصيرها ؟

في الواقع أن حكومات الدول العربية الأعضاء في جامعة الدول العربية حينذاك رأت أن وجود حكومة فلسطينية سوف يسبب لها إحراجاً شديداً مع الحكومة البريطانية وأيضاً سوف يحرجها مع القوى الوطنية العربية، فاتخذت الحكومات العربية في جامعة الدول العربية موقفاً سلبياً جداً من حكومة عموم فلسطين بل وبعض هذه الحكومات اتخذ موقفاً عدائياً سافراً تجاه حكومة عموم فلسطين، فدولة الأردن على سبيل المثال عارضت بشدة انعقاد المؤتمر الوطني الفلسطيني في مدينة غزة، ورداً على مؤتمر غزة عقد في مدينة عمان الأردنية مؤتمراً آخر حضره ما يقرب من ألف شخصية فلسطينية مؤيدة للنظام الأردني، وقد نازع مؤتمر عمان مؤتمر غزة في حق تمثيل الشعب الفلسطيني، وقد خرج مؤتمر عمان بالقرارات التالية :

١ - الدعوة إلى وحدة أردنية - فلسطينية.

٢ - دعوة الجيوش العربية إلى مواصلة القتال من أجل تحرير فلسطين.

٣ - دعوة الحكومات العربية إلى تزويد الفلسطينيين بالسلاح.

٤ - الدعوة إلى مؤتمر فلسطين أوسع ليعلن فيه الفلسطينيون مبايعتهم للملك عبد الله ملكاً على فلسطين[١٣].

وفي الأول من كانون الأول / ديسمبر من العام الميلادي ١٩٤٨ عقد المؤتمر الفلسطيني الموسع الذي دعى إليه مؤتمر عمان في مدينة أريحا الفلسطينية وصدر عنه ما يلي :

١ – يشكر المؤتمر الدول العربية لما بذلته من جهود وتضحيات ويطلب منها جميعاً مواصلة القتال لإنقاذ فلسطين.

٢ – يعتبر المؤتمر فلسطين وحدة واحدة لا تتجزأ وكل حل يتنافى مع ذلك لا يعتبر حلاً نهائياً.

٣ – لا يمكن للبلاد العربية أن تقاوم الأخطار التي تجابهها وتهدد فلسطين إلا بالوحدة العربية الشاملة، ويجب البدء بتوحيد فلسطين مع شرق الأردن كمقدمة لوحدة عربية تامة.

٤ – يبايع المؤتمر جلالة الملك عبد الله على فلسطين كلها، ويحيي جيشه الباسل والجيوش العربية التي حاربت ولا تزال في فلسطين.

٥ – يقترح المؤتمر على جلالته الإشارة بوضع نظام لانتخاب ممثلين عن عرب فلسطين يستشارون في أمورها.

٦ – التشديد بضرورة الإسراع في إرجاع اللاجئين إلى بلادهم والتعويض عنهم.

٧ – تبليغ هذه القرارات إلى منظمة الأمم المتحدة والجامعة العربية وممثلي الدول الأخرى[١٤].

علماً بأن مدينة أريحا التي عقد فيها المؤتمر الفلسطيني الموسع تقع في الضفة الغربية لنهر الأردن التي كانت في ذلك الوقت في قبضة الجيش الأردني. وقد تباينت آراء الناس حول مؤتمر أريحا الموسع، فقسم من الناس رفض قرارات المؤتمر رفضاً قاطعاً، وقسم آخر قال أن ما حدث في مؤتمر أريحا هو أمر قد رتب له مسبقاً، وكان هذا المؤتمر مجرد شكلاً مظهرياً، وقسم ثالث رأى في ضم الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية لنهر الأردن أمر لابد منه ولولا أن الضفة الغربية قد ضمت للأردن لانسحب منها الجيش العربي الأردني عنها وتم استيلاء إسرائيل عليها وبالتالي على فلسطين كلها. وقد أعلنت جامعة الدول العربية عن موقفها تجاه ضم الضفة الغربية لنهر الأردن إلى إمارة شرق الأردن على لسان أمينها العام "عبد الرحمن عزام" الذي عبر في مؤتمر صحفي عن رفض الجامعة العربية لمقررات مؤتمر أريحا واعتبرها لا تمثل آراء الفلسطينيين، وفي الثالث عشر من نيسان / أبريل من العام الميلادي ١٩٥٠ ردت جامعة الدول العربية على قرارات مؤتمر أريحا بما يلي :

أولاً: تأكيد القرار الذي اتخذته اللجنة السياسية بإجماع الدول الأعضاء في ١٢ أبريل / نيسان ١٩٤٨م، وهو القرار الذي ينص على أن

دخول الجيوش العربية لفلسطين لإنقاذها يجب أن ينظر إليه كتدبير مؤقت خال من كل صفة من صفات الاحتلال والتجزئة لفلسطين، وأنه بعد إتمام تحريرها تسلم لأصحابها ليحكموها كما يريدون.

ثانياً: اعتبار هذا القرار نافذاً ومعبراً عن السياسة الحالية للدول العربية في هذا الشأن.

ثالثاً: اعتبار هذا القرار نافذاً ومعبراً عن السياسة الحالية للدول العربية ولأحكام ميثاق جامعة الدول العربية وذلك وفقاً للفقرة الأولى من المادة الثانية من الميثاق وللملحق الخاص بفلسطين.

رابعاً: عند وقوع هذا الإخلال تدعى اللجنة السياسية للاجتماع واتخاذ ما يلزم من إجراء وفقاً لأحكام الميثاق (١٥).

هذا ولقد أصدرت جماعة من كبار علماء الأزهر بياناً جاء فيه ما يلي:

"إن مؤتمر أريحا تمثيل خيالي ووليد إكراه لمن مسهم الضر والبأساء ولا يعبر عن رأي العرب والدول العربية" (١٦).

وطلبت دول العراق من الملك عبد الله التريث في تنفيذ مشروع الضم وتأجيل تنفيذ قراراته عاماً ونصف العام انتظاراً لنضوج الظروف

الموالية للضم. أما في سورية، فقد هاجمت الإذاعة والصحف السورية مؤتمر أريحا واعتبرته استلاباً للإرادة الفلسطينية.

وفي السابع من آذار / مارس ١٩٤٨م قرر مجلس الوزراء الأردني ما يلي :

"إن حكومة المملكة الأردنية الهاشمية تقدر كل التقدير الرغبة التي أبداها المؤتمرون وغالبية أهل فلسطين فيما يتعلق بوحدة البلدين الشقيقين وتراه متفقاً مع أهدافها، وهي ترحب به وستسعى للوصول إليه بالوسائل الدستورية والدولية، ولتنفيذه في الوقت المناسب وفق ما تقتضي به أساليب تقرير المصير"[١٧].

أما الملك عبد الله بن الحسين ملك الأردن فقد أرسل برسل إلى محمود باشا فهمي النقراشي رئيس الوزراء المصري عارض فيها قيام دولة فلسطينية، وقد جاء في هذه الرسالة ما يلي :

"إننا نخشى على سلامة بلدنا ومركزها من أية دولة ضعيفة قد تتكون في فلسطين وتنسب إلى العرب، فتضعف على البقاء أو يستحوذ عليها اليهود. أننا تفادياً في أن يتسبب هؤلاء بحركاتهم وأعني بهم أمين الحسيني ومن معه أن تشبثاتهم ستجر إلى ما فيه انحلال عصمة الجامعة العربية واتحادها. أقول إنني سأحارب هؤلاء حيثما كانوا كما أحارب اليهود أنفسهم!!"[١٨].

أما الهيئة العربية العليا لفلسطين فقد اعتبرت قرار الأردن ضم الضفة الغربية لنهر الأردن إليه بأنه :

"فصل من فصول المأساة التي هدفت إلى محو اسم فلسطين العربية عن الوجود".

وفي مدينة غزة الخاضعة لرقابة القوات المسلحة المصرية وقتئذ فقد وصل إليها في الخامس عشر من تشرين الأول / أكتوبر عام ١٩٤٨ قائد سلاح الحدود المصري اللواء حسين سري عامر وقام باصطحاب سماحة الحاج أمين الحسيني معه على القاهرة على غير إرادته وسط حراسة مشددة بناءً على أوامر من محمود فهمي باشا النقراشي رئيس الوزراء المصري والفريق محمد حيدر وزير الحربية المصري، وعندما وصل سماحة الحاج أمين الحسيني إلى القاهرة أحيط مقر إقامته بحراسات مكثفة وكبيرة.

والحقيقة أن حكومة عموم فلسطين أهملت إهمالاً متعمداً فلم تدع إلى اجتماعات جامعة الدول العربية منذ مطلع عام ١٩٤٨م، ولم تقم جامعة الدول العربية بتسديد مبلغ الخمسة والعشرين ألف جنيهاً التي وعدت بتقديمها إلى حكومة عموم فلسطين لكي تباشر ممارسة عملها، الأمر الذي أدى إلى إغراق هذه الحكومة في الديون، والأهم من ذلك هو انحسار دور حكومة عموم فلسطين انحساراً شديداً في النضال الوطني الفلسطيني. وبناءً

على الموقف العربي من حكومة عموم فلسطين، لم تعترف هيئة الأمم المتحدة بحكومة عموم فلسطين واعتبرتها حكومة صورية فقط !

وبذلك أجهضت أولى محاولات الشعب العربي الفلسطيني في إقامة كيان سياسي مستقل خاص به على ما تبقى من أرضه، وهذا لا يعني قتل حكومة وليدة في مهدها، وإنما هو يعني تهميش بل وتغييب كامل للشعب العربي الفلسطيني سياسياً وعسكرياً وإعلامياً، ومسح هويته التاريخية والجغرافية والاجتماعية والحضارية والثقافية الضاربة في أعماق الأرض والتاريخ.

ولكن...

إذا كنا نسمي شهامة وشجاعة وإقدام وغيرة العرب الأوائل باسم "الجاهلية" لأنه أضرموا نيران حرب مدمرة بسبب ناقة، ناقة فقط، مجرد ناقة، فماذا نسمي ضياع وطن بأكمله وتشريد شعبه، ومحاولات مسح هويته في جميع المجالات والقضاء عليها ؟

٣ – ٤: اللاجئون الفلسطينيون :

أدت الحرب العربية – الإسرائيلية الأولى في العام الميلادي ١٩٤٨ بالإضافة لضياع الوطن "فلسطين العربية" إلى تشريد ما يقرب من ثلثي الشعب الفلسطيني البالغ عدده وقتئذٍ نحو مليوناً ونصف مليون نسمة، وقد تشرد الشعب الفلسطيني في الأراضي الفلسطينية التي بقيت تحت سيطرة

العرب "الضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة"، وأيضاً في الدول العربية المجاورة ومنها إلى شتى أرجاء العالم فيما بعد. وليس من السهل إعطاء أرقام دقيقة جداً عن عدد الفلسطينيين اللذين أصبحوا لاجئين أثناء حرب العام الميلادي ١٩٤٨ أو بسببها، يقول الباحث الإسرائيلي "بني موريس" في كتابه الذي يحمل عنوان "طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة اللاجئين" ما يلي :

"لقد اعتاد الناطقون العرب منذ العام الميلادي ١٩٤٩ أن يقولوا أن عدد اللاجئين الفلسطينيين كان يتراوح بين تسعمائة ألفاً ومليون لاجئاً، بينما تحدث الناطقون الإسرائيليون عن خمسمائة وعشرون ألف لاجئاً فلسطينياً فقط، وقد حدد وفد الاستطلاع الاقتصادي التابع للأمم المتحدة ووكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى "أونروا" التابعة للأمم المتحدة أيضاً أن عدد اللاجئين الفلسطينيين بلغ ٧٢٦ ألف لاجئاً. وهناك أرقام لأعداد اللاجئين الفلسطيني تقع بين ما تقوله الدول العربية وما تقوله إسرائيل، فمثلاً في شباط / فبراير عام ١٩٤٩م قدر البريطانيون عدد اللاجئين الفلسطينيين بثمانمئة وعشرة آلاف لاجئاً، منهم ٢١٠ ألف لاجئاً في قطاع غزة، و ٣٢٠ ألف لاجئاً في سورية ولبنان والأردن"[١٩].

ويقول الباحث الإسرائيلي "بني موريس" أيضاً أن إسرائيل كانت مؤمنة وواثقة من أن الأرقام التي حددها العرب والأمم المتحدة هي أرقام

مبالغ فيها، ويعتقد أن سبب هذه الزيادة والمبالغة في أعداد اللاجئين الفلسطينيين هو أن هذا العدد من اللاجئين يشمل أيضاً لاجئين من مناطق تقع خارج حدود "إسرائيل"، وكذلك أشخاصاً معدمين "فقراء" أرادوا القفز إلى عربة الإغاثة التابعة للأمم المتحدة بدلاً من بقائهم في بيوتهم واستمرار المعاناة من الفقر. لقد اعتاد اللاجئون أنفسهم المبالغة في عددهم مثلاً — عن طريق تسجيل الوفيات — بهدف الحصول على أكبر عدد من حصص الإغاثة.

في شهر آب / أغسطس عام ١٩٤٨م أمر موشيه شاريت موظفي وزارة الخارجية الإسرائيلية الاستعانة بخبراء لتقدير العدد الصحيح للاجئين الفلسطينيين، ورد هؤلاء الموظفون بأن الإحصائيين فشلوا في محاولاتهم لتحديد عدد اللاجئين بدقة، وأنهم أنفسهم طلبوا من وزارة الخارجية تزويدهم بالأعداد الموجودة لديها، وفي منتصف عام ١٩٤٩م طلب شاريت من مركز الإحصاء المركزي في إسرائيل تقديم إحصائية رسمية للاجئين، وفي الثاني من حزيران / يونيو رد الدكتور هيلموت ميوزام أحد أعضاء المكتب أن عدد اللاجئين يصل إلى ٥٧٠ ألف لاجئ، وقد توصل مركز الإحصاء المركزي الإسرائيلي إلى هذا الرقم بالطريقة التالية :

"حسب إحصائيات السلطات البريطانية كان يسكن في عهدهم ٧٢٢ ألف نسمة من غير اليهود في المناطق التي أصبحت فيما بعد تابعة للدولة اليهودية بما فيها مدينة القدس الغربية، وبما أن هذا الرقم زاد حسب رأى المكتب الإسرائيلي عن الرقم الفعلي بنسبة ٦% يكون الرقم الحقيقي هو ٦٧٩ ألف لاجئاً، ويجب خصم حوالي ١٠٢ الف لاجئاً في عدد العرب الذين يعيشون الآن في دولة إسرائيل، لذلك يبقى من العرب ٥٧٧ ألف نسمة هم اللاجئون حقاً" (٢٠).

وعلى هذا الأساسي توصلت وزارة الخارجية الإسرائيلية إلى أن العدد الرسمي الذي يتراوح بين ٥٢٠ الف لاجئاً و ٥٣٠ الف لاجئاً فلسطينياً، وادعت وزارة الخارجية الإسرائيلية أن ما بين ٣٠ ألف و ٤٠ ألف عربياً تسللوا عائدين إلى "إسرائيل" منذ الإحصاء السكاني الذي أجري في تشرين الثاني عام ١٩٤٥م، الذي أظهر بأن ١٢٠ الف عربياً يعيشون في "إسرائيل"، ويجب خصم هذا العدد ٥٧٧ ألف لاجئاً. غير أن ميرزام تحفظ في إحصائيته بقوله أن العدد ٦٧٩ ألفاً الذي قال أنه عدد العرب في "أرض إسرائيل" الانتدابية والتي ضمت فيما بعد لدولة إسرائيل لم يشمل العرب غير الشرعيين الذين عاشوا في البلاد، ولذلك لم تشملهم الإحصائية البريطانية، وكذلك تجمعات البدو في النقب سواء الذين بقوا في أماكنهم أو

الذين هاجروا من دولة إسرائيل، وهاتان المجموعتان السكانيتان وعناصر أخرى مثلها أخذت في الحسبان في الإحصائية التي أجراها البريطانيون في أيار / مايو عام ١٩٤٩م. وتوصلت وزارة الخارجية البريطانية إلى استنتاج بأن عدد اللاجئين الفلسطينيين يتراوح بين ٦٠٠ إلى ٧٦٠ ألف لاجئاً، وجاءت هذه الإحصائية ذات الهامش العريض لأن وزارة الخارجية البريطانية اقتبست الإحصائية التي أجرتها دائرة الأبحاث التابعة لها وهي ٦٠٠ ألف لاجئاً من جهة، وأخذت كذلك بالعدد الأعلى وهو ٧٦٦ ألفاً الذي ورد في إحصائية اللجنة الفنية التابعة للجنة المصالحة، ولكن هذا العدد القليل كان أكثر بكثير من العدد الذي حددته مصادر إسرائيلية رسمية. وقد فسرت وزارة الخارجية البريطانية هذا الفرق بالمبررات التالية :

أولاً: لم تأخذ إسرائيل في عين الاعتبار التكاثر الطبيعي لدى العرب في "أرض إسرائيل" منذ كانون الأول / ديسمبر عام ١٩٤٧م الذي يجب أن تخصم منه عدد الخسائر التي تكبدها العرب في الحرب.

ثانياً: أخطأت إسرائيل عندما خصمت نسبة ٦% من العدد الذي أسفرت عنه إحصائية السلطات البريطانية "سلطة الانتداب" وهو ٧٢٥ ألف نسمة.

ثالثاً: تجاهل إسرائيل وجود ٩٥ الف بدوياً تحول معظمهم إلى لاجئين أثناء الحرب.

وعلى أساس هذه الاعتبارات توصل البريطـانيون إلى اسـتنتاج أن الرقم الأقرب ما يكون للحقيقة هو ٧١١ ألف لاجئاً عربياً فلسطينياً.

أما مدير عام وزارة الخارجية الإسرائيلية "إيتان" فقد ذكر في رسـالة كتبها في أواخر عام ١٩٥٠م أن عدد اللاجئين الفلسطيني المسجلين في قوائم وكالة غوث وتشغيل اللاجئين التابعة للأمم المتحدة في عـام ١٩٤٩م هـو ٧٢٦ الف لاجئاً، وقال أن هذا الرقم في رأيه دقيق جـداً مـع أن الـرقم الحقيقي هو ٨٠٠ الف لاجئاً، إلا أن إسرائيل ظلت متمسكة برقم أقل بكثير من ٥٢٠ ألف لاجئاً لأسباب مفهومة، وأضاف إيتان ما يلي :

"إذا اعتاد الناس على الرقم الكبير واضطررنا في نهاية الأمر للموافقة على عودة اللاجئين، قد نواجه مشاكل وصعوبات في إقناع العالم بأن جميـع هؤلاء اللاجئين كانوا يعيشون داخل المناطق الإسرائيلية، على أي حال يجب التقليل من هذه الأرقام بدلاً من زيادتها [٢١].

في النصف الثاني من عام ١٩٤٨م، بدأ يتزايد قلق عناصر دولية تجاه مشـكلة اللاجـئين، وأدى هـذا القلـق إلى ممارسـة الضـغوط علـى إسرائيل التي كانت بدايتها في صيف ذلك العـام مـن كاتـب الكونـت

برنادوت. وكان كلما ازداد عدد اللاجئين الفلسطيني ازدادت الضغوط الدولية على إسرائيل شدة، وأصبحت مشكلة اللاجئين تحتل باستمرار رأس القائمة لدى بحث أي موضوع يتعلق بالنزاع الشرق أوسطي، وقدمت الدول العربية حلاً لهذه المشكلة بإعادة اللاجئين إلى بيوتهم كشرط لابد منه لموافقتها على التوصل إلى تسوية مع إسرائيل[٢٢].

والحقيقة أن السبب الحاسم والمباشر للهجرة الجماعية العربية هو الهجمات العسكرية التي قامت بها ضد العرب عصابة الهاغاناة الإسرائيلية إضافة إلى عصابات الأرغون وليحي وشتيرن أو الجيش الإسرائيلي، أو خوف السكان العرب من مثل هذه الهجمات وبخاصة بعد مذبحة دير ياسين التي ارتكبها الصهاينة ضد السكان العزل، ولكن الصهاينة يرددون دائماً أن هجرة السكان العرب كانت تلبية للنداءات المتكررة لهم من قادة الدول العربية! متجاهلين تمامً الحرب التي دارت رحاها على أرض فلسطين وفي مدنها وقراها وما ارتكبوه من مجازر همجية بشعة بحق الشعب الفلسطيني يندى لها جبين الإنسانية حياءً وخجلاً.

ومن البديهي أن عدد اللاجئين الفلسطينيين لم يبق ثابتاً منذ العام الميلادي ١٩٤٨ وحتى الآن، فقد تضاعف عددهم كثيراً عما كان عليه عندما خلق الصهاينة مشكلة اللاجئين الفلسطينيين.

ويوضح الجدول رقم (٥) تطور أعداد اللاجئين الفلسطيني بين الأعوام الميلادية ١٩٥٠ و ٢٠٠٣.

السنة	الأردن	لبنان	سورية	الضفة الغربية	قطاع غزة	المجموع الكلي
١٩٥٠	٥٠٦,٢٠٠	١٢٧,٠٠٠	٨٢,١٩٤	-	١٩٨,٢٢٧	٩١٤,٢٢١
١٩٥٥	٥٠٢,١٣٥	١٠٠,٨٢٠	٨٨,٣٠٠	-	٢١٤,٩٠١	٩٠٥,٩٨٦
١٩٦٠	٦١٣,٧٤٣	١٣٦,٥٦١	١٥٥,٤٠٣	-	٢٥٥,٥٤٢	١,١٢٠,٨٨٩
١٩٦٥	٦٨٨,٠٨٩	١٥٩,٨١٠	١٣٥,٩٧١	-	٢٩٦,٩٥٣	١,٢٨٠,٨٢٣
١٩٧٠	٥٠٦,٠٣٨	١٧٥,٩٥٨	١٥٨,٧١٧	٢٧٢,٦٩٢	٣١١,٨١٤	١,٤٢٥,٢١٩
١٩٧٥	٦٢٥,٨٥٧	١٩٦,٨٥٥	١٨٤,٠٨٢	٢٩٢,٩٩٢	٣٣٣,٠٣١	١,٦٢٢,٧٠٧
١٩٨٠	٧١٦,٣٧٢	٢٢٦,٥٥٤	٢٠٩,٣٦٢	٣٢٤,٠٣٥	٣٦٧,٩٩٥	١,٨٤٤,٣١٨
١٩٨٥	٧٩٩,٤٢٤	٢٦٢,٥٥٤	٢٤٤,٦٢٦	٣٥٧,٧٠٤	٤٢٧,٨٩٢	٢,٠٩٢,٢٤٥
١٩٩٠	٩٢٩,٠٩٧	٣٠٢,٠٤٩	٢٨٠,٧٣١	٤١٤,٢٩٨	٤٩٦,٣٣٩	٢,٤٢٢,٥١٤
١٩٩٥	١,٢٨٨,١٩٧	٣٤٦,١٦٤	٣٣٧,٣٠٨	٥١٧,٤١٢	٦٨٣,٥٦٠	٣,١٧٢,٦٦١
٢٠٠٠	١,٥٧٠,١٩٢	٣٧٦,٤٧٢	٣٨٣,١٩٩	٥٨٣,٠٠٩	٨٢٤,٦٢٢	٣,٧٣٧,٤٩٤
٢٠٠٣	١,٧١٨,٢٦٧	٣٩١,٦٧٩	٤٠٩,٦٢٢	٦٥٤,٩٧١	٩٠٧,٢٢١	٤,٠٨٢,٣٣٠

جدول رقم (٥)

تطور عدد اللاجئين بين الأعوام ١٩٥٠- ٢٠٠٣ (٢٣)

وفي السادس والعشرين من آذار / مارس عام ٢٠٠٦ م أصدرت وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين التابعة للأمم المتحدة إحصائية جديدة أعلنت فيها أن عدد اللاجئين الفلسطينيين المسجلين في قوائمها في كل من المملكة الأردنية الهاشمية وقطاع غزة والضفة الغربية لنهر الأردن والجمهورية العربية السورية والجمهورية اللبنانية قد بلغ أربعة ملايين و ٣٤٩ ألفاً و ٩٤٦ نسمة يقطن منهم حوالي مليوناً و ٧٨ ألفاً و ٦٧٨

لاجئاً في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين، وأشارت الإحصائية أيضاً إلى أن عدد اللاجئين الفلسطينيين في الجمهورية اللبنانية بلغ ٤٠٤ ألفاً يعيشون في الـــنى عشر مخيماً، وأضافت الإحصائية أنه يوجد في المملكة الأردنية الهاشمية مليون و ٨٢٧ الف لاجئاً يعيش منهم ٢٨٨ الفاً و ١١٠ لاجئاً في عشرة مخيمات. أما في الجمهورية العربية السورية فقد أفادت الإحصائية نفســـها أن عـــدد اللاجئين الفلسطينيين فيها قد بلغ ٤٣٢ ألف لاجئاً يعيش منهم ١١٦ الفاً في عشرة مخيمات، وأشارت الإحصائية أن عدد اللاجئين في الضفة الغربية لنهر الأردن قد بلغت ٦٩٩ الفاً و ٨١٤ لاجئاً يقطن منهم ١٨٤ الفـــاً و ٣٨٢ نسمة في المخيمات. أمـــا في قطـــاع غـــزة فقـــد بلـــغ عـــدد اللاجـــئين ٩٨٦ الف نسمة يعيش منهم ٤٧٩ الفاً و ٣٨٤ نسمة في مخيمات اللاجئين التابعة للأمم المتحدة. ويبين الجدول رقم (٦) عدد اللاجئين الفلسطينيين في الأراضي المحتلة والمملكة الأردنية الهاشمية والجمهوريـــة العربيـــة الســـورية والجمهورية اللبنانية :

عدد سكان المخيمات	عدد اللاجئين	المنطقة	م
٢٨٨,١١٠	١,٨٣٧٠٠٠	المملكـــة الأردنيـــة الهاشميـــة	١
٤٤٩,٣٨٤	٩٨٦,٠٠٠	قطـــــــاع غـــــــزة	٢
١٨٤,٣٨٢	٦٨٦,٠٠٠	الضـــــــفة الغربيـــــــة	٣
١١٦,٠٠٠	٤٣٢,٠٠٠	الجمهوريـــة العربيـــة الســورية	٤
—	٤٠٤,٠٠٠	الجمهوريـــــــــة اللبنانية	٥
١,٠٣٧,٨٧٦	٤,٣٤٨,٨١٤,٨١٤	المجموع الكلـــــي	٦

جدول رقم (٦)

عدد اللاجئين الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة

والأردن وسورية ولبنان (٢٤)

أوضاع الشعب الفلسطيني :

أ - أوضاع الشعب الفلسطيني قبل حرب ١٩٤٨ :

كان الشعب العربي الفلسطيني قبل حرب العام الميلادي ١٩٤٨، وإن لم يكن شعباً غنياً جداً ومترفاً، إلا أنه كان يتمتع ببحبوحة من العيش والحياة المستقرة الهادئة، وقبل الحرب العربية - الإسرائيلية الأولى في العام الميلادي ١٩٤٨، كان معظم أبناء الشعب الفلسطيني يملكون الأراضي الزراعية الخصبة التي كانت تدر عليه دخلاً سنوياً معقولاً يوفر لهم حياة كريمة وهانئة، وكان هناك طبقة من الموظفين الذين يعملون في حقل التعليم كالمدرسين وأيضاً الذين يعملون في الدوائر الحكومية المختلفة وفي مجال الأمن إضافة إلى المحامين والأطباء والتجار.

وحسب الإحصائيات الرسمية لسلطات الانتداب البريطاني فإن :

- ٦٤% من أبناء الشعب الفلسطيني كانوا يملكون قطعان الماعز والأغنام والماشية التي كانوا يستفيدون من ألبانها ولحومها وأصوافها، وتدر عليهم دخلاً إضافياً إلى دخلهم.
- و ١٨% من أبناء الشعب الفلسطيني كانوا يملكون عقارات وممتلكات أخرى كالمصانع وبخاصة مصانع النسيج ومعامل الصابون، والمتاجر ومطاحن الغلال والحبوب.
- و ٧% من أبناء الشعب العربي الفلسطيني كانوا لا يملكون شيئاً.

ب – أوضاع الشعب الفلسطيني بعد حرب ١٩٤٨:

في الواقع أن حالة الشعب العربي الفلسطيني قد تبدلت بعد الحرب العربية ـ الإسرائيلية في العام الميلادي ١٩٤٨ ولم تعد كما كانت من قبل بعد أن أرغم على ترك أراضيه وممتلكاته والرحيل عنها إلى المجهول، وتحول معظمه إلى شعب من اللاجئين يعيش في الخيام، وتردت حالة الشعب الفلسطيني كثيراً وبصورة ملحوظة جداً، إذ أصبح ٧٧% من أبناء هذا الشعب لا يملكون شيئاً على الإطلاق.

- وأقل من واحد في المائة من أبناء هذا الشعب يملكون أرضاً زراعية.
- و ١٤% من أبناء الشعب الفلسطيني يملكون حوانيت صغيرة ومتواضعة جداً في محتوياتها وتقع في أزقة مخيمات اللاجئين الفلسطينيين.

ونظراً لتحول معظم أبناء الشعب الفلسطيني إلى مجموعات من اللاجئين على ما تبقى من أرض فلسطين تحت سيطرة العرب وهي الضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة، وأيضاً في الدول العربية المجاورة مثل المملكة الأردنية الهاشمية والجمهورية العربية السورية والجمهورية اللبنانية، فإن وكالة غوث وتشغيل اللاجئين التابعة للأمم المتحدة "أونروا" [٢٥]، التي تأسست في العام الميلادي ١٩٥٠ بقرار صدر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في كانون

الأول / ديسمبر من العام الميلادي ١٩٤٩ ويحمل رقم (٣٠٢)، وأخذت الأونروا على عاتقها مسؤولية إغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين كما يدل اسمها.

ومن هذا المنطلق انشأت وكالة الأونرا العشرات من المخيمات للاجئين الفلسطينيين لكي تأويهم ولحميهم من حرارة شمس الصيف وبرودة فصل الشتاء القارصة بعد أن فقدوا منازلهم وأراضيهم وممتلكاتهم عقب حرب العام الميلادي ١٩٤٨، وتقع رئاسة وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في كل من مدينة غزة ومدينة عمان الأردنية، ويبلغ عدد موظفيها ٢٢ ألف موظفاً معظمهم يعملون في قطاع التعليم وفي قطاع الخدمات الصحية.

الحياة داخل مخيمات اللاجئين الفلسطينيين :

انشأت وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين التابعة للأمم المتحدة "أونروا" تسعة وخمسون مخيماً لإيواء اللاحئين الفلسطينيين في كل من الضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة والمملكة الأردنية الهاشمية والجمهورية العربية السورية والجمهورية اللبنانية، وفي الحقيقة أن الحياة داخل مخيمات اللاجئين الفلسطينيين كانت ولا تزال مريعة وبشعة وقاسية وغير إنسانية على الإطلاق، فمخيمات اللاجئين الفلسطينيين في الواقع رغم صغر مساحتها حاشدة بأعداد ضخمة من اللاجئين الفلسطينيين، وقد تصل كثافة السكان

فيها إلى درجة لا إنسانية وخانقة جداً كما هو الحال في مخيمات قطاع غـزة المكتظة جداً بالسكان، ومن الممكن أن يجد المرء في منازلها ثلاثين شخصاً يعيشون في منزل واحد مكون من ثلاث حجرات فقط.

ولا يوجد في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين طرق معبدة. وأزقتها غير مضاءة بالكهرباء وكذلك المنازل أيضاً غير مضاءة بالكهرباء، وتوجد في المخيمات شبكة للمياه النقية الصالحة للشرب وإعداد وطهي الطعام، إلا أن صنابير المياه هي صنابير مشتركة ولا تدخل المنازل وكذلك دورات المياه هي دورات مشتركة ولا توجد داخل المنازل. ولا يوجد في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين شبكات للصرف الصحي كافية للقيام بالغرض، وبعض مخيمات اللاجئين الفلسطينيين مثل مخيم العروب بمنطقة الخليل في الضفة الغربية لنهر الأردن لا توجد به أصلاً شبكة مجاري وصرف حي، وتقوم وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين "أونروا" بالتخلص من الفضلات والقاذورات والقمامة داخل المخيمات، كما وأنها تكافح القوارض والحشرات في تلك المخيمات.

وتتكفل وكالة غوث وتشغيل اللاجئين التابعة للأمم المتحدة "أونروا" بتقديم الخدمات التعليمية لأبناء اللاجئين الفلسطينيين مثل المدارس الابتدائية والإعدادية، وتقدم للتلاميذ الكتب الدراسية والدفاتر وأقلام الرصاص

اللازمة للدراسة. وتقوم هذه الوكالة أيضاً بالخدمات الصحية على هيئة مراكز صحية أولية تقدم الخدمات الصحية المختلفة كالخدمات العلاجية والدوائية والوقائية للاجئين الفلسطينيين، ولكن لا يوجد مستشفيات خاصة لتلك الوكالة ويلجأ المرضى للمستشفيات الحكومية عند الضرورة. وإضافة على ذلك تقدم هذه الوكالة الخدمات الاجتماعية والغذائية والتموينية للاجئين الفلسطينيين حيث يقدم لهم حصص دورية من المواد الغذائية مثل الدقيق والسكر والأرز والبقوليات والزيوت والحليب المجفف، وأحياناً تقدم لهم الملابس المستعملة والأجبان.

والحقيقة أن الحالة الاقتصادية داخل مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في تدهور مستمر، ويقع نحو ٦٠% من سكانها تحت خط الفقر وبخاصة في مخيمات الداخل الفلسطيني عقب انتفاضة الشعب الفلسطيني الأولى (١٩٨٧ ـ ١٩٩٤)، والانتفاضة الثانية أو انتفاضة الأقصى التي اندلعت في العام الميلادي ٢٠٠٠، ويتراوح دخل معيلو الأسر في مخيمات الضفة الغربية لنهر الأردن بين صفر و ٢٠٠ ديناراً أردنياً في الشهر الواحد، وهناك ازدياد مستمر في نسبة البطالة بين اللاجئين الفلسطينيين أدى إلى تولد ظاهرة الفقر الشديد بينهم، ومما ساعد على تفاقم هذه الظاهرة هو النقص الخطير في مستوى الخدمات التي تقدمها وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين

"أونروا" بسبب التدني الشديد في ميزانية هذه الوكالة، واضطرارها للعمل في ظروف أمنية صعبة وخطيرة للغاية وبخاصة في مخيمات قطاع غزة والضفة الغربية لنهر الأردن، وقد أدى ذلك إلى عدم توسع المخيمات وتحسينها وتقديم الخدمات اللازمة لها كأعمال الصيانة الدورية لها والترميم، في حين أن عدد السكان داخل المخيمات يزدادون بمعدل ثلاثة في المائة سنوياً.

وبالرغم من جميع الصعوبات التي تواجه اللاجئين الفلسطينيين داخل المخيمات، والحياة القاسية والمزرية واللاإنسانية فيها، إذ أن السواد الأعظم من اللاجئين الفلسطينيين يفضلوا حياة المخيمات ويتحملون صعوباتها ومشاقها وقسوتها لأسباب وطنية بحتة حتى لا يضيع حقهم في العودة إلى ديارهم إذا ما سمح لهم يوماً بالعودة إليها، إذ أنهم يعتبرون أن المكان الأمثل لإقامته هي مدنهم وقراهم التي طردوا منها، وما حياة المخيمات إلى حياة مؤقتة ومصيرها حتماً إلى الزوال.

وفي دول المهجر يعيش عشرات الآلاف من أبناء الشعب العربي الفلسطيني، وقد تكون هذه الدول دول عربية مثل الدول الغنية كالمملكة العربية السعودية ودول الخليج العربي المختلفة وبعض الدول العربية في الشمال الأفريقي، أو قد تكون هذه الدول دول أجنبية مثل بريطانية وفرنسة والولايات المتحدة الأمريكية وكندا والبرازيل وأسترالية وغيرها، وقد توافد

أبناء الشعب الفلسطيني على هذه الدول منذ مطلع الستينات من القرن الميلادي العشرين لدواعي العمل والمعيشة فيها، ويعتبر هؤلاء ميسوري الحال نسبياً من الناحية المادية مقارنة ببقية أبناء الشعب الفلسطيني، وهذه الشريحة من الشعب الفلسطيني ليست مقياساً لهذا الشعب من الناحية المادية، فمعظم أبناء الشعب الفلسطيني يغرقون في فقر مدقع، ويعيشون في ظروف صعبة وشائكة وبالغة التعقيد، وللتخفيف من معاناة الشعب الفلسطيني، يقوم الفلسطينيون العاملون في بعض الدول الغنية بتقديم الدعم المالي لأهلهم وذويهم وأقاربهم في مخيمات الداخل وأيضاً في الشتات، ويوفروا لهم الأموال اللازمة والكافية لتعليم أبنائهم في المدارس والجامعات أو تكاليف علاجهم إذا اقتضى الأمر، كما وأنهم يقومون أيضاً بتقديم المعونات المالية لمنظمة التحرير الفلسطينية حيث يخصم مبلغ وقدره خمسة في المائة من الدخل الشهري المجمعة لحساب منظمة التحرير الفلسطينية علاوة على التبرعات الرسمية والطوعية للحكومات العربية وأبناء الشعب الفلسطيني والعربي.

وبالرغم من أن دولة إسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم التي أنشأت بقرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة. إلا أن هذه الدولة هي الدولة الوحيدة أيضاً التي لم تقم بتنفيذ أي من قرارا المنظمة الدولية وبخاصة القرارين المتعلقين بتقسيم فلسطين وبعودة اللاجئين إلى ديارهم. فمن المعروف أن

قبول إسرائيل كعضو في الأمم المتحدة في الحادي عشر من أيار / مايو من العام الميلادي ١٩٤٩ أخضع قبولها في المحفل الدولي بتنفيذها لقرارين صادرين عن الأمم المتحدة وهما :

القرار الأول: هو قرار تقسيم فلسطين إلى دولتين: واحدة عربية وأخرى يهودية الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ التاسع والعشرين من تشرين الثاني / نوفمبر من العام الميلادي ١٩٤٧، إلا أن دولة إسرائيل لم توافق على تنفيذ هذا القرار وتمسكت بما حققته من انتصارات عسكرية على العرب في ميادين القتال أثناء حرب عام ١٩٤٨م.

القرار الثاني: هو القرار رقم (١٩٤) الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في الحادي عشر من كانون الأول / ديسمبر من العام الميلادي ١٩٤٨، والذي ينص في الفقرة الحادية عشر منه على أن اللاجئين الفلسطينيين الراغبين في العودة إلى ديارهم والعيش بسلام مع جيرانهم يجب أن يسمح لهم بذلك في أقرب تاريخ ممكن، ويجب أن يدفع تعويض عن الممتلكات لأولئك الذين يختارون عدم العودة، ويعوضون أيضاً عن فقدان ممتلكاتهم أو عن أصابتها بأضرار. ولكن دولة إسرائيل رفضت تنفيذ هذا القرار أيضاً، وتجاهلت تماماً مشكلة اللاجئين الفلسطينيين التي كانت هي السبب الأول في خلقها، فمشكلة اللاجئين الفلسطينيين لم تنشأ فقط نتيجة

للعمليات العسكرية التي صاحبت الدلاع حرب عام ١٩٤٨، وإنما كانت أيضاً بسبب المذابح البربرية البشعة المدروسة والمخطط لها مسبقاً التي قامت العصابات الصهيونية بتنفيذها ضد الشعب الفلسطيني مثل مذبحة دير ياسين وغيرها من المذابح الهمجية التي أرعبت الناس وأفزعتهم ودفعتهم إلى فرار جماعي عن أرضهم وممتلكاتهم وبخاصة وأن الشعب الفلسطيني كان شعباً أعزلاً مجرداً من أي سلاح يدافع به عن نفسه أو يرد به هجمات الصهاينة.

توزيع مخيمات اللاجئين الفلسطينيين :

توزع التسعة والخمسون مخيماً الخاصة باللاجئين الفلسطينيين والتي انشأتها وكالة غوث وتشغيل اللاجئين التابعة للأمم المتحدة (أونروا) على كل من الضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة والمملكة الأردنية الهاشمية والجمهورية العربية السورية والجمهورية اللبنانية، وسنتناول هنا مخيمات اللاجئين الفلسطينيين حسب موقعها الجغرافي في البلد الذي توجد فيه وأيضاً حسب عدد سكانها.

أولاً مخيمات الضفة الغربية لنهر الأردن :

يوجد في الضفة الغربية لنهر الأردن تسعة عشر مخيماً للاجئين الفلسطينيين يقع بعضها في محيط المدن الكبرى، بينما يقع البعض الآخر في المناطق الريفية، وأكبر مخيم للاجئين الفلسطينيين في الضفة الغربية لنهر الأردن هو مخيم "بلاطة" الواقع في محيط مدينة نابلس، وبالرغم من ضخامة

هذا المخيم بالنسبة لمخيمات الضفة الغربية لنهر الأردن، إلا أن هذا المخيم من حيث عدد السكان يعادل تقريباً عدد سكان أصغر مخيم للاجئين الفلسطينيين في قطاع غزة.

١- مخيمات الضفة الغربية حسب موقعها الجغرافي :

أنظر الخارطة رقم (٢)

أ) مخيمات منطقة القدس ورام الله :

(١) مخيم شعفاط :

أنشأ مخيم شعفاط للاجئين الفلسطينيين في العامين الميلاديين ١٩٦٥ و ١٩٦٦ لإيواء لاجئين كانوا يقيمون في حارة الشرفاء بمدينة القدس العتيقة، وأصول هؤلاء اللاجئين تعود للساحل الفلسطيني الأوسط ولمناطق القدس والرملة ويافا، وبعد حرب عام ١٩٦٧م انضم إليه لاجئون من قرى يالو وبيت نوبا وعمواس.

(٢) مخيم الأمعري :

أنشأ هذا المخيم في العام الميلادي ١٩٤٩ داخل الحدود البلدية لمدينة البيرة، وأصول سكانه تعود لمناطق اللد والرملة وسلمة والنعماني.

(٣) مخيم دير عمار :

أنشأ هذا المخيم في العام الميلادي ١٩١٤٩، ويقع على مسافة ٣٠ كيلو متراً غربي مدينة رام الله، وأصول سكانه تعود لمدينتي اللد والرملة.

(٤) مخيم الجلزون:

أنشأ هذا المخيم في العام الميلادي ١٩٤٩ على مسافة سبعة كيلو مترات شمالي مدينة رام الله، وأصول سكانه تعود للساحل الفلسطيني الأوسط وأيضاً إلى مدينتي اللد والرملة، وقد انضم إليه بعد حرب عام ١٩٦٧م سكان جدد من قرى عمواس ويالو وبيت نوبا.

(٥) مخيم قلنديا:

أنشأ هذا المخيم في العام الميلادي ١٩٤٩م، ويقع على مسافة إحدى عشر كيلو متراً شرقي مدينة القدس، وأصول سكانه تعود لمنطقة القدس، وانضم إليه بعد حرب عام ١٩٦٧ لاجئون جدد من قرى يالو وعمواس وبيت نوبا.

ب) مخيمات منطقة بيت لحم:

(٦) مخيم الدهيشة:

أنشأ مخيم الدهيشة في العام الميلادي ١٩٤٩، ويقع داخل الحدود البلدية لمدينة بيت لحم، وترجع أصول سكانه إلى مناطق الخليل وبيت لحم والقدس والرملة والمجدل.

(٧) مخيم عايدة :

أنشأ هذا المخيم في العام الميلادي ١٩٥٠ بين مدينة بيت لحم وبلدة بيت جالا، وتعود أصول سكانه لمنطقة القدس ورام الله وقرى زكريا وعـــلار وراس عمار.

(٨) مخيم بيت جبرين :

أنشأ مخيم بيت جبرين في العام الميلادي ١٩٥٠ في قلب مدينة بيت لحم وداخل حدودها البلدية.

م) مخيمات منطقة أريحا :

(٩) مخيم عقبة جبر :

أنشأ هذا المخيم في العام الميلادي ١٩٤٨ بالقرب من شاطئ البحر الميت وعلى مسافة ثلاثة كيلومترات جنوبي مدينة أريحا.

(١٠) مخيم عين السلطان :

أنشأ مخيم عين السلطان في العام الميلادي ١٩٤٨ على مسافة كيلـــو متراً واحداً من مدينة أريحا.

د) مخيمات منطقة نابلس :

(١١) مخيم بلاطة :

مخيم بلاطة هو أكبر مخيمات الضفة الغربي لنهر الأردن مـــن حيـــث عدد السكان، ولقد أنشأ هذا المخيم في العام الميلادي ١٩٥٠ داخل حدود

بلدية نابلس، وأصول سكانه تعود إلى مناطق وسط وشمال فلسطين وأيضاً من مدينتي يافا وحيفا.

(١٢) مخيم عسكر:

أنشأ مخيم عسكر في العام الميلادي ١٩٥٠ ضمن الحدود البلدية لمدينة نابلس.

(١٣) مخيم رقم (١) أو مخيم عين بيت الماء:

أنشأ هذا المخيم في العام الميلادي ١٩٥٠، وأطلقت عليه وكالة غوث وتشغيل اللاجئين التابعة للأمم المتحدة "أونروا" اسم مخيم رقم (١)، ولكنه عرف باسم مخيم "عين بيت الماء" نظراً لقربه من عين ماء. ويقع مخيم رقم (١) بالقرب من الطريق الرئيسي الواصل بين مدينتي نابلس وجنين، وتعود أصول سكانه إلى مدن حيفا وعكا ويافا والقرى المحيطة بها.

(١٤) مخيم الفارعة:

أنشأ مخيم الفارعة عام ١٩٤٩م على مسافة سبعة عشر كيلو متراً شمال شرق مدينة نابلس، ومعظم سكانه من قضائي حيفا ويافا.

هـ) مخيمات منطقة طولكرم:

(١٥) مخيم طولكرم:

أنشأ هذا المخيم في العام الميلادي ١٩٥٠ ضمن الحدود البلدية لمدينة طولكرم وعلى الطريق الغربي للضفة الغربية لنهر الأردن، وهو ثاني

أكبر مخيم للاجئين الفلسطينيين في الضفة الغربية لنهر الأردن بعد مخيم بلاطة، وتعود أصول سكان مخيم طولكرم إلى خمسة وثمانين بلدة وقرية من مناطق يافا وحيفا وأيضاً من البدو.

(١٦) مخيم نور شمس :

أنشأ هذا المخيم في العام الميلادي ١٩٥٢، ويقع على مسافة ثلاثة كيلومترات شرقي مدينة طولكرم، وأصول سكانه تعود إلى مدينة حيفا ومناطق الجليل المختلفة.

و) مخيمات منطقة جنين :

(١٧) مخيم جنين :

أنشأ مخيم جنين في العام الميلادي ١٩٥٣، وقد قاوم مخيم جنين ببطولة نادرة ومنقطعة النظير القوات الإسرائيلية في بداية انتفاضة الشعب الفلسطيني الثانية أو انتفاضة الأقصى عام ٢٠٠٠ لدرجة أنه أطلق على هذا المخيم اسم "جنين غراد".

ز) مخيمات منطقة الخليل :

(١٨) مخيم الفوار :

أنشأ هذا المخيم في العام الميلادي ١٩٤٩، ويقع على مسافة عشرة كيلومترات جنوبي مدينة الخليل.

(١٩) مخيم العروب :

أنشأ مخيم العروب في العام الميلادي ١٩٥٠ على مسافة خمسة عشر كيلو متراً جنوبي مدينة بيت لحم على الطريق الرئيسي الذي يربط هذه المدينة بمدينة الخليل.

ويوجد في الضفة الغربية لنهر الأردن ستة مخيمات صغيرة لا تقوم بالإشراف عليها وكالة "أونروا"، ويقل عدد سكان هذه المخيمات عن خمسة آلاف نسمة، وتقع هذه المخيمات داخل نطاق المدن وهي موزعة كالتالي :

أ - أربعة مخيمات في منطقة القدس ورام الله وهي :

١- مخيم قدورة.

٢- مخيم بير زيت.

٣- مخيم عناتا.

٤- مخيم سلواد.

ب - مخيم واحد في منطقة أريحا هو :

٥- مخيم العوجا.

جـ- مخيم واحد في منطقة نابلس هو :

٦- مخيم جنيد.

ترتيب مخيمات الضفة الغربية حسب عدد سكانها

انظر جدول رقم (٧)

م	اسم المخيم	عدد السكان
١	مخيم بلاطة	٢١,٩٠٣
٢	مخيم طولكرم	١٧,٤٥٥
٣	مخيم جنين	١٥,٤٩٦
٤	مخيم عسكر	١٤,٦٢٩
٥	مخيم الدهيشة	١٢,٠٤٥
٦	مخيم الجلزون	١٠,٣٩٠
٧	مخيم شعفاط	١٠,٣٦٩
٨	مخيم قلنديا	١٠,٠٢٤
٩	مخيم العروب	٩,٨٥٩
١٠	مخيم الأمعرى	٨,٨٠٥
١١	مخيم نورشمس	٨,٦٥٩
١٢	مخيم الفوار	٧,٦٣٠
١٣	مخيم الفرعه	٧,٢٤٤
١٤	مخيم رقم(١)	٦,٥٠٨
١٥	مخيم عقبة جبر	٥,٥١٠
١٦	مخيم عايده	٤,٥٢٤
١٧	مخيم دير عمار	٢,٢٧٥
١٨	مخيم بيت جبرين	٢,٠٢٥
١٩	مخيم عين السلطان	١,٧٢٣

جدول رقم (٦)

عدد سكان مخيمات الضفة الغربية في العام الميلادى ٢٠٠٥ (٢٦)

وبعد توقيع اتفاقيات أوسلو في العام الميلادي ١٩٩٣ وما تلاها من اتفاقيات، توزعت مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في الضفة الغربية لنهر الأردن على المناطق "أ – ب – ج"، فمخيم شعفاط على سبيل المثال يقع داخل الحدود البلدية لمدينة القدس وظل تحت السيطرة الإسرائيلية، ووقع مخيم قلنديا في المنطقة (ج) وظل أيضاً تحت السيطرة الإسرائيلية، في حين وقعت ستة مخيمات هي: دير عمار والجلزون والفوار والعروب والفارعة ونور شمس في المنطقة (ب) أي تحت السيطرة المشتركة لإسرائيل والسلطة الوطنية الفلسطينية، أما بقية المخيمات وعددها أحد عشر مخيماً فقد وقعت في المنطقة (أ) أي تحت سيطرة السلطة الوطنية الفلسطينية.

ثانياً: مخيمات قطاع غزة :

يوجد في قطاع غزة ثمانية مخيمات للاجئين الفلسطينيين، وهي في الواقع تعاني من ازدحام خانق، وتعتبر كثافة السكان في مخيمات قطاع غزة للاجئين الفلسطينيين من أعلى النسب في العالم، فمخيم الشاطئ على سبيل المثال الذي يقع على شاطئ بحر مدينة غزة يسكنه أكثر من ٧٦ ألف نسمة ومساحته أقل من كيلو متراً مربعاً واحداً.

١- توزيع مخيمات قطاع غزة حسب موقعها الجغرافي :

أنظر خارطة رقم (٣)

أ – منطقة مدينة غزة :

١- مخيم الشاطئ :

أنشأ مخيم الشاطئ في العام الميلادي ١٩٤٨، وتبلغ مساحته أقل من كيلو متراً مربعاً واحداً، ويقع هذا المخيم على شاطئ مدينة غزة المطل على البحر الأبيض المتوسط، وفي بادئ الأمر كان هذا المخيم مقاماً من الخيام القماشية ويشرف عليه الصليب الأحمر الدولي، ثم استبدلت وكالة غوث وتشغيل اللاجئين التابعة للأمم المتحدة (أونروا) بعد تأسيسها في العام الميلادي ١٩٥٠ خيام هذا المخيم ببيوت مصنوعة من الطين في أوائل الخمسينات من القرن الميلادي العشرين ثم ببيوت مصنوعة من الاسمنت في العام الميلادي ١٩٦٠، وأصول سكان مخيم الشاطي تعود لمدن اللد والرملة وبئر السبع والمناطق الجنوبية من الساحل الفلسطيني.

ب – منطقة جباليا :

٢- مخيم جباليا :

مخيم جباليا هو أكبر مخيم للاجئين الفلسطينيين في الوطن والشتات، وقد أنشأ هذا المخيم في العام الميلادي ١٩٤٨ ليأوي اللاجئين لفلسطينين من القرى الفلسطينية الجنوبية، وفي بادئ الأمر كان هذا المخيم عبارة عن مجموعة من الخيام القماشية التي استبدلت فيما بعد ببيوت مبنية بحجارة الأسمنت ومسقوفة بألواح الاسبيتوس، وتبلغ مساحة مخيم جباليا كيلو متراً

واحداً وربع الكيلو متر وهو مكتظ جداً بالسكان الذين يبلغ عددهم حوالي ١٠٣ ألف لاجئاً. وقد أطلق على مخيم جباليا اسم مخيم "الثورة" بسبب اندلاع الشرارة الأولى للانتفاضة الفلسطينية الأولى منه عام ١٩٨٧م عقب إقدام سائق شاحنة إسرائيلي على دهس أربعة عمال من عمال المخيم بسيارته.

جـ- المنطقة الوسطى :

٣- مخيم البريج :

يقع مخيم البريج في المنطقة الوسطى من قطاع غزة، وقد أنشأ هذا المخيم في العام الميلادي ١٩٤٨، وفي البداية كان اللاجئون الفلسطينيون يقطنون في الخيام وعنابر الجيش البريطاني، ثم قامت وكالة غوث وتشغيل اللاجئين التابعة للأمم المتحد "أونروا" باستبدال الخيام ببيوت سمنتية، وينقص هذا المخيم شبكات الصرف الصحي الكافية. ويسمى هذا المخيم باسم مخيم "الصمود" نظراً لصموده أثناء انتفاضة الشعب الفلسطيني الأولى حيث لم تتمكن القوات الإسرائيلية من اقتحامه رغم استخدامها لكافة أنواع الأسلحة التي تسالدها المروحيات العسكرية في مقابل سكان المخيم الذين ان يتسلحون فقط بالحجارة والقنابل الحارقة.

٤- مخيم النصيرات :

يقع مخيم النصيرات على مسافة حوالي ثمانية كيلومترات جنوبي مدينة غزة، ويعود اسم المخيم إلى اسم قبيلة عربية تعرف باسم عرب "النصيرات" التي تقطن في نفس المكان، ويسكن في هذا المخيم لاجئون فلسطينيون من منطقة بئر السبع والنقب جنوبي فلسطين.

٥- مخيم المغازي :

يقع هذا المخيم في المنطقة الوسطى أيضاً جنوبي مخيمي البريج والنصيرات، ويسكن في هذا المخيم لاجئون من المناطق الوسطى والجنوبية لفلسطين.

٦- مخيم دير البلح :

يقع مخيم دير البلح على شاطئ هذه البلدة وإلى الغرب منها، ويسكن في هذا المخيم لاجئون من المناطق الوسطى والجنوبية من لسطين.

د - منطقة خان يونس :

٧- مخيم خان يونس :

يقع مخيم خان يونس على مسافة كيلو مترين شرقي ساحل البحر الأبيض المتوسط جنوبي مدينة غزة، ولقد أنشأ هذا المخيم في العام الميلادي ١٩٤٩، ومعظم سكانه من مناطق بئر السبع والنقب.

و – منطقة رفح:

٨- مخيم رفح:

يقع هذا المخيم في أقصى جنوب قطاع غزة بالقرب من الحدود المصرية، ولقد أنشأ في العام الميلادي ١٩٤٩.

[II] ترتيب مخيمات قطاع غزة حسب عدد السكان:

أنظر الجدول رقم (٧)

مسلسل	اسم المخيم	عدد السكان
١	مخيم جباليا	١٠٢,٦٤٦
٢	مخيم رفح	٩٠,٦٢٨
٣	مخيم الشاطئ	٧٦,١٠٩
٤	مخيم النصيرات	٦٤,٢٣٣
٥	مخيم خان يونس	٦٠,٦٦٢
٦	مخيم البريج	٣٠,٠٥٩
٧	مخيم المغازي	٢٢,٥٣٦
٨	مخيم دير البلح	٢٠,١٨٨

جدول رقم (٧)

أعداد سكان مخيمات قطاع غزة

في العام الميلادي ٢٠٠٢ (٢٧)

ثالثاً: مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في المملكة الأردنية الهاشمية:

يوجد في المملكة الأردنية الهاشمية عشرة مخيمات للاجئين الفلسطينيين موزعة على أماكن متفرقة من الضفة الشرقية لنهر الأردن ويسكنها حوالي ٣٠٧,٧٨٥ لاجئاً أي ما يقرب من ١٧% من مجموع اللاجئين الفلسطينيين في المملكة الأردنية الهاشمية البالغ عددهم نحو مليوناً سبعمائة ألف لاجئاً المسجلين في قوائم وكالة غوث وتشغيل اللاجئين التابعة للأمم المتحدة "أونروا"، ولقد أقيمت أربعة من هذه المخيمات العشرة بعد حرب العام الميلادي ١٩٤٨، أما الستة مخيمات الأخرى فقد أنشأت بعد حرب العام الميلادي ١٩٦٧، وإضافة على تلك المخيمات توجد ثلاث مخيمات أخرى للاجئين الفلسطينيين في المملكة الأردنية الهاشمية لا تشرف عليه وكالة غوث وتشغيل اللاجئين التابعة للأمم المتحدة "أونروا"، بينما تعتبرها الحكومة الأردنية الهاشمية مخيمات لاجئين، ويحمل جميع اللاجئين الفلسطينيين في المملكة الأردنية الهاشمية الجنسية الأردنية ولكنهم يعانون من شتى أنواع التفرقة والتمييز، ويوجد في الأردن حوالي مئة ألف لاجئاً جاؤوا إلى المملكة الأردنية الهاشمية من قطاع غزة بعد حرب عام ١٩٦٧م، وكان قطاع غزة حتى تاريخ تلك الحرب تحت الإدارة المصرية، ولذا فإنهم لا يحملون الجنسية الأردنية الكاملة.

I- مخيمات الأردن حسب موقعها الجغرافي:

أنظر خارطة رقم (٢)

أ- مخيمات منطقة عمان:

١- مخيم جبل الحسين:

مخيم جبل الحسين في المخيمات الأربعة التي أنشأت بعد حرب عام ١٩٤٨ من أجل سكن اللاجئين الفلسطينيين.

٢- مخيم عمان الجديد:

ويعرف هذا المخيم أيضاً باسم مخيم "الوحدات" وهو واحد من الأربعة مخيمات التي أنشأت بعد حرب العام الميلادي ١٩٤٨.

٣- مخيم ماركا:

ويعرف هذا المخيم محلياً باسم مخيم "حطين"، وهو من الستة مخيمات التي أنشأت في العام الميلادي ١٩٦٨.

ب- منطقة الطالبية:

٤- مخيم الطالبية:

مخيم الطالبية هو واحد من المخيمات الستة التي أنشأت في العام الميلادي ١٩٦٨ بعد حرب عام ١٩٦٧م، وقد خصص هذا المخيم لسكن حوالي خمسة آلاف لاجئاً فلسطينياً قدموا من الضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة.

جـ - مخيمات منطقة الزرقاء:

٥- مخيم الزرقاء:

مخيم الزرقاء هو أقدم مخيم للاجئين الفلسطينيين في المملكة الأردنية الهاشمية، وهو واحد من أربعة مخيمات للاجئين الفلسطينيين أنشأت في العام الميلادي ١٩٤٩ بواسطة اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

٦- مخيم البقعة:

مخيم البقعة هو واحد من الستة مخيمات التي أنشأت في العام الميلادي ١٩٦٨ لاستيعاب لاجئين من الضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة.

د- منطقة جرش:

٧- مخيم جرش:

يعرف هذا المخيم محلياً باسم مخيم "غزة" لأن معظم سكانه أتوا إلى المملكة الأردنية الهاشمية من قطاع غزة بعد حرب العام الميلادي ١٩٦٧، وهو واحد من المخيمات الستة التي أنشأت عام ١٩٦٨م.

٨- مخيم السوف:

أنشأ هذا المخيم لاستيعاب لاجئين فلسطينيين قدموا من الضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة.

هـ- مخيمات منطقة إربد:

٩- مخيم أربد:

أنشأ هذا المخيم في العام الميلادي ١٩٤٨.

١٠- مخيم الحصن :

مخيم الحصن هو واحد من الستة مخيمات التي أنشأت في العام الميلادي ١٩٦٨.

II- ترتيب مخيمات الأردن حسب عدد السكان :

أنظر جدول رقم (٨)

مسلسل	اسم المخيم	عدد السكان
١	مخيم البقعة	٨٦,٥١٤
٢	مخيم عمان الجديد	٥٠,٦٠١
٣	مخيم ماركة	٤٢,٧٢١
٤	مخيم جبل الحسين	٣٠,٥٩٦
٥	مخيم اربد	٢٣,٩٨٤
٦	مخيم الحصن	٢٠,٦٤٥
٧	مخيم الزرقاء	١٧,٨٤٤
٨	مخيم الصوف	١٥,٤٢٩
٩	مخيم جرش	١٥,١٢١
١٠	مخيم الطالبية	٤,٦٧٦

جدول رقم (٨)

عدد سكان مخيمات الأردن في العام ٢٠٠٣م[٢٨]

رابعاً: مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في الجمهورية العربية السورية :

تعرضت الجمهورية العربية السورية إلى ثلاث موجات من الهجرات على النحو التالي :

الأولى: كانت في العام الميلادي ١٩٤٨ عندما وصل إلى الجمهورية العربية السورية عدد كبير من اللاجئين الفلسطينيين أثناء وعقب الحرب العربية – الإسرائيلية الأولى عام ١٩٤٨م، ولقد قدم هؤلاء اللاجئون الفلسطينيون من المناطق الشمالية لفلسطين مثل مناطق مدن صفد وحيفا وعكا.

الثانية: كانت هذه الموجه عقب الحرب العربية ـ الإسرائيلية الثالثة في العام الميلادي ١٩٦٧ عندما تعرضت الجمهورية العربية السورية لموجه جديدة من الهجرة حملت حوالي مائة ألف لاجئاً بعضهم من الفلسطينيين قدموا من منطقة المرتفعات السورية أو هضبة الجولان.

الثالثة: أما الموجه الثالثة فكانت في العام الميلادي ١٩٨٢ بوصول بضعة آلاف من اللاجئين اللبنانيين إلى الجمهورية العربية السورية بسبب الاجتياح الإسرائيلي للبنان وبسبب الحرب الأهلية الدائرة هناك أيضاً.

والجمهورية العربية السورية هي في الواقع الدولة العربية الوحيدة التي تعامل اللاجئين الفلسطينيين معاملة المواطنين السوريين، فاللاجئون

الفلسطينيون في الجمهورية العربية السورية يتمتعون بجميع المزايا والخدمات التي تقدمها الحكومة السورية لمواطنيها، إذ يسمح لهم بدخول المدارس والجامعات السورية لتلقي العلم فيها، وكذلك العلاج في المستشفيات الحكومية، وحرية العمل مكفولة لهم في جميع المجالات.

مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في الجمهورية العربية السورية:

توجد في الجمهورية العربية السورية عشرة مخيمات رسمية للاجئين الفلسطينيين، وثلاثة مخيمات غير رسمية لا تشرف عليها وكالة غوث وتشغيل اللاجئين التابعة للأمم المتحدة "أونروا". والمخيمات الغير رسمية كالتالي :

١ – **مخيم اليرموك** ويسكنه حسب آخر إحصائية في العام الميلادي ٢٠٠٢ ما يقرب من مائة واثني عشر ألفاً وخمسمائة لاجئاً.

٢ – **مخيم اللاذقية:** ويسكنه ٦,٣٥٤ نسمة.

٣ – **مخيم عين التل:** ويسكنه ٤,٣٢٩ لاجئاً.

I– توزيع مخيمات اللاجئين في سورية حسب موقعها الجغرافي :

أنظر خارطة رقم (٥)

أ– مخيمات منطقة دمشق :

١– مخيم جرمانا :

يقع مخيم جرمانا على مسافة ثمانية كيلومترات من مدينة دمشق وعلى الطريق المؤدي إلى مطار دمشق الدولي، وقد أنشأ مخيم جرمانا في العام

الميلادي ١٩٤٨، ويضم أيضاً لاجئين بعد الحرب العربية ـ الإسرائيلية الثالثة في العام الميلادي ١٩٦٧.

٢- مخيم سبينة :

يقع هذا المخيم بالقرب من مدينة سبينة وأنشأ في العام الميلادي ١٩٤٨، ويضم أيضاً لاجئين بعد حرب عام ١٩٦٧م.

٣- مخيم قبر الزيت :

ويقع هذا المخيم بالقرب من مدينة السيدة زينب وعلى مسافة خمسة كيلومترات من مدينة دمشق، وقد أنشأ مخيم قبر عزت كمخيم طوارئ بين الأعوام الميلادية ١٩٦٧ و١٩٦٨، ويقطنه لاجئون من منطقة القنيطرة.

٤- مخيم خان الشيخ :

يقع هذا المخيم بالقرب من قرية خان الشيخ الواقعة على مسافة ٢٧ كيلومتراً جنوبي مدينة دمشق، وقد أنشأ في العام الميلادي ١٩٤٩.

٥- مخيم خان دنون :

يقع هذا المخيم على مسافة ثلاثة وعشرين كيلو متراً جنوبي مدينة دمشق، وأنشأ بين العامين الميلاديين ١٩٥٠ و ١٩٥١،

ب- منطقة حلب:

٦- مخيم النيرب:

مخيم النيرب هو أضخم مخيم رسمي في الجمهورية العربية السورية ويقع على مسافة ثلاثة عشر كيلو متراً شرقي مدينة حلب، وقد أنشأ هذا المخيم بين الأعوام الميلادية ١٩٤٨ و ١٩٨٠ـ ويأوي لاجئين فلسطينيين من المناطق الشمالية لفلسطين، وكان هذا المخيم في الأصل عنابر للجيش أقامتها القوات المتحالفة أثناء الحرب العالمية الثانية.

ج- منطقة حماه:

٧- مخيم حماه:

يقع هذا المخيم في محيط مدينة حماه الواقعة على مسافة ٢٠٠ كيلومتراً شمالي مدينة دمشق، وقد أنشأ هذا المخيم في العام الميلادي ١٩٥٠، ومعظم اللاجئين فيه هاجروا من القرى المحيطة بمدن حيفا وعكا والمناطق الشمالية في فلسطين.

د- منطقة حمص:

٨- مخيم حمص:

يقع مخيم حمص في محيط مدينة حمص الواقعة على مسافة ١٦٠ كيلومتراً شمالي مدينة دمشق، وقد أنشأ هذا المخيم في العام

الميلادي ١٩٤٩، ومعظم سكانه من شمالي فلسطين والقرى المحيطة بمدينتي حيفا وعكا.

هـ- منطقة درعا:

٩- مخيم درعا.

١٠- مخيم درعا للطوارئ:

أسس هذان المخيمان بين عامي ١٩٥٠ و ١٩٥١ بالقرب من الحدود السورية – الأردنية ويحتوي على لاجئين في المناطق الشرقية لفلسطين هاجروا إلى سورية بعد حرم عام ١٩٤٨م، ويحتوي أيضاً على لاجئين بعد حرب عام ١٩٦٧م.

II- توزيع مخيمات سورية حسب عدد سكانها :

أنظر الجدول رقم (٩)

م	اسم المخيم	عدد السكان
١	مخيم النيرب	١٧,٩٩٤
٢	مخيم سبينه	١٩,٦٢٤
٣	مخيم خان الشيخ	١٥,٧١٢
٤	مخيم حمص	١٣,٨٨٥
٥	مخيم قبر الزيت	١٦,٠١٦
٦	مخيم خان دنون	٨,٦٠٧
٧	مخيم حماه	٧,٥٩٧
٨	مخيم درعا	٥,٩١٦
٩	مخيم درعا للطوارئ	٥,٥٣٦
١٠	مخيم جرمانا	٥,٠٠٧

جدول رقم (٩)

أعداد سكان مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في سوريا

في العام الميلادي ٢٠٠٢ (٢٩)

خامساً: مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في الجمهورية اللبنانية:

يوجد في الجمهورية اللبنانية اثني عشر مخيماً للاجئين الفلسطينيين موزعة من شمال لبنان إلى جنوبه إضافة إلى ثلاثة مخيمات مدمرة يسكنها ١٦,١٠٨ نسمة وهي مخيم النبطية في الجنوب، ومخيما الداكونة وجسر الباشا في منطقة بيروت. ويحمل اللاجئون الفلسطينيون في الجمهورية اللبنانية وثائق سفر خاصة بهم، وليس لهم في لبنان أي حقوق مدنية أو اجتماعية، ولا يسمح لهمن بمزاولة أكثر من سبعين حرفة ومهنة، وتقدم لهم خدمات صحية وتعليمية حكومية محدودة جداً، وتصل نسبة البطالة بينهم إلى معدلات عالية جداً. وتخشى الحكومة اللبنانية إن هي أقدمت على منح الجنسية اللبنانية للاجئين الفلسطينيين أن يؤثر ذلك على التوازن السكاني الهش القائم بين المسلمين والمسيحيين في الجمهورية اللبنانية، حيث أن معظم اللاجئين الفلسطينيون في لبنان يدينون بالديانة الإسلامية.

أ- توزيع مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان حسب موقعها الجغرافي:

أنظر خارطة رقم (٦).

أ- مخيمات منطقة طرابلس :

١- مخيم نهر البارد :

يقع مخيم نهر البارد على مسافة ستة عشر كيلو متراً شمالي طرابلس، وقد تأسس هذا المخيم أصلاً في العام الميلادي ١٩٤٩ بواسطة اللجنة الدولية للصليب الأحمر، وفي عام ١٩٥٠م أشرفت عليه وكالة غوث وتشغيل اللاجئين التابعة للأمم المتحدة "أونروا"، ويقطن هذا المخيم لاجئون فلسطينيون من منطقة بحيرة الحولة.

٢- مخيم البداوي :

يقع مخيم البداوي شمالي مدينة طرابلس بحوالي خمسة كيلومترات، وقد أنشأ هذا المخيم بواسطة وكالة غوث وتشغيل اللاجئين التابعة للأمم المتحدة "أونروا".

ب- مخيمات منطقة بيروت :

٣- مخيم ضبية :

يقع مخيم ضبية شرقي مدينة بيروت وعلى مسافة اثني عشر كيلو متراً منها، وقد أسس هذا المخيم في العام الميلادي ١٩٥٦ لإيواء لاجئين فلسطينيين هاجروا من مناطق الجليل المختلفة شمالي فلسطين.

٤- مخيم شاتيلا :

يقع مخيم شاتيلا غربي مدينة بيروت، وقد أسس هذا المخيم في العام الميلادي ١٩٤٩ بواسطة الصليب الأحمر الدولي، ويقيم فيه لاجئون فلسطينيون من منطقة الجليل شمالي فلسطين. وقد تعرض هذا المخيم إضافة إلى مخيم "صبرا" لمذبحة بربرية بشعة نفذها الجيش الإسرائيلي بقيادة السفاح شارون بالاشتراك مع القوات اللبنانية في العام الميلادي ١٩٨٢.

٥- مخيم مار إلياس :

مخيم مارس إلياس هو أصغر مخيم للاجئين الفلسطينيين في لبنان، ويقع هذا المخيم غربي مدينة بيروت، وسكانه من مناطق الجليل المختلفة الواقعة شمالي فلسطين.

٦- مخيم برج البراجنة :

يقع مخيم برج البراجنة بالقرب من مطار بيروت الدولي، وقد أنشأ هذا المخيم في العام الميلادي ١٩٤٨ بواسطة الصليب الأحمر الدولي ليأوي لاجئين فلسطينيين من مناطق الجليل المختلفة شمالي فلسطين.

هـ- مخيمات منطقة بعلبك:

٧- مخيم وافل :

يقع مخيم وافل بالقرب من مدينة بعلبك شرقي مدينة بيروت وعلى مسافة ما يقرب من خمسة وتسعين كيلو متراً منها، وكان هذا المخيم في الأصل معكسراً للجيش الفرنسي.

د- مخيمات منطقة صيدا :

٨- مخيم عين الحلوة :

مخيم عين الحلوة هو أكبر مخيم للاجئين الفلسطينيين في الجمهورية اللبنانية ويقع بالقرب من مدينة صيدا وعلى مسافة خمسة وأربعين كيلو متراً جنوبي مدينة بيروت، وقد أنشأ هذا المخيم بواسطة الصليب الأحمر الدولي، ثم اشرفت عليه في العام الميلادي ١٩٥٢ وكالة غوث وتشغيل اللاجئين التابعة للأمم المتحدة "أونروا".

٩- مخيم المية مية :

أسس هذا المخيم في العام الميلادي ١٩٤٩، ويقع على مسافة أربعة كيلومترات جنوبي مدينة صيدا.

هـ- مخيمات منطقة صور :

١٠- مخيم الرشيدية :

أسس مخيم الرشيدية في الأصل من قبل الحكومة الفرنسية لإيواء لاجئين قدموا من أرمينيا، والمخيم الجديد عام ١٩٦٣.

١١- مخيم البص :

أسس مخيم البص أصلاً في العام الميلادي ١٩٣٩ لإيواء مهاجرين قدموا من أرمينيا، ويقع هذا المخيم على مسافة كيلو متراً واحداً ونصف الكيلو متر جنوبي مدينة صور، وفي العام الميلادي ١٩٤٨ خصص هذا المخيم

للاجئين الفلسطينيين الذين هاجروا من مناطق مدينة عكا والجليل شمالي فلسطين.

١٣- مخيم برج الشمالي :

يقع هذا المخيم على مسافة ثلاثة كيلومترات شرق مدينة صور، وقد أنشأ مخيم برج الشمالي في العام الميلادي ١٩٤٨ لاستقبال لاجئين فلسطينيين من منطقتي بحيرة الحولة وبحيرة طبرية.

II– توزيع مخيمات اللاجئين في لبنان حسب عدد سكانها :

انظر الجدول رقم (١٠)

م	اسم المخيم	عدد السكان
١	مخيم عين الحلوة	٤٥,٢٣٧
٢	مخيم نهر البارد	٣١,٠٢٢
٣	مخيم الرشيدية	٢٥,٢٨٠
٤	مخيم برج البراجنة	٢٠,٤٠٥
٥	مخيم برج الشمالي	١٨,٦٥٩
٦	مخيم البداوي	١٦,١٩٨
٧	مخيم شاتيلا	١٢,٢٧٥
٨	مخيم البص	١٠,١٠٧
٩	مخيم وافل	٧,٥٥٣
١٠	مخيم الميه ميه	٥,٠٣٧
١١	مخيم ضبيبه	٤,٢١١
١٢	مخيم مار الياس	١,٤١١

جدول رقم (١٠)

عدد سكان مخيمات اللاجئين في لبنان [٣٠]

ويبلغ المجموعة الكلي لأبناء الشعب العربي الفلسطيني في نهاية عام ٢٠٠٣ نحو تسعة ملايين وستمائة ألف نسمة نصفهم تقريباً من اللاجئين، ومعظم أبناء الشعب العربي الفلسطيني يعيشون في ظروف حياتية واقتصادية واجتماعية ونفسية بالغة الصعوبة والتعقيد، ويتوزع أبناء الشعب الفلسطيني الآن في الأراضي الفلسطينية المحتلة "الضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة" إضافة إلى عرب عام ١٩٤٨ الذين يعشون داخل نطاق دولة إسرائيل، وتعيش بقية أبناء الشعب الفلسطيني في دول المهجر والشتات الذي يشمل جميع الدول العربية تقريباً ودول آسية وأفريقية وأوروبة إضافة إلى دول أمريكية الشمالية والجنوبية وأسترالية، ويشكو الفلسطينيون من إهمال عربي ودولي لهم يصل إلى حد تجاهلهم وإهمالهم وتهميش دورهم في الأسرة الدولية.

وينقسم الفلسطينيون من حيث جوازات السفر التي يحملونها والأوراق الثبوتية التي بحوزتهم إلى ستة أقسام :

القسم الأول: عرب عام ١٩٤٨:

وهذا القسم هم الفلسطينيون الذين ظلوا يعيشون في إسرائيل بعد حرب العام الميلادي ١٩٤٨، ويطلق عليهم "عرب ١٩٤٨"، ويحمل هؤلاء الجنسية الإسرائيلية، ولكنهم يعانون من شتى أنواع التمييز والتفرقة العنصرية.

القسم الثاني: مناطق السلطة الوطنية الفلسطينية :

وهم الفلسطينيون الذين يعيشون داخل نطاق المناطق الخاضعة للسلطة الفلسطينية، ويحملون جوازات سفر السلطة الفلسطينية المعترف بها دولياً، كما هو الحال مع فلسطيني الداخل وبعض فلسطيني الشتات.

القسم الثالث: الجنسيات الأجنبية :

وهذا القسم من الفلسطينيين هم الذين يحملون جوازات سفر أجنبية مثل الجنسية الأمريكية والبريطانية والكندية والأسترالية بسبب هجرتهم إلى تلك البلاد أو دراستهم فيها أو زواجهم بسيدات من هناك.

القسم الرابع: جنسيات الدول العربية المختلفة :

ويتضمن هذا القسم بعض الفلسطينيين الذين يحملون جنسيات الدول العربية المختلفة.

القسم الخامس: فلسطينيو الأردن :

وهؤلاء هم الفلسطينيون الذين يحملون الجنسية الأردنية التي يحملها جميع اللاجئين الفلسطينيين الذي يعشون في المملكة الأردنية الهاشمية ماعدا ما يقرب من مائة ألف لاجئاً فلسطينياً قدموا المملكة الأردنية الهاشمية من قطاع غزة بعد الحرب العربية ــ الإسرائيلية الثالثة في العام الميلادي ١٩٦٧.

القسم السادس: بقية الشعب الفلسطيني :

أما القسم السادس والأخير فهم بقية الشعب الفلسطيني الذين يحملون وثائق سفر صادرة عن حكومات الدول التي يقيمون فيها، ووثائق السفر تلك محدودة المنفعة في الواقع، إذ أنها لا تخول حاملها دخول معظم الدول العربية إلا تحت ظروف معينة، ومن الغريب جداً أن بعض الدول العربية التي تصدر وثائق سفر للاجئين الفلسطينيين لا تسمح لهم بدخول تلك الدول إلا بعد إجراءات معقدة جداً، وهذه في الحقيقة قضية شائكة للغاية وتجعل من حياة اللاجئين أمراً صعباً جداً، فعدم وجود جوازات سفر معترف بها في حوزة أبناء الشعب الفلسطيني من شأنه أن يؤدي إلى ما يلي :

١ – شل حركة أبناء الشعب الفلسطيني، إذ لا تتوفر للفلسطينيين حرية الحركة والتنقل والسفر من مكان لآخر.

٢ – تقلل من إمكانية حصول أبناء الشعب الفلسطيني على فرص للعمل في الدول العربية من أجل تحسين أحوالهم المعيشية وأوضاعهم الاقتصادية، وهذا بالطبع يفاقم من نسبة البطالة السائدة بين أبناء هذا الشعب.

٣ – إن فرص سفر أبناء الشعب الفلسطيني إلى إحدى الدول العربية المتقدمة لتلقي العلاج الغير توفر في فلسطين تكاد تكن مستحيلة إلا بعد إجراءات شائكة ومعقدة قد يفقد المريض حياته خلالها.

٤ – كما وأن فرصة ذهاب أبناء الشعب الفلسطيني لتلقي العلم في جامعات الدول العربية المعترف بها يعتبر أمراً صعباً جداً، فيضطر هؤلاء إلى الذهاب إلى جامعات روسية وأوروبة الشرقية والهند وباكستان والفلبين وماليزيا وكندا والولايات المتحدة الأمريكية للدراسة فيها.

٥ – إن الوضع اللاإنساني الذي يعيش فيه الشعب الفلسطيني أدى إلى مشاكل اجتماعية كثيرة وعقد نفسية ليس من السهل حلها.

وللتدليل على مدى المشاكل الاجتماعية التي يعاني منها الشعب العربي الفلسطيني، والعقد النفسية التي تعصف به وتقضي مضجعه أن بعض العائلات الفلسطينية التي تحمل الجنسية الأردنية على سبيل المثال ترفض رفضاً قاطعاً تزويج بناتها للشباب الذين يحملون وثائق سفر فلسطينية بحجة الخوف على مستقبلهم، وكأن المستقبل ليس بيد الله تعالى وإنما بوثيقة أو جواز سفر، ولنا أن نتخيل مدى الحزن والألم النفسي الذي سوف يعاني منه شاب وشابة من بلد واحدة وقعا في غرام بعضهما أحدهما يحمل وثيقة سفر والآخر لديه جنسية وجواز سفر، وتحول هذه الأوراق بينهما وبين الاقتران ببعضهما.

أليس هذا مخجلاً وسخيفاً ؟؟؟

فلماذا لا تقوم جامعة الدول العربية بإصدار جوازات سفر موحدة ومعترف بها عربياً ودولياً للتخفيف من معاناة الشعب الفلسطيني؟

ولماذا لا تمنح الدول العربية جنسياتها للاجئين الفلسطينيين كما منحتها لشرائح كثيرة من الأجانب المقيمين فيها؟

وهنا قد يعترض البعض على هذا التوجه بحجه أن سوف يؤثر سلباً على مدى التزام أبناء الشعب الفلسطيني بقضية بلاده، ولكن لا يبدو أن مثل هذا الاعتراض صحيحاً، فاللاجئون الفلسطينيون بغض النظر على الجنسيات التي يحملونها متحمسون الآن أكثر من أي وقت مضى لقضيتهم الوطنية العادلة، ليس بسبب معاناقم المريرة وليس أيضاً لحملهم لوثائق سفر محدودة المنفعة، وإنما لإيمانهم المطلق بالله تعالى وبعدالة قضيتهم وحقهم الطبيعي في العيش على أرض فلسطين العربية، والحقيقة أن كثير من الفلسطينيين الذين هاجروا إلى الدول الأوروبية المختلفة والولايات المتحدة الأمريكية وحملوا جنسيات هذه الدول لم ينسوا إطلاقاً قضية بلادهم بل وفتح المجال أمامهم واسعاً لخدمة هذه القضية بطريقة أفضل وأكثر موضوعية وتأثيراً، ولعل أبرز مثال على ذلك المفكر الفلسطيني الكبير الراحل الدكتور إدوارد سعيد الذي كان يحمل الجنسية الأمريكية، وليس بخافٍ على أحد أن اليهود الذين هاجروا إلى فلسطين العربية قبل وبعد الحرب العربية – الإسرائيلية الأولى في

العام الميلادي ١٩٤٨، كانوا يحملون جنسيات عشرات الدول مثل جنسيات الاتحاد السوفيتي السابق وجنسيات دول أوروبة الشرقية مثل بولندا ورمانيا وبلغاريا وهنغاريا إضافة إلى جنسيات الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة وألمانيا وفرنسا والبرازيل والأرجنتين وجنوب افريقيا وأستراليا وغيرها، وهذا لم يؤثر إطلاقاً على التزام هؤلاء اليهود بقضية الوطن القومي اليهودي التي كانوا يسعون إليها، والحقيقة أن حملهم للعديد من جنسيات الدول ساعدهم كثيراً في تنقلهم وسفرهم من مكان لآخر، وفي العمل بحرية واطمئنان على دعم قضيتهم والدعاية لها وإقناع العالم بها، وليس من المتوقع أن الفلسطينيين من الممكن أن ينسوا قضية بلادهم التي قدموا من أجلها مئات الآلاف من الشهداء والضحايا منذ بدء الصراع العربي ـ الإسرائيلي وحتى يومنا هذا.

هوامش ومصادر الفصل الثاني

١- نجيب عازوري: يقظة الأمة العربية.

- Revel De La Nation Arab, Paris, 1905, PP, V.

الدراستان هما :

- Neivile Mandle :
  A) Turks – Arab And Jewish Immigration Into Palestine (1882 – 1914).
  In st., Antony Paper, No. 17, Middle Eastern Affairs. Ed. By A. Hurani, No.4, Oxford, 1965.
  B) Attempts at Arab – Zionist Entent (1913 – 1914) Vo., I, No. 3, 1965.

الشيخ عز الدين القسام: ولد الشيخ عز الدين القسام في بلدة "جبلة" السورية من أعمال مدينة اللاذقية الساحلية في العام الميلادي ١٨٧١. وتلقى تعليمه الديني بالجامع الأزهر في مدينة القاهرة. وبعد تخرجه من الجامع الأزهر عمل مدرساً للعلوم الدينية في جامع جبلة الكبير، وعندما اندلعت الثورة السورية ضد قوات الاحتلال الفرنسي عام ١٩١٩، كان الشيخ عز الدين القسام من نشطائها، إلا أن قوات الاحتلال الفرنسي تمكنت من القبض عليه وحكمت عليه محكمة عسكرية فرنسية بالإعدام، ولكنه تمكن من الفرار هو واثنان من رفاقه إلى فلسطين، وفي فلسطين استقر الشيخ عز الدين القسام بمدينة حيفا الساحلية حيث عمل مدرساً في المدرسة الإسلامية بمدينة حيفا، وإماماً وخطيباً لمسجد الاستقلال بالمدينة، ثم عمل رئيساً لجمعية الشبان المسلمين فيها. وقد التفت حول الشيخ عز الدين القسام مجموعة من الشباب الفلسطيني المؤمن بالجهاد المسلح

ضد قوات الاحتلال البريطاني، وفي العام الميلادي ١٩٣٥ اندلعت ثورة الشيخ عز الدين القسام المسلحة ضد قوات الاحتلال البريطاني والعصابات الصهيونية المسلحة في فلسطين، وقد قامت وحدات القسام العسكرية بعمليات جهادية كبيرة ضد القوات البريطانية وهاجمت معسكرات الجيش البريطاني ومخازنه وطرق إمداده، ودخل مع القوات البريطانية في معارك ضارية وشرسة، وهاجمت أيضاً المستعمرات اليهودية وكبدت الصهاينة خسائر فادحة في الأرواح والمعدات والممتلكات. وفي نهاية المطاف حشدت سلطات الانتداب قوات ضخمة حاصرت الشيخ عز الدين القسام ورفاقه في إحراج "يعبد" بالقرب من مدينة جنين، ودارت هناك معركة شرسة انتهت باستشهاد الشيخ عز الدين القسام وأربعة من رفاقه، وقد تم أسر بقية جنود القسام بعد نفاذ ذخيرتهم.

٢- الهيئة العربية العليا لفلسطين: هي في الحقيقة اللجنة العربية العليا لفلسطين، وقد تغير اسمها إلى الهيئة العربية العليا لفلسطين من قبل جامعة الدول العربية بعد تأسيسها في العام الميلادي ١٩٤٥.

٣- عارف العارف: النكبة ــ نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود (١٩٤٧ ــ ١٩٥٢). منشورات المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٥٦. الجزء الأول، ص ٧٤.

٤- الكتاب السنوي لحركة فتح: ١٩٦٨، ص: ١١٨ – ١١٩.

٥- نفس المصدر: ص: ١٢٧.

٦- المصدر السابق: ص: ١٢٨.

٧- إسرائيل في لبنان: تقرير اللجنة الدولية للتحقيق فيما نقل عن انتهاكات القانون الدولي من قبل إسرائيل أثناء غزوها للبنان :

رئيس اللجنة: شون ماكبرايد.

نائب الرئيس: ريتشارد فولك.

عضوية: العميد كادر أسماك - د. برايان بركسون - جيرودي لابارتيه - استيفان وايلد.

ترجمة: محمد إبراهيم عبد الهادي.

مطبعة أتاكا، ١٣ وارك ستريت - لندن، الطبعة الأولى: ١٩٨٣، ص: ٥٢.

٨- المصدر السابق: ص: ٥٤.

٩- المصدر نفسه: ص: ٥٤ - ٥٥.

١٠- روجيه غارودي: ملف إسرائيل - الصهيونية السياسية.

١١- ترجمة: د. مصطفى كامل فودة: دار الشروق، الطبعة الأولى ١٩٨٣، ص: ١٩٢ - ١٩٣.

١٢- سميح شبيب: حكومة عموم فلسطين، مقومات ونتائج، شرق برس - قبرص - نيقوسيا ١٩٨٨، ص: ٣٦.

١٣- المصدر السابق، ص: ٣٦.

١٤- المصدر السابق، ص: ٣٧.

١٥- المصدر السابق، ص: ٤٨.

١٦- المصدر السابق، ص: ٥١.

١٧- المصدر نفسه، ص: ٨٣

١٨- مهدي عبد الهادي: المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية: صيدا - المكتبة العصرية، ص: ١٨٣.

١٩- قرار مجلس الوزراء الأردني رقم ٨٥٣، ملحق الجريدة الرسمية الأردنية، العدد: ٥٣ بتاريخ ٢٩ كانون الأول عام ١٩٤٨، ص: ٢٦٩.

٢٠- مهدي عبد الهادي: مصدر سابق، ص: ١٧٣.

٢١- بني موريس: طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة اللاجئين - وثيقة إسرائيلية.

٢٢- ترجمة: دار الجليل - عمان ١٩٢٢، ملحق رقم (أ)، ص: ٢٧٣.

٢٣- المصدر نفسه، ص: ٢٧٤.

٢٤- المصدر نفسه، ص: ٢٧٣.

٢٥- المصدر نفسه، ص: ٢٧١.

٢٦- الأرقام حسب الإحصائيات الرسمية لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين التابعة للأمم المتحدة "أونروا".

٢٧- الجدول مبني على الإحصائية الرسمية لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين التابعة للأمم المتحدة "أونروا". وهذا بالطبع لا يشمل اللاجئين الفلسطينيين في العراق والسعودية ودول الخليج العربي ومصر ودول الشمال الأفريقي وبقية دول العالم.

٢٨- United Nation Relive And Work Agency.

وتعرف اختصاراً "UNRWA"

٢٩- الأرقام حسب إحصاليات وكالة غوث وتشغيل اللاجئين التابعة للأمم المتحدة "أونروا".

٣٠- الأرقام حسب إحصاليات وكالة غوث وتشغيل اللاجئين التابعة للأمم المتحدة "أونروا".

٣١- الأرقام من نفس المصدر.

٣٢- الأرقام من نفس المصدر.

٣٣- الأرقام من نفس المصدر أيضاً.

الفصل الثالث

المجتمع الإسرائيلي

بعد الحرب العربية ـ الإسرائيلية الأولى في العام الميلادي ١٩٤٨، استولى الصهاينة على معظم الأراضي الفلسطينية، وضم ما بقي منها في حوزة العرب إلى دول عربية معينة، وتحول الشعب الفلسطيني إلى مجموعات من اللاجئين تعيش على هامش أوطان الشعوب الأخرى.

ولكن..

من حل في مكان الشعب العربي الفلسطيني صاحب فلسطين الأصلي والشرعي ؟

في الحقيقة أنه توافد على أرض فلسطين العربية جماعات بشرية متنوعة لتحل محل الشعب العربي الفلسطيني في أرض آبائه وأجداده القدماء، وهذه الجماعات البشرية تضم خليط غير متجانس من حثالات الشعوب في أوروبة وأمريكة وآسيا وأفريقية. وشذاذ الآفاق والأفاقين واللصوص إضافة إلى بعض الفنيين والعسكريين والمهندسين والأطباء والعلماء سميت بمجملها فيما بعد باسم "المجتمع الإسرائيلي".

والتركيبة السكانية في المجمع الإسرائيلي تركيبة مؤلفة أصلاً من خليط سكاني غريب ويندر وجوده في أي دولة في التاريخ الحديث باستثناء الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، فكلا المجمعين الأمريكي والإسرائيلي

بنيا أساساً على الهجرة الأجنبية والاستعمار الاستيطاني الإحلالي على حساب سكان البلاد الأصليين وهم الهنود الحمر والفلسطينيون، والمجتمع الإسرائيلي مؤلف من جماعات بشرية متباينة الأصول العرقية واللغوية والبيئية والتاريخية والثقافية والحضارية ولا يجمع بينها سوى عنصر واحد فقط وهو انتماؤها للديانة اليهودية بفرقها وطوائفها المتعددة والمختلفة.

وهناك تفرقة واضحة وتميز فاضح بين المكونات البشرية الأساسية للمجتمع الإسرائيلي يصل إلى حد التمييز والتفرقة العنصرية، فاليهود الشرقيون أو السفارد "السفرديم" على سبيل المثال يعانون داخل منظومة المجتمع الإسرائيلي في الاضطهاد والكراهية والتفرقة العنصرية، ومن هضم خطير لحقوقهم من قبل اليهود الغربيين أو الاشكناز "الاشكنازيم"، فاليهودي الشرقي لا يتساوى مع اليهودي الغربي في كافة أوجه الحياة، إضافة إلى أنهم يعانون داخل المجتمع الإسرائيلي من التهميش لدورهم الثقافي والحضاري، وإلغاء لتاريخهم الخاص الملحق بتاريخ الأمم والشعوب التي عاشوا بينها.

وفي الواقع أن العرب الذين يعيشون في إطار منظومة المجتمع الإسرائيلي والذين يطلق عليهم اسم "عرب ١٩٤٨"، ويشكلون في الوقت الراهن خمس سكان دولة إسرائيل تقريباً أي ما يزيد عن مليون فلسطينياً، والفلسطينيون أيضاً يعانون بدورهم من الاضطهاد والكراهية وشتى ألوان

وأنواع التمييز والتفرقة العنصرية ضدهم من قبل الصهاينة بالرغم من أنهم يحملون الجنسية الإسرائيلية، ويعتبرون مواطنين إسرائيليين، وبالرغم من كل هذا الاضطهاد وذلك التمييز وتلك التفرقة العنصرية التي تعاني منها شرائح معينة أساسية في المجتمع الإسرائيلي، إلا أن الدعاية الصهيونية بين الحين والآخر تصرح ويا للغرابة بأن إسرائيل هي الدولة الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط، وتدلك على ذلك بقولها ما يلي :

"الحرية في إسرائيل متوفرة، فالمعارضة تستطيع إبداء رأيها في الصحافة بل وفي الشارع" (١).

٣-١: تاريخ الهجرات اليهودية إلى فلسطين :

في الحقيقة أن الهجرة اليهودية إلى فلسطين العربية لعبت دوراً رئيسياً وأساسياً في تشكيل المجتمع الإسرائيلي، وانعكس ذلك بالطبع على شكل التركيبة السكانية في إسرائيل، وفي الواقع أن اليهود على مدى تاريخهم كله لم يعرف لهم وطن معين يعيشون فيه، وإنما كانوا دائماً يعيشون كجماعات دينية في كافة أرجاء الأرض وينتمون إلى أجناس وأعراق وقوميات مختلفة، وإذا ما اعتبرت مملكة الخزر "خزاريا" هي وطن اليهود في التاريخ القديم "فإن ذلك غير صحيح وغير دقيق، لأن شعب الخزر الآسيوي لم يكن من بني إسرائيل ولا يمتون بصلة ليهود فلسطين القدامى ولا ينتمون أصلاً للشعوب

السامية، وإنما اعتنق شعب الخزر الديانة اليهودية زمن الملك الخزري "بولان". ولو كان هذا صحيحاً لحق للصهاينة المطالبة بأرض اليمن لأن شعب حمير العربي اعتنق الديانة اليهودية في يوم غابر من التاريخ القديم.

والحقيقة أن اليهود على مدى تاريخهم القديم والحديث في فلسطين العربية لم يشكلوا فيها سوى أقلية سكانية ضئيلة جداً وسط محيط من السكان العرب الأصليين، وأعلى نسبة سكانية بلغها اليهود في فلسطين العربية قبل قيام دولتهم فيها كانت عشية قيام هذه الدولة في الخامس عشر من أيار / مايو من العام الميلادي ١٩٤٨، إذ بلغ عددهم وقتئذٍ في فلسطين العربية ما يقرب من ثلث عدد سكان فلسطين أي ما يقرب من ٦٥٠ ألف نسمة بالرغم من موجات الهجرة اليهودية المحمومة والمكثفة والمتتالية إلى فلسطين العربية والتي بدأت منذ الربع الأخير من القرن الميلادي التاسع عشر.

أولاً: الهجرة اليهودية إلى فلسطين في العهد العثماني:

كان عدد اليهود في فلسطين العربية أواخر القرن الميلادي الثامن عشر وأوائل القرن الميلادي التاسع عشر نحو خمسة آلاف نسمة[٢]. وكان اليهود يقيمون في ثلاث مدن فلسطينية رئيسية هي مدن القدس والخليل وصفد، وكان معظمهم من اليهود الشرقيين أو السفارد "السفارديم"، وكانوا

يعملون في مهن متواضعة وصغيرة، إلا أنهم كانوا يتمتعون بقدر وافر من الهدوء وراحة البال والحياة الكريمة دون التعرض لمضايقات من أي نوع من قبل عرب فلسطين مسلمين أو مسيحيين مقارنة باليهود الغربيين أو الأشكناز "الأشكنازيم" الذين كانوا يقيمون في البلدان الأوروبية المختلفة ويعانون من العنف والكراهية والاضطهاد الموجه لهم في تلك البلدان ويحيون فيها حياة الذل والمهانة والهوان.

وفي العام الميلادي ١٧٧٧ وصلت فلسطين العربية أعداد قليلة من اليهود الأشكناز المتدينين الذين ينتمون إلى الطائفة "الحسيدية" [٣]، إلا عددهم لم يتزايد في فلسطين بسبب تفضيل اليهود الغربيين "الأشكناز" الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية بعد فتح أبوابها أمام المهاجرين اليهود الاشكناز، ومن الغريب والملفت حقاً للنظر أن هؤلاء اليهود الغربيين أو الأشكناز الذين وصلوا إلى فلسطين العربية من أوروبة بالرغم أنهم كانوا يعانون فيها من الاضطهاد والتفرقة العنصرية إلا أنهم بأعدادهم الصغيرة جداً كانوا ينظرون لليهود الشرقيين في فلسطين العربية نظرة اشمئزاز واحتقار وتعالٍ.

ومنذ مطلع القرن الميلادي التاسع عشر وحتى مطلع القرن الميلادي العشرين، وصلت أعداد كبيرة من اليهود الشرقيين أو السفارد إلى فلسطين العربية قادمين من دول آسيوية مختلفة مثل بخارى وأفغانستان وإيران والعراق

وكردستان العراق واليمن، ولقد كان السبب في هجرتهم اقتصادياً بحتاً بالدرجة الأولى، حيث كانوا يعانون في تلك البلدان من الفقر والحاجة والعوز إضافة إلى تدني مستواهم المعيشي والاقتصادي والاجتماعي وكانوا يتطلعون إلى حياة معيشية واقتصادية أفضل في فلسطين العربية.

إلا أن الهجرة المنظمة لليهود الغربيين أو الأشكناز إلى فلسطين العربية أثناء العهد العثماني اتخذت طابعاً خطيراً وواسع النطاق في الربع الأخير من القرن الميلادي التاسع عشر وتحديداً بين العامين الميلاديين ١٨٨١ و ١٨٨٢، عندما توافد على فلسطين العربية أعداد كبيرة من اليهود الغربيين أو الأشكناز فراراً من العنف والكراهية والاضطهاد الذي صادفه اليهود في روسية القيصرية عقب اغتيال القيصر الروسي الليبرالي "الكسندر الثاني" في العام الميلادي ١٨٨٠[٤]، واتهام اليهود في روسية بالضلوع في اغتياله، وفي تلك الآونة نشطت جمعيات أحباء صهيون في إيصال اليهود الفارين من روسية القيصرية وبعض بلدان أوروبة الشرقية مثل بولندة وبلغارية ورومانية إلى أراضي الدولة العثمانية وبخاصة الأراضي الفلسطينية وجمعيات أحباء صهيون تأسست في روسية القيصرية في العام الميلادي ١٨٧٤ وكان لها فروع في رومانية والمملكة المتحدة، وكانت هذه الجمعيات تهدف إلى ما يلي:

١ – نشأة الفكرة القومية بين اليهود.

٢ – تشجيع استعمار أرض فلسطين والأراضي المجاورة لها عن طريق إقامة مستعمرات جديدة أو دعم المستعمرات القائمة.

٣ – نشر اللغة العبرية واعتبارها لغة حية.

٤ – تحسين الوضع الأدبي والفكري والمادي لليهود.

٥ – يتعهد أعضاء المنظمة بإطاعة قوانين البلاد التي يعيشون في ظلها عن طيب خاطر، وبالعمل كمواطنين لخير تلك البلاد (٥).

وبعد اتحاد جمعيات أحباء صهيون في جمعية واحدة بداية الثمانينيات من القرن الميلادي التاسع عشر انبثقت عنها اللجنة التنفيذية التي عرفت باسم لجنة "أوديسه". وتعتبر جمعية أحباء صهيون هي حلقة الوصل بين طلائع الاتجاهات الصهيونية مطلع القرن الميلادي التاسع عشر، والحركة الصهيونية السياسية الهرتزلية في أواخر سنوات القرن نفسه، ونتيجة لنشاط جمعية أحباء صهيون المكثف في تهجير اليهود إلى فلسطين العربية تزايد عدد اليهود فيها حتى بلغ في العام الميلادي ١٩٨٠ نحو ستة وعشرين ألف نسمة الأمر الذي أقلق السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ – ١٩٠٩) بدرجة كبيرة، فبادر السلطان العثماني بإصدار أوامره الصارمة والمشددة للسلطات العثمانية في فلسطين بمنع الاستيطان اليهودي فيها، إلا أن لجنة أوديسة لجأت للوسائل التالية لإيصال اليهود إلى فلسطين العربية :

١ – استخدام الوسائل والطرق الغير شرعية لإدخال اليهود إلى فلسطين وسط غضب عرب فلسطين الشديد ومعارضتهم السافرة واحتجاجهم الدائم.

٢ – استعمال شتى أساليب الغش والخداع والتحايل على السلطات العثمانية في فلسطين من أجل سماحها بإدخال المزيد من اليهود إليها دون وجه حق.

٣ – تقديم الرشاوى المالية الضخمة والهدايا الثمينة لضعاف النفوس من ممثلي السلطان العثمانية في فلسطين لإغرائهم بالسماح لليهود بدخول فلسطين رغم أوامر السلطات المركزية العثمانية في استانبول بمنع دخول اليهود إلى فلسطين والاستيطان فيها.

وبين الأعوام الميلادية ١٨٨٢ و ١٩٠٣ وصلت إلى فلسطين العربية الموجة الأولى من اليهود الغربيين أو الأشكناز القادمين من روسية القيصرية وبولندة ورمانية وبلغارية وهنغارية، وكان معظم هؤلاء من الطبقات الدنيا الفقيرة والمعدمة في البلدان التي أتوا منها، ومن الطبقات المتوسطة إضافة إلى أعداد قليلة من المثقفين، ولقد ساعدت لجنة أوديسة هؤلاء المهاجرون مادياً ويسرت لهم سبل الإقامة والمعيشة في فلسطين، وأمدتهم أيضاً بالأموال لشراء أراضٍ زراعية لهم فيها. وفي العهد العثماني في فلسطين العربية أنشأت بموافقة السلطات العثمانية أولى المستعمرات الاستيطانية اليهودية في فلسطين، ففي

العام الميلادي ١٨٧٠ أنشأت مستعمرة مكافأة إسرائيل، ثم انشأت مستعمرات بتاح تكفاه، وريشون صهيون أي الأولى في صهيون، وزخزوف يعقوب في العام الميلادي ١٨٨٢.

وبين الأعوام الميلادية ١٩٠٤ و ١٩١٤ وصلت إلى فلسطين العربية الموجة الثانية من اليهود الغربيين أو الأشكناز بعد فرارهم من روسية القيصرية عقب أحداث العام الميلادي ١٩٠٥ وأهمها مذابح كيشينيف ضد اليهود، والحقيقة أن هؤلاء المهاجرين كانوا من مستويات اقتصادية واجتماعية متدنية جداً بل هم حثالات الشعوب الأوروبية ويعيشون حياة "الغيتو" الحقيرة والقذرة والفقيرة في مدن روسية وأوروبا الشرقية، ومعظم هؤلاء المهاجرين كانوا من العمال الشباب الذين تراوح عددهم بين خمسة وعشرين وأربعين ألفاً، وقد اشترك هؤلاء العمال اليهود في إنشاء نوعين من المستعمرات الاستيطانية اليهودية في فلسطين هما كالتالي :

النوع الأول: هو ما عرف باسم "الكيبوتز" والكيبوتز هي مستعمرات جماعية يهودية ذات طابع زراعي تقوم على أسس اشتراكية، ومعظم سكان الكيبوتزات كانوا من اليهود الغربيين أو الأشكناز.

النوع الثاني: من المستعمرات اليهودية في فلسطين فهو ما عرف باسم "الموشاف" والموشاف عبارة عن مستعمرات استيطانية تقوم على أساس التعاون بين الأفراد.

واستمر الهجرة اليهودية إلى فلسطين العربية حتى أواخر العهد العثماني فيها بالرغم من أوامر السلطان العثماني عبد الحميد الثاني بمنع الهجرة اليهودية إلى فلسطين وأيضاً والاستيطان اليهودي فيها ويرجع ذلك للأسباب التالية :

الفوضى والتسيب الذي كان سمة بارزة من سمات الإدارة العثمانية في فلسطين مما سهل على اليهود الوصول إليها والإقامة فيها وتملكهم للأراضي الزراعية.

تعيين السلطات المركزية العثمانية في استانبول عاصمة دولة الخلافة العثمانية لمتصرفين وولاة عثمانيين على رأس الإدارة العثمانية في فلسطين متواطئين مع الصهاينة وموالين لهم من أمثال المتصرف أحمد رشيد بك الذي كان متواطئاً مع الصهاينة ويتلقى منهم رشاوى مالية وعينية ضخمة من أجل السماح لليهود بدخول فلسطين والإقامة فيها.

وبناءً على شكاوى أبناء الشعب الفلسطيني المتكررة ضد هذا المتصرف للسلطات المركزية العثمانية، أصدر السلطان عبد الحميد الثاني فرماناً بعزل المتصرف أحمد رشيد بك من منصبه، وعين بدلاً منه المتصرف علي أكرم بك الذي كان موالياً للسلطان عبد الحميد الثاني وينفذ أوامره بحذافيرها (٦).

كان لثورة حزب الاتحاد والترقي "تركية الفتاة" ضد السلطان العثماني أكبر الأثر في رفع القيود التي فرضها السلطان العثماني على دخول

اليهود إلى فلسطين والإقامة فيها واستيطانها بعد عزل السلطان عبد الحميد من منصبة كخليفة للدولة العثمانية في العام الميلادي ١٩٠٩.

وبعد اندلاع الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨)، انخفضت معدلات الهجرة اليهودية إلى فلسطين العربية، وازدادت معدلات الهجرة اليهودية المعاكسة إلى خارجها، وبالتالي انخفض عدد اليهود في فلسطين من خمسة وثمانين ألف نسمة في العام الميلادي ١٩١٣ ليصل إلى نحو خمسة وخمسين ألفاً في العام الميلادي ١٩١٨ (٧).

ثانياً: الهجرة اليهودية إلى فلسطين العربية في عهد الانتداب البريطاني:

في أواخر الحرب العالمية الأولى وفي العام الميلادي ١٩١٨، أكملت بريطانيا احتلالها لكامل الأراضي الفلسطينية، وفور احتلالها لفلسطين وضعتها بريطانيا تحت الحكم العسكري البريطاني الذي أطلقت عليه اسم (الإدارة الجنوبية لبلاد العدو المحتلة) ويرمز لها بالأحرف (O.E.T.A.S) وهذه الأحرف تعني العبارة الإنجليزية التالية:

"Occupied Enemy Territory Administration South"

واتخذت هذه الإدارة من مدينة القدس مقرا لها، وخضع مديرها مباشرة لقيادها الجنرال اللنبي القائد العام لقوات الحلفاء في الشرق الأوسط ويقع مقر قيادة هذه القوات بمدينة القاهرة المصرية، وقد استمر الحكم العسكري البريطاني في فلسطين العربية قائما حتى العام الميلادي ١٩٢٠ عندما تم استبداله بإدارة مدنية بريطانيا عينت الحكومة البريطانية على رأسها اليهودي البريطاني الصهيوني (هربرت صمويل) وأيضا كأول مندوب سام لبريطانيا في فلسطين العربية، وفور توليه لمهام منصبه عمل هربرت صمويل جاهدا على اتخاذ الإجراءات الملائمة وسن القوانين المناسبة من أجل وضع فلسطين في ظروف سياسية واقتصادية وإدارية تؤدي في نهاية المطاف إلى تهويدها تمهيدا لإقامة الوطن القومي اليهودي فيها بعد طرد شعبها منها.

وفي الحقيقة أن الحكومة البريطانية كانت قد مهدت لإقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين العربية قبل انتهاء العمليات الحربية في الحرب العالمية الأولى وفلسطين كانت لا تزال حتى ذلك الحين ولاية من ضمن الولايات العربية التابعة للدولة الخلافة العثمانية، وذلك بإصدار وزير الخارجية البريطاني أرثر جيمس بلفور لتصريحه المشهور المعروف باسمه وهو (تصريح أو وعد بلفور) في العام الميلادي ١٩١٧، والذي تكفل بإقامة الوطن القومي اليهودي على أرض فلسطين العربية دون استشارة شعبها ولا حتى بعلمه أو

موافقته، ويبدو أن الصهاينة كانوا واثقين بل ومتأكدين جــداً مــن حــرص الحكومة البريطانية على وضع تصريح بلفور حيز التنفيذ وعزمها على المضي قدماً في اتخاذ الإجراءات المناسبة لإقامة الوطن القومي اليهودي في فلســطين العربية.

لذلك فإن المهاجرين اليهود الذين وصلوا إلى فلسطين العربية ضربوا بعرض الحائط بجميع النظم والقــوانين السياســية والقانونيــة والإداريــة والاجتماعية التي كانت متبعة في فلسطين العربية حينــذاك، وقــد بلغــت تجاوزاتهم حداً أقلقت سلطات الاحتلال البريطاني في فلسطين ووضــعتها في موقف حرج للغاية أمام حلفاء بريطانيا العرب، ولم يكن بوسع هذه السلطات إلا أن تجاري اليهود في تجاوزاتهم وتسيبهم في كافة المجالات وبخاصة الأمنيــة منها والاجتماعية كخروجهم السافر على العــادات والتقاليــد والمبــادئ الأخلاقية والأعراف المعمول بها في فلسطين العربية، ومــن جــراء موقــف السلطات البريطانية في فلسطين المنحاز لليهود، تمادى اليهــود في تجــاوزهم وتصرفاتهم الاستفزازية، وكيف لا يتمادون فيما هم عليه ؟ وهم يعلمون علم اليقين أن سلطات الاحتلال البريطاني في فلسطين تقف منحازة إلى جانبــهم بشدة وترعاهم وتحميهم وتدافع عنهم ضد العرب وبأوامر عليا من الحكومة البريطانية في لندن وسط سخط وغضب وثورة الشعب الفلسطيني، وفي العام

الميلادي ١٩٢٢ أصدر مجلس عصبة الأمم قراره الذي يتضمن موافقة عصبة الأمم على انتداب دولة بريطانية على فلسطين دون استشارة شعبها أيضا أو موافقته، وفي العام الميلادي ١٩٢٣ وضع قرار عصبة الأمم حيز التنفيذ.

في السادس والعشرين من آب / أغسطس من العام الميلادي ١٩٢٠، أصدرت الحكومة البريطانية قانون تنظيم الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وقد نص هذا القانون على أنه من حق المندوب السامي في فلسطين السماح للفئات اليهودية التالية بالدخول إلى فلسطين :

١ – الأشخاص الذين تضمن المنظمة الصهيونية إعاشتهم لمدة عام.

٢ – الأشخاص الذين تتوفر لديهم الموارد المستقلة، أو الذين يقدمون الدليل على قدرتهم على إعالة أنفسهم.

٣ – رجال الدين الذين تتوفر وسائل إعاشتهم في فلسطين. (٨)

وبذلك فتحت أبواب فلسطين العربية واسعة على مصراعيها أمام الهجرة اليهودية المنظمة إليها بمباركة السلطات البريطانية المركزية في لندن، ورضا الحكومات الأوربية المختلفة، وبدعم تأييد وتمويل حكومة الولايات المتحدة الأمريكية، وتحت رعاية وحماية سلطات الاحتلال البريطاني في فلسطين العربية غير عابئين بمعارضة الشعب العربي الفلسطيني على الهجرة اليهودية إلى بلاده، واحتجاجهم الشديد عليها.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وبين الأعــوام الميلاديـــة ١٩١٩ و ١٩٢٣، ازدادت معدلات الهجرة اليهودية إلى فلسطين العربية ودخلـــها حوالي خمسة وثلاثون ألف مهاجرا يهوديا جميعهم من اليهـــود الغـــربيين أو الأشكناز، قدم معظمهم من الاتحاد السوفيتي السابق وبولندا، والأمر الـــذي ساعد على تدفق اليهود إلى فلسطين ما يلي :

١ – سماح سلطات الانتداب البريطاني في فلسطين بدخول اليهـــود إليها بشروط سهلة وميسرة.

٢ – ازدياد نشاط المنظمة الصهيونية في تهجير اليهود إلى فلســـطين وتوفير وسائل الإقامة والمعيشة لهم فيها.

٣ – إغلاق أبواب الولايات المتحـــدة الأمريكيـــة أمـــام الهجـــرة اليهودية، كما أن الحكومة الأمريكية حرضت حكومات الـــدول الأخـــرى بالحذو حذوها ومنع الهجرة اليهودية إليها، حتى لا يبقى أمام اليهود ســـوى طريق واحد مفتوح أمامهم وهي الطريق إلى فلسطين.

٤ – سماح السلطات البولندية لرعاياها اليهود بمغـــادرة الأراضـــي البولندية والرحيل إلى فلسطين.

ومن الغريب أنه في فترة الانتداب البريطاني على فلسطين انخفضت بشكل ملحوظ هجرة اليهود الشرقيين أو السفارد إلى فلسطين، ومن أهم الأسباب التي أدت إلى هذا الانخفاض ما يلي :

١ – في بادئ الأمر كان الانخفاض في عدد اليهود الشرقيين الذين يهاجرون إلى فلسطين مردة إلى عدم موافقة المندوب السامي في فلسطين اليهودي البريطاني هربرت صمويل على هجرة اليهود الشرقيين إلى فلسطين بسبب خلفياتهم التعليمية والمهنية والحضارية المتخلفة جدا مقارنة باليهود الغربيين، إضافة إلى كراهيته واضطهاده لهم وشعوره بالتالي عليهم، ويبدو أن سياسة هربرت صمويل هذه استمرت طيلة الانتداب البريطاني على فلسطين العربية.

٢ – عدم رغبة الوكالة اليهودية في هجرة اليهود الشرقيين إلى فلسطين ربما لنفس أسباب وذرائع هربربت صمويل، ودعم هذه الوكالة وتأييدها المطلق لهجرة اليهود الغربيين إلى فلسطين.

٣ – تأثير الإعلام النازي المعادي للصهيونية في حقبة الثلاثينيات من القرن الميلادي العشرين، الأمر الذي دفع بأعداد كبيرة من اليهود الغربيين أو الأشكناز من الدول الأوربية المختلفة إلى الهجرة لفلسطين.

٤ – النشاط الدائم والمكثف لمفتي القدس سماحة الحاج أمين الحسيني المناوئ والمعادي للصهيونية وتأثيره القوي جدا في دول المشرق لدرجة أن هذه الدول منعت اليهود المقيمين فيها من الهجرة إلى فلسطين العربية.

وفي الفترة الواقعة بين الأعوام الميلادية ١٩٢٤ و ١٩٣٣، دخلت أعداد كبيرة من اليهود الغربيين إلى فلسطين قدموا من الدول الأوربية المختلفة مثل روسيا وألمانيا وهنغارية وبولندا ورومانيا وبلغاريا، وقد ساعد عاملان في وصول هؤلاء إلى فلسطين هما ما يلي :

العامل الأول: تحديد الهجرة اليهودية إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

والعامل الثاني: هو وصول الحزب النازي في ألمانيا إلى سدة الحكم، وإعلانه جهرا احتقاره لليهود وكرههم، الأمر الذي أثار موجه من الذعر والخوف بين اليهود في أوربا مما دفعهم إلى الإسراع في الرحيل إلى فلسطين العربية.

وبين الأعوام الميلادية ١٩٣٤ و ١٩٣٨ زادت معدلات الهجرة اليهودية إلى فلسطين بسبب ما أشيع وقتذ من اضطهاد على يد السلطات النازية لليهود، والمذابح التي ارتكبها النازيون ضدهم، وبالرغم من الشك الكبير الذي يدور حول هذه الروايات، إلا أنها دفعت أعداد كبيرة من الهجرة اليهودية إلى فلسطين معظمهم من أغنياء اليهود وأصحاب رؤوس

الأموال منهم، الأمر الذي ساعد على انتعاش الاقتصاد الصهيوني في فلسطين، وحملت هذه الموجة من الهجرة اليهودية أيضا عددا كبيرا من الشبان اليهود الذين شكلوا فيما بعد نواة جيش الدفاع الإسرائيلي.

وبعد اندلاع الثورة الفلسطينية الكبرى في العام الميلادي ١٩٣٦ واستمرارها لمدة ثلاثة أعواما متواصلة، انخفضت معدلات الهجرة اليهودية إلى فلسطين في العام الميلادي ١٩٣٦ نحو اثنين وستين ألف مهاجرا، انخفض جدا ليصل إلى ما يقرب من ثلاثة عشر ألف مهاجرا في العام الميلادي ١٩٣٨.(٩)

وفي الفترة الواقعة بين الأعوام الميلادية ١٩٣٩ و ١٩٤٨، انخفضت معدلات الهجرة اليهودية إلى فلسطين العربية بسبب اندلاع معارك الحرب العالمية الثانية وأيضا بسبب إصدار الحركة البريطانية للكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩، الذي وعد بالنظر في استقلال فلسطين، وحدد الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ومنع ولو مؤقتا انتقال الأراضي الفلسطينية لأيدي اليهود.

ثالثا: هجرة اليهود إلى فلسطين بعد قيام دولة إسرائيل :

عشية قيام دولة إسرائيل في الخامس عشر من أيار / مايو من العام الميلادي ١٩٤٨، وصل عدد اليهود في فلسطين العربية إلى ما يقرب من ٦٥٠ ألف يهوديا، أي نحو ثلث عدد سكان فلسطين تقريبا، وبعد قيام دولة

إسرائيل لتضاعف عدد سكانها خلال ثلاث سنوات بسبب استمرار الهجرة اليهودي إلى فلسطين وبخاصة اليهود الشرقيين أو السفارد نظرا لحاجة دولة إسرائيل للأيدي العاملة وأيضا بسبب إصدار السلطات الإسرائيلية لقانون العودة في نيسان / أبريل من العام الميلادي ١٩٥٠، ثم لقانون الجنسية الإسرائيلية في العام الميلادي ١٩٥١، وقد سمح قانون العودة الإسرائيلي بدخول جميع اليهود إلى فلسطين ماعدا الفئات التالية :

١ – من يعمل ضد الشعب اليهودي من اليهود.

٢ – اليهودي الذي يعرض صحة الجمهور والأمن العام للخطر.

٣ – اليهودي الذي له ماض إجرامي يعرض سلامة الجمهور للخطر. (١٠)

أما قانون الجنسية الإسرائيلي فقد سمح بمنح الجنسية الإسرائيلية للفئات التالية :

١ – اليهود الذين هاجروا إلى فلسطين أو ولدوا فيها قبل قيام دولة إسرائيل.

٢ – اليهود الذين ولدوا في إسرائيل بعد قيامها.

٣ – اليهود الذين جاؤوا إلى فلسطين قبل قيام دولة إسرائيل.

٤ – اليهود الذين لم يأتوا إلى فلسطين كمهاجرين وإنما أبدو رغبة في الاستقرار في دولة إسرائيل وحصلوا على شهادة مهاجر. (١١)

رابعا: الهجرة اليهودية المعاكسة :

الهجرة اليهودية المعاكسة هي الهجرة التي تتم من إسرائيل إلى بلدان أخرى مثل الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوربا الغربية بنية الإقامة فيها نهائيا وعدم العودة إلى دولة إسرائيل، أي بمعنى آخر فالهجرة اليهودية المعاكسة هي الرحيل نهائيا عن إسرائيل واستيطان أماكن جغرافية أخرى، وظاهرة الهجرة اليهودية المعاكسة أمر يثير قلق القادة الصهاينة لاسيما وأن المجتمع الإسرائيلي هو مجتمع استيطاني في المقام الأول ويعتمد على الهجرة الأجنبية من الخارج، ويرحل عن إسرائيل في هذه الأيام الآلاف من سكانها إلى العالم الغربي سنويا ولا يعودون ثانية إلى إسرائيل، وتعتبر الهجرة اليهودية المعاكسة في إسرائيل بمثابة الانهيار الأخلاقي للمجتمع الإسرائيلي ومخالفة لنصوص التوراة البالدة ولتعاليم كتاب التلمود أيضا، وقد ظهرت في إسرائيل منظمات وهيئات عديدة تقوم بتأهيل اليهود الراغبين في مغادرة دولة إسرائيل والرحيل عنها نهائيا وتعلمهم اللغة الإنجليزية وتمدهم بالأموال اللازمة للوصول إلى تلك البلاد. (١٢)

أما فيما يتعلق بأسباب الهجرة المعاكسة من إسرائيل إلى دول أخرى وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوربا الغربية فهي كثيرة ومتعددة، ومن أهم هذه الأسباب ما يلي :

١ – أسباب اقتصادية :

روجت الدعاية الصهيونية فيما مضى بين أواسط اليهود وأماكن تجمعهم في بلدان العالم المختلفة أن أرض تفيض لبنا وعسلا حسب أطروحات التوراة، وأن هناك مستقبلا زاهرا ينتظرهم فيها وحياة رغدة وسعيدة وهانئة في انتظارهم إذا هم سارعوا بالهجرة إلى فلسطين، ولا تخفى على أحد أن الدافع الاقتصادي البحت هو الذي دفع اليهود للهجرة إلى فلسطين العربية من أجل التخلص من حياة الفقر والبؤس التي كانوا يحيونها في الشتات، ولكن عندما وصل المهاجرون اليهود إلى فلسطين لتحسين أحوالهم المعيشية والاقتصادية لم يجدوا الحياة فيها وردية كما كانوا يتوقعون وأيضا كما زينت لهم الدعاية الصهيونية، فالأوضاع الاقتصادية في دولة إسرائيل كانت ولا تزال متردية جدا وسيئة للغاية، ومعدلات البطالة عالية وكذلك نسبة التضخم والديون الخارجية التي تعاني منها دولة إسرائيل.

وفي الحقيقة إذا ما كان العامل الاقتصادي البحت هو الذي شجع اليهود للهجرة إلى إسرائيل، فإن هذا العامل ذاته هو الذي يدفع اليهود إلى

مغادرة إسرائيل والرحيل نهائيا عنها للبحث عن أماكن أخرى توفر لهم حياة اقتصادية أفضل تساعدهم على تحسين مستواهم المعيشي والاقتصادي.

٣ - أسباب أمنية :

كان المهاجرون اليهود يعتقدون أن هجرتهم إلى دولة إسرائيل سوف يوفر لهم ظروف أمنية ملائمة وممتازة تحميهم من ظاهرة اللاسامية التي كان يعاني منها اليهود في العالم، وروج لها كثيرا الإعلام الصهيوني، ولكن لم يدر بخلد اليهود أن الشعب العربي الفلسطيني مازال موجودا رغم محاولات الصهاينة لإنكار هذا الوجود، وأدركوا أن فلسطين ليست أرض بلا شعب كما كانت تروج الدعاية الصهيونية في الغرب، كما وأن مجرد الوجود اليهودي على أرض فلسطين سوف يولد حالة من العداء الوطني والقومي والديني للصهاينة، ويخلق ظروف ملائمة جدا لاندلاع حروب دائمة بين الدول العربية المجاورة ودولة إسرائيل، وهذا ما حدث فعلا، فالشعب العربي الفلسطيني مازال يقاوم بالوسائل المتواضعة المتاحة له الآن الوجود الصهيوني على أرضه وأرض آبائه وأجداده القدماء عن طريق الفصائل الفلسطينية المسلحة المختلفة التي يبدو أنها سوف لا تلقى بسلاحها جانبا إلا بعد تحقيق أهدافها، ناهيك عن الحروب العربية ــ الإسرائيلية الدائمة التي حدثت في الأعوام الميلادي ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧

و ١٩٧٣، إضافة إلى حروب الاستنزاف التي حدثت على الجبهة المصـــرية عقب حرب عام ١٩٦٧، وحروب تحرير الجنوب اللبناني عقب الاجتيـــاح الإسرائيلي للبنان في العام الميلادي ١٩٨٢،.وأخيرا الحـــرب الـــتي شـــنتها إسرائيل على لبنان في شهر تموز / يوليو ٢٠٠٦، وتصدى لهـــا حـــزب الله اللبناني وألحق هزيمة مهينة بجيش الدفاع الإسرائيلي، فأدرك الصهاينة أن دولة إسرائيل ليست هي الملاذ الآمن الذي يعوضهم عن بلادهم الأصلية التي أتوا منها، فبدأت نزعات الرحيل عن إسرائيل تتوالد فيهم.

والحقيقة أن إسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم التي تأسست على أكتاف جيش ولم تقم هي كدولة بتأسيس جيشها، وهذا يجعـــل مـــن دولـــة إسرائيل عبارة عن مؤسسة عسكرية من طـــراز أول تعتمـــد في وجودهـــا واستمراريتها على قوة جيش الدفاع الإسرائيلي وجاهزيتـــه للقتـــال في أي زمان ومكان، وهذا بالطبع يلقي بظلاله الكثيفة على أفراد المجتمع الإسرائيلي ويحملهم واجبات عسكرية ثقيلة حتى تستمر إسرائيل في الوجود، وقد يبدو هذا الأمر غير مقبولة من نسبة كبيرة من اليهود الآن وبخاصة بعد مضي مـــا يقرب من ستة عقود على إنشاء دولة إسرائيل في العام الميلادي ١٩٤٨، فلا عجب أن يتسرب اليهودي من إسرائيل ويرحلوا لمااليا عنها إلى بلدان أخرى.

٣ - أسباب اجتماعية :

ليس من السهل إنكار وجود ظاهرة التمييز والتفرقة العنصرية التي تعاني منها شرائح واسعة داخل منظومة المجتمع الإسرائيلي، وهذه الظاهرة في الواقع سمة بارزة من سمات هذا المجتمع، ومن الصعب جدا على نفوس البشر أن يشعروا بالتمييز ويعانوا من التفرقة العنصرية في بلد اعتقدوا يوما أنه بلدهم، وهذا بالطبع يفقد أفراد أي مجتمع شعورهم بالولاء والانتماء لمجتمعهم الذي يعيشون فيه، الأمر الذي يدفعهم إلى مغادرة بلدهم والرحيل نهائيا عنها كما يحدث في دولة إسرائيل الآن.

٣ - ٣: التركيبة السكانية في إسرائيل :

في الحقيقة أن المجتمع الإسرائيلي يتألف من خليط غير متجانس من البشر يعود بجذوره إلى أصول عرقية وبيئية ولغوية وتاريخية وثقافية وحضارية مختلفة ومتباعدة، وقد تبدو متناقضة في كثير من الأحيان، وحسب آخر إحصائية لعدد سكان إسرائيل والتي صدرت في الثامن عشر من حزيران / يونيو من العام الميلادي ٢٠٠٦ تشير إلى أن العدد الكلي لسكان إسرائيل يبلغ ٦,٣١٢,١١٧ نسمة، وهذا العدد يشمل ما يلي :

- ١٨٧ ألف مستوطنا يهوديا يقيمون في مستعمرات الضفة العربية لنهر الأردن.

- ٢٠ ألف مستوطنا يهوديا يعيشون في مستعمرات المرتفعات السورية المحتلة (هضبة الجولان).

- أقل من ١٧٧ ألف مستوطنا يهوديا يقيمون في القدس الشرقية ومستعمراتها.

وسكان دولة إسرائيل ليسوا جميعهم من اليهود لأن خمس سكان دولة إسرائيل هم من العرب الذين تخلفوا في أراضيهم ولم يهاجروا في العام الميلادي ١٩٤٨ ويطلق عليهم اسم (عرب ٤٨) ويبلغ عددهم مليونا وأربعمائة ألف نسمة.

ومن الناحية الإثنية فإن سكان دولة إسرائيل هم كما يلي :

١ - ٨٠ % هم من اليهود.

٢ - ١٩,٩ % هم من العرب.

ومن الناحية الدينية فإن نسبة الديانات الرئيسية في إسرائيل إلى العدد الكلي للسكان هي كالتالي :

١ - اليهود	٧٦,٥ %
٢ - المسلمون	١٥,٩ %
٣ - المسيحيون العرب	١,٧ %
٤ - مسيحيون آخرون	٠,٤ %

٥ – الدروز ١,٦ %

٦ – غير محدد ٣,٩ %

ويبلغ عدد اليهود في دولة إسرائيل أكثر قليلا من ربع العدد الكلي ليهود العالم كله، وفي آخر إحصائية لعدد يهود العالم تشير أن عدد اليهود الكلي في جميع دول العالم يبلغ ١٤,٥٩٦,٠١٦ نسمة أي ما نسبته ٠,٢٢٧ % من العدد الكلي لسكان العالم وقت إعداد هذه الإحصائية والذي يبلغ ٦,٦٣٠,٥٨٦,٢٢١ نسمة، أما بالنسبة إلى معدل النمو السكاني لدى اليهود فيكاد يقترب من الصفر، إلا أن هذا المعدل قد ارتفع إلى نحو ٠,٣ % مقارنة بالمعدل العالمي للنمو السكاني الذي يبلغ ١,٤ %.

وداخل إطار منظومة المجتمع الإسرائيلي من الممكن تمييز أربع فئات سكانية هي كالتالي :

أولا: اليهود الشرقيون أو السفارد (السفرديم).

ثانيا: اليهود الغربيون أو الأشكناز (الأشكنازيم).

ثالثا: يهود الصابرا (الصابريم).

رابعا: العرب.

أولاً: اليهود الشرقيون أو السفارد (السفارديم):

كلمة (سفارد) في اللغة العبرية تعني أسبانيه، وهذا الاسم أطلق فيما بعد على يهود الأندلس بعد طردهم من أسبانيا والبرتغال عقب سقوط الحكم العربي الإسلامي في الأندلس في العام الميلادي ١٤٩٢، ثم أصبح اسم (سفارد) يطلق على يهود فلسطين وعلى اليهود الذين هاجروا إليها من دول أسيا وأفريقيا المتخلفة، إلا أن اسم السفارد يطلق في الوقت الحاضر على يهود فلسطين واليهود السفارد الذين كانوا يعيشون في دول الشمال الأفريقي وأيضا المشرق العربي وعلى اليهود الذين عاشوا منذ نحو ألفي عاما في العراق واليمن وسوريا وكردستان وإيران والهند ومصر. (١٤)

يقول المؤرخ العربي الكبير الدكتور أحمد سوسه عن اليهود السفارد ما يلي:

السفارد هم اليهود الذين انحدروا من أصل اليهود الذين هاجروا إلى شبه الجزيرة الأيبرية وبخاصة بعد فتح المسلمين لها عام ٧١١، وكان هؤلاء في أول الأمر يتكلمون باللغة العربية حتى القرن الميلادي الثالث عشر، ثم أخذوا يتكلمون باللغة الأسبانية التي تمسكوا بها واعتبروها لغتهم التقليدية، إذ كانوا في آخر عهدهم قبل أن يطردوا من أسبانيا عام ١٤٩٢ (مارانين) أي يتظاهرون بالمسيحية وهم يقومون بالعبادات والطقوس الدينية اليهودية

سرا، ثم عادوا إلى يهود بعد خروجهم أوربا وشمال افريقيا وبلدان الشرق الأوسط، وذهب بعضهم إلى لندن وأمستردام وهامبورج، وذهب بعضهم إلى لندن وأمستردام وهامبورج، وتعرف لغة السافرديين التي لا يزالون يتكلمونها باسم لغة (اللادينو الأسبانية). (١٥)

ويتميز اليهود الشرقيون بانخفاض مستواهم المعيشي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي والحضاري وبالطابع الديني المحافظ لحياتهم، وبكثرة ما ينجبون من أطفال وبانخفاض متوسط أعمارهم مقارنة بالفئات اليهودية الأخرى.

ولأن اليهود الشرقيين أو السفارد لم يعيشوا في البلدان الأوربية، فإنهم لم يعانوا من ظاهره العنف والكراهية والاضطهاد الموجهة لليهود في الغرب الأوربي المسيحي أي ما عرف باسم (اللاسامية)، ولذلك فإن اليهود الشرقيين أو السفارد لم يتحمسوا في الواقع للحركة الصهيونية السياسية حين ظهورها في العام الميلادي ١٨٩٧ وكأنها لا تعنيهم، ولهذا السبب إضافة إلى جذورهم العرقية وخلفياتهم الاجتماعية والاقتصادية والحضارية المتخلفة تعرضوا لشتى أنواع وألوان التمييز والتفرقة العنصرية ضدهم في دولة إسرائيل.

ثانيا: اليهود الغربيون أو الأشكناز (الأشكنازيم):

كلمة (أشكناز) هي التسمية العبرية لألمانيا وتشير أيضا إلى اليهود الألمان، ويتكلم اليهود الأشكناز لغة (اليديش) وهي اللغة الألمانية التي كانت مستعملة في ألمانيا في القرون الوسطى مطعمة ببعض الكلمات والمفردات من اللغة العبرية، ثم أصبح اسم الأشكناز يطلق فيما بعد على اليهود القادمين إلى فلسطين من القارة الأوربية بقسميها الشرقي والغربي مثل بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وهولندا، وبولندا وهنغاريا ورومانيا وبلغاريا، ويطلق اسم الأشكناز أيضا على اليهود الذين قدموا إلى فلسطين من قارة أمريكا الشمالية ومن جنوب أفريقيا والأرجنتين والبرازيل وفي قارة أستراليا حتى ولو كانت أصولهم العرقية تعود لليهود الشرقيين أو السفارد.

ويعتقد كثير من الباحثين والمؤرخين أن الأصول العرقية لليهود الغربيين أو الأشكناز تعود إلى سلالة شعب الخزر الأسيوي الذين تهودوا في القرن الميلادي الثامن في عهد الملك الخزري (بولان)، ويشكل اليهود الخزر الغالبية العظمى من يهود اليوم، إذ أن نسبتهم المؤدية إلى إجمالي العدد الكلي ليهود العالم أكثر من ٩٢ %، ومن الجدير بالذكر أن يهود الخزر ينحدرون بجذورهم العرقية من سلالة (جومر بن يافث بن نوح) كما جاء في الإصحاح العاشر من سفر التكوين، وذلك حسب التقسيم التوراتي لشعوب العالم

القديم، ولا ينحدرون من سلالة سام بن نوح وفقا لهذا التقسيم، أي أنهم ليسوا من الشعوب السامية على الإطلاق.

يقول المؤرخ أحمد سوسه عن اليهود الأشكناز ما يلي :

(تنتسب طائفة الأشكناز إلى اليهود الألمان الذين ينحدرون من أصل ألماني، وعاشوا في القرون الوسطى في البلدان التي كانت تتكلم الألمانية، ثم امتدوا إلى الشرق والغرب، وقد حافظوا إلى عهد قريب على لغتهم (اليديش) وكانت في أساسها اللغة الألمانية المستخدمة في القرون الوسطى).(١٦)

ونظرا لأن اليهود الغربيين أو الأشكناز هم الذين عانوا من العنف والكراهية والاضطهاد أي ما عرف باسم اللاسامية في بلدان قارة أوربا المختلفة، فقد وجدوا في الحركة الصهيونية السياسية الهرتزلية التي ظهرت في الحركة الصهيونية السياسية الهرتزلية التي ظهرت في العام الميلادي ١٨٩٧ حلا لمعاناتهم، فهم الذين رفعوا لواء هذه الحركة وتحمسوا جدا لتحقيق أهدافها الرامية إلى اغتصاب أرض فلسطين العربية، وهم الذين رفعوا لواء هذه الحركة وتحمسوا جدا لتحقيق أهدافها الرامية إلى اغتصاب أرض فلسطين العربية، وهم الذين قامت على أكتافهم دولة إسرائيل بعد الإعلان عن قيامها في العام الميلادي ١٩٤٨، وهم الذين يسيطرون الآن سياسيا

وعسكريا واقتصاديا واجتماعيا وفكريا على الحياة داخل المجتمع الإسرائيلي بالرغم من أن اليهود الأشكناز لا يشكلون غالبية سكان إسرائيل.

ثالثا: يهود الصابرا (الصابريم):

اسم (صابرا أو صابريم) يعني في اللغة العبرية لثمار الصبر أو التين الشوكي باللغة العربية ويطلق اسم الصابرا أو صابريم على جميع اليهود الذين ولدوا في فلسطين وبالرغم من أن مفكري الصهيونية وفلاسفتها اعتادوا استخدام اسم الصابرا أو الصابريم للدلالة على اليهود من مواليد فلسطين من أجل القضاء على معضلة تعدد الأصول العرقية والبيئية واللغوية والتاريخية والثقافية والحضارية في المجتمع الإسرائيلي، ويحاولون الإيهام بأن هذا المجتمع قد اندمج بعضه وانسجم وتجانس وتآلف، إلا أن هذا التصور في الواقع بعيد كل البعد عن الحقيقة وواقع المجتمع الإسرائيلي، فاسم اليهود الغربيين أو الأشكناز الذين ولدوا في فلسطين، بينما لا يشمل هذا الاسم أبناء اليهود الشرقيين أو السفارد الذين يطلق عليهم في إسرائيل اسم (اليهود السود) الذين يعانون من التفرقة العنصرية في المجتمع الإسرائيلي من قبل أبناء اليهود الغربيين أو الأشكناز الذين يخلقون المشاكل والمضايقات لأبناء اليهود السفارد ويكيلون لهم شتى أنواع السباب والشتائم العنصرية، يقول الأستاذ قدري حفني عن يهودا الصابرا ما يلي :

(الصابرا ليسوا مواليد فلسطين بشكل عام، وإنما هم بالتحديد الشباب الإسرائيلي أصحاب الحضارة الأرقى والمكانة والأرفع والبشرة البيضاء، إنهم الصفوة الإسرائيلية، وهم بالتالي صفوة أبناء إسرائيل، إن الصابرا في النهاية ليسوا سوى أبناء اليهود الأشكنازيين). [١٧]

أما عن سبب تسمية اليهود من مواليد فلسطين باسم الصابرا أو صابريم فيعود إلى قصة طريفة: فقد ظهرت هذه التسمية لأول مرة في مدرسة (هرتزليا) الثانوية بمدينة تل أبيب في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وكانت هذه المدرسة تضم في صفوفها أبناء اليهود الشرقيين وأبناء اليهود الغربيين معا، وحيث أن أبناء اليهود الغربيين أو الأشكناز كانوا متفوقين اجتماعيا وتعليميا وثقافيا وحضاريا على أقرانهم من أبناء اليهود الشرقيين، فقد لجأ أبناء اليهود الشرقيين أو السفارد إلى عمل شيء غير عادي ليلفتوا إليهم الأنظار، فكانوا يقطفون ثمار الصابرا (الصبر ـ التين الشوكي) بأيديهم العارية التي لا يحميها أي قفازات بما في ذلك من مخاطر تعرضهم لوخزات أشواك ثمار الصبر أو التين الشوكي واختراقها لجلد أصابعهم وأيديهم كتعويض عما يشعروا به من نقص أمام أبناء اليهود الغربيين أو الأشكناز. [١٨]

ومن البديهي أن لا يعاني جيل الصابرا من مشاكل ظاهرة اللاسامية ولا يعرفون عنها سوى ما سمعوه عنها لأنهم ولدوا وعاشوا في فلسطين كما

يزعم الصهاينة، وهذا التصور غير دقيق لأن جيل الصابرا من أبناء اليهود الشرقيين في إسرائيل يعانون من التفرقة والاضطهاد وهذا في الحقيقة لون آخر من ألوان اللاسامية، وفي العام الميلادي ١٩٩٣ شكل جيل الصابرا لحو ٦٠,٩ % من إجمالي عدد اليهود الذين يعيشون في إسرائيل، ويعول عليهم القادة الصهاينة قوة شعورهم بالولاء والانتماء لدولة إسرائيل لأنهم لا يعرفون أي بلد آخر كما يعتقدون، ويتميز جيل الصابرا بارتفاع عنصر الشباب فيهم، وبمستوياتهم التعليمية المرتفعة وبمراكزهم المرموقة في المجال الصناعي والاقتصادي وأيضا في الجيش، وقد برز من جيل الصابرا شخصيات سياسية وعلمية كثيرة، وأيضا شخصيات عسكرية مثل الجنرال موسى دايان، وإيجال آلون وإسحاق رابين ورئيس الوزراء الإسرائيلي السابق السفاح أرئيل شارون وغيرهم.

رابعا: العرب: (عرب ٤٨):

العرب في إطار منظومة المجتمع الإسرائيلي هم العرب الذين ظلوا يعيشون في قراهم ومدنهم بعد الحرب العربية ـ الإسرائيلية الأولى في العام الميلادي ١٩٤٨، ويطلق عليهم اسم (عرب ٤٨)، والحقيقة أن عدد العرب في المجتمع الإسرائيلي كبير جدا ويشكلون خمس سكان إسرائيل، إذ بلغ

عددهم في العام الميلادي ٢٠٠٦ نحو مليونا وأربعمائة ألف نسمة، وهذا العدد ليس من السهولة إهماله والتغاضي عنه، فهم ليسوا أقلية على الإطلاق.

ويتميز العرب داخل المجتمع الإسرائيلي بارتفاع عدد المواليد لديهم، وبالزيادة التدريجية في أعدادهم، وارتفاع متوسط أعمارهم الذي يبلغ ٧٢ عاما، وهذا الأمر يقلق القادة الصهاينة ويؤرق مضاجعهم إذا استمرت نسبة الزيادة في أعداد العرب بالمعدل الذي هي عليه الآن، ولهذا السبب يحاول الصهاينة تهجير العرب من مناطقهم وإحلال مستوطنين يهود بدلا منهم، ولا يبدو أن هذا الأمر سهلا وممكنا لأن العرب داخل إسرائيل يحملون الجنسية الإسرائيلية ويعتبروا مواطنين إسرائيليين، وغالبة العرب داخل إسرائيل هم من المسلمين، يليهم المسيحيين من حيث العدد ثم الدروز، ويعاني السكان العرب داخل المجتمع الإسرائيلي من شتى أنواع التميز والتفرقة العنصرية ضدهم، وهذا ما سوف نتعرض له لاحقا.

خامسا: فئات أخرى في المجتمع الإسرائيلي:

وإلى جانب الفئات السكانية الرئيسية في منظومة المجتمع الإسرائيلي سالفة الذكر، توجد فئات سكانية أخرى في المجتمع الإسرائيلي تعود إلى جذور عرقية مختلفة، وإلى فرق دينية يهودية مختلفة أيضا، وفي الحقيقة أن هذه الفئات ليس لها وزن ولا تأثير في الحياة العامة والخاصة داخل إسرائيل،

ولكنهم جميعهم يحملون الجنسية الإسرائيلية ويعتبرون مـواطنين إسـرائيليين أيضا، ومن هذه الفئات والطوائف ما يلي :

١ – **السامريون:** السامريون هم بقايا القبائل العربيـة والسـورية والبابلية والعيلامية التي أحضرها القائد الأشوري سرجون الثاني إلى منطقـة السامرة بفلسطين العربية ليحلوا محل يهودها الـذين سـباهم إلى عاصـمته نينوى.

٢ – **القراؤون:** القراؤون فرقة دينية يهودية أسسها عناد بـن داود زمن الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، وتؤمن هذه الفرقة بأسـفار موسـى الخمسة فقط وتنكر ما عداها من أسفار كتاب العهد القديم.

٣ – **يهود الفلاشا:** يهود الفلاشا هم في الواقع يهود أثيوبيا.

٤ – قليل من الأرمن.

٣ – ٣: التفرقة العنصرية داخل المجتمع الإسرائيلي :

بسبب موجات الهجرة اليهودية المتتالية إلى فلسطين العربية، توافـد على أرضها يهود من الشرق والغرب ومن كافة أرجاء العالم الأربعة، ومـن أكثر من مائة دولة، وينتمون إلى عشرات القوميات والأعـراق والأوطـان ويتكلمون أكثر من ثـمانين لغة، وجاءوا من خلفيات بيئية وتاريخية وثقافية وحضارية متعددة ومتباينة، ويعيش أفراد هذا المجتمع في ظل مراسم وطقوس

دينية مختلفة رغم أهم يؤمنون بديانة واحدة هي الديانة اليهودية، ومن البديهي أن مجتمع من طراز المجتمع الإسرائيلي أن يكون فيه الكثير من التناقضات الظاهرة والواضحة، الأمر الذي يجعل من إمكانية انسجام وتجانس هذا المجتمع أمرا بالغ الصعوبة إن لم يكن مستحيلا، وفي الواقع أن هناك تمييز داخل المجتمع الإسرائيلي يصل إلى حد التفرقة العنصرية بين العناصر الرئيسية الثلاثة المكونة للمجتمع الإسرائيلي وهي اليهود الشرقيون أو السفارد (سفارديم)، واليهود الغربيون أو الأشكناز (أشكنازيم)، وثالثا العرب، فهناك تفرقة عنصرية بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين من ناحية، ومن ناحية أخرى توجد تفرقة عنصرية بين اليهود بشقيهم الشرقي والغربي معا، والعرب الذين يعيشون داخل المجتمع الإسرائيلي.

أ – التفرقة العنصرية ضد اليهود الشرقيين :

في الحقيقة أن التفرقة والتمييز بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين هو قديم وقديم جدا، وليس وليد تجمع اليهود بثقافاتهم المختلفة على أرض فلسطين العربية فقط، ومن أهم أسباب هذه التفرقة ما يلي :

١ – قبل ظهور الحركة الصهيونية السياسية على يد اليهودي الخزري ثيودور هرتزل في العام الميلادي ١٨٩٧، كان اليهود الشرقيون لا يعانون في الدول التي كانوا يقيمون فيها من مشاكل ظاهرة

اللاسامية، وبالتالي لم يعيشون منبوذين ومحقرين ومضطهدين ومعــزولين في أحياء خاصة بهم أو الغيتوات، كما كان يعيش اليهود الغربيون في الأقطــار الأوربية المختلفة، بل وكانت حالة اليهود الشرقيين الاقتصادية والاجتماعيــة ونفوذهم في المجتمعات التي عاشوا بينها أفضل بكثير من حالة اليهود الغربيين في مجتمعاتهم المختلفة، والحقيقة أن اليهود الشرقيين كانوا يشــكلون علــى الدوام طبقة أرستقراطية ثرية في أي بلد يعيشون فيه [١٩]، ولهذا السبب كان اليهود الشرقيون ينظرون لليهود الغربيين نظرة كلها احتقــار لهــم وتعــالى عليهم، ولكن بعد ظهور الحركة الصهيونية السياسية المرتزلية وتكفل اليهود الغربيون (الأشكناز) بها، وأخذوا على عاتقهم حمل لوائها، ونشــر مبادئهــا وفكرها المعروف، والعمل على تحقيق أهدافها الراميــة إلى اغتصــاب أرض فلسطين العربية وإقامة الوطن القومي اليهودي فيها، انقلبت المعادلــة رأســا على عقب وأصبح اليهود الغربيون هم اللذين ينظرون لليهود الشرقيين نظرة فوقية متعالية فيها كثير من الاضطهاد والعداء لهم وبخاصة بعد قيــام دولــة إسرائيل في العام الميلادي ١٩٤٨.

٢ – لم يكن اليهود الشرقيون أو الســفارد متحمســون للحركــة الصهيونية السياسية المرتزلية حين ظهورها، ولا يؤمنون بفكرهــا ونهجهــا الاشتراكي الذي اتخذته أسلوبا لها، وربما كان ذلك عائــدا إلى أن اليهــود

السفارد لم يعانوا من اللاسامية في البلدان التي عاشوا فيها، وإنما كانت هجرتهم إلى فلسطين العربية نابعة من منطلق ديني بحت وهو الإقامة في أرض الميعاد حسب المعتقدات اليهودية البائدة.

٣ – إن معظم اليهود الشرقيين الذين هاجروا إلى فلسطين العربية جاءوا من بلدان عربية وإسلامية، ومن البديهي أن يكون تشكيلهم التاريخي والاجتماعي والثقافي والحضاري يتبع التشكيل التاريخي والاجتماعي والثقافي والحضاري لتلك الدول، ليس هذا فحسب بل أن لغتهم الأولى وعاداتهم وتقاليدهم ونمط حياتهم وطريقة طعامهم وتفكيرهم مستمد من شعوب تلك الدول، وهذا بطبيعة الحال لم يرق لليهود الغربيين، فالحركة الصهيونية لم تكن ترغب في أن تكون دولة إسرائيل صورة طبق الأصل من الدول العربية والإسلامية، وقد عبر الزعيم الصهيوني الراحل دافيد بين جوريون بصراحة عن ذلك بقوله :

(إننا لا نريد أن نصبح عربا، وإن من واجبنا قتل كل ما هو شرقي ومشرقي). (٢٠)

وتقول هذا شعبان صايغ أن هجرة اليهود الشرقيين إلى دولة إسرائيل كانت لسببين :

السبب الأول: هو تغير الأوضاع السياسية في بعض الدول العربية.

والسبب الثاني: هو ترويج أجهزة الدعاية الصهيونية بأن هناك خطر على اليهود الشرقيين ومصالحهم في الدول الشرقية، وذلك من أجل تخويفهم وحثهم على الهجرة إلى فلسطين، فقد كان الحجة بأن إسرائيل هي الوطن القومي لجميع اليهود، وأن إسرائيل بحاجة إلى جيش، ولذلك فإن تجمع اليهود يهيئ لها ذلك، وأن على إسرائيل أن تسرع في ملئ الأماكن التي تركها العرب حتى لا يرجعوا إليها. (٢١)

والحقيقة أن هناك تمييز وتفريق واضح وظاهر بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين في إسرائيل يطال معظم جوانب الحياة تقريبا ماعدا حق المواطنة الإسرائيلية، وهذا الأمر ولد في الواقع في نفوس اليهود الشرقيين شعورا بالمرارة وخيبة الأمل وعدم المساواة مع اليهود الغربيين يصل إلى حد التفرقة العنصرية، فاليهود الغربيون ينظرون الآن لليهود الشرقيين نظرة فوقية متعالية كلها احتقار لهم وفيها الكثير من الازدراء والحط من شأنهم بسبب أصولهم الشرقية المتخلفة ثقافيا وحضاريا وصناعيا وزراعيا وتقنيا من وجهة نظر اليهود الأشكناز، إضافة إلى تدني مستواهم المعيشي والاقتصادي والتعليمي، وقلة تحصيلهم الدراسي ومهاراتهم في العمل، وكثرة ما ينجبون من أطفال، علاوة على أن اليهود الشرقيين جاءوا أصلا من مجتمعات عربية وإسلامية ولم يعانوا إطلاقا من ظاهرة اللاسامية ومشاكلها، ويذكر الكاتب

اليهودي (جوب سيفرداي) في مقال له بعنوان (الفكـــر الحـــديث للقوميـــة اليهودية) ما يلي

(إن اليهود الشرقيين حافظوا على استقلالهم الذاتي ككيـــان قـــومي سياسي متميز أكثر منه مجتمع عرقي، فقد عرفوا المواطنة والحرية، ولم يكونوا مواطنين من الدرجة الثانية في داخل المجتمعات العربية كمـــا ادعـــى بعـــض الباحثين اليهود). (٢٢)

التمييز والتفرقة في المجتمع الإسرائيلي :

التفرقة والتمييز بين المكونات الأساسية لمنظومة المجتمع الإســـرائيلي أمر بارز وواضح في هذا المجتمع ويطال جميع أوجه الحياة فيـــه، إلا أن أهـــم جوانب تلك التفرقة وذلك التمييز ما يلي :

أولا: التفرقة في النواحي الاجتماعية :

١ – التفرقة في الوظائف والدخل.

٢ – التفرقة في الإسكان.

٣ – التفرقة في التعليم.

ثانيا: التفرقة في المؤسسة العسكرية والجيش.

ثالثا: التفرقة في التمثيل السياسي.

أولا: التفرقة في النواحي الاجتماعية :

١ – التفرقة في الوظائف والدخل :

في الحقيقة أن معظم الوظائف الهامة في دولة إسرائيل بيد اليهود الغربيين أو الأشكناز في الحين الذي يعمل فيه اليهود الشرقيون أو السفارد في الأعمال الدنيا في إسرائيل مثل أعمال البناء والحفر والهدم وأيضا في المجال الصناعي، وبالتالي فإن دخلهم أقل بكثير من دخل اليهود الأشكناز، ولهذا السبب تدنى مستواهم المعيشي والاقتصادي وأيضا الاجتماعي.

ويبرر اليهود الغربيون أو الأشكناز تدني مستوى اليهود الشرقيين أو السفارد إلى ما يلي :

i – جهلهم وقلة تعليمهم، وعدم مهارتهم في الأعمال التي يقومون بها.

ii – عدم قدرتهم على تحسين أوضاعهم المعيشية.

iii – عدم معرفة البعض منهم حتى للقراءة والكتابة. (٢٣)

وعلاوة على ذلك فإن عدد أفراد الأسر اليهودية الشرقية أعلى من عدد أفراد الأسر اليهودية الغربية، وهذا فاقم من مشاكلهم المعيشية والاقتصادية، فانتشر الفقر والحرمان والحاجة بين اليهود السفارد بسبب هذه التفرقة المبنية على أسس عنصرية وعرقية، وقد قال رئيس الوزراء الإسرائيلي

الراحل ديفيد بن جوريون في حديث لمجلة لوك الأمريكية في العام الميلادي ١٩٦٥ عن اليهود الشرقيين ما يلي :

(ليس لديهم تعليم، وعاداتهم مثل عادات العرب).

٣ – التفرقة في الإسكان :

إن اليهود السفارد لا يتساوون مع اليهود الأشكناز حتى في السكن، ولقد كانت الحركة الصهيونية والوكالة اليهودية قد خدعت اليهود الشرقيين، وبذلت لهم الوعود السخية بمستقبل زاهر وحياة هانئة إذ هم تركوا البلاد التي يعيشون فيها ويرحلون إلى فلسطين، ولكن الواقع لم يكن كذلك على الإطلاق، فقد فوجئ اليهود الشرقيون بعد وصولهم إلى إسرائيل بإسكانهم في التالي :

i – أماكن نائية وقرى نائية قريبة من الحدود العربية ـ الإسرائيلية.

ii – أحياء فقيرة ومزدحمة باليهود الشرقيين تعرف باسم (الحزام الأسود)، أو حارات الفقر والحرمان المنتشرة في محيط المدن الكبرى.

iii – المنازل التي كان يسكنها العرب في مدنهم وقراهم قبل رحيلهم عنها خلال أو بسبب الحرب العربية ـ الإسرائيلية في العام الميلادي ١٩٤٨.

وقد تميزت الأماكن التي خصصت لسكن اليهود السفارد بالازدحام السكاني الخانق، وبقذارة شوارعها التي تتراكم فيها أكوام

القمامة، وينتشر بين سكانها الأمراض المعدية، ويذكر أن نسبة غير قليلة من اليهود السفارد تقدر بأكثر من الثلث يعيشون في حالة سكنية سيئة، حيث يسكن ثلاثة إلى خمسة أشخاص منهم في منزل مؤلف من غرفة واحدة فقط، وبعض اليهود الشرقيين يعيشون في ظروف سكنية أسوأ من ذلك بكثير ويبرر الصهاينة من اليهود الغربيين أو الأشكناز حالة اليهود السفارد هذه إلى الأعداد الكبيرة لعائلاتهم وازدياد عدد المواليد لديهم.

وعلى الجانب الآخر لم تعامل السلطات الإسرائيلية اليهود الأشكناز كما تعامل اليهود السفارد، فهي أسكنت اليهود الأشكناز في مناطق الشريط الساحلي وفي الأراضي الخصبة البعيدة عن الحدود العربية ـ الإسرائيلية، وقدمت الحكومة الإسرائيلية لليهود الأشكناز الدعم المالي والمعنوي اللازم لتحسين أحوالهم المعيشية والاقتصادية والاجتماعية، وأسكنتهم في منازل مريحة بأجور زهيدة تتألف من ثلاثة غرف للعائلة المكونة من ثلاثة أفراد، ولا تفسير لذلك سوى أنه تفرقة عنصرية ضد اليهود الشرقيين (السفارد).

٣ - التفرقة في التعليم:

في الواقع أن هناك تفرقة واضحة بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين في مجال التعليم مبنية أيضا على أسس عنصرية وعرقية، فاليهود الشرقيون أو السفارد أتوا أصلا وكما هو معروف من مجتمعات عربية

وإسلامية وشرقية، وهم بطبيعة الحال متطبعين بلغات تلك الشعوب وبعاداتها وتقاليدها وينتمون إلى التشكيل التاريخي والاجتماعي والثقافي والحضاري لهذه الدول، في حين أن اليهود الغربيين أو الأشكناز يعتبرون أنفسهم أرقى كثيرا من اليهود الشرقيين لأنهم من وجهة نظرهم من نتائج التشكيل الحضاري الغربي الأوربي، ولهذا السبب يحتقر اليهود الأشكناز اليهود السفارد ويحاولون إلغاء هويتهم وثقافتهم وحضارتهم وتاريخهم الذي هو ثقافة وحضارة وتاريخ البلدان التي عاشوا فيها قبل هجرتهم إلى فلسطين العربية، وبالتالي لا تتضمن المناهج التعليمية ولا الكتب المدرسية في دولة إسرائيل أي لمحة حتى ولو عابرة عن ثقافة وحضارة وتاريخ اليهود السفارد، ولا تذكر أدبهم النثري والشعري، ولهذا السبب قل عددهم في المدارس الإسرائيلية التي تدرس ثقافة وحضارة اليهود الأشكناز وما عانوه في أوربا من مشاكل السامية، وهذا يبدو غريبا وشاذا لدى اليهود السفارد فيتسربون من المدارس.

ولقد حاول القادة الصهاينة الارتقاء بالمستوى التعليمي لليهود الشرقيين بجعل التعليم في المدارس الإسرائيلية إلزاميا ومجانيا لمدة تسعة أعوام بما فيها سنة الروضة، وثمانية سنوات لجميع الأولاد ما بين عمر أربعة عشر وسبعة عشر عاما لمن لم يكملوا التعليم الابتدائي.[٢٤] ثم إلى ستة أعوام

ابتدائية وثلاثة سنوات إعدادية، ويدرس اليهود الشرقيون في المدارس الزراعية والمهنية بينما يذهب اليهود الأشكناز لدراسة الطب والهندسة والعلوم الطبية والرياضيات (٢٥)، وأيضا في الأكاديميات العسكرية.

ومن الممكن تلخيص أسباب قلة عدد الطلبة من اليهود السفارد في التالي :

i – تدني مستوى التعليم في مدارس اليهود السفارد مقارنة بمدارس اليهود الأشكناز.

ii – غرابة المناهج التي تدرس لليهود الشرقيين، فالتركيز دائما في هذه المدارس يكون دائما على تاريخ اليهود الأشكناز وما عانوه في حياة الغيتو في أوربا، وهذه المناهج تبدو غريبة على اليهود الشرقيين، فتزداد نسبة الرسوب فيهم (٢٦)، فيضطر أولياء الأمور إلى إرسال أولادهم للمدارس الدينية.

iii – حالة الفقر الشديد التي يعاني منها اليهود السفارد وارتفاع أقساط المدارس والجامعات. (٢٧)

ثانياً: التفرقة في المؤسسة العسكرية والجيش:

كان من المفترض أن يكون الجيش الإسرائيلي هو أداة الوحدة الوطنية الإسرائيلية والبوتقة التي تنصهر فيها جميع الاختلافات والمتناقضات العرقية واللغوية والبيئية والتاريخية والثقافية والحضارية التي هي سمة بارزة من سمات المنظومة المؤلفة للمجتمع الإسرائيلي، وعلى العكس من ذلك تماماً، فهناك تفرقة بين اليهود السفارد واليهود الأشكناز داخل المؤسسة العسكرية والجيش الإسرائيلي، فالجيش الإسرائيلي في الحقيقة يسعى إلى الاحتفاظ باستمرارية التقسيم الطبقي والطائفي ولا يسعى أبدا لتذويب هذا التقسيم والقضاء عليه، فسلم الترقي في الجيش الإسرائيلي يرتبط بمكانة الفرد في الجماعة المدنية. (٢٨)

والواقع أن اليهود الشرقيون داخل الجيش الإسرائيلي يعملون في الأعمال الحقيرة الخاصة بالجيش مثل أعمال المطابخ وفي أشغال التنظيف والحفر والهدم، وفي قيادة السيارات والمخازن العسكرية، وأقصى ما يصل إليه اليهود السفارد في الجيش الإسرائيلي هو التحاقهم بوحدات المشاة والعربات النصف مجنزرة، أما اليهود الأشكناز فهم يشكلون قيادة الجيش وجنرالاته، ومن الغريب أنه لا يوجد يهودي شرقي برتبة جنرال في الجيش الإسرائيلي

منذ تأسيس دولة إسرائيل وحتى يومنا هذا رغم أن معظم جنود هذا الجيش هم من اليهود الشرقيين أو السفارد.

أما اليهود الغربيون أو الأشكناز فهم يؤلفون جل الطيارين ورجال البحرية والأسطول ووحدات الصواريخ والمخابرات العسكرية (٢٩)، وقد حاول الجنرال مردخاي غور تبرير التفرقة بين اليهود السفارد واليهود الأشكناز داخل الجيش الإسرائيلي بقوله ما يلي :

«إن اليهود الشرقيين لا يحتلون مناصب رفيعة في الجيش إما بسبب النقص في تعليمهم أو بسبب عدم قدرتهم عن الانفصال عن التقاليد التي تسيطر على أسلوب حياتهم، ومن التأثير العائلي وتأثير رجال الدين والطائفة عليهم، واليهود الشرقيون قادرون على العمل بكل نشاط وفاعلية إذا توفرت لهم القيادة الجيدة، لكنهم لم يصلوا بعد إلى المستوى الحضاري الذي يمكنهم من الوصول إلى المناصب العليا» (٣٠).

ثالثاً: التفرقة في المجال السياسي :

يعاني اليهود السفارد داخل المجتمع الإسرائيلي من هضم خطير لحقوقهم السياسية، فنسبة تمثيلهم السياسي متدنية جداً مقارنة باليهود الغربيين أو الأشكناز، فاليهود الغربيون يمثلون معظم قادة الكيان الصهيوني، ولا تقتصر التفرقة بين اليهود السفارد واليهود الأشكناز على مستوى رئاسة

الدولة ومجلس الوزراء والكنيست (البرلمان)، وإنما تطال أيضا جميع الـدوائر الرسمية التي ما تكون غالبا بيد اليهود الأشكناز، ليس هذا فحسب بل تكون التفرقة أيضا على مستوى رؤساء الأحزاب السياسية التي تأسست أصـلا في وسط أوربا وفتحت لها فروعا في فلسطين أصلا في وسط أوربا وفتحت لهـا فروعا في فلسطين العربية وتحولت هذه الفروع إلى مراكز ومقار رئيسية بعد قيام دولة إسرائيل.

والحقيقة أن معظم المراكز القيادية في دولة إسرائيل غالبا ما تكون في أيدي اليهود الأشكناز وليس بأيدي اليهود السفارد الذين يمثلون نسبة كبيرة من المجتمع الإسرائيلي، وأخيرا وفي العام الميلادي ٢٠٠٦ وصل أول يهودي شرقي إلى رئاسة أحد الأحزاب السياسية في إسرائيل وهو اليهودي السفاري (عامير بيرتز) الذي تولى رئاسة حزب العمل، ثم أصبح وزيرا للدفاع، وهـو كان ورئيس وزراء الكيان الصهيوني أيهود أولمرت، ورئيس أركان الجـيش الإسرائيلي دان حالوتس أصحاب الحرب الفاشلة على لبنان في تموز / يوليو من العام الميلادي ٢٠٠٦.

وبالنسبة إلى رئاسة الدولة في إسرائيل، فقد وصل إلى هذا المنصـب يهودي شرقي لأول مرة وهو (إسحاق نافون) الذي احتل مركـز رئـيس الدولة في إسرائيل بين الأعوام الميلادي ١٩٧٨ و ١٩٨٢، أما رئاسة مجلس

الوزراء في دولة إسرائيل فلم يصل إليها يهودي شرقي حتى يومنا هـذا، ولم يصل يهودي شرقي أيضا إلى منصب وزير المالية، وفي الواقع أن نسبة تمثيل اليهود السفارد في البرلمان الإسرائيلي أو الكنيست متدنية جدا إذا ما قورنت باليهود الأشكناز.

مقاومة اليهود السفارد للتفرقة العنصرية في إسرائيل :

أدرك اليهود الشرقيون أو السفارد في وقت مبكر من عمر تواجدهم على أرض فلسطين العربية أن هناك تفرقة عنصرية ضدهم من قبل اليهود الغربيين أو الأشكناز، فقبل قيام الكيان العنصري الصهيوني في فلسطين العربية في العام الميلادي ١٩٤٨، كان اليهود السفارد يحاولون مقاومة التفرقة العنصرية ضدهم بالوسائل السلمية، وأيضا بتأسيس لجنة تضمهم جميعهم من أجل رد الاعتبار لهم وإلغاء التفرقة العنصرية الموجهة ضدهم من قبل اليهود الأشكناز، وقد تأسست هذه اللجنة بمدينة القدس وعرفت باسم (لجنة طائفة السفارديين)، وكانت تسعى إلى ما يلي :

١ – تأسيس منظمة سياسية تدافع عن حقوق اليهود الشرقيين.

٢ – إسكان الفقراء من اليهود السفارد في تعاونيات زراعية.

٣ – إلغاء طريقة الانتخابات بالنسبة وإحلال نظام الانتخابات الفردية.

٤ – توفير التعليم المجاني لليهود الشرقيين في المدارس الابتدائية.

٥ – إقامة نقابة لليهود الشرقيين. (٣١)

إلا أن محاولات اليهود السفارد لم تنجح أبدا في الحد من غلواء التفرقة العنصرية والتميز الطائفي الموجه ضدهم من اليهود الأشكناز، وفشلت جميع محاولاتهم في ذلك الوقت.

وبعد قيام دولة إسرائيل قام اليهود السفارد بمظاهرات وانتفاضات شعبية احتجاجا على سياسة التفرقة العنصرية التي تنتهجها الحكومة الإسرائيلية ضدهم وطالبوا بمساواتهم باليهود الأشكناز، وقد أسس اليهود السفارد العديد الحركات والمنظمات التي تعمل ضد سياسة التفرقة العنصرية في إسرائيل، ومن أبرز النشاطات التي قام بها اليهود السفارد ما يلي :

١ – مظاهرات مدينة عسقلان (أشكلون).

٢ – في العام الميلادي ١٩٤٩، تظاهر سكان مدينة الرملة في العاصمة الإسرائيلية (تل أبيب) مطالبين بالخبز والعمل.

٣ – مظاهرات وادي الصليب بمدينة حيفا في العام الميلادي ١٩٥٩ احتجاجا على منح الحكومة الإسرائيلية لوحدات سكنية فاخرة لليهود الأشكناز الذين قدموا حديثا من دولة بولندا.

٤ – في العام الميلادي ١٩٧١ تأسست في حي (المصرارة) بمدينة القدس منظمة الفهود السود على أيدي اليهود السفارد، وقد كانت هذه المنظمة تنادي بالمساواة ليس فقط لليهود السفارد وإنما أيضا لأبناء الشعب الفلسطيني من عرب ٤٨، وقد سببت هذه المنظمة إحراجا شديدا للسلطات الإسرائيلية وأقلقتها بدرجة كبيرة.

٥ – بعد التيار منظمة الفهود السود ظهرت في دولة إسرائيل منظمات أخرى مثل حركة عودد ومنظمة خيام أوهليم ومنظمة أيلة وحزبا تامي وشاسي، ولجنة الحوار الإسرائيلي ـ الفلسطيني، وبعض هذه المنظمات كانت تدعو للكفاح المسلح في دولة إسرائيل من أجل القضاء على التفرقة العنصرية بين الطوائف المؤلفة للمجتمع الإسرائيلي مثل الجبهة الحمراء ن ومجلس الفارين من الجيش.

٦ – في العام الميلادي ١٩٩٧، هرب ستة من اليهود السفارد إلى مدينة أريحا التابعة للسلطة الوطنية الفلسطينية، وأبدوا رغبتهم في الإقامة والسكن في المناطق الفلسطينية.

ومن البديهي أن تواجه السلطات العنصرية الإسرائيلية جميع هذه الحركات بالقمع والبطش والإرهاب، وأيضا بالسعي إلى اختراقها من قبل عناصر المخابرات الإسرائيلية، وإغراء قيادات هذه الحركات بالمناصب

الرفيعة ورشوة بعضهم أحيانا بالأموال الضخمة إلى أن انهارت هذه المنظمات واختفت عن مسرح الأحداث. (٣٢)

ب - التفرقة العنصرية ضد العرب في إسرائيل :

في الحقيقة أن هناك فئتان من العرب داخل إسرائيل :

الأولى: عرب ٤٨ :

وهؤلاء هم العرب الذين ظلوا يقيمون في مدنهم وقراهم بعد الحرب العربية ــ الإسرائيلية الأولى في العام الميلادي ١٩٤٨، ويتعرض عرب ٤٨ لشتى أنواع التميز والتفرقة العنصرية ضدهم بالرغم من أنهم يحملون الجنسية الإسرائيلية ويعتبرون كمواطنين إسرائيليين.

والثانية: عرب ٦٧ :

وهم العرب الذين وقعوا تحت الاحتلال الإسرائيلي في الضفة الغربية لنهر الأرض وقطاع غزة بعد الحرب العربية ــ الإسرائيلي الثالثة في العام الميلادي ١٩٦٧، وتمارس ضد هؤلاء العرب جميع ألوان وأنواع القمع والعدوان والقتل والإبادة الجماعية والتطهير العرقي، وقبل أن نتناول هاتين الفئتين يجدر بنا أن نعطي نبذة قصيرة عن الفكر الصهيوني فيما يتعلق بعرب فلسطين، فالفكر الصهيوني يقوم من جملة ما يقوم عليه على إنكار وجود الشعب العربي الفلسطيني، وأن أرض فلسطين هي أرض بلا شعب يجب أن

تؤول ملكيتها لشعب بلا أرض الذي هو اليهود، ولقد ترتب على هذا الفكر الزائف مظاهر سلبية بالنسبة للشعب العربي الفلسطيني من الممكن تلخيصها في النقاط الأربع التالية :

١ – إن إنكار وجود الشعب العربي الفلسطيني هو إلغاء سافر لـه ولتواجده على أرضه وأرض آبائه وأجداده منذ ما يقرب من عشـرة آلاف عاما، وهذا يعني إلغاء عشرة آلاف عاما من التاريخ تمشيا مع سياسـة أرض بلا شعب التي ينتهجها الصهاينة للإيهام بأن أرض فلسطين العربية خالية من السكان، ولا جرم يقع عليهم إذ هم استولوا عليها واغتصبوها من أصـحابها العرب.

٢ – إن إنكار وجود الشعب العربي الفلسطيني هو الأساس في كـل جرائم الطرد والقتل والإبادة الجماعية والتطهير العرقي التي ارتكبها اليهـود منذ زمن يوشع بن نون وغزوه المزعوم لأرض فلسطين العربية وحتى يومنـا هذا.

٣ – إن إنكار وجود الشعب العربي الفلسطيني يلغي في الواقع حق من يقوم بتمثيله أو يتكلم باسمه طالما أن هذا الشعب غير موجود أصلا.

٤ – إن إنكار وجود الشعب العربي الفلسطيني يلغي حقه في الكفاح المسلح ضد الصهاينة طالما أنه غير موجود، ويظهر الشعب الفلسطيني وكأنه

جماعات خارجة عن القانون، وإجرامية وإرهابية لا تستحق تأييد العالم ومساعدته وعطفه عليها.

أولا: عرب ٤٨:

في الحقيقة أن الصهاينة ينظرون إلى عرب ٤٨ وكأنهم أقلية سكانية غير يهودية في أرض فلسطين العربية رغم أنهم شكلوا في العام الميلادي ٢٠٠٦، ٢٠ % من عدد السكان الكلي في إسرائيل أي خمس سكانها تقريبا، وهذا يعادل نحو مليونا وأربعمائة ألف نسمة، وهذا العدد مرشح للزيادة السريعة بسبب كثرة ما ينجب العرب من أطفال، ولا يعترف الصهاينة بوجود الصهيوني الغاصب، لأن دولة إسرائيل أنشأت في الأساس لجميع اليهود ولم تنشأ لجميع المقيمين فيها، وفي الزمن الذي كان اليهود فيه أقلية سكانية ضئيلة في فلسطين العربية، كانت أجهزة الدعاية الصهيونية تروج في العالم لكسب تأييد الرأي العام العالمي في تحقيق أهداف الصهاينة الاستعمارية في فلسطين العربية إلى ما يلي :

١ – دولة ثنائية القومية في فلسطين العربية يتقاسمها العرب واليهود.

٢ – أن الصهاينة لا يسعون إلى السيطرة على عرب فلسطين.

٣ – أن الدولة ثنائية القومية في فلسطين سوف تعمل على المساواة بين رعاياها.

إلا أن الواقع لم يكن كذلك على الإطلاق، وأن وعود الصهاينة لم تكن جدية، وإنما كانت خطط مرحلية فقط لحين تحقيق الصهاينة لأهدافهم في فلسطين العربية، فالواقع أنه داخل دولة إسرائيل لا يعترف إلا بقومية واحدة فقط هي القومية اليهودية ولا وجود لقومية عربية، ويطلق الصهاينة على العرب داخل إسرائيل اسم الطوائف الغير يهودية.

ونظرا للعنصرية والتعصب الصهيوني تعرض عرب ٤٨ داخل منظومة المجتمع الإسرائيلي إلى شتى أصناف وألوان التمييز والتفرقة العنصرية ضدهم والتي طالت جميع جوانب حياتهم، فقد صادف عرب ٤٨ صعوبات جمة في الحصول على الجنسية الإسرائيلية رغم أنهم أصحاب فلسطين الأصليين ويمتد وجودهم فيها لآلاف السنين، ولقد مارست السلطات الإسرائيلية التفرقة العنصرية ضد عرب ٤٨ في المجال الاقتصادي والمعيشي والاجتماعي، وفي المجال التعليمي والصحي، وأيضا في المجال السياسي.

١ – الجنسية الإسرائيلية :

لم يكن سهلا لعرب ٤٨ الحصول على الجنسية الإسرائيلية، فقد طبقت عليهم جميع القوانين والتشريعات الإسرائيلية الخاصة بمنح غير اليهود للجنسية الإسرائيلية كما وردت في المادة الخامسة (أ) من قانون الجنسية الإسرائيلي، وتنص هذه المادة على ما يلي :

i – يجب أن يكون المتقدم للحصول على الجنسية الإسرائيلية موجودا في دولة إسرائيل.

ii – يجب أن يكون لطالب الجنسية الإسرائيلية الحق في الإقامة بدولة إسرائيل.

iii – يجب على طالب الجنسية الإسرائيلية أن يتنازل عن جنسية السابقة أو الأصلية.

iv – يجب أن لا يكون المتقدم على الحصول على الجنسية الإسرائيلية حاملا لجنسية أجنبية عندما يحصل على الجنسية الإسرائيلية.

v – يجب أن يكون المتقدم للحصول على الجنسية الإسرائيلية مقيما في دولة إسرائيل مدة ثلاثة أعواما من الأعوام الخمسة التي سبقت تقديم طلبه للحصول على الجنسية الإسرائيلية.

vi – يجب على المتقدم للحصول على الجنسية الإسرائيلية أن يكون ملما إلى حد ما باللغة العبرية. (٣٢)

في حين أن القانون الإسرائيلي كان يمنح الجنسية الإسرائيلية لأي يهودي يبدي مجرد رغبة في الحصول عليها حتى ولو لم تطأ قدميه قط أرض فلسطين العربية ودون التنازل عن جنسيته الأصلية كما حدث مع عرب ٤٨ حتى لا تخلق ازدواج الجنسية لديهم مشكلة الولاء المزدوج.

٣ – المجالات الاقتصادية والمعيشية والاجتماعية :

مما لا شك فيه أن المستوى الاقتصادي المعيشي وبالتالي الاجتماعي لعرب ٤٨ هو متدني جدا، ويقع نحو ٥٠ % من هؤلاء العرب تحت خط الفقر مقارنة بثمانية في المائة فقط من الأسر اليهودية، ودخل عرب ٤٨ متدني جدا أيضا ويقدر بنصف دخل السكان اليهود.

ويعاني عرب ٤٨ من أزمة حقيقية في السكن ولا يسمح لهم بالسكن في مدن بأكملها مثل مدينة الناصره العليا ورامون، أو أحياء مخصصة لليهود مثل حي رامات أشكول بمدينة القدس.

٣ – المجال التعليمي والصحي :

لا تتوفر لعرب ٤٨ فرص التعليم المتاحة لليهود، ولا يلتحق بالجامعات الإسرائيلية سوى ٥ % من الطلبة العرب، وفي الحقيقة أنه تفرض على العرب داخل دولة إسرائيل مناهج تعليمية معينة لا تتضمن تاريخهم وثقافتهم وحضارتهم وذلك من أجل طمس هويتهم العربية وتراثهم القومي.

وفي مجال الخدمات الصحية لا يتساوى عرب ٤٨ باليهود في الخدمات الصحية الحكومية.

٤ – في المجال السياسي :

بالرغم من أن عرب ٤٨ يشكلون نسبة سكانية غير قليلة من المجتمع الإسرائيلي، إلا أن السلطات الإسرائيلية لم تسمح لهم أبدا بإنشاء حزب

سياسي خاص لهم لكي يقوم بتمثيلهم سياسيا، كما وأن نسبة تمثيلهم في البرلمان الإسرائيلي أو الكنيست متدنية بالنسبة لعددهم، كما أنه غير مسموح لهم بتقلد مناصب حساسة وهامة في الدولة، إلا أنه وأخيرا في العام الميلادي ٢٠٠٧ وصل أول عربي مسلم إلى منصب وزير في مجلس الوزراء الإسرائيلي هو (غالب مجادلة)، وهذا الوزير العربي المسلم من بلدة باقا الغربية العربية، وقد قالت صحيفة يديعوت أحرونوت أن تعيينه هو (يوم أسود لإسرائيل)، وقال زعيم الجبهة اليهودية (باروخ مارزل) مستنكرا تعيين عربي لا يؤمن بالولاء لإسرائيل، وأن دولة إسرائيل تسير نحو النهاية، ولم تكن ردود الفعل الفلسطينية أقل حدة من الإسرائيلية، فقد علق المفكر الفلسطيني والنائب في البرلمان الإسرائيلي (عزمي بشارة) أن تعيين غالب مجادلة في منصب وزير يعتبر مجرد ديكور سياسي يعطي لإسرائيل الشرعية للاستمرار في سياستها العنصرية ضد الفلسطينيين، وقال (جمال زحالقه) وهو نائب في البرلمان الإسرائيلي أو الكنيست أن قبول مجادلة للمنصب الوزاري هو عار على العرب.

٥- الجيش:

لا يسمح إلا لفئات عربية معينة من عرب ٤٨ مثل البدو والدروز بالتحاق بالجيش الإسرائيلي، ومع ذلك يتعرض هؤلاء لشتى أنواع التمييز والتفرقة العنصرية داخل جيش الدفاع الإسرائيلي.

وقد عبر الكاتب والنائب في البرلمان الإسرائيلي (الكنيست) (يوري أفنيري) مؤلف كتاب (الفكر الصهيوني المعاصر) في حديث له لصحيفة (هاعولام هازيه) الإسرائيلية عن أوضاع العرب في الأراضي العربية المحتلة منذ العام الميلادي ١٩٤٨ بقوله ما يلي :

(لم يعتبر أي عربي إسرائيلي نفسه ولو يوما واحدا مواطنا إسرائيليا حقيقيا ولا شريكا حقيقيا في هذه الدولة، في البداية خاب أملهم بالحكومة وبعد ذلك خاب أملهم بعامة الجمهور اليهودي، وليس من حل إلا الحل الصعب وهو الحل الشامل للقضية الفلسطينية برمتها).

ثانيا: حرب ٦٧ :

أغرب ما في القضية الفلسطينية أن تاريخها لا يبدأ على أرض فلسطين، ولا تتداخل وقائعها مع وقائع التاريخ العربي المعاصر إلا في وقت متأخر نسبيا وبعد أن تكاملت المؤامرة الاستعمارية على الأرض العربية في أوربا وأصبحت جاهزة للتنفيذ، إن جذور القضية الفلسطينية نشأت في أوربا ونمت هناك، ومازالت تستمد نسغها من العالم الغربي الرأسمالي سواء في أوربا أو في أمريكا حتى هذا اليوم (٣٤)، وهذا يعني ضمنا أن دولة إسرائيل بالطريقة التي أقيمت فيها في العام الميلادي ١٩٤٨ هي كيان غير شرعي وغاصب لأن الصهاينة أتوا إلى فلسطين العربية كغزاة ومحتلين أجانب من خارجها ومن جميع دول العالم، واستولوا عليها بالقوة العسكرية بينما كان

الشعب الفلسطيني شعبا أعزلا مجردا من السلاح، أما ما يزعمه الصهاينة من معطيات توراتية بالذة مثل أرض الميعاد والأرض الموعدة فلا قيمة له لأن القانون الدولي لا يعترف بالمفاهيم ذات الطابع الديني.

لقد أنشأت دولة إسرائيل بقرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة، وهي الدولة الوحيدة في العالم التي تنفرد في هذا الأمر، وبالرغم من ذلك فإن دولة إسرائيل هي الدولة الوحيدة في العام أيضا التي لا تتقيد إطلاقا بأي قرار يصدر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة أو عن مجلس الأمن الدولي ابتداء من القرارين الصادرين عن الجمعية العامة للأمم المتحدة لقبول دولة إسرائيل لتطبيق قرار تقسيم فلسطين الصادر في العام الميلادي ١٩٤٧، وقرار عودة اللاجئين الفلسطينيين الذين رحلوا عن ديارهم خلال حرب العام الميلادي ١٩٤٨ أو بسببها، وقد رفضت إسرائيل هذين القرارين وجميع القرارات التي صدرت بعدهما عن الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي منذ ذلك الحين وحتى يومنا هذا، بالرغم من أن شروط الجمعية العامة للأمم المتحدة بقبول دولة إسرائيل كعضو في الأمم المتحدة تنص على قبولها للقرارين السابقين، ومن المعروف أن شروط الأمم المتحدة لأي دولة كعضو فيها تنص على ما يلي :

١ – أن تكون الدولة المتقدمة لنيل عضوية الأمم المتحدة دولة كاملة، أي دولة شرعية وليست دولة غاصبة مشكوك في شرعيتها ووجودها.

٢ – أن تكون هذه الدولة دولة محبة للسلام.

٣ – أن تقبل هذه الدولة بالالتزامات التي يتضمنها ميثاق الأمم المتحدة.

٤ – أن ترى المنظمة الدولية أن هذه الدولة قادرة على تنفيذ تلك الالتزامات.

ومن الواضح أن الشروط السابقة لا تنطبق على دولة من طراز إسرائيل لأنها في الواقع دولة اتخذت من سياسة العدوان والاحتلال العسكري الغاشم منهاجا لها وأسلوبا في تعاملها مع الدول المجاورة، فهي في الحقيقة توسعت مرارا على حساب الأراضي العربية في الدول المجاورة حتى أصبحت مساحتها تعادل عشرة أضعاف مساحتها المفترضة والتي حصلت عليها بموجب قرار تقسيم فلسطين الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في العام الميلادي ١٩٤٧، رغم أن ميثاق الأمم المتحدة ينص صراحة على عدم شرعية أي مكسب إقليمي مهما طال عليه الزمن، وعدم شرعية الأوضاع الناجمة عن الاحتلال والعدوان.

ومنذ اليوم الأول للاحتلال العسكري الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة إبان الحرب العربية — الإسرائيلية الثالثة التي نشبت في العام الميلادي ١٩٦٧، مارست سلطات الاحتلال الإسرائيلي إجراءات قمعية همجية لإجبار أبناء الشعب العربي الفلسطيني على ترك أراضيهم والرحيل عنها وإحلال مستوطنين يهود بدلا منهم تمهيدا.

لتهويدها وضمها إلى دولة إسرائيل، وهذا مخالف بالطبع لجميع الأعراف والاتفاقيات الدولية المتعلقة بحقوق المدنيين في الأراضي المحتلة وواجبات قوات الاحتلال التي لابد أن يتقيد بها تجاه المواطنين وهذه الاتفاقيات هي كما يلي :

١ — معاهدة لاهاي في لائحتها للحرب وفق قرارات لاهاي وحتى العام الميلادي ١٩٠٧.

٢ — اتفاقية جنيف للعام الميلادي ١٩٢٩.

٣ — اتفاقيات جنيف الأربع لعام ١٩٤٩ التي أضافت قواعد وأحكام دولية جديدة للمدنيين زمن الحرب في ظروف الاحتلال.

٤ — ميثاق الأمم المتحدة للعام الميلادي ١٩٤٥ الذي رتب قواعد وأحكام جديدة في العلاقات الدولية زمن الحرب والسلم.

٥ – الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي أكد مبادئ ميثاق الأمم المتحدة، وإيمان كل الشعوب بحقوق الإنسان الأساسية، وبكرامة الفرد وقدرة وبحقوق الأسرة البشرية المتساوية والثابتة، وأن هذه كلها تمثل أساس الحرية والعدل والسلام في العالم.

ومما لا شك فيه أن ما تقوم به إسرائيل في الأراضي الفلسطينية المحتلة يعتبر بجميع المقاييس عدوانا سافرا على حقوق الآخرين وخرقا صارخا لجميع الاتفاقيات والمعاهدات الدولية، وقد عرفت الأمم المتحدة في المادة الأولى من قرارها رقم ٣٣١٤ العدوان بقولها :

(العدوان هو استخدام القوة المسلحة من قبل دولة ما ضد السيادة أو الوحدة الإقليمية أو الاستقلال السياسي دولة أخرى، أو بأي طريقة لا تتفق مع مقاصد الأمم المتحدة).

ومن المعروف أن الضفة الغربية لنهر الأردن كانت قبل حرب عام ١٩٦٧ تحت السيادة الأردنية، وكذلك قطاع غزة كان تحت السيادة المصرية قبل هذه الحرب، أي أن الأراضي الفلسطينية كانت تحت السيادة الأردنية والمصرية، ومن الواجب الأخلاقي لهاتين الدولتين السعي لاسترداد تلك الأراضي لأصحابها الفلسطينيين، ولا يحق لدولة إسرائيل ضم أي جزء

من الأراضي الفلسطينية إليها لأنه ورد في المادة رقم (٥٥) من لائحة لاهاي الثالثة عشرة للعام الميلادي ١٩٠٧ ما يلي :

(الاحلال غير ناقل للسيادة، وعدم جواز مصادرة الملكية العامة أو الملكية الخاصة للدولة الأصل).

وبالرغم من هذا النص الصريح والقطاع، فقد ضربت إسرائيل بعرض الحائط بجميع الشرائع والقوانين الدولية ولقرارات الأمم المتحدة أيضا، ولم تعر أي اهتمام يذكر لاحتجاجات المجتمع الدولي على الممارسات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، ولا لرفضه المطلق لها، واستمرت في حرمان الشعب العربي الفلسطيني من حقوقه على أرضه، والتي كلفتها له جميع الشرائع السماوية والقوانين الوضعية المتعارف عليها، والحقوق التي منعتها إسرائيل عن الشعب العربي الفلسطيني كما أوردها العميد الركن المتقاعد فايز جابر هي كما يلي بتصرف بسيط :

أولا: حق السيادة على أرضه ووطنه :

لقد أعلنت إسرائيل أن فلسطين العربية بكامل حدودها التاريخية هي أرض إسرائيل، وأن لاحق لأحد بالسيادة عليها سوى إسرائيل، وبذلك حرمت إسرائيل المواطن الفلسطيني من إنشاء مؤسساته السياسية والتشريعية الخاصة به، ومجالسه البلدية وخصوصا في الأراضي الفلسطينية التي احتلتها إسرائيل في العام الميلادي ١٩٦٧.

ثانيا: الحرية الشخصية للمواطن الفلسطيني :

حرمت السلطات الإسرائيلية على المواطنين الفلسطينيين الاستقرار في قراهم ومدنهم وضيعهم تحت ظل قواعد وأنظمة تعسفية، ومن أهم هذه الإجراءات ما يلي :

١ – نقل أهل بعض القرى من قراهم وأراضيهم وإسكانهم في قرى أخرى.

٢ – حجر الحرية الشخصية ومنع التنقل بين الأراضي الفلسطينية إلا بعد الحصول على تصريح خطي من الحاكم العسكري الإسرائيلي.

٣ – فرض الإقامة الجبرية على عدد كبير من المواطنين الفلسطينيين، وإقامة مراكز عسكرية ــ بوليسية على مداخل المدن والقرى للتفتيش.

٤ – مداهمة القوات المسلحة الإسرائيلية لمنازل السكان العرب في الأرض المحتلة بحجة التفتيش عن الأسلحة والذخائر.

٥ – منع أبناء الشعب الفلسطيني من حرية التصرف في بيع سلعهم، فهم ملزمون بوضعها تحت تصرف الشركات اليهودية.

٦ – مصادرة المنازل والعقارات بحجج مختلفة.

٧ – فرض ضرائب باهظة على الأراضي والعقارات الفلسطينية، وطرحها للبيع في المزاد العلني عند عجز أصحابها عن تسديد تلك الضرائب.

ثالثا: الحق في اختيار البرامج الثقافية والتعليمية التي كلفها القانون :

لقد حرمت إسرائيل على المواطن الفلسطيني اختيار البرامج والمناهج التعليمية التي تتناسب مع قيمه ودياناته، فقد أخذت بصهر النشء العربي الفلسطيني الجديد ودمجه في مجتمعها بإبعاده عن عقيدته العربية، وأعدت له برامج تعليمية تختلف عما أعدته للفئات الأخرى من سكانها، ومن شأن هذه البرامج أن تنشر الثقافة اليهودية بين شبان العرب فنشئوا على جهل بخصائص التاريخ العربي وأسس قوميتهم وثقافتهم العربية، في الوقت الذي يدرسون فيه اللغة العبرية والثقافة العبرية والتاريخ اليهودي والتوراة، وتاريخ الحركات الصهيونية وتمجيد رجالاتها وقادتها.

رابعاً: حرمان الشعب الفلسطيني من حماية القانون المحلي:

وضعت إسرائيل قانون الجنسية للعام الميلادي ١٩٥١ واعتبرت بموجبه جميع اليهود الذين في فلسطين مواطنين إسرائيليين، أما العرب فقد استثناهم قانون الجنسية، ومنح وزير الداخلية الإسرائيلي سلطة إعطاء الجنسية الإسرائيلية لمن يطلبها من العرب أو منعها عنه، ومن مساوئ هذا الاستثناء حرمان الشعب الفلسطيني من حماية القانون المحلي.

خامساً: استخدام إسرائيل لقوانين الطوارئ التي كانت سائدة في فلسطين إبان الانتداب البريطاني:

تستخدم إسرائيل في الأراضي الفلسطينية المحتلة قوانين الطوارئ التي كان معمولاً بها في زمن الانتداب البريطاني على فلسطين العربية وتطورها

لتلاءم والحكم العسكري المفروض بشدة وقسوة على الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ العام الميلادي ١٩٦٧ وحتى الآن.

وبذلك حرم المواطن الفلسطيني من الحياة في ظل القوانين التشريعية العادية التي تتيح له الحياة بصورة طبيعية وإنسانية وتمكنه من الاستقرار النفسي والمعيشي نحو الأفضل، وأبسط مثال على هذه الأنظمة العسكرية المادة رقم (١١٩) التي تجيز للحاكم العسكري الإسرائيلي أن يصدر أمرا يقضي فيه أن تصادر حكومة إسرائيل أي منزل أو أرض إذا ما كان لديه أي اشتباه أن عيارا ناريا أطلق منها، وكذلك مصادرة أية أموال أو عقارات لأي شخص يشتبه أنه حاول أو يحاول الإخلال بالأمن.

كذلك المادة رقم (١٢٤) من الأنظمة التي تمنح الحاكم العسكري حق فرض منع التجوال الشامل أو الجزئي في منطقة معينة أو قرية أو مدينة، ونصت المواد ٣٠، ٣٧، ٤٦، ٤٨، ٥٠ من الأنظمة العسكرية على منع استئناف أحكام المحاكم العسكرية أمام أية محكمة أخرى عسكرية كانت أم مدنية أو الطعن في أحكامها بأية صورة كانت.

إن صلاحيات الحكم العسكري واسعة جدا وتحول الحاكم العسكري إلى دولة داخل الدولة، وذلك نتيجة صلاحياته في التشريع والقضاء والتنفيذ.

ومن الغريب أن قوانين الطوارئ التي سنتها حكومة الانتداب البريطاني على فلسطين العربية وأبقتها السلطات الإسرائيلية قائمة حتى الآن، هاجمها كبار رجال القانون الإسرائيلي في فلسطين آنذاك ووصفوها بالقوانين النازية الاستعمارية، إلا أنهم مازالوا يطبقونها حتى الآن وضد سكان البلاد الأصليين، ويطورونها بشكل أفقد المواطن الفلسطيني شخصيته الاعتبارية والإنسانية والتاريخية.

سادساً: منع أبناء الشعب الفلسطيني من ممارسة أي نشاط سياسي أو فكري:

إن النشاط السياسي الذي يمارسه العرب داخل إسرائيل يجب أن يكون ضمن الأحزاب الصهيونية التي تركز اهتماما أساسيا على اصطياد أصوات الناخبين العرب في الأراضي المحتلة منذ العام وذلك بوسائل مختلفة تصل إلى حد شراء الأصوات أحيانا بالأموال من ناحية وإدعاء وتمثيلهم تجاه الرأي العام الداخلي والخارجي من ناحية أخرى. (٣٥)

ومن البديهي والطبيعي جدا أن لكل احتلال لأراضي الغير لابد وأن يواجه بالرفض التام وبالمقاومة الشعبية السلمية والعسكرية معا وعلى حد سواء، ولقد اعترف العالم الغربي بالمقاومة الشعبية المسلحة الفرنسية لقوات الاحتلال الألماني بعد الغزو النازي لفرنسا إبان الحرب العالمية الثانية، فلماذا ينكر هذا العالم مقاومة المسلحة عندما يتعلق الأمر بأحد

الشعوب العربية وبخاصة المقاومة المسلحة للشعب العربي الفلسطيني ولم يعترف بها ويصفها بأنها عمليات إجرامية إرهابية موجهة ضد المدنيين والجنود في إسرائيل مع أنه لا يوجد فرق بين المدنيين والجنود في إسرائيل، فجميع الصهاينة في فلسطين العربية جنود يقفون على أهبة الاستعداد لقتل أبناء الشعب الفلسطيني عندما تحين لهم الفرصة وذلك، والحقيقة أن الصهاينة والعالم الغربي وبعض العرب يصفون العمليات الفدائية ضد الصهاينة بالعمليات الانتحارية رغم أن هذا النوع من العمليات العسكرية لا يعتبر انتحارا وإنما نوع جديد من الأسلحة في أيدي الشعوب المغلوبة على أمرها والغير مسموح لها في امتلاك الأسلحة التقليدية ضد بطش وجبروت الآلة العسكرية المتقدمة لقوات الاحتلال الأجنبي، علما بأن اليهود فيما مضى من تاريخهم كانوا يلجأون إلى الانتحار في مواجهة أعدائهم، فعندما اقتحم القائد الروماني تيتوس بن فاسبسيان (تيطس) مدينة القدس في العام الميلادي السبعين، تمكن ٩٦٠ يهوديا من الفرار ولجأوا للاختباء في قلعة ماسادا الرومانية أو قلعة مسعدة باللغة العربية الواقعة في منطقة جبلية وعرة غربي الطرف الجنوبي للبحر الميت وبقوا فيها لمدة أربع سنوات، وأخيرا أرسل الرومان فرقة حربية لإجلائهم عن القلعة، قامت هذه الفرقة الحربية بفك الحصار اليهودي المضروب حول قلعة مسعدة، ولما أدرك اليهود داخل القلعة

أنه لا مفر ولا مخرج أمامهم سوى الاستسلام للرومان، قام كل رجل منهم بقتل زوجته وأولاده، ثم اختاروا من بينهم عشرة أشخاص ليقوموا بقتل الباقين، واختار العشرة بعد ذلك واحدا ليقتل التسعة ثم ينتحر هو في النهاية، ولم ينج من هذه المذبحة الجماعية إلا امرأتان وأربعة أطفال تمكنوا من الاختباء لإنقاذ أنفسهم.(٣٦)

ولقد استخدمت السلطات الإسرائيلية أساليب ووسائل ممعنة في القسوة والهمجية والبربرية ضد أبناء الشعب العربي الفلسطيني لحمله على تنحيه مقاومته وانتفاضاته جانبا والرضوخ للمطالب الإسرائيلية، ومارست هذه السلطات كل أنواع القتل والإبادة الجماعية والتطهير العرقي ضد الشعب الفلسطيني وخاصة بعد انتفاضة الأولى في العام الميلادي ١٩٨٧ ثم انتفاضته الثانية أو انتفاضة الأقصى في العام الميلادي ٢٠٠٠، والحقيقة أن إسرائيل لم تبخل بما لديها من أسلحة في ترسانتها العسكرية المتقدمة والمتطورة مثل الطائرات الحربية من طراز إف – ١٦، ومروحيات الأباتشي، والدبابات ومدفعية الميدان الثقيلة في مواجهة الشعب لفلسطيني الأعزل تقريبا لاقتحام مدنه وقراه ومخيمات اللاجئين الفلسطينيين، وقد قام الجيش الإسرائيلي بتدمير البنية التحتية المتواضعة أصلا للشعب الفلسطيني وجرف مساحات واسعة جدا من الأراضي الزراعية الفلسطينية، واقتلاع

عشرات الآلاف من الأشجار المثمرة في المزارع الفلسطينية، ودمر آلاف المنازل والمباني الفلسطينية، واغتال عددا كبيرا من أبنا الشعب الفلسطيني وقادته وكان يمنع المرضى من الوصول إلى المستشفيات أو السفر إلى إحدى الدول العربية المجاورة لتلقي العلاج فيها، وحاصرت السلطات الإسرائيلية الشعب الفلسطيني حصارا اقتصاديا خنقا فاقم من تدهور الأحوال المعيشية في الأراضي الفلسطينية المحتلة تدهورا خطيرا وسريعا ومستمرا، وامتلأت السجون والمعتقلات الإسرائيلي بما يقرب من عشرة آلاف فلسطينيا لم يعاملوا أبدا كأسرى حرب، ولم يقدموا للمحاكمة حتى الآن، وقد مورست ضدهم جميع وسائل التعذيب اليومي لانتزاع اعترافات عن قمم غير موجودة أصلا وذلك لتحطيمهم وتدميرهم نفسيا ومعنويا وجسديا، ومن وسائل التعذيب الإسرائيلية ما يلي :

١ – الحرق بواسطة السجائر المشتعلة وبأطرافها المتوهجة بإلصاقها على أنحاء الجسم المختلفة.

٢ – استعمال مواد مهيجة (بودرة أو رذاذ) تهيج الشخص بالحكة أو الحمى، وتسبب له الألم الشديد.

٣ – الضرب بالهراوات والعصى والمطارق.

٤ – الصدمات الكهربائية المسلطة على الجسم وبشكل خاص على الأجزاء الحساسة كالأذنين والأعضاء التناسلية.

٥ – إدخال زجاجات أو أجسام صلبة أخرى في فتحة الشرج أو فتحة المهبل.

٦ – خلع أظافر أصابع اليدين.

٧ – التعذيب المسمى نقطة الماء: يتضمن هذا النوع من التعذيب إسقاط نقطة ماء بشكل دوري وخلال ساعات فوق الشخص المراد تعذيبه والذي لا يستطيع تحاشي ذلك، وهذا النوع من التعذيب يؤدي للانهيار العصبي.

٨ – عرض الشخص المراد تعذيبه عاريا تحت الشمس الحارقة لمدة ساعات.

٩ – التعذيب المسمى (الأرجوحة): وهذا النوع من التعذيب يتضمن أرجحة الشخص المراد تعذيبه خلال ساعات عديدة حيث يكون أحيانا مثبتا بالأرجوحة أو معلقا لها أحيانا أخرى.

١٠ – التعذيب المسمى (قفص النمر): وتتضمن هذه الطريقة من التعذيب وضع الشخص المراد تعذيبه داخل قفص ضيق جدا بحيث لا

يستطيع الوقوف ولا الاستلقاء وإنما يكون مجبرا على الجلوس متربعا، حيث يكون قاع القفص مزروعا بالأشواك.

١١ – حرمان المعذب من النوم خلال عدة أيام.

١٢ – تغطيس المراد تعذيبه بالماء المثلج ثم بالماء المغلي عدة مرات.

١٣ – تعليق المراد تعذيبه من يديه أو رجليه.

١٤ – حبس المراد تعذيب مع الكلاب والقطط الهائجة.

١٥ – استعمال المواد المسيلة للدموع مدة طويلة ودورية.

١٦ – إجبار الشخص على أكل طعامه بإلقائه على الأرض. (٣٧)

وبعد اجتياح الجيش الإسرائيلي لمناطق السلطة الوطنية الفلسطينية في الضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة عقب انتفاضة الشعب الفلسطيني الثانية (انتفاضة الأقصى) واقتحامها العسكري للمدن والقرى والمخيمات الفلسطينية وبخاصة مخيم جنين للاجئين الفلسطينيين الواقع في أقصى شمال الضفة الغربية لنهر الأردن، أدانت لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة بغالبية كبيرة الممارسات الإسرائيلية الهمجية والوحشية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، واتهمت إسرائيل بارتكاب عمليات (قتل جماعي) ضد الفلسطينيين، وطالبتها بإنهاء حملتها العسكرية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، بينما اتهمت وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين

(الأونروا) إسرائيل بانتهاك معاهدة جنيف خلال حربها على المخيمات الفلسطينية، وأكدت حق الشعب الفلسطيني المشروع في المقاومة.

يتضح مما تقدم أن إسرائيل تمارس انتهاكات خطيرة لحقوق الإنسان متمثلة فيما يلي :

١ – حالات التوقيف التعسفي العديدة والاعتقال الطويل بدون رقابة قضائية والنفي الإجباري، كلها جميعا تمثل خرقا فاضحا لحقوق الإنسان وتتعارض بشكل صارخ مع مضمون المادة الثالثة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

٢ – الإقامة الجبرية والعقبات الخطيرة أمام عبور الحدود والحرمان من العودة إلى الوطن بالنسبة لأبناء الشعب العربي الفلسطيني تشكل انتهاكا لمبادئ المادة الثالثة عشر التي تضمن حق التنقل واختيار مكان الإقامة بحرية تامة والتي توضح بشكل واضح ما يلي :

(أن لكل إنسان الحق في مغادرة أي بلد بما في ذلك بلده والعودة إليه متى شاء).

٣ – إن الأضرار العديدة للملكية كالمصادرة التعسفية الحرمان من البناء وهدم البنايات إنما يتعارض مع المادة السابعة عشر من الإعلان العالمي

لحقوق الإنسان التي تضمن الحق في الملكية، وتوضح أن ما من شيء يمكن أن يحرم الإنسان من ملكيته بشكل تعسفي.

٤ – إن التعذيب بشكل منتظم وبكثرة خلافا لكل المبادئ القانوني وبشكل خاص المادة الخامسة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

٥ – إن عدم المساواة الصارخة بين اليهود والعرب في الأراضي الفلسطينية المحتلة تتعارض مع مبادئ المساواة كما تحدد ذلك المادة الثانية الفقرة الثانية من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان التي تقول ما يلي :

(لا يجوز التمييز بناء على الوضع السياسي أو القانون أو الدولي للبلد التي يكون الشخص مواطنا فيها سواء كان هذا البلد مستقلا أو تحت الوصاية أو غير مستقل أو يخضع لأي قيود في سيادته).

٦ – ووفقا للمادة الخامسة عشرة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان فإنها تضمن حق كل إنسان بأن تكون له جنسية، ولكن في الواقع أن وضع الأراضي الفلسطينية المحتلة قد أسفر عن حرمان سكانها من الحصول على جنسية (٣٨). إلا أنه بعد توقيع منظمة التحرير الفلسطينية لاتفاقيات أوسلو مع الكيان الصهيوني الغاصب في فلسطين العربية، أصدرت السلطة الوطنية الفلسطينية جوازات سفر لأبناء الشعب العربي الفلسطيني، ولكن أمر

تلك الجوازات ليس بيد السلطة الوطنية الفلسطينية وحدها، وإنما يستلزم أولا موافقة السلطات الأمنية الإسرائيلية.

هوامش ومصادر الفصل الثالث

١ – روجيه غارودي: ملف إسرائيل ـ دراسة في الصهيونية السياسية.

دار الشروق، الطبعة الأولى ١٩٩٣، ص ـ ١١٢.

٢ – بسام محمد العبادي: الهجرة اليهودية إلى فلسطين من ١٨٨٠ إلى ١٨٩٠ ـ جذورها، دوافعها، مراحلها، انعكاساتها.

دار البشير للنشر والتوزيع، عمان ١٩٩٠، ص ـ ٦١.

٣ – الطائفة الحسيدية (الحسديم) :

نشأت الحركة الحسيدية على يد المدعو (إسرائيل بن اليعازر) كرد فعل على اعتناق اليهودي (شباتاي زيفي) للديانة الإسلامية بعد أن هدده السلطان العثماني محمد الرابع بالقتل في العام الميلادي ١٦٦٦، وكان شباتاي زيفي قد أعلن أنه هو المسيح المنتظر الذي تنبأت به أسفار كتاب العهد القديم المختلفة، وأيده في ذلك وباركه الأحبار اليهود، والتفت حوله جموع غفيرة من اليهود، واستعدوا للرحيل معه إلى فلسطين، وكان لإعلان شباتاي زيفي اعتناقه للديانة الإسلامية بمثابة صدمة مروعة لليهود كادت تطيح بالديانة اليهودية كديانة مستقلة بتحول أتباعها للديانتين الإسلامية والمسيحية، إذ أن اعتناق شباتاي زيفي (المسيح المنتظر المزعوم) للديانة الإسلامية كان اعتراف ضمني بأن السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام هو مسيح اليهود المنتظر الذي تنبأت به أسفار كتاب العهد القديم، وهذا في الواقع مخالف لتعاليم التوراة والتلمود، وما يقوله ويدرسه الكهنة والأحبار الذين ينتظرون مجيء المسيح اليهودي المنتظر حتى يومنا هذا، وفي هذا الجو

الكارثي للديانة اليهودية نشأت الحركة الحسيدية في دولة بولنـــدا، وامتـــدت إلى أوربا الشرقية خلال النصف الثاني من القرن الميلادي الثامن عشر، وانتزعت من الكهنة والأحبار والحاخامات قيادة الجماعات اليهودية منذ ذلك الحـــين وحـــتى ظهور الحركة الصهيونية السياسية الهرتزلية في أواخر سنوات القـــرن المـــيلادي التاسع عشر.

وتؤمن الطائفة الحسيدية بأن خلاص اليهود لا يمثل ظاهرة جماعية تشـــمل اليهـــود جميعهم، وإنما يتحقق خلاص الأفراد عندما يسمو الفرد بروحه عن طريق العبادة، فالخلاص إذن ليس عملية جماعية متعلقة باليهود أو بانتظار تدخل الرب لحمايـــة شعبه المختار، وبذلك انهارت سلطة الكهنة والأحبار وأصـــبح الفكـــر الـــديني اليهودي أقرب إلى الفكر الديني المسيحي في ذلك الوقت، ولكن تـــولى الحركـــة الصهيونية قيادة الجماعات اليهودية، أعاد لليهود أساطيرهم وخرافـــاتهم المغلفـــة بغلاف ديني كهنوتي مثل أساطير شعب الله المختار، والوعد الإلهي وأرض الميعـــاد والمسيح المنتظر.

٤ – عبد الرحمن عرفه: التطبيق العملي للصهيونية.

دار الجليل، عمان، الطبعة الثانية ١٩٨٦، ص ــ ٨٣.

٥ – نرمين غوانمه: إسرائيل ــ الأحزاب السياسية وتطلعاتها.

الدار المتحدة للنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٥، هـــوامش الفصـــل الأول، ص ــ ٢٨.

٦ – أسعد رزوق: إسرائيل الكبرى ــ دراسة في الفكر التوسعي.

منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت ١٩٦٨، ص ــ ١٥٤.

٧ – إلياس سعد: الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة.

منظمة التحرير الفلسطينية ــ مركز الأبحاث، بيروت ــ ١٩٧٩، ص ــ ١٥ ،

٨ – نرمين غوانمه: مصدر سابق، ص ــ ٥٢.

٩ – ويليام فهمي: الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

قسم البحوث والدراسات الفلسطينية، مطبعة الجبلاوي، تونس، ص ٧٥.

١٠ – أنيس فوزي القاسم: قانون العودة وقانون الجنسية الإسرائيليان ــ دراسة في القانون المحلي والدولي.

منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث،بيروت ١٩٦٧ ،ص ــ ٣٧ و٣٨.

١١ – المصدر السابق: نفس المكان.

١٢ – إلياس زين: هجرة الأدمغة والهجرة المضادة من إسرائيل.

منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت ١٩٧١.

١٣ – هلدا شعبان صايغ: التمييز ضد اليهود الشرقيين في إسرائيل.

منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث بالتعاون مع وزارة التعليم السورية.

بيروت ١٩٧١، ص ــ ٢٢، ٢٥.

١٤ – عبد الفتاح محمد ماضي: الدين والسياسة في إسرائيل.

دراسة في الأحزاب والجماعات الدينية في إسرائيل ودورها في الحياة السياسية.

مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٩، ص ــ ٢٢.

١٥ – الدكتور أحمد سوسه: العرب واليهود في التاريخ.

العربي للإعلان والنشر والطباعة والتوزيع، دمشق، الطبعة الرابعة ١٩٧٥، ص — ٥٦٢.

١٦ – المصدر السابق: ص — ٥٦١.

١٧ – قدري حفني: الإسرائيليون — من هم ؟
مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٨٩، ص — ٢٥٧.

١٨ – المصدر السابق: ص، ٣٣٤ — ٣٣٥.

١٩ – هلدا شعبان صايغ: مصدر سابق ص ٢٩ — ٣٢.

20 – Don Peretetz: OP. Cit, P – 60.

٢١ – هلدا شعبان صايغ: مصدر سابق، ص، ٦٨ — ٦٩.

٢٢ – جوب سيفرادي: مجموعة الفكر الحديث للقومية اليهودية.
من كتاب: إسرائيل الثانية، ترجمة فؤاد جديد.
مطابع الكرمل الحديثة، بيروت ١٩٨١، ص — ٥٩، ٦٠.

٢٣ – حامد عبد الله ربيع: إطار الحركة السياسية في المجتمع الإسرائيلي.
دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨١، ص — ٢٢٢.

٢٤ – غازي ربابعه: اتجاهات التعليم في إسرائيل.
مقال: مجلة مواقف، العدد الثاني، السنة الأولى، كانون الأول / ديسمبر ١٩٨٧، ص — ٤٢.

25 – Sammy Smooha: Op. Cit. P – 16.

٢٦ – جدع جلادي: إسرائيل نحو الانفجار الداخلي.

دار البيادر للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٨، ص ــ ٢٣٥.
٢٧ – هلدا شعبان صايغ: مصدر سابق، ص ــ ١٣٤.
٢٨ – سامي سموحا: الطائفية والجيش الإسرائيلي ــ أطروحات للنقاش.
مجلة الملف ــ المجلد الأول، العدوان ٩، ١٠، كانون الأول / ديسمبر ١٩٨٤، ص ٧٧٣ ــ ٧٧٥.
٢٩ – جدع جلادي: مصدر سابق، ص ــ ٢١٩.
٣٠ – رياض الأشقر: قيادة الجيش الإسرائيلي، (١٩٦٠ ــ ١٩٨١).
مركز الأبحاث ــ مؤسسة الدراسات الفلسطينية ١٩٨١، ص ــ ١٣٩.
٣١ – جدع جلادي: مصدر سابق، ص ــ ٣١٣.
٣٢ – المصدر السابق: ص ــ ٣١٥.
٣٣ – أليس فوزي القاسم: مصدر سابق، ص ١٣٧ ــ ١٤٥.
٣٤ – الدكتور حسام الخطيب: الصهيونية واليهود وإسرائيل والعرب والعالم، نظرة بالجملة إلى المواقف والعلاقات، مقال: مجلة شئون فلسطينية، العدد ٣٥، تموز / يوليو ١٩٧٤.
٣٥ – العميد الركن المتقاعد: فايز جابر: الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة.
دار البيرق للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى١٩٨٧، ص ــ ٤٧ إلى ٥٠.
٣٦ – أحمد عثمان: تاريخ اليهود.
الجزء الثاني، مكتبة الشروق، القاهرة ١٩٩٤، ص ــ ٩٠ بتصرف.

٣٧ – العميد اكركن مقاعد فايز جابر: مصدر سابق، ص ٤٣ ــ ٤٤.

٣٨ – المصدر السابق: ص ٤٥ ــ ٤٦.

الفصل الرابع

أوربا وأمريكا والمسيحية واليهود

وفلسطين العربية

٤ - ١: مقدمة

في الحقيقة أن علاقات إسرائيل بالدول الأوربية بالولايات المتحدة الأمريكية هي قضية شائكة ومعقدة وأعمق بكثير مما قد يتصوره البعض، وينبغي التعامل مع هذه القضية بشيء من الحذر والتروي وبكثير من الذكاء، فالعلاقات الأوربية الأمريكية ـ الإسرائيلية تستند في الواقع على معطيات دينية وسياسية وإستراتيجية بين هذه الدول، ولا يمكن النظر لهذه العلاقات بسطحية وبساطة من موقع العداء التقليدي الكامن في وجدان الشعوب العربية من الدول الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية ويكون همنا ومحور اهتمامنا وغاية ما تصبو إليه نفوسنا هو قطع العلاقات الدبلوماسية مع هذه الدول إذا ما أقدمت كعادتها الدائمة الضرب بعرض الحائط بالمصالح العربية والمشاعر والكرامة العربية أيضا في كثير من الأحيان لصالح دولة إسرائيل، فهذه سياسة فاشلة أكل عليها الزمن وشرب ولم تسفر عن أي نتائج إيجابية لصالح العرب، وإنما نحن بحاجة إلى خطط إستراتيجية جديدة في المواجهة مع إسرائيل، فموقف الدول الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية من دولة إسرائيل قائم في الأساس على معطيات صهيونية توراتية وتلمودية رسخت في

عقول ووجدان الشعوب الأوربية والشعب الأمريكي وساستهم منذ أمد بعيد وجيلا بعد جيل في غياب لأي معطيات عربية وإسلامية مضادة بل ووسط صمت عربي وإسلامي مطبق.

وقد يبدو للوهلة الأولى أن الاهتمام الأمريكي بالمنطقة العربية جاء متأخرا لبعض الوقت عن نظيره في البلدان الأوربية، إلا أن الاهتمام الأمريكي بالمنطقة العربية قد بدأ في الحقيقة في نفس الوقت تقريبا الذي بدأ فيه الاهتمام الأوربي بالمنطقة العربية، ففي العام الميلادي ١٨٥٠ بعثت الحكومة الأمريكية برسالة إلى مندوبها المقيم في مصر " ويليام بيل " تطلب منه سرعة موافاتها بالأحداث الجارية وتلك التي تتأهب للحدوث في منطقة شرقي السويس (سوريا وفلسطين والحجاز)، فأرسل ويليام بيل تقريرا سريا لحكومته يكشف اللثام عنه في وقت لاحق ويقول فيه :

"إن إقامة كومنولث يهودي في فلسطين، سوف يتطور ليصبح مركزا أماميا متقدما للولايات المتحدة الأمريكية في الشرق ". (١)

وهذا يعني ضمنا إنشاء دولة يهودية في فلسطين العربية للحفاظ على المصالح الأمريكية في المنطقة العربية، فالتأييد الأمريكي لدولة يهودية في فلسطين العربية بدأ سافرا من الناحية الرسمية في أواسط القرن الميلادي الثامن عشر.

فلسطين العربية بدأ سافرا من الناحية الرسمية في أواسط القرن الميلادي الثامن عشر.

وفي العام الميلادي ١٨٥٦ قام قنصل عام الولايات المتحدة الأمريكية بمدينة القدس والمدعو " وارد كريسون " بإنشاء أول مستعمرة زراعية استيطانية في فلسطين العربية، واعتنق الديانة اليهودية من أجل تشجيع اليهود على الهجرة إلى فلسطين وإنشاء المستوطنات الزراعية اليهودية فيها تمهيدا لإقامة الدولة اليهودية في فلسطين، إلا أن المحاولة قد باءت بالفشل الذريع، وفي العام الميلادي ١٨٦٦ توافد على فلسطين العربية عدد من المهاجرين الأمريكيين الأصوليين البروتستانت للقيام بعمليات مشابهة لتلك المحاولات التي قام بها قنصل عام الولايات المتحدة الأمريكية " وارد كريسون " من قبل بحجة انتظار قدوم المسيح المنتظر، إلا أن هذه المحاولات الاستيطانية قد باءت بالفشل أيضا.

والاهتمام الأمريكي والأوربي بالمنطقة العربية لم يكن في الواقع نابعا من فراغ، وإنما هو كان متعدد الدوافع والأسباب، وهي كانت دوافع استعمارية وسياسية ودينية :

أولا: الدوافع الاستعمارية :

كان هذا الدافع نابعا من حرص الدول الاستعمارية الكبرى في قارة أوربا وعلى رأسها بريطانيا وفرنسا وإسبانيا اللواتي كن يتأهبن ويعددن العدة

للانقضاض على أقاليم الدولة العثمانية في العالم العربي ووراثتها بعد أن أيقنوا أنها شاخت وهرمت ونخر السوس عظامها وأصبحت آيلة للسقوط، وفي الوقت ذاته كانت الولايات المتحدة الأمريكية تستعد للقيام بلعب دور غير تقليدي في المنطقة العربية للحفاظ على امتيازاتها النفطية فيها.

ثانيا: الدوافع السياسية :

أما الدافع الثاني الذي جعل الدول الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية تهتم اهتماما غير عادي بالمنطقة العربية، فقد كان دافعا سياسيا يهدف إلى التخلص نهائيا من يهود أوربا وأمريكا بمساعدتهم في الهجرة إلى فلسطين العربية واستيطانها على غير رغبة أهلها وأصحابها الأصليين، وبذلك يطردون بهذه السياسة اليهود من البلدان الأوربية وأيضا من الولايات المتحدة الأمريكية ويتخلصوا منهم، ثم يستخدمونهم لاحقا في حالة قيام دولة لهم في فلسطين العربية كرأس حربة لحماية المصالح الاستعمارية لتلك الدول في الشرق العربي.

والحقيقة أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت ومنذ تأسيسها تدعو إلى اللاسامية وتطالب بطرد اليهود من أراضيها، وعلى لسان رئيسها وأحد مؤسسي الاستقلال فيها وهو " بنيامين فراكلن " الذي قال في خطاب له أمام المجلس التأسيسي الأمريكي في العام الميلادي ١٧٨٩ ما يلي :

أيها السادة...

الاستعمار، وهذا الخطر سوف يأتينا من جـراء تكـاثر عـدد اليهـود في بلادنا، وسيصيبنا ما أصاب البلاد الأوربية التي تساهلت مع اليهود وتركتهم يستوطنون في أراضيها، إذ أن اليهود بمجرد تمركزهم في تلك البلاد عمـدوا إلى القضاء على تقاليد ومعتقدات أهلها، وقتلوا معنويات شبابها بفضل سموم الإباحية واللاأخلاقية التي نفثوها فيهم، ثم أفقدوهم الجرأة على العمـل بمـا استبطوه من الحيل على كسب لقمة عيشـهم، وبالتـالي سـيطروا علـى اقتصاديات البلاد وهيمنوا على مقدراتها المالية، فأذلوا أهلـها وأخضعـوهم لمشيئتهم، ومن ثم أصبحوا سادة عليهم مع أنهم يرفضون الاختلاط بالشعوب التي يعايشونها، حتى بعد أن كتموا أنفاسهم.

إن اليهود يدخلون كل دولة بصفة دخلاء مساكين، ولا يلبثـون أن يمسكوا بزمام مقدراتها، ومن ثم يتعالون على أهلها وينعمون بخيراتها دون أن يجرؤ أحد على صدهم، ومع كل ذلك جعلوا التذمر شعارهم حيثما وجدوا، التشكيك ديدنهم، فهم يزعمون أنهم مضطهدون طالمـا كـانوا مشـردين، ويطالبون بالعودة إلى فلسطين، ولو أنهم أمروا بالعودة إليها ما عاد جميعهم ولظل الكثيرون حيث هم... أتعلمون أيها السادة لماذا ؟

لأنهم أبالسة الجحيم وخفافيش الليل ومصاصو دماء الشعوب، فـلا يمكنهم أن يعيشوا مع بعضهم البعض لأنهم لن يجدوا فيما بينهم من يمتصـون

دمه، ولهذا يفضلوا البقاء مع الشعوب الشريفة التي تجهل أساليبهم الشيطانية ليثابروا على امتصاص دماء أبنائها ولينهبوا من خيراتها، وللأسباب التي أوضحتها لمجلسكم الموقر، أتوسل إليكم أيها السادة أن تسارعوا في اتخاذ هذا القرار وتطردوا هذه الطغمة الفاجرة من البلاد قبل فوات الأوان ضنا بمصلحة الأمة وأجيالها القادمة، وإلا ستروون بعد قرن واحد أنهم أخطر مما تفكرون، وستجدونهم وقد سيطروا على الدولة والأمة، ودمروا ما جنيناه بدمائنا وسلبونا حريتنا، وقضوا على مجتمعنا، وثقوا بأنهم لن يرحموا أحفادنا... بل سيجعلونهم عبيدا في خدمتهم، بينما هم يقبعون خلف مكاتبهم يتندرون بسرور بالغ بغبائنا ويسخرون من جهلنا وغرورنا.

أيها السادة

لا تظنوا أن اليهود سيقبلون يوما بالانصهار ببوتقتكم أو الاندماج في مجتمعكم... فهم من طينة غير طينتنا ويختلفون عنا في كل شيء.

وأخيرا أهيب بكم أن تقولوا كلمتكم الأخيرة وتقرروا طرد اليهود من البلاد، وإن أبيتم فثقوا أن الأجيال المقبلة ستلاحقكم بلعناتها وهي تئن تحت أقدام اليهود.

والحقيقة أن رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية من بعد بنيامين فرانكلن لم يعملوا بوصيته، وتمكن من سماهم أباليس الجحيم وخفافيش الليل

والطغمة الفاجرة المسيطرة على المؤسسات الاقتصادية والسياسية والعسكرية والأمنية في الولايات المتحدة الأمريكية وتسخيرها لخدمة دولة غاصبة اغتصبت أرض فلسطين العربية كما هو حال أمريكا في الوقت الراهن.

ثالثا: دوافع دينية :

وربما كان الدافع الثالث الذي حدا بالدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية للاهتمام بالمنطقة العربية وخاصة بفلسطين العربية هو أهم هذه الدوافع، وهو في واقع الأمر دافع ديني بحت نابع من إيمان العالم الغربي المسيحي بالنبوءات التوراتية الزائفة التي تربط عودة المسيح المنتظر بعودة اليهود إلى فلسطين وإقامة دولة لهم فيها، ولقد أصبح هذا الاعتقاد من صميم الفكر الديني المسيحي البروتستانتي بعد الثورة البروتستانتية داخل الكنيسة الكاثوليكية التي قادها " مارتن لوثر " في القرن الميلادي السادس عشر.

ولأسباب دينية قامت البلدان الأوروبية بالتحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية تحالفا وثيقا وقويا في إنشاء العشرات من الحركات الأصولية الإنجيلية البروتستانتية وهدفها الأساسي الترويج بين أفراد الشعب المسيحي البروتستانتي على النبوءات التوراتية الزائفة المتعلقة بالعودة الثانية للمسيح المنتظر، وربط هذه العودة بعودة اليهود إلى فلسطين العربية، ومن هنا كانت فكرة حركات المورمن وشهود يهوه وبناي بيرث والسبتيون والمجيء الثاني إضافة إلى الألفيون والشفاليون واللوثرية والكويكرز أو جمعية

الأصدقاء، والفرق القدرية السابقية وغيرها، وكانت هذه الحركات ترمي إلى تهيئة الأجـواء والعقـول لتقبـل فكـرة عـودة اليهـود إلى فلسـطين العربية، وإنشاء دولة لهم فيها، والتعامل مع هذه الفكرة كحقيقة دينية مسلم بها ولا تقبل الجدل، وهنا ولدت الصهيونية المسيحية قبل فترة زمنية طويلـة من ظهور الحركة الصهيونية السياسية الهرتزلية في العام الميلادي ١٨٩٧.

وربما تكون الدوافع والأسباب الدينية هـي مـن أهـم الـدوافع والأسباب التي تحدد الموقف الأمريكي من دولة إسرائيل، ولكنها بالتأكيـد ليست كل شيء، ومن الممكن تلخيص أسباب ودوافع الموقف الأمريكي من دولة إسرائيل وبالتالي من القضايا العربية في الأربع نقاط التالية :

أولاً: أسطورة دينية مسيحية تمود بجذورها لحركة الإصلاح الـديني البروتستانتي التي قادها داخل الكنيسـة الكاثوليكية مارتن لـوثر في القـرن الميلادي السادس عشر، وتقوم هذه الأسطورة أساس على النبوءات التوراتية الزائفة التي تربط عودة المسيح المنتظر بعودة اليهود إلى فلسـطين العربيـة وإنشاء دولة لهم فيها.

ثانيـاً: زعم الصهاينة أن إسرائيل تعتبر واحة حضارية وديمقراطيـة متقدمة جدا في الشرق المتخلف والديكتاتوري.

ثالثا: زعم إسرائيل بأنها قادرة على حماية المصالح الإستراتيجية الأمريكية في الشرق العربي.

رابعا: اللوبي الصهيوني ـ اليهودي الضاغط على مراكز صنع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية.

٤ – ٣: النبوءات التوراتية الزائفة والصهيونية المسيحية:

كانت الكنيسة الكاثوليكية فيما مضى من الزمن الغابر تنظر لليهود كمارقين وخونة وقتلة ابن الرب عيسى بن مريم بالمفهوم اللاهوتي المسيحي، ولم يكن الفكر اللاهوتي الكاثوليكي يقر أو يعترف بنظرية التفسير الحرفي للنصوص التوراتية أو يعطيها أي اعتبار يذكر، ويكتفي هذا الفكر بالأساليب الأخرى للتفسيرات اللاهوتية، وبالتالي لا مكان في هذا الفكر لإمكانية عودة اليهود إلى فلسطين العربية، فقد كان الفكر اللاهوتي الكاثوليكي يؤمن إيمانا مطلقا بأن عودة اليهود إلى فلسطين العربية قد تمت فعلا في التاريخ القديم بعد الأسر البابلي لليهود الذي كان نوعا من انتقام الرب منهم لارتكابهم معاصي وآثام كثيرة، ومن جراء هذه الآثام والمعاصي سلط الرب عليهم القائد البابلي نبوخذ نصر " بختنصر " الذي غزا فلسطين العربية ودمر مدينة القدس تدميرا شاملا ونكل تنكيلا شديدا بمن فيها من يهود، وساق من بقي حي منهم أسرى وعبيد إلى عاصمته بابل في عام ٥٨٦ قبل الميلاد.

وبعد الاحتلال الفارسي لبابل في عام ٥٣٩ قبل الميلاد، ثم لفلسطين العربية في عام ٥٣٨ قبل الميلاد، عاد قسم صغير من يهود السبي البابلي إلى فلسطين العربية بعد عامين من احتلال الجيش الفارسي لها، وبذلك تحققت النبوءات التوراتية المتعلقة بعودة اليهود إلى فلسطين العربية، وقد أطلق اليهود على القائد الفارسي قورش الثاني الذي أعادهم إلى فلسطين، وهو كان قائدا وثنيا اسم " مسيح الرب " (٢) وهم المؤمنون الموحدون حسب زعمهم، وبعد عودة اليهود إلى فلسطين العربية من الأسر البابلي، ارتكبوا أيضا معاصي وآثام جديدة مرة أخرى بإنكارهم لبعثة السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، فطردهم الله تعالى نهائيا على يد الرومان في العام الميلادي السبعين، وبذلك انتهى الوجود السكاني اليهودي في فلسطين العربية وانتهى أيضا تاريخهم الطارئ والعابر فيها وتشتتوا في كافة أرجاء العالم وأصبح تاريخهم ملحقا بتاريخ الأمم والشعوب التي عاشوا بينها لأكثر من ألفي عام.

ولقد كانت المسيحية الكاثوليكية تؤمن إيمانا عميقا بأنه لا خلاص لليهود بعد طردهم من فلسطين العربية إلا باعتناقهم للديانة المسيحية، وقد استمرت وجهة النظر الكاثوليكية هذه التي وضعها القديس " أوغسطين " في القرن الميلادي الخامس قائمة وسارية المفعول إلى ما بعد حركة الإصلاح الديني البروتستانتي داخل الكنيسة الكاثوليكية، أما فيما يتعلق بالنبوءات

التوراتية فقد كانت الكنيسة الكاثوليكية تؤمن بأن لا وجود لها وأنها لا تنطبق على حالة يهود اليوم، لأن المسيح المنتظر الذي تنبأت بقدومه أسفار كتاب العهد القديم قد بعث فعلا قبل ألفي عاما وانتهى الأمر، أما " الفداء " الذي تحدثت عنه تلك الأسفار فقد حدث بالفعل ولكن لكل البشر الذين افتداهم الناصري، وأصبح الخلاص في متناول البشر، ومملكة الرب على الأرض قد قامت فعلا بتأسيس الكنيسة الكاثوليكية، ولم يعد لليهود أي أمل أو حق في التمسك بدعوى أنهم أمة تنتظر الفداء والخلاص، إن أن الله وضع حدا لوجودهم كأمة، ولم يعد أمامهم من سبيل للخلاص إلا بالخلاص الفردي أي اعتناق الديانة المسيحية، إذ لم تعد هناك إسرائيل يتحقق خلاصهم بالعودة إليها إلا إسرائيل الجديدة وهي الكنيسة الكاثوليكية.

الحركة الدينية الإصلاحية البروتستانتية :

كان فيما تقدم عرض موجز للمعتقدات الكاثوليكية فيما يتعلق باليهود وتنبؤاتهم التوراتية، إلا أنه في القرن الميلادي السادس عشر قاد " مارتن لوثر " الحركة الدينية الإصلاحية داخل الكنيسة الكاثوليكية محدثا بذلك ثورة عارمة في المعتقدات الدينية الكاثوليكية بالنسبة لليهود وقلبها رأسا على عقب، والحقيقة أن المسيحية البروتستانتية هي شكل من علمنة المسيحية الكاثوليكية.

وبعد الثورة البروتستانتية على الكنيسة الكاثوليكية تغيرت نظرة المسيحية البروتستنتية لليهود تغيرا جذريا وترتب على ذلك ما يلي :

١ – لقد غدت التعاليم الدينية اليهودية التوراتية والتلمودية من صميم الفكر الديني المسيحي البروتستانتي.

٢ – أصبحت العبارات التوراتية البالدة مثل عبادات شعب الله المختار، والأرض الموعودة، وأرض الميعاد والمسيح المنتظر، في مقدمة المعتقدات الدينية المسيحية البروتستانتية.

٣ – وغدت التعاليم التوراتية والتلمودية تدرس للطلبة في مدارس أوربا.

٤ – وأصبحت المفاهيم والمعتقدات اليهودية التوراتية والتلمودية يروج لها في جميع وسائل الإعلام المتاحة، وأيضا في الكنائس والمحافل الدينية المسيحية في الغرب الأوربي.

لقد أعادت المسيحية البروتستانتية لليهود اعتبارهم بعد قرون طويلة من العداء والكراهية والاضطهاد، ولكن لم يكن هذا أبدا هدف مارتن لوثر من وراء حركته الإصلاحية داخل الكنيسة الكاثوليكية، وإنما كان يهدف إلى إقناع اليهود وتشجيعهم على اعتناق الديانة المسيحية، فإذا باليهود يسعون بكل همة ونشاط ويجمعون الأنصار والمؤيدين من حولهم لكي يهودون

المسيحية وتسخيرها لخدمة مصالحهم، لا أن يتحول اليهود للديانة المسيحية البروتستانتية.

ولما فشلت حركة الإصلاح الديني البروتستانتي في جعل اليهود يتحولون للديانة المسيحية، اكتفت هذه الحركة بتبني فكرة عودة اليهود إلى فلسطين العربية، وكان هذا بمثابة الإعلان الرسمي عن مولد الصهيونية المسيحية. (٤)

والصهيونية المسيحية هي نوع من الصهيونية التي تهدف إلى إعادة اليهود إلى فلسطين العربية تبناها العالم المسيحي الغربي وليس اليهود هذه المرة بتأثير من الخرافات التوراتية التي تسللت للكنيسة المسيحية، ولقد ولدت الصهيونية المسيحية قبل الصهيونية اليهودية السياسية الهرتزلية بعدة قرون.

وقد عبر مارتن لوثر عن كرهه ومقته وعدائه لليهود في كتابه الذي يحمل اسم " ما يتعلق باليهود وأكاذيبهم " الذي أصدره في العام الميلادي ١٥٤٤، وطالب فيه بطرد اليهود من ألمانيا بقوله ما يلي :

" من الذي يحول دون اليهود والعودة إلى أرضهم في يهوذا ؟ لا أحد، إننا سنزودهم بكل ما يحتاجون إليه في رحلتهم، لا لشيء إلا لنتخلص منهم، إنهم عبء علينا وهم بلاء وجودنا ". (٥)

وقد بلغ الفكر الديني البروتستانتي المشوه ذروة تطرفه وقمة صهيونيته ويهوديته في عصر الثورة البيوريتانية في إنجلترا خلال القرن الميلادي السابع عشر، وتعتبر البيوريتانية الكالفينية " نسبة إلى جون كالفن " أشد أنواع البروتستانتية تطرفا في إعلاء نصوص كتاب العهد القديم ومغالاة في إجلالها لدرجة أن البيوريتانيين طالبوا الحكومة البريطانية بالتالي :

١ – اعتماد التوراة كدستور للبلاد.

٢ – استعاضوا بالعبادات اليهودية عن المبادئ المسيحية.

٣ – ذهبوا إلى تعميد أطفالهم في الكنائس بأسماء يهودية عوضا عن أسماء القديسين المسيحيين اللذين جرت العادة باستخدام أسمائهم في تعميد الأطفال المسيحيين.

ب – مطالبتهم بتغيير يوم الاحتفال الديني بقيامه المسيح إلى يوم السبت اليهودي. (٦)

واللاهوت البروتستانتي المتهود والمتصهين يقوم أساسا على التفسير الحرفي للنبوءات التوراتية، ويتمحور الفكر البروتستانتي المتهود والمتصهين حول إعادة اليهود إلى فلسطين العربية من الشتات، وإنشاء دولة لهم فيها، وتوحيد مدينة القدس " أورشليم " تحت السيطرة الإسرائيلية وعادة

بناء هيكل أورشليم على أنقضا المسجد الأقصى المبارك، كل هذا وذاك تمهيدا لقدوم المسيح أو المجيء الثاني له.

ومن المفارقات العجيبة أنه عندما يتحقق لليهود جميع أهدافهم في فلسطين العربية سوف تندلع معركة " هرمجدون " أو المحرقة النووية التي ستدور رحاها بين قوى الخير اليهودية وقوى الشر الإسلامية حسب زعمهم، وقوى الشر الإسلامية سوف تكون متمثلة في الجيوش العربية والإيرانية ويقف إلى جانبها الجيوش الروسية والصينية والأفريقية، وهنا يظهر المسيح المنتظر الذي سوف ينتصر في هذه المعركة التي يموت فيها الملايين من اليهود، ولكن ستنجو من المحرقة النووية بقية من اليهود الذين سوف يتحولون للديانة اليهودية، ثم ينبثق فجر الألفية السعيدة التي سيحكم خلالها المسيح لمدة ألف عاما، ينتشر فيها السلام وتعم الطمأنينة ربوع العالم بأسره.

ويقسم الألفيون التاريخ إلى سبعة أقدار أو حقب وفقا لتعاملات الله تعالى مع الإنسان، واعتمدوا في ذلك على اختلاف أسلوب الرب في تعامله مع البشر من حقبة إلى أخرى، وفي مفهومهم فإن الحقبة هي: زمن تختبر فيه الإنسان إعلانات الله في إرادته،[٧] والحقبة التي نعيش فيها نحن الآن هي الحقبة السادسة التي سوف تنتهي بعودة اليهود إلى فلسطين العربية وأيضا عودة المسيح المنتظر الذي سوف يظهر بين الحقبة السادسة والسابعة ويحكم

العالم لمدة ألف عاما حسب زعم الحقبيون والألفيون وإتباع الفرق القدرية السابقية، والحقب السبع هي كالتالي:

١ - حقبة الطهارة :

وهي حقبة ما قبل سقوط آدم في الخطيئة وقبل الطرد من الجنة.

٢ - حقبة الضمير :

أو المسئولية الإنسانية وهي الفترة من آدم إلى نوح.

٣ - حقبة الحكومة البشرية :

وهي الفترة من نوح إلى إبراهيم.

٤ - حقبة الوعد :

وهي الفترة من إبراهيم إلى موسى.

٥ - حقبة الشريعة :

وهي الفترة من موسى إلى المسيح.

٦ - حقبة النعم:

وهي الفترة من المجيء الأول للمسيح إلى بداية الملك الألفي.

٦ - حقبة الملكوت :

وحق فترة الملك الألفي. (٨)

ومما لا شك فيه أن اليهود وجدوا في الحركة الدينية البروتستانتية حليفا قويا لهم يقف دوما إلى جانبهم مناصرا ومؤيدا وداعما لهم في تحقيق

حلمهم وهدفهم الرئيسي والأساسي الرامي إلى عودهم إلى فلسطين العربية وإنشاء دولة لهم فيها والمحافظة على ديمومتها واستمراريتها دولة قوية وقوية جدا ومتفوقة على جميع جيرانها في جميع المجالات.

وقد ظهرت في البلدان الأوربية المئات من الشخصيات السياسية والعسكرية والفكرية والأدبية والعلمية التي تطالب بإعادة اليهود إلى فلسطين العربية، فعلى سبيل المثال الملك هنري الثامن ملك إنجلترا أعلن انفصاله عن الكنيسة الكاثوليكية في روما، وأصدر في العام الميلادي ١٥٨٢ أمرا إلى جميع كنائس إنجلترا بانتهاء الوصاية الكهنوتية على الكتاب المقدس ونصب نفسه رئيسا وراعيا لجميع الكنائس البروتستانتية المتهودة في إنجلترا ليحل بذلك محل بابا روما، وساعد بذلك على انتشار الصهيونية المسيحية في بلاده، وفي العام الميلادي ١٦٠٠ نادى أوليفر كرومبل بصفته رئيسا للكومنولث البريطاني بعودة اليهود إلى فلسطين العربية تمهيدا لعودة المسيح المنتظر أو المجيء الثاني له، وفي العام الميلادي ١٦٢١ دعى المحامي الأصولي الإنجيلي البروتستانتي " هنري فنش " في كتابه " العودة العالمية الكبرى " إلى إعادة اليهود إلى فلسطين العربية ضاربا بعرض الحائط بالتعاليم الدينية الأوغسطية التي تنادي بعودة اليهود إلى إسرائيل الروحية أي عودهم إلى رحاب الكنيسة المسيحية وليس عودهم إلى أرض فلسطين العربية حسب

التفسير المشوه للنبوءات التوراتية، وقد حدد هنري فنش منتصف القرن الميلادي السابع عشر لعودة المسيح المنتظر، ومما جاء في كتاب هنري فنش ما يلي :

" حيث تذكر إسرائيل ويهوذا وصهيون وأورشليم في الكتاب المقدس، فإن الروح القدس لا تعني إسرائيل الروحية أو كنيسة الرب التي تتكون من المسيحيين أو اليهود أو منهما معا، ولكنها تعني إسرائيل التي انحدرت من صلب يعقوب، وينطبق الشيء نفسه على عودتهم لأرضهم وقواعدهم القديمة وانتصارهم على أعدائهم سيقيمون الكنيسة المجيدة في أرض يهوذا نفسها، وهذه التعبيرات وأمثالها ليست مجازات وأقوال للرب، ولكنها تعني عودة اليهود فعلا وقولا ". (٩)

وفي العام الميلادي ١٧٧٤ جاء الضابط البحري الأصولي الإنجيلي البروتستانتي البريطاني " ريتشارد برودز " وطالب في مؤلفه " تجديد مملكة إسرائيل " بعودة اليهود إلى فلسطين العربية، وبعد حسابات عجيبة وغريبة حدد ريتشارد برودز منتصف العام الميلادي ١٧٧٥ موعدا لعودة المسيح المنتظر.

والفيلسوف الفرنسي " جان جاك روسو " قال في كتابه الذي أصدره في العام الميلادي ١٧٦٢ تحت عنوان " أميل " ما يلي :

" لن نعرف الدوافع الحقيقية لليهود أبدا حتى نكون لهم دولتهم الحرة ومدارسهم وجامعاتهم ".

وقد خاطب الكيميائي " جوزيف بريسلي " مكتشف غاز الأكسجين اليهود بقوله ما يلي :

" إني أدعو إله السماء إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يضع حدا لمعاناتكم ويجعلكم أكثر الأمم شهرة ".

وقد تغلغلت الصهيونية المسيحية في العالم الغربي في أدب القرنين الميلاديين الثامن عشر والتاسع عشر والذي يعبر صراحة عن رغبة هذا العالم بإعادة اليهود إلى فلسطين العربية متجاهلين تماما شعبها الحقيقي، ففي أعمال الشاعر " ألكسندر بوب " على سبيل المثال تحدث في إحدى قصائده عن المملكة اليهودية المستعادة في فلسطين، وكتب اللورد بايرون مجموعة شعرية بعنوان " الألحان العبرية " في عام ١٨١٥، تمنى فيها أن يكون لليهود وطن قومي خاص بهم يأويهم مثل بقية الأمم والشعوب.

والقائد الفرنسي " نابليون بونابرت " وجه نداء ليهود العالم من أمام أسوار مدينة " عكا " الفلسطينية التي استعصى اقتحامها على قواته يدعوهم فيه للالتحاق بجيشه المظفر الغازي الذي يحارب على أرض فلسطين من أجل استعادة مجدهم الغابر فيها أيام داود وسليمان وقد جاء في هذا البيان ما :

من نابليون بونابرت ؟

القائد العام للقوات المسلحة الفرنسية في أفريقيا وآسيا.

أيها الإسرائيليون...

أيها الشعب الفريد الذي لم تستطع قوى الفتح والطغيان أن تسلبه وجوده القومي وإن كانت سلبته أرض الأجداد فقط. إن مراقبي مصائر الشعوب الواعين المحايدين وإن لم تكن لهم مقدرة الأنبياء مثل أشعيا ويوئيل، قد أدركوا ما تنبأ به هؤلاء الأنبياء بإيمانهم الرفيع أن عبيد الله " اليهود " سيعودون إلى صهيون وهم ينشدون، وسوف تعمهم السعادة وهم يستعيدون مملكتهم دون خوف، انهضوا بقوة أيها المشردون في التيه، إن أمامكم حربا مروعة يخوضها شعبكم بعد أن اعتبر أعداؤه أن أرضه التي ورثها عن الأجداد غنيمة تقسم بينهم حسب أهوائهم، لابد من نسيان ذلك العار الذي أوقعكم تحت نير العبودية، ذلك الخزي الذي شل إرادتكم لألفي عام، إن الظروف لم تكن تسمح بإعلان مطالبكم أو التعبير عن حقكم، بل أن الظروف التي أرغمتكم بالقسر عن التخلي عن حقكم، ولهذا السبب فإن فرنسا تقدم لكم يدها في هذا الوقت بالذات رغم شواهد اليأس والعجز، إن الجيش الذي أرسلتني العناية الإلهية به ويمشي بالنصر من أمامه والعدل من ورائه قد اختار مدينة القدس مقرا

لقيادته، وخلال بضعة أيام سينتقل إلى مدينة دمشق التي استهانت طويلا بمدينة داود وأذلتها.

يا ورثة فلسطين الشرعيين...

إن الأمة الفرنسية لا تتاجر بالرجال والأوطان كما فعل غيرها تدعوكم إلى إرثكم بضمانتها وتأييدها ضد كل الدخلاء، انهضوا واظهروا أن قوة الطغاة القاهرة لم تخمد أحفاد هؤلاء الأبطال الذين كان تحالفهم الأخوي شرفا لأسبرطه وروما، وأن معاملة العبيد التي طالت ألفي عام لم تفلح في قتل هذه الشجاعة، سارعوا... إن هذه اللحظة هي المناسبة التي قد لا تتكرر لآلاف السنين للمطالبة باستعادة حقوقكم ومكانتكم بين الأمم وحقكم الطبيعي في عبادة إلهكم " يهوه " طبقا لعقيدتكم.

اعلنوا ذلك في العلن واعلنوا للأبد.

– نابليون بونابرت –

وفي الحقيقة أن هذا النداء النابليوني الكريم جدا والذي يقطر غزلا باليهود وصهيونية ويهودية أيضا، لم يكن بتأثير من لوبي يهودي ضاغط على مراكز صنع القرار في فرنسا يخشاه نابليون بونابرت عند عودته لبلاده، فاللوبي اليهودي لم يكن قد تأسس بعد في فرنسا، وكان اليهود فيها جالية قليلة العدد ومكروهة ومنبوذة من قبل الشعب الفرنسي، وكان معظم يهود

فرنسا يعملون في الأغلب في الربا الفاحش والمهنة الرخيصة والأعمال الحقيرة، ولا تفسير لهذا النداء النابليوني سوى أن نابليون بونابرت كان واثقا من إمكانية جيوشه على تحقيق النصر في بلاد الشام واحتلالها، الأمر الذي سوف يعطيه الوقت الكافي لإعادة اليهود إلى فلسطين العربية زاوية الاتصال الرئيسية بين عرب أسيا وافريقيا، ووضع كيان يهودي غاصب فيها تحت النفوذ والهيمنة الفرنسية من أجل أن يمنع التواصل الجغرافي بين عرب أسيا وعرب أفريقيا، ويمنع أيضا أي نوع من الوحدة أو الاتحاد بين الدول العربية لتحقيق أهدافه الاستعمارية بوراثة أقاليم الدولة العثمانية في العالم العربي، إلا أن المشروع الاستعماري النابليوني في المشرق العربي فشل فشلا ذريعا وتحطم أمام أسوار مدين عكا الفلسطينية والمقاومة الباسلة للشعب العربي الفلسطيني بقيادة والي عكا " أحمد باشا الجزار ".

وفي بريطانيا تبنى عدد كبير من السياسيين البريطانيين المشروع الاستعماري النبليوني بعد فشله بهزيمة الجيوش الفرنسية أمام أسوار مدينة عكا الفلسطينية، ففي العام الميلادي ١٨٤٢ أعد اللورد (شافتسبري) مشروعا مشابها لمشروع نابليون بونابرت أطلق عليه اسم (بلاد بدون أمة، لأمة بدون بلاد)، وقد حول الصهاينة هذا الشعار البريطاني إلى شعار

صهيوني وهو: " أرض بلا شعب، لشعب بلا شعب " وهذا يعني إعادة اليهود الذين هم شعب بلا أرض، إلى فلسطين العربية التي هي أرض بلا شعب.

وفي عهد رئيس الوزراء البريطاني اللورد " بالمرستون " الذي كان قريبا وصهرا للورد شافتسبري، وتبنى بالمرستون نفس المشروع الاستعماري في فلسطين العربية، ثم جاء بعد هؤلاء العديد من السياسيين البريطانيين الذين حملوا في جعبتهم أفكارا مشابهة لأفكار أسلافهم نذكر منهم على سبيل المثال بنيامين دزرائيلي وكامبل بنرمان وهنري مكماهون ومارك سايكس ولويد جورج، وقد توجت جهود هؤلاء السياسيين البريطانيين بإصدار وزير الخارجية البريطاني في حكومة لويد جورج " آرثر جيمس بلفور " نيابة عن حكومته لتصريحه المشهور المعروف باسمه " تصريح أو وعد بلفور " الذي وعد فيه اليهود بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين العربية متجاهلا تماما مصالح وحقوق الشعب العربي الفلسطيني على أرضه وأرض آبائه وأجداده.

انتقال اللاهوت البروتستانتي المتهود إلى الولايات المتحدة الأمريكية :

في أوائل القرن الميلادي السابع عشر انتقل اللاهوت المسيحي، البروتستانتي المتهود والمتصهين إلى الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق المهاجرين البروتستانت الأوائل من القارة الأوربية، وفي الحقيقة أن اللاهوت البروتستانتي المتهود صادف أرضا بكرا وخصبة في الولايات المتحدة الأمريكية، ووجد له فيها آذانا صاغية ولقي قبولا ورواجا كبيرا، فانتشر وتغلغل في المجتمع الأمريكي، وهذا اللاهوت البروتستانتي المتهود هو الذي انبثقت عنه أيضا صهيونية مسيحية في الولايات المتحدة الأمريكية، والصهيونية المسيحية الأمريكية تبنت أيضا نظرية التفسير الحرفي للنبوءات التوراتية التي تدعو إلى إعادة اليهود إلى فلسطين العربي وإنشاء دولة لهم فيها، وأن هذه الدولة (إسرائيل) سوف تلعب دورا هاما ومحوريا في مخطط السماء والأرض تمهيدا لقدوم المسيح المنتظر أو المجيء الثاني له، لقد راقت فكرة عودة المسيح للمسيحيين ورؤيته ثانية على سطح الأرض فنجحت البروتستانتية المتصهينة في استقطاب شرائح واسعة من المجتمع الأمريكي، وهيأت الأجواء والعقول في الولايات المتحدة الأمريكية لتقبل فكرة الدولة اليهودية في فلسطين العربية تمهيدا لعودة المسيح، وأصبحت عقيدة الصهيونية المسيحية من صميم العقائد الدينية

والفكرية والثقافية في الولايات المتحدة الأمريكية قبل ظهور الحركة الصهيونية اليهودية السياسية المرتزلية في العام الميلادي ١٨٩٧ بفترة طويلة.

ولقد درج كثير من الرؤساء الأمريكيين على إبداء تعاطفهم وتأييدهم لليهود ورغبتهم في رؤية الشعب اليهودي ثانية على أرضه في فلسطين العربية، فالرئيس الأمريكي " جون آدمز " على سبيل المثال أبدى رغبته في ذلك برسالة بعث بها إلى قنصله في مدينة تونس والمدعو (مردخاي مانويل) جاء فيها ما يلي :

" إنني أرغب حقا في رؤية اليهود ثانية في أرض يهوذا كأمة مستقلة".

وفي العام الميلادي ١٩١٧ وافق الرئيس الأمريكي " ودرو ويلسون " على تصريح بلفور قبل صدوره رغم أنه صاحب مبادئ حقوق الإنسان المشهورة التي تطالب بحق الشعوب في تقرير مصيرها، والرئيس الأمريكي " وارن هاردنج " عبر في العام الميلادي ١٩٢١ عن تأييده للحركة الصهيونية ومشروعها الاستعماري في فلسطين العربية، وكذلك الرئيس الأمريكي " كالفن كولدج " في العام الميلادي ١٩٢٢، وأيضا الرئيس الأمريكي " فرانكلن روزفلت "، وعندما وصل " هاري ترومان " إلى سدة الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية كان مؤيدا تأييدا سافرا وصريحا للحركة

الصهيونية وطالب علنا بفتح أبواب فلسطين العربية على مصاريعها أمام الهجرة اليهودية المنظمة، ثم جاء الرئيس الأمريكي " جيمي كارتر " وكان لا يخفي تأييدا قويا لدولة إسرائيل، وقد قال في خطاب له ألقاه أمام البرلمان الإسرائيلي (الكنيست) بمناسبة الاتفاق على معاهدة السلام المصرية ـ الإسرائيلية ما يلي :

" جسد من سبق من الرؤساء الأمريكيين الإيمان بأن جعلوا علاقات الولايات المتحدة الأمريكية بإسرائيل هي أكثر من علاقات خاصة، إنها علاقات فريدة لأنها متأصلة في ضمير الشعب الأمريكي نفسه وفي أخلاقه وفي دينه ومعتقداته، لقد أقام كل من إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية مهاجرون رواد، ثم أننا نتقاسم تراث التوراة ". (١١)

ثم جاء الرئيس الأمريكي " رونالد ريغان " الذي كان من أتباع الفرق القدرية السابقية وكان يؤمن إيمانا أعميا بعقيد المحرقة النووية أو معركة هرمجدون بل ويتمنى أن تندلع هذه المعركة وهو على قيد الحياة، وبالتالي كان مؤيدا للصهاينة ومتحمسا جدا لدولة إسرائيل، وفي العام الميلادي ١٩٧١ قال في حفل عشاء أقامه على شرف رئيس مجلس الشيوخ عن ولاية كاليفورنيا، وذلك بالطبع قبل وصوله للحكم في بلاده ما يلي :

" إن جميع النبوءات التي يجب أن تتحقق قبل هرمجدون قد مرت، ففي الإصحاح الثامن والثلاثين من سفر حزقيال جاء أن الرب سيأخذ أولاد إسرائيل من بين الوثنيين حيث سيكونون مشتتين، ويعودون جميعهم مرة ثانية إلى الأرض الموعودة، لقد تحقق ذلك بعد ألفي سنة، ولأول مرة يبدو أن كل شيء في مكانه بانتظار هرمجدون والمجيء الثاني للمسيح، إن حزقيال يقول أن النار والحجارة سوف تمطر على أعداء شعب الرب، إن ذلك يجب أن يعني أنهم سوف يدمرون بالسلاح النووي ". (١٢)

والحقيقة أنه ليس جميع الأصوليين الإنجيليين البروتستانت ولا أتباع المذاهب المسيحية الأخرى يؤمنون بالأفكار والنبوءات التوراتية، وإنما اقتصر هذا الأمر على شرائح مسيحية معينة فسرت نصوص التوراة تفسيرا عنصريا مشوها، فقد ظهر العديد من الشخصيات اليهودية الغير صهيونية وأيضا شخصيات مسيحية كثيرة لم تتفق مع هذه الجماعات فيما ذهبت إليه من خرافات، وهاجمت هذه الشخصيات الجماعات المسيحية المتهودة والمتصهينة، وفندت المزاعم الصهيونية، ففي المؤتمر المركزي للحاخامات اليهود الذي عقد في مدينة بتسبرغ في العام الميلادي ١٨٨٥ قرر ممثلو اليهودية الإصلاحية ما يلي :

" إن اليهود لا يشكلون قومية، وإنما فئة دينية فقط ". (١٣)

وفي المؤتمر المركز للحاخامات اليهود الذي عقد في العام الميلاد ١٨٩٧، أي في نفس العام الذي عقد فيه المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل السويسرية، قال الحاخام " إسحاق وايز " ما يلي :

" إن مكيدة بازل لم تكن سوى وهم طائش لأن مشروع الدولة يتناقض مع رسالة اليهود الدينية ذات النطاق العالمي ". (١٤)

وعندما صدر تصريح بلفور أعلنت ثلاثون شخصية يهودية معروفة في الولايات المتحدة الأمريكية بيانا جاء فيه ما يلي :

" في الوقت الذي تطرح فيه مسألة نظام الحكم المستقبلي في فلسطين أمام مؤتمر السلام المقبل، نحن الموقعين أدناه من المواطنين الأمريكيين، نعلن بصوت موحد معارضتنا لإنشاء دولة يهودية في فلسطين وفقا لاقتراحات المنظمات الصهيونية هنا وفي أوربا، كما أننا نعترض على عزل اليهود عن مجتمعاتهم وتميزهم إلى كيانات قومية في البلاد التي يعيشون فيها، ونشعر أننا نعبر عن إرادة الأغلبية في الجالية اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية سواء من ولد منهم هنا أو في بلاد أخرى، لكنهم عاشوا هنا فترة طويلة وانخرطوا تماما في المجتمع الأمريكي سياسيا واجتماعيا، ويمثل الصهيونيون في أمريكا حسب الإحصائيات المتوفرة لدينا نسبة ضئيلة من اليهود المقيمين في

هذا البلد، إذ يبلغ عددهم نحو مائة وخمسون ألف نسمة من مجموع ثلاثة ملايين ونصف المليون نسمة ". (١٥)

ومن الأصوات المسيحية الأمريكية التي اعترضت على تصريح بلفور، صوت وزير الخارجية الأمريكي " روبرت لانسنج " الذي أرسل مذكرة للرئيس الأمريكي ودرو ويلسون وقال فيها ما يلي :

" هناك ضغط كبير لإصدار بيان حول الموقف الذي ستتخذه الحكومة تجاه فلسطين، وهذا نابع من العنصر الصهيوني لليهود، وإنني أرى أن نتريث في إعلان سياستنا لثلاثة أسباب :

الأول: إننا لسنا في حالة حرب مع الدولة العثمانية، ولذا يجب علينا أن نتحاشى كل ما من شأنه أن يظهر أننا نؤيد أخذ أراضي بالقوة.

والثاني: أن اليهود ليسوا جميعا راغبين في إعادة جنسهم كشعب مستقل، ومن غير الممكن تفضيل فريق على آخر.

والثالث: أن كثير من الفرق المسيحية والمسيحيين سيغضبون حتما إذا وضعت الأرض المقدسة تحت السيطرة المطلقة للجنس الذي يعزي إليه موت المسيح ". (١٦)

ولكن الرئيس الأمريكي ودرو ويلسون لم يعد مذكرة وزير خارجيته أي اهتمام يذكر من جانبه، ومضى قدما في سياسته المؤيدة للصهيونية، ومن

المعروف أن الرئيس الأمريكي ويلسون كان قد اطلع على نصوص تصريح بلفور قبل صدوره ووافق على ما ورد فيه، وهذا في الواقع يعتبر تناقضا صارخا بين موقف الرئيس ويلسون من فلسطين وموقفه من الصهيونية وهو صاحب مبادئ حقوق الإنسان وحق الشعوب في تقرير مصيرها والتي أعلنها غداة انتهاء الحرب العالمية الأولى في العام الميلادي ١٩١٨.

وفي العصر الحديث أكد القس " كولينج تشابمان " في العام الميلادي ١٩٨٣ على التفسير الروحي للمسيحية الذي أبطل في الحقيقة أي وعد زمني أو سياسي، وركز على أن ما ارتكب بحق الشعب الفلسطيني لا يمكن أن تقبله أي ديانة سماوية أو وصية إلهية.

أما المفكرة الأمريكية " غريس هاليسل " فقد وصفت في العام الميلادي ١٩٨٦ القساوسة الإنجيليين المتصهينين بأنهم أصحاب مصالح ومنافع دنيوية أبعد ما تكون عن تعاليم المحبة التي نادى بها السيد المسيح عليه السلام قبل حوالي ألفي عاما، وأن هؤلاء القساوسة يتبنون عقيدة المحرقة النووية أو معركة هرمجدون حسب تفسيرهم المشوه والعصفي لعودة المسيح المنتظر، وفي العام الميلادي ١٩٧٧ كشفت إحدى الصحف الأمريكية أن واحدا من أقطاب القساوسة الأصوليين الإنجيليين البروتستانت هو القس

" بات روبرتسون " كان يستغل مكانته ونفوذه الديني كغطاء لأعمال شركة خاصة بالتنقيب عن الماس في جمهورية الكونغو.

٤-٣: المسيحية الكاثوليكية :

تعود الأهمية الدينية لفلسطين العربية للفاتيكان والكنيسة الكاثوليكية بصفة عامة إلى وجود الأماكن المقدسة للمسيحيين فيها، وهذه الأماكن المقدسة هي المتعلقة بمولد السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وحياته وبعثه ووفاته، وترى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية في نفسها ما يلي :

١ - أنها ممثلة السيد المسيح في الأرض.

٢ - أن رئيس هذه الكنيسة وهو بابا الفاتيكان هو خليفة القديس بطرس.

٣ - أن بابا الفاتيكان هو وكيل أو نائب السيد المسيح في الأرض.

واستنادا على المزايا سالفة الذكر يتمتع بابا الفاتيكان بسلطات قوية تمكنه من الهيمنة على حكومة مركزية في حاضرة الفاتيكان تسيطر على جميع الكنائس الكاثوليكية في العالم.

وكان الفاتيكان والكنائس التابعة له فيما مضى يعادون اليهود، وينظرون إلى الديانة اليهودية من المنطلقات التالية :

١ - إن كتاب العهد القديم هو مجرد مقدمة لكتاب العهد الجديد ـــ مجموعة الأناجيل ومجموعة أعمال الرسل ـــ.

٢ – أن الوعد الإلهي لبني إسرائيل انتقل من اليهود إلى كنيسة الرب الكاثوليكية التي أصبحت بالفعل إسرائيل الحقيقية.

٣ – إن إنكار اليهود للسيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، غضب عليهم الرب وكنوع من العقاب لهم شتتهم الرب في كافة أرجاء الأرض، وقد استمر هذا هو حال الكنيسة الكاثوليكية حتى حركة الإصلاح الديني البروتستانتي داخل الكنيسة الكاثوليكية في القرن الميلادي السادس عشر، ومنذ وفاة السيد المسيح تعرض اليهود لحملات عدائية واسعة النطاق من العالم المسيحي بتهمة صلب وقتل السيد المسيح عليه السلام، وكانت الكنيسة الكاثوليكية ترى أنه لا خلاص لليهود إلا باعتناقهم للديانة المسيحية.

وفي العصر الحديث بدأت علاقة الفاتيكان بفلسطين عندما احتلت الوقت البريطانية لمدينة القدس في العام الميلادي ١٩١٧ أثناء معارك الحرب العالمية الأولى " ١٩١٤ ــ ١٩١٨ "، حيث وجه بابا الفاتيكان بصفته قائد المسيحية الكاثوليكية في العالم نداء إلى أتباعه في العالم يطلب منهم تقديم صلاة الشكر للرب بمناسبة احتلال القوات البريطانية لمدينة القدس، وهذا يعني ضمنا ابتهاجه بانتهاء سلطان دولة الخلافة الإسلامية العثمانية عليها، وحين صدور تصريح بلفور في العام الميلايد ١٩١٧، وهو التصريح الذي وعد

الصهاينة بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين العربية، أبدى الفاتيكان استياء شديدا من هذا التصريح، ليس خوفا على مصالح الشعب العربي الفلسطيني وإنما خوفا من أن تقع الأماكن المسيحية المقدسة في فلسطين العربية تحت السيطرة والهيمنة البروتستانتية ــ اليهودية، وهذا ما حدث فعلا فقد احتلت بريطانيا البروتستانتية مدينة القدس في العام الميلادي ١٩١٧، وأكملت احتلالها لكافة الأراضي الفلسطينية في العام الميلادي ١٩١٨، وفي العام الميلادي ١٩٢٠ عينت بريطانيا اليهودي الصهيوني البريطاني هربرت صمويل كأول مندوب سام لها في فلسطين، وقد اتخذ هربرت صمويل خلال السنوات الخمس التي قضاها في منصبه كافة الإجراءات والشرائع الكفيلة بتهديد فلسطين العربية تمهيدا لإقامة الوطن القومي اليهودي فيها، وبذلك اكتملت الحلقة البروتستانتية اليهودية حول فلسطين وأماكنها المقدسة، وقد ازدادت الأمور سوء بالنسبة للشعب العربي الفلسطيني عندما وافق مجلس عصبة الأمم في العام الميلادي ١٩٢٢ بوضع فلسطين العربية تحت الانتداب البريطاني دون استشارة الشعب الفلسطيني ولا حتى بعلمه.

والحقيقة أن موقف الفاتيكان للقضية الفلسطينية كان مبهما وغامضا بل ومتناقضا في كثير من الأحيان، ففي الوقت الذي كان فيه بابا الفاتيكان يطلب من أتباعه تقديم صلاة الشكر للرب بمناسبة احتلال بريطانيا لمدينة

القدس، وكان ينظر إلى قيام حكم عربي في فلسطين أمر غير مرغوب فيه، إلا أنه كان يعارض بشدة وعد بلفور، ويفضل حكم عربي في الديار المقدسة على حكم يهودي فيها، لأن الأماكن المقدسة المسيحية في الديار المقدسة كانت في حوزة الحكم العربي الإسلامي ومن بعده حكم دولة الخلافة الإسلامية العثمانية وقد قامت الدولة الإسلامية بحماية المقدسات المسيحية طيلة قرون طويلة، ولكن قيام حكم يهودي في فلسطين العربية فهو أمر لا يمكن التنبؤ بأبعاده ومخاطره على المقدسات المسيحية، ومن المفارقات العجيبة في موقف الفاتيكان تجاه قضية فلسطين أنه بالرغم من معارضته للمشروع الصهيوني في فلسطين العربية وللهجرة اليهودية إليها، إلا أن هذا لم يكن يعني إطلاقا وقوف الفاتيكان إلى جانب العرب في تطلعاتهم القومية الوحدوية، فقد أبدى بابا الفاتيكان ارتيابا شديدا من مشروع سوريا الكبرى التي تضم سوريا وفلسطين ولبنان وشرقي الأردن، وأيضا من مشروع الهلال الخصيب، كما وأن موقفه من تأسيس جامعة الدول العربية في الثاني والعشرين من آذار / مارس من العام الميلادي ١٩٤٥ تميز بالسلبية.

ولقد اعتادت الحركة الصهيونية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية على التقرب من حاضرة الفاتيكان لدعم موقفها بإبداء في الأوساط الفاتيكانية بأنه لا يوجد تعارض بين المطامع الصهيونية في فلسطين والمصالح المسيحية العليا

ومصالح الكنيسة الكاثوليكية بصفة خاصة بينما لم يتطرق البابا بيوس الثاني للمواضيع السياسية الحساسة عند مقابلته لوفد فلسطيني واكتفى بإدانة العنف والدعوة للسلام، وبعد إصدار قرار تقسيم فلسطين عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في العام الميلادي ١٩٤٧، سافر وفد فلسطيني لمقابلة بابا الفاتيكان لطلب دعمه ومساعدته في إحباط هذا المشروع، إلا أن بابا الفاتيكان لم يبد تجاوبا مع الوفد الفلسطيني لأنه لم يكن مستعدا لدعم حركات التحرير الفلسطينية، أو يدعم الشعب الفلسطيني في حقه في تقرير مصيره، وكان بابا الفاتيكان يفضل أن تقوم دولة ما لا عربية ولا يهودية بحكم فلسطين العربية !

ويبدو أن موقف بابا الفاتيكان من قضية الشعب العربي الفلسطيني كان نابعا من التالي :

١ – النفوذ الأمريكي الضاغط على بابا الفاتيكان، ومن المعروف أن الولايات المتحدة الأمريكية كان مؤيدا للصهيونية، ومتعاطفا مع مشروعها الاستعماري الاستيطاني الإحلالي في فلسطين العربية.

٢ – خشية بابا الفاتيكان من انتشار الشيوعية بين عرب فلسطين.

٣ – خشية باب الفاتيكان من اتهام الصهاينة له باتهامات باطلة تهدد مركزه الديني مثل تغاضي الفاتيكان عن مقتل آلاف اليهود إبان الحقبة

النازية، واقدامه بمعاداة السامية وابتزازه للحصول على مكاسب سياسية معينة.

إلا أن الصهاينة استمروا في محاولاتهم مع بابا الفاتيكان حتى حصلوا على هذه المكاسب السياسية ومن أهمها ما يلي :

١ -- تبرئة اليهود من صلب السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.

٢- التوقف عن لعن اليهود في الصلوات التي تقام في الكنائس الكاثوليكية.

٣ -- عدم تسمية اليهود والإشارة إليه بالشعب قاتل الرب، لأن هذا الأمر هو سبب اضطهاد اليهود والكراهية والعداء لهم.(١٧)

وبعد قيام دولة إسرائيل في العام الميلادي ١٩٤٨، فإن كل ما أزعج الفاتيكان هو تهجير ٧٥ % من المسيحيين الفلسطينيين، وأبدى اهتماما نسبيا بشأنهم وقدم مساعدات إغاثة لهم متجاهلا بقية طوائف الشعب الفلسطيني، وقد أبدى الفاتيكان قلقه من عدم نجاح مساعيه في تدويل مدينة القدس، ومن انتهاك الصهاينة لممتلكات الكنائس من أديرة وأوقاف بالعبث والسرقة إضافة إلى تشريد العديد من الكهنة، والحقيقة أن الانتهاكات الصهيونية لحرمة الأماكن المقدسة المسيحية كثيرة، بعضها تم قبل قيام دولة

إسرائيل، والكثير منها حدث بعد قيامها وبخاصة بعد توحيد مدينة القدس تحت السيطرة الإسرائيلية عقب الحرب العربية – الإسرائيلية الثالثة في العام الميلادي ١٩٦٧، وقد تميزت الاعتداءات الإسرائيلية على الأماكن المقدسة المسيحية بالأمور التالية :

أولاً: الإزعاج بالتحقير للمقدسات، وبالضغوط الشديدة على رجالات الطوائف المسيحية الكبيرة لإجبارها على التنازل عن مساحات كبيرة من أراضيها وعقاراتها في القدس، سواء بالبيع المباشر أو الإجارة طويلة الأجل، وبإرهاب رجال الدين والأفراد على الزوج، فعلى صعيد الإزعاج والتحقير للمقدسات، فإن كنيسة القيامة وهي أكبر كنيسة مسيحية في القدس، كما تعتبر من أهم الكنائس في العالم، تعرضت خلال سبع سنوات بعد هيمنة إسرائيل على كامل القدس للحوادث التالية :

١ – سرقة تاج السيدة العذراء في أواخر عام ١٩٦٧ من قبل بعض الإسرائيليين.

٢ – تحطيم قناديل الزيت والشموع التي فوق القبر المقدس في مدخل الكنيسة بتاريخ ٢٤ / ٣ / ١٩٧١ من قبل إسرائيلي أمريكي.

٣ – محاولة سرقة إكليل مرصع بالماس قائم قرب صليب الجلجلة داخل كنيسة القيامة من قبل ثلاثة إسرائيليين ليلا، واعتداؤهم على راهب فرنسيسكاني والتسبب بإلحاق ضرر بالغ به.

٤ – تعرض دير الأقباط، ليلة عيد الفصح في ٢٥ / ٤ / ١٩٧٠ إلى اعتداء على ممتلكاته ورهبانه من قبل عدد كبير من رجال البوليس الإسرائيلي.

٥ – إحراق بعض الإسرائيليين في ٦ / ٢ / ١٩٧٣ للمركز الدولي للكتاب المقدس على جبل الزيتون.

٦ – إحراق أربعة مراكز مسيحية في القدس بتاريخ ١١ / ٢ / ١٩٧٤.

ثانيا: وعلى صعيد استملاك إسرائيل عقارات الأديرة المسيحية بضغوط شديدة خسرت الأديرة المواقع الهامة التالية :

١ – أراضي أحياء المعلبة والقطمون وكرم الرهبان، وكلها أجرتها بطريركية الروم الأرثوذكسي للسلطات الإسرائيلية لمدة ٩٠ سنة، وقد أقيمت على هذه الأراضي أحياء يهودية متعددة، ومن المعلوم أن بطاركة هذه الطائفة من اليونان.

٢ – مدرسة شنلر الألمانية، المعروفة باسم مدرسة الأيتام السورية، ومعها مساحة واسعة من الأرض والمباني، وقد اضطرت الجمعية الخيرية الألمانية التي تملكها إلى بيعها لسلطات الاحتلال بالتهديد والوعيد.

٣ – أراضي الكنيسة الروسية البيضاء والمعروفة بالمسكوبيه، وتضم مساحة واسعة من الأرض وعددا من العمارات الضخمة، وجميعها تنازلت عنها الكنيسة الروسية البيضاء للسلطات الإسرائيلية تحت التهديد.

٤ – أراضي وعقارات متعددة، من بينها عمارة فندق فاست العائدة ملكيتها لبطريركية الأرمن بالقدس، وقد باعتها للسلطات الإسرائيلية تحت التهديد.

ثالثا: على صعيد إرهاب رجال الدين المسيحي :

١ – اعتقال القس إيليا خوري، راعي الكنيسة الإنجيلية الأسقفية العربية في رام الله بتاريخ ٣ / ١ / ١٩٦٩، وتعرضه لتعذيب نفساني متواصل لمدة ٤٥ يوما ثم إبعاده إلى عمان بتاريخ ١٦ / ٤ / ١٩٧٠.

٢ – اعتداء فوج من رجال الشرطة الإسرائيلية على رهبان دير الأقباط بالقدس بالضرب ليلة عيد الفصح بتاريخ ٦ / ٢ / ١٩٧٣.

٣ – اعتدى إسرائيليين بالضرب الشديد على المطران فاسيلوس الرجل الثاني في بطريركية الروم الأرثوذكسي يوم ٦ / ٢ / ١٩٧٣.

٤ – اعتقال المطـران الكـاثوليكي إيلاريـون كبوشـي بتـاريخ ٨ / ٨ / ١٩٧٤، ثم الحكم عليه بتاريخ ٩ / ١٢ / ١٩٧٤ بالسجن لمـدة ١٢ عاما ثم الإفراج عنه بعد تدخل الفاتيكـان بتـاريخ ٦ / ١١ / ١٩٧٧ وجرى إبعاده على الفور.

٥ – تضييق الخناق على المسيحيين بالقدس، الأمر الذي دفع الآلاف منهم للنزوح. (١٨)

وبالرغم من الجرائم الإسرائيلية المنكرة بحـق الأمـاكن المسـيحية المقدسة في فلسطين العربية، فإن قيادة المسيحية الكاثوليكية ممثلة في بابا روما أحدثت ثورة حقيقية في تعاليم اللاهوت الكاثوليكي بتبرئة اليهـود مـن دم السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، ففي شهر تشرين الأول / أكتوبر من العام الميلادي ١٩٦٣ نشرت صحيفة نيويورك تايمز ما يلي :

" إن سكرتارية لجنة الدعوة للوحـدة النصـرانية الـتي يرأسـها الكاردينال أوغستين بيا ستوزع على الفاتيكان مؤتمر الفاتيكان تصريحا بتبرئة اليهود من مسئولية سفك دم المسيح ". (١٩)

كان هذا الإعلان بمثابة التبرئة الأولى لليهود من دم السيد المسـيح عيسى بن مريم عليه السلام على عكس ما هو متوارث في الفكر اللاهـوتي الكاثوليكي، وفي الرابع عشر من تشرين الأول / أكتوبر من العام المـيلادي

١٩٦٥، صدرت وثيقة ثانية عن المجمع المسكوني تبرأ اليهود أيضا من دم السيد المسيح.[٢٠]

وفي الرابع والعشرين من حزيران / يوليو من العام الميلادي ١٩٨٥، صدرت وثيقة ثالثة عن لجنة العلاقات الدينية مع اليهود، برأت اليهود في الأجيال كلها من دم السيد المسيح، وقد تضمنت هذه الوثيقة تعليمات مشددة لرجال الدين الكاثوليك والكنائس الكاثوليكية وأيضا للمؤرخين والمدرسين وقطاعات الكنيسة الكاثوليكية كافة بشأن التعامل مع اليهود.[٢١]

والمسلمون في الحقيقة متأكدون من أن اليهود لم يقتلوا السيد المسيح عليه السلام ولم يصلبوه، فقد برأهم الله تعالى في كتابه العزيز ونفى عنهم هذه التهمة، إلا أن تبرئة الله تعالى لليهود من دم السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام لم تكن لنفي الله تعالى تهمة الإجرام والهمجية والقسوة والبربرية عن اليهود، فهم وكما هو معروف جيدا قتلوا بوحشية عشرات الأنبياء من قبله، ونفى الله تعالى عن اليهود تهمة دم السيد المسيح لم تكن أيضا لتجريدهم من زعمهم القائل بأنهم قادرون على قتل أي إنسان والتخلص منه حتى لو كان ابن الرب نفسه بالمفهوم اللاهوتي المسيحي، فهم قد خططوا واعتقلوا السيد المسيح وسجنوه، ثم حاكموه وأصدروا عليه بالفعل حكما بالموت،

وأعدوا العدة لذلك وعقدوا العزم على التنفيذ يوم عيد الفصح اليهودي، إلا أن الله تعالى تدخل في الوقت المناسب، ورفعه معززا مكرما إلى السماء قبل أن تصل إليه أيدي اليهود النجسة، وقد خيل لليهود أنهم صلبوا وقتلوا السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، إلا أن الحقيقة غير ذلك تمام، فالذي صلب وقتل هو شبيهه الذي عرف فيما بعد بأنه تلميذه الخائن " يهوذا الإسخريوطي " يقول الله عز وجل في كتابه العزيز :

" وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا إتباع الظن وما قتلوه يقينا ـ بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما". (٢٢)

واختصارا لما تقدم من الممكن القول ما يلي :

١ – كانت الكنيسة الكاثوليكية فيما مضى من الزمن الغابر وحتى القرن الميلادي السادس عشر تنظر لليهود كمارقين وقتله ابن الرب عيسى بن مريم بالمفهوم اللاهوتي المسيحي، ولم تكن الكنيسة الكاثوليكية تعترف بأي حق لليهود في العودة إلى فلسطين بعد أن طردهم الرومان منها في القرن الميلادي الأول، أما نبوءات كتاب العهد القديم التي تتحدث عن عودة اليهود إلى فلسطين، فقد كانت الكنيسة الكاثوليكية تؤمن بأن هذه العودة قد

تمت فعلا بعودة اليهود من الأسر البابلي بعد احتلال القائد الفارسي قورش الثاني لفلسطين في عام ٥٣٨ قبل الميلاد، ولا توجد في أسفار العهد القديم نبوءات جديدة تدل على عودة جديدة لليهود إلى فلسطين، وبالتالي لم يعد لليهود أي أمل أو حق بانتظار الفداء والخلاص من الشتات، إذ وضع الله تعالى حدا لوجودهم كأمة، ولم يعد أمامهم من سبيل للخلاص سوى الخلاص الفردي باعتناقهم للديانة المسيحية، إذ لم تعد هناك إسرائيل الجغرافية يتحقق خلاصهم بالعودة إليها إلا إسرائيل الجديدة والحقة وهي الكنيسة الكاثوليكية.

٢ — في القرن الميلادي السادس عشر أحدث مارتن لوثر ثورته الدينية داخل الكنيسة الكاثوليكية وهي التي عرفت باسم " حركة الإصلاح الديني البروتستانتي التي رفعت القيود عن اليهود في أوربا، بل وأصبحت المفاهيم والمعتقدات التوراتية من صميم الفكر الديني البروتستانتي، وفي الواقع أن مارتن لوثر كان يهدف من وراء حركته الإصلاحية البروتستانتية تشجيع اليهود على التحول للديانة المسيحية، ولما فشل في ذلك احتضن فكرة عودة اليهود إلى فلسطين لكي يتخلص منهم نهائيا، وكان هذا بمثابة الإعلان عن مولد الصهيونية المسيحية التي ترمي إلى إعادة اليهود إلى فلسطين العربية، وإنشاء دولة لهم فيها بدعوى التمهيد لعودة المسيح المنتظر.

وفي القرن الميلادي السابع عشر بلغت الأفكار البروتستانتية قمة تطرفها في إعلاء شأن العهد القديم إبان الثورة البيوريتانية الكالفينية في إنجلترا، إذ أنها تبنت التفسير الحرفي المشوه للنصوص التوراتية وإعلاء شأن نصوص العهد القديم، وبذلك تهودت وتصهينت المسيحية البروتستانتية.

٣ – وفي القرن الميلادي السابع عشر انتقلت المسيحية البروتستانتية المتهودة والمتصهينة إلى الولايات المتحدة الأمريكية ووجدت فيها أرضا خصبة لنشر عقائدها وتعاليمها، وظهرت الصهيونية المسيحية أيضا في الولايات المتحدة الأمريكية وبالغت في دعمها وتأييدها للصهاينة لتحقيق هدفهم الرامي للعودة إلى فلسطين والبروتستانتية في الولايات المتحدة الأمريكي هي أعلى نسبة من الديانات الموجودة فيها، ويوضح الجدول رقم (١٢) توزيع الديانات المختلفة في الولايات المتحدة الأمريكية :

النسبة إلى عدد السكان	الديانة	مسلسل
٨٦–٩٠٪	المسيحية	١
٦٠–٦٢٪	أ– البروتستانتية	
٢٥–٢٧٪	ب– الكاثوليكية	
١٪	جـ– الأرثوذكسية الشرقية	
٢٪	الإسلام	٢
٢٪	اليهودية	٣
٢٪	ملحدون	٤
٢٪	لا دينيون	٥
٤٪	ديانات أخرى	٦

جدول رقم (١٢)

٤ – إن موقف الدول الأوربية والموقف الأمريكي من القضايا العربية ليس نابعا فقط من مواقف سياسية واستعمارية، وإنما ينبع أيضا من موقف ديني مسيحي متحيز إلى أبعد الحدود للصهاينة، وهذا من العقائد الدينية الثابتة للمسيحية البروتستانتية أو شرائح معينة منها التي تؤمن بالتفسير الحرفي المشوه للنبوءات التوراتية التي تربط عودة اليهود إلى فلسطين وإقامة دولة لهم فيها تمهيدا للمجيء الثاني للمسيح المنتظر.

٥ – إن العودة الحالية لليهود إلى فلسطين العربية ليست إطلاقا تحقيقا للنبوءات التوراتية الزائفة، وإنما هي عودة استعمارية استيطانية

إحلالية، وهي في الحقيقة شكل فن أشكال الاستعمار القديم في نزعه الأخير بغض النظر عما يروجه الصهاينة من أساطير وخرافات لتبرير اغتصابهم لأرض فلسطين العربية.

٤ – ٤: اللوبي اليهودي – الصهيوني في الولايات المتحدة الأمريكية :

كلمة لوبي (Lobby) هي كلمة في اللغة الإنجليزية تعني قاعة المدخل أو قاعة البهو أو الردهة الأمامية في الفنادق والمستشفيات والمسارح وغيرها، إلا أن هذه الكلمة أصبحت تستخدم الآن للإشارة إلى جماعات الضغط المختلفة كجماعات الضغط السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية والمهنية والإثنية... الخ.

وفي الواقع أن هناك نوعان من اللوبي التي تتعلق باليهود في الولايات المتحدة الأمريكية:

النوع الأول: هو اللوبي اليهودي الأمريكي.

والنوع الثاني: هو اللوبي الصهيوني الأمريكي.

تشير عبارة " اللوبي اليهودي الأمريكي " بمعناها المحدد إلى جماعات الضغط اليهودية على مراكز صنع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية ممثلة في اللجنة الأمريكية ــ الإسرائيلية للشئون العامة وتعرف في اللغة الإنجليزية بالعبارة التالية :

American Israeli Public Relation Committee

وتعرف اختصارا باسم " إيباك ــ AIPAC ".

وقد تأسست اللجنة الأمريكية ــ الإسرائيلية في العام الميلادي ١٩٥٩، إلا أن جذور تأسيس هذه اللجنة تعود للعام الميلادي ١٩٥١، عندما قرر المجلس الصهيوني ــ اليهودي في الولايات المتحدة الأمريكية في جميع المجالات لدولة إسرائيل التي كانت قد أنشأت حديثا في العام الميلادي ١٩٤٨، وقد تأسست لنفس الغرض في العام الميلادي ١٩٥٩ اللجنة الصهيونية ــ الأمريكية للشئون العامة التي تغير اسمها في العام الميلادي ١٩٥٩ أيضا إلى " اللجنة الأمريكية ــ الإسرائيلية للشئون العامة "، وتعرف اختصارا باسم " إيباك ".

ثانيا: اللوبي الصهيوني الأمريكي:

اللوبي الصهيوني ــ الأمريكي أقدم بكثير من حيث النشأة والتأسيس من اللوبي اليهودي الأمريكي، فالحقيقة أن هذا اللوبي تأسس على يد الأمريكي " ويليام بلاكستون، ١٨٤١ ــ ١٩٣٥ "، والغريب أن هذا الرجل لم يكن يهوديا على الإطلاق، وإنما كان في واقع الأمر مسيحيا متصهينا ولد لأسرة مسيحية من أتباع الكنيسة المنهجية،[٢٤] ومنذ أن كان صبيا يافعا تولع بقراءة كتاب العهد القديم وأبدى تحمسا شديدا للنبوءات الدينية التي وردت في نصوص هذا الكتاب والتي تتحدث بصفة خاصة عن

عودة اليهود إلى فلسطين العربية، وربط هذه العودة ربطا وثيقا بعودة المسيح المنتظر أو مجيئه الثاني وفي العام الميلادي ١٨٩١ قدم ويليان بلاكستون التماسا للرئيس الأمريكي بنيامين هاريسون يطلب منه أن تتدخل الولايات المتحدة الأمريكية بثقلها ووزنها العالمي من السعي إلى إعادة اليهود من الشتات إلى فلسطين العربية تمهيدا لعودة المسيح المنتظر، وطالب ويليام بلاكستون الرئيس الأمريكي بإعطاء أرض فلسطين لليهود كما أعطت الدول الكبرى بلغارية للبلغاريين وصربيا للصرب، وبذلك ولدت الصهيونية المسيحية الأمريكية قبل مولد الصهيونية اليهودية بوقت طويل.

والحقيقة أن ويليام بلاكستون، ذلك المسيحي المتصهين هو مجرد واحد من عدد كبير من المسيحين الصهيونين الذين سروا جدا وابتهجوا كثيرا بالنبوءات التوراتية الزائفة التي تحدث عن عودة المسيح المنتظر على أساس أنه هو ذاته عيسى بن مريم عليه السلام، وودوا أن يحدث هذا الحدث العظيم في حياقم لكي يروا السيد المسيح ثانية وهو يمشي في الطرقات الضيقة لمدينة القدس العتيقة متوجها إلى المعبد، ثم يلتفون حوله للإصغاء لتعاليمه ونصائحه، وفي آخر النهار يجلسون معه على مائدة الطعام لتناول العشاء.

أليس هذا مثيرا ؟

ولكن...

– ألم يخطر ببال أحد من المسيحيين الصهاينة، ماذا سيفعل اليهود بالمسيح المنتظر ؟

– وهل المسيح الذي سوف يأتي هو حقا عيسى بن مريم عليه السلام؟

– أم هو مسيح آخر ؟

– ولماذا يأتي المسيح عيسى بن مريم عليه السلام أصلا مرة ثانية؟

– هل ليحاول اليهود قتله مرة أخرى ؟

في الواقع يا سادة أن اليهود ينتظرون قدوم مسيحهم هم ا، وليس مسيح النصارى الذي جاء قبل ألفي عاما، ولم يؤمن اليهود وقتئذ به ولا برسالته، وبسببهم المباشر انتهى وجوده في هذه الدنيا وهو لا يزال في ريعان الشباب بقتله صلبا أو برفعه معززا مكرما إلى السماء كما في الفكر الإسلامي.

إن اليهود لا ينتظرون مسيحا من طراز عيسى بن مريم عليه السلام، إنما ينتظرون مسيحا مجرما سفاحا تقطر يداه من دماء الأطفال والنساء والشيوخ، ويأتي على متن طائرة عسكرية أمريكية أو دبابة أمريكية الصنع ليعيد لهم أمجادهم المزعومة في فلسطين العربية.

والحقيقة أننا نحن كمسلمين نؤمن إيمانا قاطعا أن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم هو النبي الخاتم، خاتم الأنبياء والمرسلين ولا نبي أو رسول بعده، وهذه عقيدة ثابتة في الديانة الإسلامية.

فلماذا نصدق اليهود أو غيرهم فيما يذهبون إليه ؟

ولماذا يأتي المسيح عيسى بن مريم عليه السلام إلى الأرض ثانية؟

وفكرة المسيح المنتظر عند اليهود ليست فكرة يهودية في الأساس، وإنما هي فكرة مقتبسة من فكرة " المخلص " في الديانة الزرادشتية المجوسية التي كانت تنتظر من يأتي ويخلصها، ومن الغريب أن فرق إسلامية معينة أخذت عن اليهود هذه الفكرة وحورتها وطورتها حسب معتقداتها وتنتظر من يأتي ويأخذ بيدها ويحقق لها ما تصبوا إليه، والواقع أن مليارات من البشر في كافة أرجاء الأرض لا ينتظرون أحد.

اللجنة الأمريكية ــ الإسرائيلية للشئون العامة " إيباك "

إن اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشئون العامة (إيباك) هي لجنة مسجلة بصفة رسمية في الولايات المتحدة الأمريكية كجماعة ضغط يهودية للقيام بمهمة الدعاية لدولة إسرائيل باسم الطائفة اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية [٢٥]، وتعمل هذه اللجنة في المجالات التالية :

١ – التركيز على أهمية إسرائيل بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، وإظهارها بمظهر الواحة الحضارية والديمقراطية المتقدمة والوحيدة في الشرق المتخلف بالإضافة إلى أنها حامية للمصالح الإستراتيجية الأمريكية في المنطقة العربية بما لديها من قدرات وتقنيات عسكرية فائقة تشكل منظومة ردع إسرائيلية قوية ضد الدول العربية، فضلا على أنها تستطيع أن تقف حجر عثرة أمام الزحف الشيوعي في المنطقة العربية والشرق الأوسط زمن الحرب الباردة وقبل انهيار الاتحاد السوفيتي السابق، ثم أنها تستطيع أن تساعد في الوقت الراهن في القضاء على ظاهرة الإرهاب في الشرق الأوسط وفي أماكن أخرى، حيث أن هذا الإرهاب موجه أصلا للولايات المتحدة الأمريكية ومصالحها في العالم.

٢ – توحيد عمل العشرات من الجمعيات والتنظيمات والهيئات الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية مثل المنظمة الصهيونية الأمريكية والتحالف العمالي الصهيوني، ومنظمة النساء الصهاينة في أمريكا، والمجلس الاستشاري القومي لعلاقات الجماعة اليهودية، والمؤتمر اليهودي العالمي، والمؤتمر اليهودي الأمريكي وغيرها، وذلك من أجل نصرة دولة إسرائيل والعمل على تقدمها ورقيها في كافة الأصعدة والمجالات.

٣ – الضغط على مراكز صنع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية لتأييد دولة إسرائيل ودعمها دعما مطلقا في الميادين المالية والسياسية والعسكرية والإعلامية من أجل أن تتفوق على جميع جيرانها العرب، إضافة إلى ضمان عدم قيام الإدارة الأمريكية بأي أعمال أو تتخذ أي قرارات من شأنها الإضرار بالمصالح الإستراتيجية لدولة إسرائيل.

٤ – تمويل الحملات الانتخابية لمرشحي الرئاسة الأمريكية وغيرها من الانتخابات الأمريكية مثل انتخابات حكام الولايات وعمد المدن والكونجرس على أمل أن يدعم هؤلاء مواقف دولة إسرائيل في حالة فوزهم بهذه الانتخابات.

٥ – توجيه أصوات اليهود الأمريكيين الانتخابية لصالح مرشح الرئاسة الأمريكية الذي يتوقع منه الصهاينة مد يد العون والمساعدة والتأييد لدولة إسرائيل ويتوسمون فيه الخير في العمل على تقدمها ورفاهيتها، وأن تبقى لها دائما اليد الطولى والقوية في منطقة الشرق الأوسط.

ويعتقد البعض أن تأثير اليهود على مراكز صنع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية من الممكن أن يكون نابعا من التالي :

١ – رؤوس الأموال اليهودية: من المعروف أن اليهود من الطوائف الثرية جدا في المجتمع الأمريكي، إلا أن رؤوس الأموال اليهودية لا تشكل

سوى نسبة ضئيلة جدا من رأس المال الأمريكي الهائل والعملاق، إضافة إلى عدم وجود أي أثر لرأس المال اليهودي في كثير من الصناعات الرئيسية في الولايات المتحدة الأمريكية مثل صناعة السيارات وصناعة الحديد والصلب، وكذلك المصارف المالية التي غالبا ما تكون بيد البيض أو الواسب. (٢٦)

٢ – والحقيقة أن الإعلام الصهيوني له وزنه وثقله في الولايات المتحدة الأمريكية، إلا أنه يقف قزما بجانب المنظومة الإعلامية الأمريكية الجبارة، وهناك دلائل تشير إلى تراجع الإعلام الصهيوني في الولايات المتحدة الأمريكية في العقدين الأخيرين، وأن عدد اليهود الذين التحقوا بالمجال الإعلامي أقل بكثير من المواطنين الأمريكيين من غير اليهود في هذا المجال.

٣ – أما بالنسبة للأصوات الانتخابية اليهودية وتأثيرها في انتخابات الرئاسة الأمريكية، فالحقيقة أن اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية يشكلون فقط نسبة ضئيلة جدا من المجتمع الأمريكي، ونسبة أصواتهم الانتخابية تشكل فقط ٢,٤ % من مجموع الناخبين الأمريكيين، وبالرغم من ذلك فإن أصوات اليهود الانتخابية لها ثقلها ووزنها وأهميتها في الانتخابات الرئاسية الأمريكية، وأهم ما يميز اليهود عن غيرهم من الأقليات في الولايات المتحدة الأمريكية ما يلي :

أ – يتمتع اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية بقدر وافر من الغنى والثراء، الأمر الذي يجعلهم يتبرعون بأموال طائلة لتمويل الحملات الانتخابية لمرشح الرئاسة الأمريكية الذي يرونه مناسبا لمصالحهم وأهدافهم.

ب – يتمتع اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية بنسبة عالية من التعليم إن لم تكن أعلاها على الإطلاق، ويوجد بينهم العدد الوافر من العلماء والمفكرين والأدباء والسياسيين والفنانين والفلاسفة الأمر الذي يجعلهم ملتزمين بالإدلاء بأصواتهم في انتخابات الرئاسة أو غيرها من الانتخابات الأمريكية من منطلق أنه واجب قومي، إذ أن نسبة التصويت بينهم تصل نحو ٩٤ % من عددهم الكلي في مقابل ٥٤ % للناخبين من الطوائف الأخرى، وهذا يجعل أصوات اليهود الانتخابية لها وزن وثقل لا يمكن تجاهله، إضافة إلى أن تمركز اليهود السكاني في بعض الولايات والمدن الأمريكية مثل نيويورك وواشنطن العاصمة ونيوجيرسي وكاليفورنيا وبنسلفانيا وإلينوي يلعب دورا هاما وحاسما في نتائج انتخابات الرئاسة الأمريكية.

ويذهب البعض إلى التقليل من أهمية اللوبي اليهودي والصهيوني في الولايات المتحدة الأمريكية، لأن القرارات العليا للإدارة الأمريكية تتحكم فيها المصالح الإستراتيجية الأمريكية بالدرجة الأولى، والمصالح الإستراتيجية

الأمريكية والسياسية الأمريكية تخضع لعملية مؤسسية معقدة البنيان والتركيب وليس باستطاعة أي أقلية من الأقليات مهما كان نوعها وأهميتها ووزنها السيطرة على مراكز صنع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية أو التحكم فيها، ومن هذا المنطلق فإن اليهود أو غيرهم من الأقليات المتواجدة في الولايات المتحدة الأمريكية مثل الأمريكيون من أصل ايرلندي أو أسباني أو إيطالي أو فرنسي الذين يفوقون اليهود بكثير من الناحية العددية وربما من الناحية المادية أيضا أن يتحكموا في مراكز صنع القرار الأمريكي، فلا اليهود أو غيرهم من الأقليات يستطيعون أن يفعلوا ذلك إلا في حالة واحدة فقط وهي إذا كانت المصالح الإستراتيجية الأمريكية تلتقي بنسبة كبيرة مع مصالح هذه الأقليات كما يحدث في الصراع العربي ـ الإسرائيلي الآن.

والحقيقة أن اللوبي اليهودي واللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة الأمريكية يقفان عاجزان ومشلولان عن تقديم أي فعل إيجابي لليهود أو لدولة إسرائيل في كثير من الأحيان إذا ما كانت المصالح الإستراتيجية الأمريكية العليا لا تتفق مع ما يطلبه اليهود ودولة إسرائيل، ويعطي الدكتور عبد الوهاب المسيري بعض الأمثلة على ذلك في كتابه " اليد الخفية ـ دراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسرية " نختار منها الأمثلة التالية باختصار :

١ – قضية المواطن الأمريكي اليهودي " جوناثان بولارد " الذي قبض عليه في الولايات المتحدة الأمريكية بتهمة التجسس لحساب دولة إسرائيل، وقد سبب هذا الحادث توترا شديدا في العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية ودولة إسرائيل، وبسبب هذا الحادث ثارت ثائرة اليهود الأمريكيين على إسرائيل، وكان رد الإدارة الأمريكية حاسما ورادعا، فحكم على جوناثان بولارد بالسجن لمدة عشرين عاما، ولم يتمكن اللوبي اليهودي واللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة الأمريكية من فعل أي شيء لهذا الجاسوس، ولم توافق الإدارة الأمريكية في عهد الرئيس جورج بوش الأب وأيضا في عهد الرئيس بل كلينتون الإفراج عن هذا الجاسوس اليهودي لأن ما فعله يهدد المصالح الإستراتيجية العليا للولايات المتحدة الأمريكية.

٢ – وقصة الطائرة العسكرية الإسرائيلية " لافي " التي كان مقررا إنتاجها محليا في دولة إسرائيل بدعم ومساعدة مالية وتقنية أمريكية، وعندما وجدت الإدارة الأمريكية أن مشروع إنتاج الطائرة لافي في إسرائيل سوف يضر بالمصالح الإستراتيجية العليا لأمريكا في ميدان صناعة الطائرات الحربية، قامت بإلغاء مشروع الطائرة لافي برمته.

٣ – أثناء حرب الخليج الأولى طلبت الإدارة الأمريكية من دولة إسرائيل عدم الرد على الهجمات الصاروخية العراقية في عهد الرئيس العراقي الراحل صدام حسين، لأن ردها على الصواريخ العراقية سوف يحرج موقف الولايات المتحدة الأمريكية أمام حلفائها العرب، ويظهر دولة إسرائيل وكأنها مشاركة في المعارك الحربية ضد العراق الذي كان يحظى بتأييد عربي كبير، واشتراك إسرائيل في المعارك ضده أمر سوف لا يقبله الشارع العربي إطلاقا، وعلى إسرائيل أن تتحمل نتائج ضربها بالصواريخ العراقية، واكتفت الولايات المتحدة الأمريكية بتزويد إسرائيل بأطقم بطاريات من صواريخ " باتريوت " أمريكية الصنع المضادة للصواريخ بقيادة ضابط يهودي أمريكي لحماية الأجواء الإسرائيلية من هجمات الصواريخ العراقية.

ومما لا شك فيه أن المواقف الأمريكية غالبا ما تكون إلى جانب دولة إسرائيل وخاصة إذا ما كان الأمر يتعلق بالصراع العربي ـ الإسرائيلي وهذا ليس بسبب اللوبي اليهودي واللوبي الصهيوني الضاغط في الولايات المتحدة الأمريكية على مراكز صنع القرار فيها، وإنما بسبب تطابق المصالح الإستراتيجية الأمريكية مع مصالح الكيان الصهيوني الغاصب في فلسطين العربية، والانحياز الأمريكي لإسرائيل سياسة أمريكية ثابتة مهما تقلب على أمريكا من رؤساء، وهذا نابع من اليقين الأمريكي من قدرة إسرائيل على

حماية المصالح الإستراتيجية الأمريكية في المنطقة العربية، ومقدرتها علـــى ردع الشعوب والأنظمة العربية المناوئة للولايات المتحدة الأمريكية، فضلا على أنها الواحة الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط، وفوق كل هذا وذاك وقوف إسرائيل في موقف المتصدي للإرهاب في الشرق الأوسط، وفوق كل هـــذا وذاك وقوف إسرائيل في موقف المتصدي للإرهـــاب في الشـــرق الأوســـط وبخاصة الإرهاب الفلسطيني الذي يهدد الأمن الإسرائيلي الذي هـــو أمـــن الولايات المتحدة الأمريكية.

والانحياز الأمريكي لإسرائيل يكون على مستوى مؤسسة الرئاســـة الأمريكية، ومجلس النواب الأمريكي، وأيضا على مســـتوى الكونـــجرس الأمريكي، فأثناء انتفاضة الشعب الفلسطيني الثانيـــة أو انتفاضـــة الشـــعب الفلسطيني الثانية أو انتفاضة الأقصى التي اندلعت في العام الميلادي ٢٠٠٠ وبالرغم من جميع جرائم الإبادة الجماعية والتطهير العرقي الـــتي ارتكبتـــها إسرائيل بحق الشعب العربي الفلسطيني وبخاصة في مخـــيم جـــنين للاجـــئين الفلسطينيين أصدر مجلس النواب الأمريكي قراره رقم ٣٩٢ في الثاني من أيار / مايو من العام الميلادي ٢٠٠٢ وجاء فيه ما يلي :

" حيث أن الولايات المتحدة وإسرائيل تخوضان الآن نضالا مشتركا ضد الإرهاب، وهما في الخطوط الأمامية لنزاع أقحمنا فيه غصبا عنا ".

حيث أن مئات الإسرائيليين والفلسطينيين الأبرياء قضوا نتيجة العنف منذ أيلول / سبتمبر ٢٠٠١.

حيث أن منظمات فلسطينية تتورط في حملة إرهاب منظمة ومتعمدة تهدف إلى إيقاع أكبر عدد ممكن من الضحايا بين السكان الإسرائيليين بما في ذلك استخدام الاعتداءات الإرهابية الانتحارية.

حيث أن عدد الإسرائيليين الذين قتلوا خلال ذلك الوقت بالاعتداءات الإرهابية الانتحارية فقط وعلى أساس نسبي لسكان الولايات المتحدة يبلغ تسعة آلاف شخص، أي ثلاثة أضعاف الذين قتلوا في الاعتداءات الإرهابية على نيويورك وواشنطن في الحادي عشر من أيلول / سبتمبر في العام الميلادي ٢٠٠١.

حيث أن ياسر عرفات وأعضاء القيادة الفلسطينية فشلوا في التقيد بالتزاماتهم للأعنف التي نص عليها إعلان المبادئ بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية أو اتفاق أوسلو في أيلول / سبتمبر ١٩٩٣ تشمل تعهداتها :

١ – الالتزام الصارم لحل سلمي للنزاع.

٢ – حل كل المسائل العالقة المتعلقة بالوضع النهائي عن طريق التفاوض.

٣ – إدانة استخدام الإرهاب وغيره من أشكال العنف.

٤ – تحمل مسئولية جميع عناصر منظمة التحرير الفلسطينية وموظفيها بغية تأكيد امتثالهم ومنع العنف وتأديب المنتهكين.

حيث أن الإرهاب المتواصل والتحريض الذي ترتكبه وتدعمه أدوات رسمية للسلطة الفلسطينية هو انتهاك مباشر لهذه الالتزامات.

حيث أن كتائب شهداء الأقصى التي هي جزء من حركة فتح التابعة لعرفات، والتي صنفتها الولايات المتحدة " منظمة إرهابية أجنبية " وغيرها من قوات فتح، قد قتلت عشرات من الأبرياء الإسرائيليين.

حيث أن القوات الخاضعة مباشرة لسيطرة ياسر عرفات كانت متورطة في المحاولة الفاشلة للسلطة الفلسطينية للحصول على خمسين طنا من الأسلحة الهجومية شحنت من إيران على سفينة كارين ـــ آي، وهذه محاولة لبتت بما لا يرقي إليه الشك أن عرفات يتبنى استخدام تصعيد العنف.

حيث لدى حكومة إسرائيل وثائق وجدت في مكاتب السلطة الفلسطينية تظهر الدعم المالي الأساسي الذي تواصل السلطة الفلسطينية تقديمه للأعمال الإرهابية بما فيها العمليات الانتحارية.

حيث أن التصعيد الأخير في الاعتداءات الفلسطينية والذي أدى إلى مقتل ٢٧ إسرائيليا خلال أسبوع الفصح، شمل تفجيرا انتحاريا في احتفال

ديني تسبب بمقتل ٢٧ وجرح أكثر من مائة إصابات بعضهم بالغة، وقد نفذه إرهابي معروف كانت إسرائيل طلبت من ياسر عرفات اعتقاله سابقا.

حيث أن الاعتداء الانتحاري حصل في الوقت الذي كان موفد الولايات المتحدة الجنرال أنتوني زيني يحاول التفاوض على وقف إطلاق النار يؤدي إلى معاودة المفاوضات السياسية بين الإسرائيليين والفلسطينيين.

حيث أنه قبل اعتداء الفصح، وافقت إسرائيل على اقتراحات زيني لوقف إطلاق النار ورفضها ياسر عرفات.

حيث أن ياسر عرفات يواصل التحريض على العنف عن طريق القول مثلا عن انتحاري الفصح " ربي امنحني شهادة كهذه ".

حيث أن لياسر عرفات ومنظمة التحرير الفلسطينية تاريخا طويلا من إعطاء تعهدات ضد الإرهاب ونقضها.

حيث أن الرئيس جورج بوش أعلن في جلسة مشتركة للكونجرس في ٢٠ أيلول / سبتمبر ٢٠٠١ أنه اعتبارا من هذا اليوم، أي دولة تواصل إيواء الإرهاب أو تدعمه ستعتبرها الولايات المتحدة نظاما معاديا.

حيث أن الرئيس بوش قال أخيرا أنه " يتفهم كليا حاجة إسرائيل إلى الدفاع عن نفسها " وأنه يقدر حقيقة أن الإسرائيليين شاهدوا موجة المفجرين الانتحاريين تأتي إلى قلب مدنهم وتقتل أبرياء.

حيث أن الرئيس بوش أعلن في خطابه في الرابع من نيسان / أبريل ٢٠٠٢، أن الوضع الذي يجد عرفات نفسه فيه اليوم هو من صنع يديه، وأن عرفات فوت فرصة وتاليا خان آمال الشعب الذي يفترض أنه يقوده، وأنه انطلاقا من فشله فإن الحكومة الإسرائيلية تشعر بأن عليها ضرب شبكات الإرهاب التي تقتل مواطنيها.

حيث أن العمليات العسكرية لإسرائيل هي جهد للدفاع عن نفسها ضد الفظائع التي لا توصف للإرهاب المتواصل، وتهدف فقط إلى تفكيك البنية التحتية للإرهاب في المناطق الفلسطينية، وهذا واجب اتخذه عرفات على نفسه وفشل في تحقيقه.

حيث أن عمليات الانسحاب الإسرائيلي اكتملت تقريبا لذا يقرر مجلس النواب :

١ – يقف متضامنا مع إسرائيل في ما تتخذ من خطوات ضرورية لتوفير الأمن لشعبها عن طريق تفكيك البنية التحتية للإرهاب في المناطق الفلسطينية.

٢ – يبقى ملتزما حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها، ويدعم مساعدة إضافية من الولايات المتحدة تعين إسرائيل في الدفاع عن نفسها.

٣ – يدين الموجه الأخيرة من التفجيرات الانتحارية الفلسطينية.

٤ – يدين الدعم الذي يوفره ياسر عرفات وغيره من أعضاء القيادة الفلسطينية للإرهاب.

٥ – يطالب السلطة الفلسطينية بأن تفي أخيرا بالتزامها بتفكيك البنية التحتية للإرهاب في المناطق الفلسطينية، بما في ذلك بنية تحتية كهذه مرتبطة بكيانات منظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الفلسطينية المرتبطة بياسر عرفات.

٦ – يبدي قلقا بالغا من أن أعمال عرفات ليست أعمال شريك مقبول للسلام.

٧ – يحض كل الدول العربية على إعلان معارضتها القاطعة لكل أشكال الإرهاب بما فيها التفجيرات الانتحارية.

٨ – يثني على قيادة الرئيس في معالجة النزاع الإسرائيلي ــ الفلسطيني وخصوصا جهود الإدارة في إشراك الدول في كل أنحاء المنطقة في إدانة الإرهاب ومنعه، وكذلك منع توسع النزاع.

٩ – يحض جميع الأطراف في المنطقة على بذل جهود كبيرة لتحقيق سلام عادل ودائم وشامل في الشرق الأوسط.

١٠ – يشجع المجتمع الدولي على اتخاذ إجراء لتوفير الحاجات الإنسانية للشعب الفلسطيني. (٢٧)

ولا يقل الكونــجرس الأمريكي تأييدا وتضامنا مع دولة إســرائيل، ففي قراره رقم ٢٤٧ الصادر في الثاني من أيار / مايو ٢٠٠٢ أقر ما يلي :

١ – يقف متضامنا مع إسرائيل وهي دولة مواجهة في الحرب علــى الإرهاب، في ما تتخذه من خطوات ضرورية لتوفير الأمن لشعبها عن طريــق تفكيك البنية التحتية للإرهاب في المناطق الفلسطينية.

٢ – يبقى ملتزما بحق إسرائيل في الدفاع عن نفسها.

٣ – يواصل مساعدة إسرائيل في تقوية دفاعاتها الوطنية.

٤ – يدين التفجيرات الانتحارية الفلسطينية.

٥ – يطالب السلطة الفلسطينية بأن تفي بالتزاماتها تفكيــك البنيــة التحتية للإرهاب في المناطق الفلسطينية.

٦ – يحض كل الدول العربية وخصوصا حلفاء الولايات المتحدة ــ مصر والعربية السعودية ــ على إعلان المعارضة ومقاطعــة لكــل أشــكال الإرهاب ولاسيما العمليات الانتحارية منه، وعلى العمــل بالتنســيق مــع الولايات المتحدة لوقف العنف.

٧ – يحض جميع الأطراف في المنطقة على بذل جهود كبيرة للتوصل إلى سلام عادل ودائم وشامل في الشرق الأوسط. (٢٨)

ومثال آخر على التحيز الأمريكي للصهاينة في دولة إسرائيل وهو الانتخابات الفلسطينية الأخيرة التي فازت بها حركة المقاومة الإسلامية " حماس " وقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية تأمل أن يفوز في هذه الانتخابات تيار سياسي معين يعمل على الساحة الفلسطينية ولهذا السبب اشترطت الولايات المتحدة أن تكون هذه الانتخابات حرة ونزيهة وديمقراطية على الطراز الأمريكي المعروف، وبالفعل تمت هذه الانتخابات بحرية ونزاهة وديمقراطية كما أرادت الولايات المتحدة وبشهادة جميع المراقبين الدوليين وفي مقدمتهم الرئيس الأمريكي السابق " جيمي كارتر " والحقيقة أن نتائج هذه الانتخابات كانت مخيبة لآمال الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل إذ فازت حركة حماس بهذه الانتخابات بصفتها هي وغيرها من فصائل المقاومة الفلسطينية حركات تحرير وطني مثل حركة التحرر الوطني الفرنسي إبان الغزو والاحتلال النازي لفرنسا خلال الحرب العالمية الثانية وليست حركات إرهابية خارجة على القانون كما تزعم إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية.

ومن أجل سواد عيون الصهاينة في فلسطين العربية وتعاطفا مع دولة إسرائيل لم تعترف الإدارة الأمريكية بحكومة حماس وطلبت من الاتحاد الأوربي أن يفعل ذلك أيضا، وقاطعوا جميعهم هذه الحكومة وجمدوا جميع المساعدات العينية والمادية عنها مما أدى إلى ما يلي : ·

١ – أزمة اقتصادية خانقة وخطيرة للشعب الفلسطيني مازال يعاني منها حتى يومنا هذا.

٢ – إحداث شرخ عميق بين مؤسسة الرئاسة الفلسطينية ورئاسة الوزراء لا يستفيد منها سوى الصهاينة.

٣ – التسبب في اقتتال فلسطيني – فلسطيني دامي ذهب ضحيته العشرات من أبناء الشعب العربي الفلسطيني.

ولكن...

– ألم تكن الانتخابات الفلسطينية الأخيرة حرة ونزيهة وديمقراطية كما أرادت الولايات المتحدة، وبشهادة الجميع ؟

– ألم يختار الشعب الفلسطيني حركة حماس لتمثيله ؟

– وإذا لم تكن حركة حماس انتخبت بطريقة ديمقراطية ؟

– فما هي الديمقراطية إذن، التي تريدها إسرائيل والولايات المتحدة منا ؟

علما بأن حركة حماس ليست معنية باتفاقيات أوسلو التي أبرمت بين منظمة التحرير الفلسطينية والكيان الصهيوني، وغير ملزمة بأي من بنوده، فضلا عن أنها ليست عضوا في منظمة التحرير الفلسطينية حتى الآن.

إن قضية اللوبي اليهودي واللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة رغم وجودهما فعلا، إلا أنها قضية مبالغ بها جدا وأخذت حجما وأهمية أكبر بكثير

من حجمها وأهميتها، وفي الواقع أن لعبة اللوبي اليهودي واللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة تروق للصهاينة فيها وأيضا في إسرائيل، ويروجون بشدة لها لأنها تعطيهم نوعا من الخشية والهيبة والقوة أمام العالم العربي وتحسن موقفهم التفاوضي وبخاصة وأنهم يعرفون تماما أن الفيتو الأمريكي في جيوبهم، ومن ناحية أخرى فإن السياسيين الأمريكيين تروق لهم هذه اللعبة أيضا، فهم بواسطتها يحاولون الظهور أمام الرأي العام العربي بمظهر القديسين الأبرياء ضحايا اللوبي اليهودي واللوبي الصهيوني في بلادهم، إلا أن الحقيقة غير ذلك تماما، فهم يحاولون بهذا إخفاء وجههم القبيح ويمررون ما يشاءون لإسرائيل، فالقرار الأمريكي بيدهم هم وليس بيد أي لوبي في الولايات المتحدة مهما كان وزنه وثقله ونوعه، وإضافة إلى ذلك فإن لعبة اللوبي اليهودي واللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة تحلو لبعض الأنظمة السياسية العربية لتبرير فشلها الذريع والمزمن في القضايا القومية، وهزائمها المتكررة في كافة المجالات، وفي الواقع أن تصدير مادة اللوبي اليهودي والصهيوني في الولايات المتحدة وبخاصة إلى العالم العربي أصبحت لعبة مكشوفة لا تخدع إلا السذج أو أولئك الذين يرتاحون لهذا النوع من الخداع ويوظفونه لمصالحهم ومنافعهم ويستفيدون منه. (٢٩)

هوامش ومصادر الفصل الرابع

١ – حبيب قهوجي: إستراتيجية الاستيطان اليهودي في فلسطين.

٢ – سفر أشعيا: الإصحاح الخامس والأربعون.

٣ – شفيق مقار: المسيحية والتوراة، رياض الريس للكتب والنشر، لندن ــ قبرص ١٩٩٢، ص ــ ٦٢.

٤ – رضا هلال: المسيح اليهودي ونهاية العالم ــ المسيحية السياسية والأصولية في أمريكا، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الثالثة ٢٠٠٤ ــ ص ــ ٦٤.

5 – Bainton: Her 1 stand – A life of Martin Lauther. New York – Abingdon Cokesbury Press, 1920.

6 – Macaully: History of England. Vol – I, P – 71.

٧ – يوسف أيوب حداد: هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين، بيان للنشر والتوزيع والإعلان، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٤، الجزء الثاني، ص ــ ١٩٤.

٨ – المصدر السابق: ص ــ ١٩٥.

٩ – رضا هلال: مصدر سابق، ص ــ ٦٥، ٦٦.

١٠ – المصدر السابق: ص ــ ٧٢.

11 – Grace Halesell: Prophecy and Politics – Miltant Evangelist on the Road of Nuclear War. Westpoint (comm. Lawrece Hill and Co.) 1986.

١٢ – رضا هلال: مصدر سابق، ص ـ ١٣٥.

13 – Gray Smith: Zionism – The Dream And Reality – The Jewish Critique. New York, Barensand Noble Book. 1974, pp. 14.

١٤ – المصدر السابق.

15 – American Jewish Year Book, 1918, Philadelphia, 1919.

١٦ – رضا هلال: مصدر سابق، ص ـ ١٠٠.

١٧ – أنيس القاسم: نحن والفاتيكان وإسرائيل، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٦٦، ص ٥٠، ٥١.

١٨ – يوسف أيوب حداد: هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين. بيان للنشر والتوزيع، الجزء الثاني، الطبعة الأولى ٢٠٠٤، ص ـ من ٧٣ إلى ٧٥.

١٩ – إسماعيل كيلاني: الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي، المكتب الإسلامي، دمشق ـ بيروت ـ عمان، الطبعة الأولى ١٩٩٤، ص ـ ٢٢٧.

٢٠ – المصدر السابق: ص ـ ٢٢٨.

٢١: نفس المصدر: ص – ٢٢٨.

٢٢ – قرآن كريم: سورة النساء، الآيات ١٥٧ و ١٥٨.

٢٣ – معلومات الجدول من :

Barna Research Group: Princeton Research, Galloup.

٢٤ – الكنيسة المنهجية: تأسست الكنيسة المنهجية في إنجلترا في العام الميلادي ١٧٣٨ على يد " جون وزلي " ككنيسة منشقة عن الكنيسة الكاثوليكية، وتؤمن الكنيسة المنهجية بتفسير نصوص الكتاب المقدس تفسيرا بالعقل والتجربة، وتهتم هذه الكنيسة بالأخلاقيات والعمل الاجتماعي.

٢٥ – الدكتور عبد الوهاب المسيري: اليد الخفية ـــ دراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسرية دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، ص ـــ ٢٤٧.

٢٦ – الدكتور عبد الوهاب المسيري: المصدر السابق، ص ـــ ٢٦٦.

٢٧ – رنا أبو ظهير الرفاعي، والدكتور محمد قيسي: الإرهاب الصهيوني والسلام العربي بين الشهادة والإبادة، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، الطبعة الأولى، ص، ٤٣ ـــ ٤٧.

٢٨ – المصدر السابق: ص ـــ ٥٠.

٢٩ – محمود عباس: الحركة الصهيونية في أدبيات لينين.

الفصل الخامس

الطريق إلى فلسطين

في الحقيقة أن الهزيمة العربية في الحرب العربية ـ الإسرائيلية الأولى التي اندلعت في الخامس عشر من أيار / مايو من العام الميلادي ١٩٤٨ لم تكن هزيمة عسكرية وحسب، وإنما كانت هزيمة للمنظومة السياسية والعسكرية والاقتصادية والإعلامية والإدارية والتنظيمية للعرب، وسقوط مدوي لتكوينهم الفكري والعقائدي والاجتماعي والثقافي والحضاري، وانكسار حقيقي في هيكلهم المعنوي والنفسي، ولقد كانت هذه الهزيمة القاسية والمريرة تحتم على العرب إعادة النظر في منظومتهم العتيقة والمهترئة التي أكل عليها الزمن وشرب، والارتقاء بها جذريا من جميع الجوانب لكي تصل بها إلى مصاف الدول المتقدمة من أجل أن تتفوق على المنظومة الإسرائيلية وتدحرها وتتغلب عليها.

والبداية كما كانت يجب أن تكون تتمحور حول الدعوة إلى عقد حلقات دراسية جادة ومسئولة تشترك فيها نخبة مختارة من الباحثين والعلماء والخبراء في مجال السياسة والشئون العسكرية والحرب والاقتصاد والإعلام علاوة على علماء التنظيم والإدارة وعلماء النفس والاجتماع على مستوى العالمين العربي والإسلامي ولا مانع من الاستعانة بعلماء وخبراء من العالم الغربي يعرف عنهم الصدق والأمانة والنزاهة والحيادية من أجل دراسة الهزيمة

العربية الأولى من جميع جوانبها للوقوف على الأسباب التي أدت إليها وبالتالي إلى قيام دولة إسرائيل في فلسطين العربية في العام الميلادي ١٩٤٨، ثم وضع الخطط والبرامج المناسبة والكفيلة بإزالة ما ترتب على الحرب العربية ـ الإسرائيلية من نتائج مروعة للعرب وللشعب الفلسطيني بصفة خاصة في فترة زمنية لا تتجاوز بضع سنوات لا تزيد بأي حال من الأحوال عن أصابع اليد الواحدة، ثم تقديم نتائج هذه الدراسات إلى القيادات العربية لوضعها حيز التنفيذ والتعامل مع إسرائيل قبل أن تقوى ويشتد عودها وتصبح ذات نفوذ إقليمي وعالمي له وزنه وثقله كما هي حالتها الآن.

لقد انتهت الحرب العربية ـ الإسرائيلية الأولى بهزيمة قاسية ومؤلمة ومهينة لمجموع الجيوش العربية التي شاركت في هذه الحرب، وبكارثة قومية كبرى كانت أشد وأقسى وأكثر إيلاما من جميع ما توقعناه، إذ كان من نتائج هذه الحرب استيلاء الصهاينة على ٧٦,٤ % من مساحة فلسطين الكلية وهذا أكثر بالطبع من مساحة الـ ٥٥ % التي خصصها للصهاينة مشروع تقسيم فلسطين الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في السابع والعشرين من تشرين الثاني / نوفمبر من العام الميلادي ١٩٤٧، علما بأن مساحة فلسطين الكلية تبلغ سبعة وعشرون ألف كيلو مترا مربعا بما فيها مساحة المسطحات المائية مثل البحر الميت وبحيرة طبرية

وبحيرة الحولة قبل تجفيفها، وإضافة إلى ذلك فقد أدت هذه الحرب إلى تشريد حوالي ثلثي الشعب العربي الفلسطيني البالغ عدده حينذاك نحو مليونا ونصف المليون نسمة ورحيلهم عن ديارهم وأصبحوا لاجئين في الأراضي الفلسطينية التي بقيت تحت سيطرة العرب مثل الضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غـزة، وأيضـا إلى الـدول العربيـة المجـاورة، ومنـها إلى شـتى أنحـاء العالم، وبذلك فقد الشعب العربي الفلسطيني وطنه وأراضيه وممتلكاته وماضيه وذكرياته وتحول إلى شعب من اللاجئين يعيش على هامش أوطان الشـعوب الأخرى مجهول المستقبل وغامض المصير.

ولكن...

لا يبدو أننا نـجحنا حتى يومنا هذا في معالجة جميع العناصـر الـتي أدت إلى هزيمتنا وقيام دولة إسرائيل على أرضنا، ولا حتى البعض منها، بدليل أن دولة إسرائيل لا تزال قائمة حـتى الآن، قويـة ومتقدمـة وأخطبوطيـة القدرات، وبدلا من معالجة أسباب هزيمتنا انشغلنا كأمـة ودول منفـردة في طرح شعارات جوفاء والخوض في مغامرات سياسية وعسكرية وعناء مع بعضنا البعض ومع الدول المجاورة لم تجلب علينا سوى المزيد من الهزائم والكـوارث السياسية والعسكرية والنفسية.

وعلى الجانب الآخر فإن الكيان الصهيوني الغاصـب في فلسـطين العربية كان يدرك تماما أنه كيان قائم على العدوان والاغتصاب، وأن علاقة

الشعوب العربية به ستبقى دائما علاقة عداء وكراهية، رغم محاولات هـذا الكيان التطبيعية مع العرب، وقد ترتب على ذلك ما يلي :

أولا: تصور معين نحو ميزان القوى في المنطقة، وهذا التصور يقـوم على أساس أن يكون لإسرائيل تفوق عسكري في السلاح والعدد والقـدرة السوقية، وفي التنظيم وفي التدريب، وليس صحيحا ولم يكن صحيحا في يوم من الأيام، أنه كان للعرب في أي معركة خاضوها مع إسرائيل تفوق عددي، بل العكس دائما هو الصحيح، فالتفوق الإسرائيلي كان مرتكزا دائما علـى العدد والنوع معا، ولكي تستطيع الصهيونية أن توفر لإسرائيل هذا التفـوق وضعت في يدها الوسائل التالية :

١ – أمدتها بالأموال اللازمة للحصول على السلاح الذي يشـتري من السواق.

٢ – أمدتها بالعمل السياسي الذي يؤمن لها مجالات للحصول علـى السلاح، بالمال أو بدونه، وقصة التسابق على تزويد إسرائيل بالسلاح مـن قبل العديد من الدول قصة معروفة.

٣ – أمدتها بأحلاف سياسية وعسكرية ظاهرة ومسـترة، مباشـرة وضمنية مكتوبة وغير مكتوبة مكنتها من شن حروب متتالية على العـرب،

وهي مطمئنة سلفا إلى تفوقها، وإلى سلامة العواقب في حال احتمال حدوث فشل غير متوقع في المغامرة العسكرية.

٤ – أمدتها من خلال هذه الأحلاف أيضا بتفوق تكنولوجي وبمعلومات استخبارية لا تستطيع بمفردها الحصول عليها إطلاقا.

٥ – هيأت لها احتياطا إستراتيجيا لا يكلفها شيئا من ناحية التدريب ولا التعبئة ولا السوق مؤلف من الملاكات الفنية من العسكريين اليهود الموجودين في دول كثيرة من العالم، كما أمنت لها نقل هذا الاحتياطي المحتوي على أعداد كبيرة من الطيارين وطواقم المدرعات والطواقم المدربة والطواقم الفنية المختلفة إلى إسرائيل قبل العمليات العسكرية للتأثير الحاسم والمفاجئ على ميزان القوى، وذلك فضلا عن خط ثان من الاحتياطي المستمد من الحلفاء والأصدقاء.

ثانيا: تصور محدد نحو العناصر الحاسمة في بناء التفوق، فمن الواضح أن إسرائيل كانت تحاول أن تبني تفوقها العسكري على أساس التفوق الجوي وعلى سلاح المدرعات والقدرة على التعبئة والسوق السريعين وعلى السرعة في تنفيذ العمليات العسكرية.

ومن المؤكد أن إسرائيل سوف تعتمد دائما على سياسة انتقاء عنصر أو عنصرين حاسمين وإعطائهما الأولوية، وقد يكون معنى هذه السياسة الانتقال إلى أنواع جديدة من الأسلحة في المستقبل.

ثالثا: تصور محدد نحو التفوق النوعي القائم على العلم والتكنولوجيا، والأساليب العلمية في التنظيم، وهنا أيضا فإن العلم الإسرائيلي فضلا عن كونه أفضلية كبرى واضحة في إسرائيل يخترق أيضا عن العلم الصهيوني في كل أنحاء العالم، وعن العلم الحليف.

رابعا: المراقبة الدقيقة لميزان هذا بجميع عناصره، مع التهيؤ الأكيد الكامل للاعتداء العسكري دون تردد في حالتين هما :

١ – إذا ظهرت معالم قوة متزايدة في الجانب العربي، تنذر بأي تغير في ميزان القوى، كما حدث في العام الميلادي ١٩٥٦.

٢ – إذا ظهر تفسخ واضح في الجسم العربي ينبئ بأن الاعتداء لن ينال مقاومة تذكر كما حدث في عدوان العام الميلادي ١٩٦٧.

ومعنى ذلك أن الدول العربية معرضة دائما وفي كل لحظة لهجوم إسرائيلي بقطع النظر عن أية سياسة لها تجاه إسرائيل، كما حدث في العدوان الإسرائيلي الأخير على لبنان في تموز / يوليو ٢٠٠٦.

خامساً: إن إسرائيل ليست عدوا للعرب ولمحاولات التقدم والتعاون العربي فحسب، بل هي عدو لكل كيان عربي، ولها تصور محدد تريد فيه تنظيم المنطقة العربية لتكون كلها على شاكلتها، فإسرائيل تدفع الحوادث في المنطقة العربية نحو قيام دويلات ذات طبيعة طائفية وعنصرية على غرار دولة إسرائيل لهدفين :

١ - تجزئة العالم العربي وإضعافه.

٢ - سترا للصورة المنفرة التي يقوم عليها الكيان الصهيوني في فلسطين العربية، وهي صورة عنصرية من طراز أول. (١)

ومما لا شك فيه أن الخطر الصهيوني القابع في قلب العالم العربي لا تقتصر خطورته على فلسطين وحدها فقط، وإنما يمتد خطرة ليطال جميع الدول العربية الدانية والقاصية معا، وليس يخاف على أحد أنه منذ ما يقرب من ثلاثة عقود من الزمن أي في ثمانينات القرن الميلادي العشرين كانت إسرائيل تسعى إلى تفكيك وتفتيت البلدان العربية الواحدة تلو الأخرى إلى دويلات صغيرة تبعا لما فيها من قوميات وأعراق وديانات وطوائف وهذا بالضبط ما ورد في مقال للمنظمة الصهيونية ونشر في مجلة " كيفونيم " الإسرائيلية والذي جاء فيه عرض للإستراتيجية الإسرائيلية خلال العقد الثامن من القرن الميلادي العشرين، وللأساليب التي تنوي

إسرائيل إتباعها من أجل تفتيت وتفكيك العالم العربي إلى كيانات صغيرة ومتناحرة لا يرجى لها استقرار، ولا يتوقع منها هدوء أو سلام. ومن هذا المقال نقتطف الفقرات التالية :

١ – الوضع الاقتصادي في مصر وطبيعة النظام الموجود بها وسياستها العربية كل هذا سيؤدي إلى مجموعة ظروف تدفع إسرائيل إلى التدخل فمصر بسبب نزاعاتها الداخلية لم تعد تشكل بالنسبة إلينا مشكلة إستراتيجية، ومن السهل أن نجعلها تعود خلال أربعة وعشرين ساعة إلى الوضع الذي كانت عليه بعد حرب يوليو عام ١٩٦٧، لقد ماتت أسطورة مصر " زعيمة العالم العربي "، وفقدت مصر ٥٠ % من قدرتها، ونستطيع بعد أمد من استرجاع سيناء، ولكن ذلك لن يغير في ميزان القوى، وكبناء موحد أصبحت مصر جثة هامدة وبخاصة إذا أخذنا في عين الاعتبار الجابهة المتزايدة والمتصاعدة بين المسلمين والمسيحيين بها، ويجب أن يكون هدفنا هو تقسيمها إلى أقاليم متباينة في التسعينيات.

٢ – والتشكيل السكاني لسوريا يعرضها لتمزق قد يؤدي إلى إنشاء دولة شيعية على الساحل، ودولة سنية في حلب وأخرى في دمشق وإنشاء كيان درزي قد يرغب في آن يتحول إلى دولة على أرض الجولان التابعة لنا

تضم حوران وشمال المملكة الأردنية، ومثل هذه الدولة ستكون على المدى الطويل ضمانا لأمن وسلام المنطقة، وهذا في متناولنا تحقيقه.

٣ – إن العراق دولة غنية بالبترول وفريسة لصراعات داخلية وسيكون تفكيكها أهم بالنسبة لنا من تحلل سوريا، لأن العراق يمثل على الأجل القصير أخطر تهديد لإسرائيل، وقيام حرب سورية ــ عراقية سيساعد على تحطيم العراق داخليا قبل أن يصبح قادرا على الانطلاق في نزاع كبير ضدنا، وكل نزاع داخلي عربي سيكون في صالحنا وسيساعد على تفكيك العرب، وربما ساعدت الحرب العراقية ــ الإيرانية على ذلك الانحلال والضعف في صفوف العرب.

٤ – وشبه الجزيرة العربية بأسرها مهيئة لهذا اللون من التحلل تحت ضغوط داخلية، وهذا صحيح بالنسبة للسعودية بصفة خاصة، لأن اشتداد الصراعات الداخلية وسقوط النظام يتمشيان مع التركيبات السياسية الحالية فيها.

٥ – ومشكلات الجبهة الشرقية أكثر وأشد تعقيدا من مشكلات الجبهة الغربية، وهذا على عكس ما يبدو في الظاهر، وتقسيم لبنان إلى خمسة أقاليم يوضح ما يجب أن ينفذ في البلدان العربية، وتفتيت العراق وسوريا إلى مناطق تحدد على أساس عنصري أو ديني، يجب أن يكون هذا أولوية بالنسبة

إلينا على الأجل الطويل، وأول خطوة لتحقيق ذلــك هــو تــدمير القــوة العسكرية لتلك الدول. (٢)

يتبين من الفقرات السابقة نوايا إسرائيل الغادرة والعدوانية المعلنة نحو العرب، تلك النوايا الشريرة النابعة مما يلي :

أولاً: جنون العظمة الذي يعاني منه معظم القادة الصهاينة.

ثانيـاً: الفكر الصهيوني التوسعي الرامي إلى إنشاء دولة يهودية تمتد بين نهري الفرات والنيل بعد القضاء على كل ما هو عربي.

ثالثاً: عدوانية الصهاينة وتعطشهم إلى سفك الدماء، واحتلال المزيد من الأراضي العربية عن طريق ما يسمى بالحرب " الوقائية ".

وفكرة الحرب الوقائية فكرة واردة في الســياق المنطقــي للنظــام الإسرائيلي، فقد صرح الإرهابي مناحم بيجن أمام الكنيســت " البرلمــان " الإسرائيلي في العام الميلادي ١٩٩٥ بما يلي :

" إني أؤمن إيماناً عميقاً بأنه ينبغي علينا أن نشن حرباً وقائيــة ضــد الدول العربية دون أي تردد، وبهذا نبلغ هدفين :

الأول: تدمير القوة العربية.

والثاني: توسيع رقعة أراضينا. (٣)

وإذا ما كانت هذه هي نوايا إسرائيل المعلنة نحونا، تفكيك وتفتيت لنا، وحرب وقائية ضدنا، واحتلال لأراض عربية جديدة، وتوسع جغرافي لرقعة إسرائيل على حساب أراضي الدول العربية كما حدث في الحرب الوقائية الإسرائيلية التي بدأت في حرب عام ١٩٦٧، فيجب علينا نحن العرب كمنظومة جغرافية ودينية وقومية أن لا نكون من السذاجة واللامبالاة بحيث نسمح لإسرائيل أن تفتتنا وتفككنا وتجزئنا إلى كيانات صغيرة متناحرة، وأن نكون من القوة بحيث لا تجرؤ إسرائيل على شن حرب وقائية ضدنا أو أي نوع آخر من الحروب، وتحتل المزيد من أرضنا وينبغي علينا أن نواجه المخططات الصهيونية الرامية إلى تفكيكنا وتدميرنا وإرجاعنا إلى فترة القرون الحجرية بكل شدة وحزم.

وصحيح أنه يبدو أن الصهاينة قد بدلوا من إستراتيجيتهم إلى حد ما، وتبنوا مشروع الشرق أوسطية بالتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية وهذا المشروع يرمي إلى دمج العالم العربي في إطار المنظومة الإسرائيلية بجميع مكوناتها السياسية والعسكرية والاقتصادية والإعلامية والثقافية، ثم طورت الولايات المتحدة مشروع الشرق أوسطية إلى مشروع الشرق أوسط الكبير الذي أضيفت فيه مناطق جغرافية جديدة للشرق الأوسط التقليدي وأخيرا مشروع الشرق أوسط الجديد الذي كانت وزيرة الخارجية الأمريكية *

كوندوليسا رايس " تحلم به أثناء الحرب الإسرائيلية الفاشلة على الجمهورية اللبنانية في صيف العام الميلادي ٢٠٠٦، إلا أن هذه المشاريع الإسرائيلية — الأمريكية لا تمنع إسرائيل من السعي الدائم إلى تفتيتنا وتفكيكنا وإلحاقنا بمشاريع مشبوهة لا تخدم سوى المصالح والمطامع والأهداف الصهيونية، وما يجري في الوقت الراهن في كل من فلسطين والعراق ولبنان خير دليل على ذلك.

ولمواجهة المخططات الصهيونية الرامية إلى تفكيكنا وتفتيتنا وإضعافنا والقضاء على كل ما هو عربي، يجب أن لا نقف مكتوفي الأيدي حيالها بل ويتحتم علينا مواجهة هذه المخططات الصهيونية بمنظومة عربية عصرية متقدمة ومتطورة جدا من النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية والإعلامية والتنظيمية والإدارية بدلا من منظومتنا العتيقة المهترئة التي لم تحقق لنا أي نصر يذكر خلال المئات من السنين، ثم نتبع نفس الأساليب التي تحاول إسرائيل إتباعها معنا، وإذا كنا الآن لا نستطيع إنهاء الوجود الإسرائيلي في فلسطين العربية بالضربة القاضية — وهذا في الحقيقة ما يتمناه ويحلم به كل عربي — فيجب علينا البدء من الآن في خلق منظومة عربية جديدة أكفأ وأقدر بمراحل من المنظومة الإسرائيلية حتى إذا آن وقت المواجهة الشاملة مع

إسرائيل تكون لنا القدرة على هزيمتها والقضاء عليها لاسيما وأننا نملك جميع المقومات التي تجعل منا قوة إقليمية عظمى.

إلا أنه من السذاجة والحماقة معا أن نتصور أن الصهاينة ليسوا على شيء من الذكاء والحكمة وبعد النظر لكي لا يحسبوا ألف حساب لنقطة التحول في الإستراتيجية العربية ويقفوا لها بالمرصاد، فمن أجل تلافي المصير الذي انتهت إليه المستوطنات الصليبية في فلسطين وبلاد الشام خلال القرون الوسطى، وإطالة عمر الاستيطان اليهودي الغاصب في فلسطين العربية أكبر مدة ممكنة، أنشأ الصهاينة معهدا خاصا مجهزا بمجموعات من الباحثين والدارسين الإسرائيليين في جميع المجالات لدراسة هذا الأمر وتقديم نتائج هذه الأبحاث والدراسات للجهات العليا، وقد توصل الدارسون والباحثون الإسرائيليون إلى نتيجتين مهمتين هما كالتالي :

أولا: يجب أن يتخلص الكيان الصهيوني تدريجيا وحسب خطط مدروسة من المساعدات الخارجية وبخاصة فيما يتعلق بالأسلحة الإستراتيجية، ولهذا السبب أنشأ الكيان الصهيوني الغاصب في فلسطين العربية صناعات حربية متطورة جدا للطائرات الحربية والدبابات والصواريخ بكافة أنواعها، بالإضافة إلى قاعدة لصناعة الأسلحة النووية وغيرها من أسلحة الدمار الشامل، ولقد اعترف أخيرا رئيس الوزراء الإسرائيلي أيهود أولمرت بامتلاك

إسرائيل للأسلحة نووية أمرا غامضا ومبهما، وكل ما يعرف عنه كان مجرد تخمينات وتوقعات، علما بأن إسرائيل بتأييد ودعم من الولايات المتحدة الأمريكية لا تسمح للمفتشين التابعين لوكالة الطاقة الذرية بتفتيش منشآتها النووية، ولم توقع إسرائيل على اتفاقية خطر انتشار الأسلحة النووية.

إلا أنه لا يبدو أن بإمكان إسرائيل حتى الآن التخلص من المساعدات الأجنبية وبخاصة في المجال العسكري والسياسي والاقتصادي والإعلامي بدليل أن إسرائيل احتاجت للمساعدات العسكرية الأمريكية رغم ما لديها من ترسانة عسكرية ضخمة، وتلقت من الولايات المتحدة الأمريكية صواريخ موجهة بأشعة الليزر وقنابل ذكية خلال العدوان الإسرائيلي الأخير على لبنان، ولولا المساعدات العسكرية الأمريكية ما استطاع الكيان الصهيوني الغاصب في فلسطين العربية البقاء حتى الآن ولولا التكنولوجيا والتدريب الأمريكي والأوربي ما استطاع الصهاينة خوض حروبهم التوسعية في المنطقة العربية والاستيلاء على مساحات شاسعة من الأراضي العربية تبلغ مساحتها أضعاف مساحة الكيان الصهيوني الغاصب في فلسطين العربية.

ثانيا: يدرك الصهاينة تمام الإدراك أن كيانهم الغاصب في فلسطين العربية هو جسم غريب زرع في قلب العالم العربي، ومن الممكن لفظه في أي لحظة إذا ما رجحت كفة التوازن الإستراتيجي بين العرب وإسرائيل يوما

لصالح العرب، ولتلافي هذا المصير المروع الذي ينتظر الصهاينة في فلسطين العربية وآلت إليه الممالك والإمارات الصليبية في فلسطين وبلاد الشام خلال القرون الوسطى، فقد خطط الكيان الصهيوني بالتعاون مع الولايات المتحدة ليس فقط لدمج هذا الكيان في إطار المنظومة العربية وإنما لوضع المنظومة العربية بأكملها تحت الهيمنة العسكرية والسياسية والاقتصادية والأمنية والإعلامية لهذا الكيان، إضافة إلى وضع المنظومة العربية تحت وصايتهم التعليمية والثقافية لدرجة أنهم يريدون منا إعادة النظر في مناهجنا التعليمية وبخاصة البرامج التعليمية الدينية والقومية والتاريخية لتصبح متوافقة مع أهدافهم، ويصبح وجودهم الطارئ في بلادنا أمرا مشروعا ومقبولا من الأجيال الجديدة من الشعب العربي، أي مشروع الشرق أوسطية وما شابهه من المشاريع الصهيونية المشبوهة، والهدف الرئيسي من مثل هذه المشاريع هو مسح الهوية الدينية والتاريخية والثقافية والحضارية للعرب، ومثل هذه المشاريع المشبوهة تريد أن تلغي عشرة آلاف عاما من التاريخ العربي في فلسطين، وتساوينا نحن العرب أصحاب الأرض والتاريخ والحضارة بمهمج التاريخ وبرابرته، ثم تفرض علينا تاريخا وهميا ومزورا يظهر فيه الصهاينة المغتصبون وكأنهم الأصل في أرض فلسطين العربية، وفي نفس الوقت يظهر العرب وكأنهم الغرباء المستحدثون... العابرون والطارئون على هذا التاريخ،

وبهذه الطريقة الشاذة والملتوية يعتقد الصهاينة أنهم يستطيعون إطالة عمر الاستيطان اليهودي في فلسطين العربية إلى أقصى زمن ممكن وربما إلى الأبد كما يعتقدون.

ولقطع الطريق على إسرائيل من الوصول إلى ما تصبوا إليه من مطامع وأهداف معلنة — وما خفي بالطبع كان أعظم — ولتفويت الفرصة عليها لتحقيق أحلامها وآمالها التوسعية في المنطقة العربية، كان لزاما علينا نحن العرب أن نضع تصورا خاصا دقيقا ومحكما لبناء خطط عربية مضادة للخطط الإسرائيلية والتفوق والتغلب عليها، وهذا التصور في الواقع يعتمد أولا على خلق منظومة عربية جديدة ومتطورة تقف جنبا إلى جنب مع القوى الإقليمية الكبرى في العالم، ثم نضع تصورا لسبل المواجهة مع الكيان الصهيوني في فلسطين العربية، وهذا التصور يجب أن لا يكون نابعا من منطلق المواجهة العسكرية مع إسرائيل والتي سيطرت على تفكيرنا وأمانينا وأحلامنا منذ العام الميلادي ١٩٤٨ وحتى يومنا هذا، وإنما يجب أن تطال الخطط العربية المضادة جميع أوجه الحياة في إسرائيل، والخطط العربية المضادة للخطط الإسرائيلية تناولها فيما مضى الكثير من المفكرين والكتاب والباحثين والسياسيين العرب، ونعيدها هنا كلها مجتمعة، وتتمحور الخطط العربية المضادة حول النقاط الرئيسية التالية :

١ – أي شكل من أشكال الوحدة أو الاتحاد أو التعاون بين الأقطار العربية المختلفة، كونها مجموعة جغرافية وقومية ودينية ولغوية وتاريخية واستراتيجية واحدة.

٢ – إضعاف الكيان الصهيوني داخليا.

٣ – عزل إسرائيل عن المجتمع الدولي وطردها منه.

٤ – تكبيد إسرائيل أكبر قدر ممكن من الخسائر في جميع المجالات.

٥ – إعادة النظر في علاقات الدول العربية مع الدول الأوربية والولايات المتحدة، وبالتالي علاقات هذه الدول بالكيان الصهيوني.

٦ – توجيه جميع الطاقات الإعلامية العربية لخدمة القضية الفلسطينية، ليس في العالم العربي فقط وإنما في جميع أرجاء العالم.

٥ – ١: الوحدة العربية:

الحقيقة أن فكرة الوحدة العربية ليست فكرة خيالية ورومانسية غير قابلة للتحقيق في الوقت الحاضر، كما وأنها ليست فكرة حديثة في التاريخ العربي، فالوحدة العربية كانت قائمة فعلا في التاريخ القديم ولفترة طويلة من الزمن، وهذا يعني أنه لا توجد موانع وعوائق جوهرية ومهمة تمنع قيامها مرة ثانية في التاريخ الحديث، وإذا ما استعرضنا وقائع وأحداث التاريخ العربي القديم نجد أن الوحدة بين أقاليم المنطقة العربية قد أصبحت واقعا ملموسا على يد رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وحكمت الدول

العربية الأولى من المدينة المنورة، وظلت تحكم من هذه المدينة في عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

وعندما امتدت الدولة العربية ـ الإسلامية وتوسعت بشكل مذهل في فترة زمنية قصيرة جدا نسبيا، وأصبحت إمبراطورية شاسعة مترامية الأطراف تمتد من حدود الصين شرقا وحتى الأندلس في شبه الجزيرة الأيبيرية غربا، وهو اتساع لم تبلغه أي إمبراطورية أخرى في التاريخ القديم وكانت أراضي الدولة العربية ـ الإسلامية الشاسعة تحكم سياسيا وعسكريا وماليا واقتصاديا من قبل السلطات المركزية في عاصمة دولة الخلافة الإسلامية في دمشق أولا زمن دولة الخلافة الأموية، وثانيا من مدينة بغداد زمن دولة الخلافة العباسية، ماعدا الأندلس التي لم تكن يوما تحت سيطرة الدولة العباسية وظلت تغرد في سرب الدولة الأموية حتى بعد زوالها في العام الميلادي ٧٥٠.

وكانت الإمبراطورية العربية ـ الإسلامية تحكم بواسطة نظام ديمقراطي ـ بلغة العصر ـ قل ونذر وجوده في التاريخ القديم، وكان لكل مصر من أمصار الإمبراطورية العربية ـ الإسلامية حاكم أو والي يختاره الخليفة في عاصمة دولة الخلافة أو يتم تعيينه بمعرفته وموافقته، ويقوم الوالي بتولي شئون هذا المصر، وكان كل إقليم من أقاليم الإمبراطورية العربية ـ

الإسلامية يتمتع بنوع من الحكم أو الاستقلال الذاتي ضمن الإطار العام لدولة الخلافة الإسلامية، وبالرغم من أن الإمبراطوريات القديمة العملاقة قامت أساسا على الغزو العسكري واستعمار الشعوب الضعيفة وقهرها واستعبادها وتسخيرها لخدمة مصالح وأهداف تلك الإمبراطوريات، إلا أن الحالة لم تكن هكذا أبدا مع الإمبراطورية العربية ـ الإسلامية القديمة، لأن هذه الإمبراطورية لم تكن نوع من أنواع الاستعمار القديم، فهي لم تكن قائمة أصلا على غير إرادة شعوبها ولا غير رضى وقبول من مختلف الديانات والأجناس والقوميات والإثنيات التي كانت تعيش ضمن حدود الدولة الإسلامية القديمة دون تفرقة عنصرية أو تمييز بين مكوناتها البشرية.

وفي الواقع أن الإمبراطورية العربية ـ الإسلامية القديمة كانت تدار سياسيا واقتصاديا وماليا واجتماعيا بطريقة يغلب عليها العدل والمساواة وتكافؤ الفرص وحسن توزيع الثروات وفي أوج دولة الخلافة العباسية كانت مدينة بغداد عاصمة هذه الدولة هي أيضا عاصمة الفكر والعلم والثقافة في العالم بلا منازع، وكانت مدارسها الدينية والعلمية تعج بالآلاف من العلماء والمفكرين في جميع المجالات تقريبا، علماء في العلوم القرآنية والسنة النبوية الشريفة وأيضا الفقه الإسلامي، وعلماء في الطب والصيدلة والكيميائي، وعلماء في الهندسة والعمارة والفلك والرياضيات والتنجيم، إضافة إلى علماء

الخط العربي والفنون الصناعية والتصوير والموسيقى، علاوة على علماء التاريخ والجغرافيا والآداب والفلسفة والشعر، وكانت حركة الترجمة من العربية للغات الأخرى وبالعكس تجري على قدم وساق، وكانت مدينة بغداد يؤمها الدارسون من شتى بقاع العالم القديم لتلقي العلم فيها، وكانت الدولة العربية ـ الإسلامية ذات سلطان ونفوذ عالمي يشبه إلى حد كبير وبدون أي مبالغة سلطان ونفوذ الولايات المتحدة في الوقت الحاضر مع الفارق الكبير جدا في الوسائل والتطلعات والأهداف، ولحن لسنا من عبيد الماضي أو من دعاة تمجيده لمجرد التباهي به واجتراره بين الحين والآخر ـ ولو أن الماضي العربي فيه كل ما يشرف ويدعوا للافتخار به ـ وإنما نحن نسرد وقائع تاريخية حقيقية حدثت بالفعل، ونذكرها هنا للتذكير بها والسعي إلى الاقتداء بها من أجل صنع تاريخ عربي حديث على غرار التاريخ العربي القديم.

وبمرور الوقت تفككت الإمبراطورية العربية ـ الإسلامية وتجزأت إلى دول عديدة ثم انهارت وزالت لأسباب كثيرة منها ما هو خارجي ومنها ما هو داخلي :

أ - الأسباب الخارجية :

من أهم الأسباب الخارجية التي أدت إلى انهيار الإمبراطورية العربية ـ الإسلامية ما يلي :

١ – غارات القبائل الهمجية من مغول وترك على دولـــة الخلافـــة الإسلامية.

٢ – قيام العديد من الدول المستقلة في قلب دولة الخلافة الإسلامية.

٣ – قيام العديد من الدول عند أطراف دولة الخلافـــة الإســـلامية، مثلما حدث من قبل مع الإمبراطورية الرومانية الغربية.

ب – الأسباب الداخلية :

إلا أن الأسباب الخارجية التي أدت إلى انهيار دولة الخلافة الإسلامية كانت ثانوية بالنسبة للأسباب الداخلية، ومن أهم هذه الأسباب ما يلي :

١ – نظام الحكم الوراثي في الإمبراطورية العربية ــ الإسلامية الذي لم يسمح إطلاقا بدخول دماء جديدة وقادرة إلى سدة الحكم في دولة الخلافة.

٢ – فقدان العرب للروح القومية والوعي الوطني.

٣ – انغماس الخلفاء والأمراء في شـــهواتهم الذاتيـــة ومصـــالحهم الخاصة.

٤ – تدخل الأغراب السافر من سلاجقة وفرس وأتراك في شـــئون دولة الخلافة.

٥ – انتشار الدعوات الشعوبية والانفصالية في شتى أرجـــاء دولـــة الخلافة.

وفي العصر الحديث بدأت فكرة الوحدة العربية تتولد من جديد في نفوس العرب بعد انتهاء الحكم العثماني على العالم العربي بانهيار دولة الخلافة العثمانية عقب أن وضعت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ــ ١٩١٨) أوزارها في العام الميلادي ١٩١٨، وفي الواقع أن الدعوات للوحدة العربية الشاملة كانت تسير جنبا إلى جنب مع دعوات القومية العربية التي جاءت كرد فعل مباشر على دعوات القومية الطورانية التي كانت سائدة في تركيا خلال الربع الأخير من القرن الميلادي التاسع عشر وبدايات القرن الميلادي العشرين، وهي التي كانت ترمي إلى مسح الهوية اللغوية والثقافية والحضارية والتاريخية للآخر الذي يعيش ضمن إطار الدولة العثمانية، وقد قاد حركة القومية العربية المفكرون السوريون واللبنانيون الذين تلقوا تعليمهم في الجامعة الأمريكية بمدينة بيروت ثم عملوا في دولة مصر وقد كانت حركة القومية العربية تركز في بادئ الأمر على الأدب العربي القديم، وأيضا على التاريخ الإسلامي، ولقد دفع ما كان للإمبراطورية العربية ــ الإسلامية القديمة من مجد وما كان لها من مآثر علمية بارزة على العالم بأسره، هؤلاء المفكرون العرب إلى التطلع لمستقبل زاهر للأمة العربية، ومع ظهور الدعوات إلى الوحدة العربية ــ والقومية العربية تراجعت الدعوات للوحدة الإسلامية ومن أبرزها دعوة السلطان عبد الحميد الثاني " ١٨٧٦ ــ ١٩٠٩ " بإنشاء

الجامعة الإسلامية، وفي الواقع لا يوجد هناك تعارض بين الـدين والقومية فالإمبراطورية العربية ـ الإسلامية قامت في الأساس على العديد من القوميات والأعراق والأجناس، ولم يؤثر ذلك سلبا على مسيرة الوحدة بينها.

ولقد أدرك العرب مبكرا خطورة ما تخطط لـه القـوى العظمى المنتصرة في الحرب العالمية الأولى وبخاصة بريطانيا وفرنسا، وكرد فعل على اتفاقية سايكس ـ بيكو المبرمة بين بريطانيا وفرنسا في العام الميلادي ١٩١٦ والرامية إلى تقسيم المشرق العربي كمناطق نفوذ بين هاتين الدولتين، وكتفاعل مباشر مع تصريح بلفور الصادر عن الحكومة البريطانية في العام الميلادي ١٩١٧ والذي وعد الصهاينة بإقامة الوطن القومي لهم في فلسطين العربية، ظهرت في بلاد الشام أولى الدعوات المطالبة بالوحدة العربية، كانت هذه الدعوة تنادي بوحدة جميع أقطار بلاد الشام وهي سوريا وفلسطين ولبنان وشرق الأردن في دولة واحدة هي المملكة السورية المتحدة ويجلس على عرش هذه المملكة الأمير فيصل بن الحسين النجل الأصغر للشريف حسين بن علي أمير مكة وهو الذي أعلن انطلاقة الثورة العربية الكبرى في العام الميلادي ١٩١٦ ضد الحكم العثماني، إلا أن هذا المشروع الوحدوي العربي لم يكتب له النجاح بسبب وقوع أقطار المشرق العربي جميعها تحت الاستعمارين البريطاني والفرنسي، ففي بلاد الشام أرسل الجنرال (غورو)

القائد الفرنسي في بلاد الشام للأمير فيصل بن الحسين يطلب منه الاعتراف بالحكم الفرنسي على سوريا، ولما رفض الأمير فيصل هذا الطلب قامت القوات الفرنسية في سوريا بسحق جيش الأمير فيصل عام ١٩٢١ منهية بذلك أحلامه بالجلوس على عرش المملكة السورية المتحدة.

وفي آذار / مارس عام ١٩٤٥ أنشأت جامعة الدول العربية في القاهرة، ولقد كانت الدول المؤسسة لهذه الجامعة هي :

المملكة المصرية ـ المملكة العراقية ـ الجمهورية السورية ـ الجمهورية اللبنانية ـ المملكة العربية السعودية ـ المملكة المتوكلية اليمنية ـ المملكة الأردنية الهاشمية، ولقد أكدت اتفاقية الجامعة العربية على ما يلي :

١ – عزم الدول العربية على التضامن فيما بينها في أمور التربية والتجارة والمواصلات.

٢ – تتشاور الدول العربية وتتبادل الرأي في حالة وقوع عمل عدائي ضد أي دولة من الدول الأعضاء.

٣ – يحظر استعمال القوة في حسم أي نزاع بين الدول العربية.

وقد انضمت لجامعة الدول العربية لاحقا جميع الدول العربية التي نالت استقلالها حديثا مثل الجزائر والمغرب وتونس وليبيا وموريتانيا

والسودان والكويت وقطر والبحرين والإمارات العربية المتحدة وعمـــان، ثم الصومال وجيبوتي وجزر القمر.

ولقد اختلفت وتباينت وتضاربت آراء العرب حول جامعة الـــدول العربية بين مؤيد ومعارض لها، ليس هذا فحسب بل وأن هناك من يـــدعو إلى حلها، ومن الآراء التي طرحت بهذا الصدد ما يلي :

١ – رأي يقول أن الحكومة البريطانية ما سمحت للـــدول العربيـــة بإنشاء هيكل وحدوي لها متمثل في جامعة الدول العربية، إلا لتضمن وحـــدة كلمة العرب وتضامنهم في المسائل والقضايا التي تتعلق بدولـــة بريطانيـــة في الوقت الذي أنشأت فيه جامعة الدول العربية حيث كانت معظـــم الـــدول العربية تحت الاستعمارين البريطاني والفرنسي.

٢ – ورأي يقول أنه بالرغم من أن جامعة الدول العربية من مشروع بريطاني في الأساس وكان يخدم المصالح الاســـتعمارية البريطانيـــة في الفتـــرة الزمنية التي أسست فيها جامعة الدول العربية، إلا أنه بعد انقضاء عقـــود عديدة على زوال الاستعمار عن الدول العربية، فمن الممكن أن تكون جامعة الدول العربية قاعدة مقبولة ومعقولة لنظام عربي وحدوي على أن تجدد هذه الجامعة نفسها بين الحين والآخر حسب المستجدات التي تحـــدث في المنطقـــة العربية.

٣ – ويرى البعض الآخر أن جامعة الدول العربية خـلال تاريخها الطويل كانت تقف مشلولة وعاجزة أمام القضايا العربيـة المصـرية، إلا أن المؤيدين لجامعة الدول العربية يعتقدون أن شـلل جامعـة الـدول العربيـة وعجزها بل وفشلها في حل الكثير من القضايا العربية المهمة والجوهرية ليس نابعا من فشل إدارة جامعة الدول العربية، وفشل أنظمتها وقوانينها وإنما يعود بالدرجة الأولى إلى الخلافات المزمنة بين الدول العربية نفسـها الأعضـاء في جامعة الدول العربية.

ولقد انتظر العرب طويلا ليروا آمالهم وأحلامهم بالوحدة العربية قد تحققت، فما أن حل العام الميلادي ١٩٥٨ حتى ولـدت الوحـدة العربيـة الشاملة والاندماجية بين الجمهورية المصرية والجمهورية السـورية في دولـة واحدة هي الجمهورية العربية المتحدة، وانضمت هذه الدولة بصورة صـورية المملكة اليمنية، إلا أن هذه الدولة التي قامت على أسس وحدويـة لم تعمـر طويلا، وتم الانفصال بين مصر وسوريا بعد سنوات قليلة من وحدة البلـدين وتحديدا في العام الميلادي ١٩٦١، وكذلك فعلت دولة اليمن التي لم يكـن ارتباطها بالجمهورية العربية المتحدة ارتباطا وثيقا، وربما كرد فعل مباشر على. قيام الوحدة بين مصر وسوريا في الجمهورية العربية المتحدة، أنشأ ما سمـي في حينه باسم " الاتحاد العربي " الذي ضم النظامين الهاشميين في كل من المملكـة

العراقية والمملكة الأردنية الهاشمية، ثم توالت بعد ذلك وخلال الربع الأخير من القرن الميلادي العشرين محاولات الوحدة العربية متمثلة في اتحاد الجمهوريات العربية الثلاث الذي ضم كل من مصر وليبيا والسودان، ومجلس التعاون الخليجي الذي ضم دول الخليج العربي، وكذلك مجلس التعاون العربي ومجلس التعاون المغربي، وفي العام الميلادي ١٩٩٠ تمت الوحدة الشاملة بين شطري اليمن الشمالي والجنوبي، ولأسباب سياسية حدث القتال مسلح بين شطري اليمن في العام الميلادي ١٩٩٤ انتهى بانتصار الشطر الشمالي واستمرار المسيرة الوحدوية اليمنية وباستثناء جامعة الدولة العربية ومجلس التعاون الخليجي والوحدة اليمنية، فقد اختفت جميع المشاريع الوحدوية العربية ولم يكتب لها النجاح لأسباب كثيرة لا مجال للذكرها هنا.

وبالرغم من أن قضية الوحدة العربية أخذت ما تستحق من اهتمام وأولوية خلال سنوات القرن العشرين، وأشبعت جدلا ونقاشا وتنظيرا من قبل المفكرين والمؤرخين والزعماء العرب، وأيضا من قبل القوى الوطنية العربية المختلفة فضلا عن شرائح واسعة جدا من أبناء الشعب العربي، إلا أن كل هذا لم يسفر للأسف الشديد عن أي مشروع وحدوي عربي حقيقي الأمر الذي أصاب عشرات الملايين من أبناء الشعب العربي من سواحل المحيط الأطلسي غربا وحتى العراق والخليج العربي شرقا بالصدمة وخيبة الأمل وربما

كفر الكثير منهم بفكرة الوحدة العربية من أساسها وفقدوا حماسهم وتطلعهم إليها، ولو أن الأمر ليس كذلك على الإطلاق، ففشل المشاريع الوحدوية العربية السابقة لا يعني الكفر بفكرة الوحدة العربية السابقة لا يعني الكفر بفكرة الوحدة العربية والتخلي عنها، وبخاصة ونحن نرى بأم أعيننا المخاطر الجسيمة التي تحيق بالعالم العربي، وهذه المخاطر في الواقع تحتم على أي أمة من أمم الأرض وليس الأمة العربية فقط التضامن والاتحاد والتعاون في مواجهتها والتصدي لها بشدة وحزم.

ويبدو أنه من الصعب جدا إن لم يكن مستحيلات مواجهة المخاطر المحيقة بالعالم العربي والعرب متمسكون بمنظومتهم العتيقة والمهتلئة الغير قادرة إطلاقا على العبور بهم إلى بر الأمان، وهذا يستلزم من العرب بالطبع إعادة النظر في هذه المنظومة وتغييرها تغييرا جذرا، وإعادة صياغتها صياغة عصرية متقدمة ومتطورة في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية والإعلامية، وهذه المهمة لا تقع في الحقيقة على عاتق الزعماء العرب فقط، وإنما يقع عبء تغيير المنظومة العربية العتيقة على كاهل الشعوب العربية نفسها أيضا، فالوحدة العربية لم تعد مجرد حلم وأمل يراود مخيلة الملايين من العرب من المحيط إلى الخليج، وإنما غدت ضرورة هامة جدا، ومصلحة إستراتيجية عربية عاجلة وملحة للحفاظ على بقاء واستمرارية

الأمة العربية وحمايتها من الاندثار والزوال والفناء وربما الانتحار أيضا ففي الحقيقة أنه في الوقت الحاضر لا أمل ولا فرصة للكيانات الصغيرة والضعيفة في الحياة والبقاء داخل إطار الصورة العالمية في عالم تسطير وتهمين عليه قوى سياسية وعسكرية واقتصادية وإعلامية هائلة وجبارة، ولهذا السبب لابد وأن تسعى الدول العربية إلى التضامن مع بعضها البعض، والتعاون فيما بينها، والاتحاد أو الوحدة بين أقطارها من أجل تحقيق الأهداف والغايات التالية :

أولا: القضاء على حالة الضعف والتفكك والضياع والهوان الذي يعاني منها العالم العربي على مدى قرون طويلة كنتيجة لشرذمته وتقوقعه في دول متعددة كل دولة منها تغرد في سرب مغاير للآخر، وتدور في فلك مخالف لفلك الدول الأخرى بذرائع الاستقلال الوطني الزائف، والحفاظ على الهوية المحلية، وحماية ثروات هذه الدولة أو تلك.

ثانيا: الظهور أمام العالم الخارجي بمظهر وحدة عربية إقليمية حقيقية جغرافيا وسياسيا وعسكريا واقتصاديا وإعلاميا من الصعب جدا اختراقها والعبث بمصيرها ومقدراتها كما يحدث في الوقت الراهن.

ثالثا: درء المخاطر العديدة التي تحيق بالعالم العربي من جميع جوانبه، وفي مقدمة هذه المخاطر وجود الكيان الصهيوني في فلسطين العربية، وما يشكله هذا الكيان الغاصب في قلب العالم العربي من مخاطر جسيمة على الأمة

العربية وعلى مستقبلها ومصيرها، علاوة على أطماع قوى عالمية متعددة في المنطقة العربية وثرواتها.

رابعا: إعادة مجد الإمبراطورية العربية القديمة التي هيمنت على مشارق الأرض ومغاربها، وملأت الدنيا علما وثقافة وحضارة، وأمنا وعدلا ومساواة.

خامسا: مشاركة العرب في بناء الحضارة الإنسانية لاسيما وأن للعرب تاريخ طويل قديم في هذا المجال، ولا ينكر فضل العرب على الحضارة العالمية إلا كل حاقد وجاحد وناكر للجميل.

وفي الواقع أن الدعوة للوحدة العربية ليست دعوة لوحدة عربية شاملة واندماجية بين الدول العربية في الوقت الحاضر، فربما تكون هذه الفكرة سابقة لأوانها لأسباب كثيرة من أبرزها وأهمها ما يلي :

١ – ضرورة إزالة مخاوف الحكومات والشعوب العربية من فكرة الوحدة العربية، وبخاصة التخوف من أن تسيطر دولة عربية معينة على دولة الوحدة كما حدث في بعض التجارب الوحدوية السابقة.

٢ – ضرورة التقارب بين الدول العربية والتطبيع أولا بينها رسميا وشعبيا بدلا من السعي للتطبيع مع دولة غاصبة ومعتدية من طرز إسرائيل.

وإنما الدعوة هنا إلى نوع من التعاون أو الاتحاد بين الدول العربية جميعها في المشرق والمغرب العربي معا وعلى حد سواء، على أن يكون هذا التعاون أو الاتحاد حقيقيا وجادا وليس صوريا وزائفا كما حدث في التجارب الوحدوية السابقة.

وللوصول إلى مشروع وحدوي عربي حقيقي وصادق فهذا في الواقع يتطلب منا نحن العرب السعي بصدق وأمانة إلى إنجاز المهام التالية :

أولا: تنمية الحس والوعي القومي والوطني بين أبناء الشعب العربي في كل مكان، والتركيز على أن خلاصهم إنما يكون بتضامنهم واتحادهم ووحدتهم.

ثانيا: استبدال أنظمة الحكم الشمولية في العالم العربي بأنظمة حكم ديمقراطية حقيقية تعنى في المقام الأول بالوطن والمواطن.

ثالثا: تقليص عدد الدول العربية إلى أدنى عدد ممكن، فلا مصلحة للعرب ولا فائدة تعود عليهم من تشرذمهم في النيف وعشرين دولة ومن الأجدى والأنفع أن تكون الدول العربية المتجاورة ودولا كبيرة الحجم جغرافيا، فبلاد الشام جميعها إضافة إلى العراق من الممكن أن تشكل دولة عربية ضخمة واحدة، وكذلك دولة شبه الجزيرة العربية جميعها من الممكن أن تكون دولة عربية ضخمة واحدة، وأيضا دول المغرب العربي جميعها، علاوة

على مصر والسودان والصومال وجيبوتي، وغني عن القول أنه من البديهي أن تقدم الحكومات والشعوب العربية بعض التنازلات لبعضها البعض لضمان نجاح المشروع الوحدوي العربي.

رابعاً: إنشاء هيكل وحدوي عربي معين بمواصفات عربية خالصة يتفق عليه بين الدول العربية نفسها دون أي تدخل خارجي من أي جهة كانت من تكون، ويتخذ هذا الهيكل شكل الاتحاد أو الهيئة أو المجلس الاتحادي.

الهيكل الوحدوي العربي

بعد تأسيس الهيكل الوحدوي العربي، واكتمال عناصره الفنية التي تؤلف النخبة من المؤرخين والمفكرين والسياسيين والعسكريين والاقتصاديين والقانونيين العرب إضافة إلى الإعلاميين والفلاسفة وعلماء الاجتماع والنفس، يباشر هذا الهيكل بدراسة مشروع الوحدة العربية دراسة علمية وافية ومعمقة، وفي نهاية المطاف يوضع تصور معين أو أكثر من تصور واحد لمشروع الوحدة العربية، على أن يأخذ العلماء والخبراء بعين الاعتبار أثناء وضعهم للتصورات الخاصة بالوحدة العربية، تلافي جميع الأسباب التي أدت إلى فشل التجارب الوحدوية العربية السابقة، وتجنب الأخطاء التي أدت إلى اختفائها وزوالها، ويبثق عن الهيكل الوحدوي العربي إدارات ذات مستوى تخصصي رفيع في جميع المجالات للإشراف على تنفيذ المشروعات الوحدوية العربية، وتؤول رئاسة الهيكل الوحدوي العربي لإحدى الدول العربية بصفة دورة ولفترة زمنية محددة، وليس كما هو الحال الآن في رئاسة جامعة الدول العربية، التي ما تكون رئاستها دائما في يد دولة عربية واحدة فقط، وهذا في الواقع يتنافى مع أبسط الأسس الديمقراطية.

والحقيقة أنه بدون نظام عربي جديد، فمن المستحيل على الهيكل الوحدوي العربي أن يقوم باتخاذ خطوات وحدوية من أي نوع بين الدول العربية، إلا أنه مع وجود منظومة عربية جديدة فمن الممكن أن يباشر الهيكل

الوحدوي العربي بتنفيذ خطوات وحدوية عربية بطريقة تدريجية ومتواصلة مهما كانت هذه الخطوات صغيرة وبسيطة وهينة، وإذا ما كانت بداية الطريق للوحدة العربية سوف تكون بخطوات تدريجية ومتواصلة، بسيطة وهينة، فلماذا تأخر ذلك حتى الآن ؟

– أبسبب عدم وجود هيكل عربي وحدوي حتى يومنا هذا ؟

– ولماذا تأخر تأسيس هذا الهيكل الوحدوي حتى الآن ؟

– ولمصلحة من هذا التأخير ؟

وحالة العرب الراهنة تطرح العشرات من الأسئلة منها على سبيل المثال ما يلي :

أولاً لماذا يكون للعرب اثنان وعشرون دولة.

– واثنتان وعشرون جنسية ؟

– واثنان وعشرون اسما ؟

فالعرب في الحقيقة تكفيهم دولة واحدة يعيشون فيها، ويكفيهم جنسية واحدة تدل عليهم، ويكفيهم أيضا اسم واحد ليشير إليهم، فالعرب هم شعب واحد، ويعيشون في بقعة جغرافية شاسعة واحدة، ومن الممكن أن تضمهم دولة ضخمة واحدة تسمى بأي اسم يريدونه مثل الدولة العربية أو

الاتحاد العربي أو الولايات العربية المتحدة أو غيرها من الأسماء، مع احتفاظ كل قطر عربي باسمه التاريخي الذي عرف به على مر الأزمنة والعصور.

ثانيا: ولماذا يكون للعرب اثنان وعشرين راية ؟

فالعرب في الحقيقة تكفيهم راية واحدة لتدل عليهم لاسيما وأن كثير من أعلام الدول العربية متشابهة إلى حد كبير !

وهذه في الواقع ليست دعوة إلى إلغاء جميع رايات الدول العربية الحالية، وإنما هي دعوة لتصميم راية عربية موحدة ترفع جنبا إلى جنب مع رايات الدول العربية المحلية.

ثالثا: ولماذا يكون للدول العربية اثنان وعشرون نشيدا وطنيا ؟

فالعرب في الواقع يكفيهم نشيد وطني واحد يتغنون به من المحيط إلى الخليج لاسيما وأنهم يتكلمون بلغة جميلة واحدة، ويملكون تاريخا واحدا، وثقافة وحضارة واحدة، وأماني وآمال وأحلام مشتركة واحدة.

رابعا: ولماذا لا يكون للعرب هيئة بريدية واحدة، تصدر طوابع بريدية عربية موحدة تحمل صورا للشخصيات العربية القومية والوطنية في الدول العربية المختلفة، ولأبطالنا في الحروب القدامى والمعاصرون، وصورا للآثار العربية في شتى بقاع العالم العربي، وصورا لشعرائنا وأدبائنا وعلمائنا القدامى والمحدثين، وصورا لمظاهر نهضتنا القديمة، ولمظاهر حياتنا القديمة

والحداثة، وأيضا صورا للتنوع البيئي والجغرافي في بلادنا الشاسعة المترامية الأطراف.

خامسا: ولماذا يكون للعرب اثنان وعشرون نظاما ومنهاجا وبرنامجا تعليميا ؟

أما آن الوقت لكي يكون للعرب إستراتيجية تعليمية موحدة ؟

تلك الإستراتيجية النابعة في الأساس من ديننا وتاريخنا وثقافتنا وحضارتنا ن وأيضا من آمالنا وأمانينا المستقبلية المشتركة، وليست انعكاسا، لما تريد أن تمليه علينا بعض القوى العالمية الكبرى، فالولايات المتحدة على سبيل المثال تريد منا نحن العرب أن نبدل ونغير برامجنا التعليمية لأسباب سياسية، وهذه الأسباب تخدم بالدرجة الأولى مصالح الولايات المتحدة أولا ثم مصالح وأطماع الدولة الصهيونية في المنطقة العربية، ويزعم التربويون العرب أن مناهج التعليم العربية تعاني من التعقيد والانغلاق وتمجيد الماضي، إلا أنهم لم يضعوا لنا تصورا عصريا لبرامج تعليمية عربية بديلة وفاعلة تخدم المصالح العربية أولا وأخيرا، وإذا كان لابد من تبديل إستراتيجيتنا التعليمية فهذا يتطلب خلق منظومة تعليمية عربية جديدة ضمن إطار منظومة عربية جديدة وشاملة وينبغي على المنظومة التعليمية الجديدة أن تهتم بالعلوم الحديثة والعصرية من رياضيات وكيمياء وفيزياء وفلك وعلوم كونية وعلوم البحار

وطب وهندسة وجغرافية وتاريخ وأن تركز هذه المنظومة على إبراز فضل الحضارة العربية القديمة على المسيرة الحضارية العالمية، هذا الفضل الذي يجهله الكثير في العالم وربما أيضا في العالم العربي نفسه، والتركيز على الحضارة العربية القديمة لا يهدف إلى تمجيد الماضي، وإنما لكي يكون لنا حافزا لكي نصل إلى ما وصل إليه العرب الأوائل من علم ومجد وحضارة، ومن المهم جدا أن تتضمن البرامج التعليمية الجديدة على مناهج تعرف العرب ببعضهم، فالعرب في المشرق العربي لا يعرفون إلا القليل عن المغرب العربي والعكس صحيح أيضا بطبيعة الحال، ومن الغريب أن العرب في دول متجاورة لا يعرفون إلا القليل عن بعضهم البعض، ومن البديهي أن تتضمن البرامج التعليمة الجديدة أيضا على كل ما يضمن القضاء على جميع الدعوات العنصرية والشعوبية في الوطن العربي واستبدالها برأي عربي مستنير متحمس ومتعصب للقضايا العربية والإسلامية الجوهرية والمصيرية.

سادساً: ولماذا يحتاج العربي إلى تأشيرة دخول للسفر إلى إحدى الدول العربية رغم أن العرب جميعهم من المحيط للخليج هم شعب واحد؟

وفي الواقع أنه يوجد استثناءات لهذه القاعدة بالطبع، فسورية على سبيل المثال تسمح لجميع العرب بدخولها دون الحصول على تأشيرات دخول مسبقة لها، وكذلك دول الخليج العربي يتنقل رعاياها بينها بالبطاقة الشخصية

فقط، علاوة على بعض الاتفاقيات الثنائية بين الدول العربية مثل مصر والأردن اللتين تسمحان لرعاياهما بالتنقل بينهما دون تأشيرات سفر مسبقة، فلماذا لا يعمم هذا النظام على جميع الدول العربية ويتنقل العرب بين أقطار العالم العربي بالبطاقات الشخصية فقط، وإذا كانت الأسباب التي تمنع ذلك هي فنية، فمن الممكن التغلب عليها، أما إذا كانت هذه الأسباب هي أسباب أمنية، فمن الممكن إنشاء نظام أمني عربي موحد يمنع الخارجين على القانون من التنقل بين الدول العربية.

سابعا: ولماذا لا يكون لدى العرب جواز سفر موحد يتنقلون به بين دول العالم بدلا من أن يكون لديهم اثنان وعشرون جواز سفر وجنسية.

ثامنا: ولماذا لا يكون للعرب عملة موحدة بدلا من خليط العملات السائد في العالم العربي مثل الدينار والجنيه والريال والدرهم والشلن والليرة على سبيل المثال، فهم في الواقع تكفيهم عملة موحدة واحدة تشير إليهم كما يشير الدولار للولايات المتحدة، والروبل لروسيا، والجنية الإسترليني للملكة المتحدة، والليرة تشير للجمهورية الإيطالية، والين لليابان.

تاسعا: ولماذا لا يكون لدى العرب نظم اقتصادية ومالية وجمركية موحدة ؟ مع العمل الجاد والمنظم والمتواصل لإنشاء سوق عربية مشتركة التي

طال انتظارها وكثر الحديث عنها، على أن تكون هذه السوق على غرار السوق الأوروبية المشتركة أو أي نظام اقتصادي آخر مبتكر.

عاشراً: ولماذا لا يكون للعرب إستراتيجية سياسية وعسكرية واقتصادية وإعلامية موحدة نابعة من المصالح العربية العليا وليس من مصالح وإملاءات القوى العظمى المختلفة في العالم.

حادي عشر: ولماذا لا يكون للعرب تمثيل دبلوماسي موحد في المحافل والأواسط العالمية.

ثاني عشر: ولماذا لا يكون للعرب برلمان موحد على غرار البرلمان الأوربي.

ثالث عشر: ولماذا لا يكون للعرب جيش اتحادي واحد يقوم بحماية حدود وأجواء وسواحل العالم العربي.

رابع عشر: ومن البديهي أن يهتم النظام العربي الجديد بالعلم والعلماء وبالمخترعين والمستكشفين، وإنشاء مراكز دراسة وأبحاث متقدمة لهم من أجل نهضة علمية عربية واسعة وشاملة، مع تشجيع المواهب العلمية الواعدة واحتضانها والعمل على تقدمها وتطورها لكي تصل إلى مستويات عالية بدلا من أن تهاجر هذه المواهب العلمية إلى خارج الوطن العربي أو تضيع وسط مشاغل الحياة ومشاكلها في أوطانها.

خامس عشر: ولابد للنظام العربي الجديد من السعي إلى خلق قاعدة واسعة وضخمة للصناعات الاستهلاكية والصناعات الثقيلة المدنية والعسكرية معا وعلى حد سواء حتى نصل إلى درجة الاكتفاء الذاتي ولنتوقف عن الاستيراد من الخارج إلا فيما ندر لاسيما وأننا نملك الأموال والعقول اللازمة لتنفيذ تلك المشاريع الصناعية الضخمة، وإذا ما تحقق هذا الهدف تكون لدينا مصادر ضخمة أخرى للدخل القومي في حالة إذا ما نفدت مصادرنا البترولية، هذا مع العلم أن بعض الدول التي كانت تصنف فيما مضى من دول العالم الثالث وربما أقل من ذلك بكثير مثل كوريا الجنوبية التي دخلت في حرب مدمرة مع جارتها الشمالية والتي لا تملك – أي كوريا الجنوبية – لا تملك ما يملكه العرب من إمكانيات مالية وفكرية تعتبر الآن عاشر قوة صناعية في العالم، وقد بدأت كوريا الجنوبية ثورتها الصناعية والاقتصادية والتجارية مع بعض الدول العربية.

سادس عشر: ولماذا لا يكون لدى العرب هيئة عليا للرياضة، تقوم بتقسيم العالم العربي إلى أربع أو خمس مناطق رياضية عربية ؟

فمثلا دول المغرب العربي من الممكن أن تشكل منتخبات رياضة واحدة، وكذلك بلاد الشام والعراق من الممكن أن تشكل منتخبات رياضية واحدة، وأيضا دول شبه الجزيرة العربية ودول العربية ودول الخليج من

الممكن أن تشكل منتخبات رياضية واحدة، وينطبق ذلك على مصر والسودان والصومال وجيبوتي، وهذا ليس غريبا، فالمملكة المتحدة على سبيل المثال تمثلها أربعة منتجات وطنية هي: إنجلترا واسكتلندا وويلز وأيرلندا الشمالية، وبذلك يكون لدينا منتجات وطنية قوية، بدلا من اثنين وعشرين منتخبا ضعيفا لم تحقق أي انتصارات في المجال الرياضي.

ولماذا لا تكون لدى العرب دورة ألعاب أولمبية تشارك فيها جميع المنتخبات الرياضية العربية ؟ وبذلك نحقق الأهداف التالية :

١ – توثيق العلاقات بين الرياضيين العرب الذين يشاركون في هذه الألعاب.

٢ – إعطاء الفرصة للرياضيين العرب أن يبرزوا رياضيا على المستوى القومي.

٣ – اختيار الموهوبين من الرياضيين العرب وإعدادهم إعدادا رفيع المستوى للمنافسة في المسابقات الرياضية العربية.

سابع عشر: وفي الحقيقة أن الدعوة إلى الوحدة العربية لا تعني إطلاقا إهمال وتجاهل الأقليات الدينية والعرقية التي تعيش منذ أمد بعيد وحتى يومنا هذا في الدول العربية المختلفة، فليس من الحكمة والصواب النظر إلى تلك الأقليات كغرباء لا دور لهم في التاريخ العربي ثم نقوم بتهميشهم ونهضم حقوقهم الدينية والمدنية والاجتماعية والسياسية هضما خطيرا، فتلك

الأقليات عاشت بيننا بحرية وكرامة مع وجود بعض الاستثناءات بالطبع، فتلك الأقليات تعتبر عربية من منطلق أنهم يتكلمون باللغة العربية، وتاريخهم كله، وثقافتهم وحضارتهم مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتاريخ العربي العام وملحقة به، طالما أنهم لا يخلقون مشاكل من أي نوع مهما كانت صغيرة وتافهة للبلدان العربية، وبذلك نحقق ما يلي :

١ – تحقيق الوحدة الوطنية بين جميع الفئات الدينية والعرقية المكونة للمجتمع العربي، وفي الواقع أن الوحدة الوطنية بين الفئات المختلفة في الوطن العربي قضية مهمة جدا للعرب ولأمنهم واستقرارهم.

٢ – تلافي أي نوع من الصدام مع هذه الأقليات كما حدث في دول عربية معينة، الأمر الذي لا يستفيد منه سوى أعداء الأمة العربية.

٣ – عدم إشعار هذه الأقليات بأنها مضطهدة ومنبوذة وغير مرغوب في العالم العربي.

وإذا ما بدأ العرب بمنظومتهم الجديدة المرتقبة، من اتخاذ خطوات وحدوية حقيقية مهما كانت بسيطة في البداية، فعلى مر الزمن من الممكن أن تقوم وحدة عربية شاملة واندماجية.

ولكن...

قد يتساءل البعض :

وهل تسمح القوى المعادية للعرب أن يتوحدوا ويتضامنوا في هيكل وحدوي معين ؟

في الحقيقة أن القوى المعادية للعرب وفي مقدمتها الولايات المتحدة وبعض الدول الأوربية فضلا عن الكيان الصهيوني في فلسطين العربية سوف تحاول بكل قوتها وإمكانياتها وبكل ما تملكه من مكر وخبث ودهاء أن تجهض وتقوض أي مشروع عربي وحدوي من أساساته، ففي النصف الثاني من القرن الميلادي العشرين، وتحديدا في الثالث عشر من آذار / مارس ١٩٥٦، كتب الرئيس الأمريكي الراحل (ايزنهاور) يقول: أن على الولايات المتحدة أن تمنع أي تنسيق وتضامن بين الدول العربية، وإبان العدوان الإسرائيلي على لبنان في تموز / يوليو من العام الميلادي ٢٠٠٦، قالت وزيرة الخارجية الأمريكية (كوندوليسا رايس): يبدو أن اتفاقية سايكس ــ بيكو التي أبرمت بين بريطانيا وفرنسا لم تكن كافية لتقسيم العرب، وطالبت باتفاقية سايكس ــ بيكو جديدة لتقسيم ما هو مقسم من العالم العربي وتفكيك ما هو مفكك منه وتجزئة ما هو مجزأ منه.

وهذا بالطبع ليس غريبا على القوى المعادية للعرب، فهي تحاول على الدوام أن تقف حجر عثرة أمام المشاريع الوحدوية العربية، بل أنها تعتبر هذا من حقها وأمرا مشروعا لها، حفاظا على مصالحها في المنطقة العربية، ومن الغريب أن بعض التيارات العربية التي تدور في فلك الولايات المتحدة وبعض

الدول الأوربية وتأتمر بأمرها تساعد هذه القوى في تحقيق ما تصبو إليه من أهداف في المنطقة العربية.

فلصالح من يكون هذا ؟

إنه بالتأكيد ليس إطلاقا في صالح العرب.

ولذلك ينبغي علينا نحن العرب أن نتصدى بكل حزم وقوة لتلك القوى وللتيارات العربية المشبوهة، ويجب أن تتم الخطوات الوحدوية العربية وتتسم بالسرية التامة والتكتم الشديد، والتصدي بكل قوة وصلابة لجميع محاولات تلك القوى للتدخل في شئوننا واختراق النظام العربي الجديد والتأثير على نسيجه العام.

والآن...

لماذا تراجع التيار الوحدوي العربي قبل أن يحقق الوحدة بين أقاليم الوطن العربي ؟

هل كان ذلك نتيجة للنشاط المعادي للعرب من بعض القوى الكبرى فقط ؟

أم أنه كان نتيجة لأسباب أخرى ؟

في الواقع يبدو أن السبب في ذلك يعود للعرب أنفسهم وليس لسواهم، فالعرب حكومات وشعوب معا وعلى حد وساء لم يكونوا أبدا صادقين وجادين في مشروعهم الوحدوي !

ثم لماذا تراجع أصلا التيار القومي العربي بل وتوقف زحفه وامتداده فاسحا الطريق واسعة لتيارات مشوهة ومشبوهة لتأخذ مكانه وتبرز على السطح وتظهر للعلن ؟

رغم أن هذه التيارات لم تحقق ما كانت تعيبه على التيار القومي من فشل في تحقيق برامجه !

والأدهى من ذلك...

لماذا انكسرت الإرادة العربية ؟

ولماذا اختفت لاآت العرب الثلاث الشهيرة وهي " لا صلح ــ لا تفاوض ــ لا اعتراف " ؟ التي قررها مؤتمر القمة العربي الذي عقد بمدينة الخرطوم السودانية عقب الهزيمة العربية النكراء في الخامس من حزيران / يونيو عام ١٩٦٧، تلك الهزيمة التي ربما كانت أشد قسوة وأشد إيلاما من جميع الهزائم العربية المعاصرة، ففي تلك الحرب احتل الصهاينة جميع ما تبقى من أراضي فلسطينية بيد العرب بعد حرب عام ١٩٤٨ وهي " الضفة

الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة " أي جميع أرض فلسطين التاريخية، إضافة لشبه جزيرة سيناء والمرتفعات السورية (هضبة الجولان).

في الحقيقة أن عدم العمل بهذه اللاآت بل واختفائها أعطى الفرصة لتيارات الصلح مع الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة والتطبيع معه للظهور بصورة مقززة وتدعو للاشمئزاز، ويعود ذلك في الواقع للعام الميلادي ١٩٧٧!

فماذا حدث في عام ١٩٧٧؟

في التاسع عشر من تشرين الثاني / نوفمبر من العام الميلادي ١٩٧٧، أقلعت طائرة من إحدى القواعد العسكرية في منطقة قناة السويس في رحلة جوية استغرقت ثماني وعشرون دقيقة متوجهة إلى مطار بن غوريون بفلسطين المحتلة، كانت هذه الطائرة تقل الرئيس المصري الراحل أنور السادات والوفد المرافق له في زيارة غير مسبوقة لزعيم عربي للكيان الصهيوني، وقد قام الرئيس أنور السادات خلال زيارته لإسرائيل بإجراء محادثات مع رئيس الوزراء الإسرائيلي الإرهابي مناحم بيجن وألقى خطابا أمام البرلمان الإسرائيل " الكنيست " وعرض على مسامع الحضور رؤيته بشأن إنهاء الصراع العربي ـــ الإسرائيلي وإقامة السلام بين الطرفين ثم قفل عائدا إلى بلاده.

وبعد زيارة الرئيس أنور السادات لإسرائيل، أبرمت اتفاقية السلام المصرية ـ الإسرائيلية أو اتفاقية كامب ديفيد في آذار / مارس ١٩٧٩، التي أنهت الصراع المصري ـ الإسرائيلي، وبموجب هذه الاتفاقية انسحبت إسرائيل انسحابا مشروطا من شبه صحراء سيناء، واعترفت مصر بدولة إسرائيل وأنشأت علاقات دبلوماسية معها وتم تبادل السفراء بين البلدين، وفي إطار التطبيع بين مصر وإسرائيل، أقيمت علاقات تجارية واقتصادية وسياحية بينهما.

وقبل زيارة الرئيس المصري أنور السادات للكيان الصهيوني الغاصب في فلسطين المحتلة، لم يكن عربي واحد يجرؤ حتى ولو بينه وبين نفسه عن التعبير عن إمكانية الصلح مع إسرائيل والاعتراف لها والتطبيع معها، وإلا كان سيتهم بتهم كثيرة من أبسطها تهمة الخيانة العظمى، إلا أنه وبعد هذه الزيارة وتوقيع اتفاقية كامب ـ ديفيد للصلح بين مصر وإسرائيل توالت المحادثات والاتفاقيات بين العرب وإسرائيل لعقد اتفاقيات صلح بينهما ففي الثلاثين من تشرين الأول / أكتوبر عام ١٩٩١، عقد مؤتمر السلام حول الشرق الأوسط في مدينة مدريد الإسبانية في عهد الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب، ثم وقع الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات " أبو عمار " في الثالث عشر من أيلول / سبتمبر من العام الميلادي ١٩٩٣ اتفاقية أوسلو بين

منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل، وبحسب هذه الاتفاقية غيرت منظمة التحرير الفلسطينية من ميثاقها واعترفت بدولة إسرائيل، ودخلت القيادة الفلسطينية للأراضي المحتلة، وأنشأت السلطة الفلسطينية في الضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة، ومن الغريب أن الرئيس ياسر عرفات لم يجري أي استفتاء لشعبه سواء في الأراضي المحتلة أو في الشتات على إذا كان هذا الشعب يوافق على المحادثات الجارية بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل أو على اتفاقية أوسلو، وربما لم يسمع معظم أبناء الشعب العربي الفلسطيني باتفاقية أوسلو إلا بعد توقيعها والإعلان عنها، وهذا مخالف بالطبع لجميع الأسس الديمقراطية، ولا يكفي أن يقال أن الرئيس ياسر عرفات استشار أعضاء القيادة الفلسطينية وبعض القيادات العربية، فهذا الأمر المصيري يتعلق بالشعوب وليس بالقيادات مهما كانت شعبيتها وقدرتها على الإقناع، ثم وقع الملك الأردني حسين بن طلال اتفاقية وادي عربة للصلح مع إسرائيل منهيا بذلك حالة الحرب التي كانت قائمة بين الأردن وإسرائيل.

وعندما رأى العالم العربي أن القيادة الفلسطينية متمثلة في الرئيس ياسر عرفات أبرمت معاهدة سلام مع الكيان الصهيوني واعترفت به بعدما كانت تنادي بتحرير فلسطين من البحر إلى النهر، وكذلك فعلت بعض دول المواجهة مع إسرائيل أي دول الطوق مثل مصر والأردن، فقامت بعض

الدول العربية التي لا تملك حدودا مع إسرائيل بإقامة علاقات دبلوماسية هي الأخرى مع الكيان الصهيوني وطبعت معه، ثم جاءت المبادرة العربية للسلام مع إسرائيل التي طالب بانسحاب القوات الإسرائيلية من جميع الأرضي العربية التي احتلت في عام ١٩٦٧ تنفيذا لقراري مجلس الأمن رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ والذين عززتهما قرارات مؤتمر مدريد في عام ١٩٩١، وتلخص رنا أبو ضهير الرفاعي والدكتور محمد قبيسي في كتاب " الإرهاب الصهيوني والسلام العربي بين الشهادة والإبادة " مبادرة السلام العربية في النقاط التالية:

١ – يطلب مجلس الأمن من إسرائيل إعادة النظر في سياساتها، وأن تجنح للسلم معلنة أن السلام العادل هو خيارها الإستراتيجي أيضا.

٢ – كما يطالبها القيام بما يلي :

أ – الانسحاب الكامل من الأراضي العربية المحتلة بما في ذلك الجولان السوري حتى خط الرابع من حزيران / يونيو ١٩٦٧، والأرضي التي مازالت محتلة من الجنوب اللبناني.

ب – التوصل إلى حل عادل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين يتفق عليه وفقا لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٩٤.

جـ – قبول قيام دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة على الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ الرابع من حزيران / يونيو ١٩٦٧ في الضفة الغربية وقطاع غزة وتكون عاصمتها القدس الشرقية.

٣ – عندئذ تقوم الدول العربية بما يلي :

أ – اعتبار النزاع العربي – الإسرائيلي منتهيا، والدخول في اتفاقية سلام بينها وبين إسرائيل مع تحقيق الأمن لجميع دول المنطقة.

ب – إنشاء علاقات طبيعية مع إسرائيل في إطار هذا السلام الشامل

٤ – ضمان رفض كل أشكال التوطين الفلسطيني الذي يتنافى والوضع الخاص في البلدان العربية المضيفة.

٥ – يدعوا المجلس حكومة إسرائيل والإسرائيليين جميعا إلى قبول هذه المبادرة المبينة أعلاه حماية لفرص السلام وحقنا للدماء وبما يمكن الدول العربية وإسرائيل على العيش في سلام جنبا إلى جنب، ويوفر للأجيال مستقبلا آمنا يسوده الرخاء والاستقرار.

٦ – يدعو المجلس المجتمع الدولي بكل دولة ومنظماته إلى دعم هذه المبادرة.

٧ – يطلب المجل من رئاسته تشكيل لجنة خاصة من عدد من الدول الأعضاء المعنية والأمين العام لإجراء الاتصالات اللازمة لهيئة الأمم المتحدة

ومجلس الأمن والولايات المتحدة والاتحاد الروسي والدول الإسلامية والاتحاد الأوربي.

إلا أن الكيان الصهيوني في فلسطين العربية مترددا في قبول مبادرة السلام العربية، وحتى وإذا قبلتها، فإنها سوف تحاول إجراء بعض التعديلات عليها وبخاصة فيما يتعلق بالانسحاب إلى حدود ما قبل حزيران / يونيو ١٩٦٧، وبحق اللاجئين الفلسطينيين العودة إلى ديارهم وممتلكاتهم قبل حرب عام ١٩٤٨.

والاعتراف بالكيان الصهيوني في فلسطين العربية سواء من القيادة الفلسطينية أو القيادات العربية الأخرى يعني ضمنا ما يلي :

أولاً: التخلي عن خيار الكفاح المسلح والتحرير العسكري لحل القضية الفلسطينية العادلة لصالح الكيان الصهيوني، رغم أن العرب قادرون على الخيار العسكري إذا ما كانت لديهم النية الصادقة لهذا الخيار، وبذلك اختفت الشعارات التي كانت تنادي بتحرير فلسطين جميعها التي تربت عليها الأجيال العربية جيلا بعد جيل، الأمر الذي أصاب الشعب العربي وبخاصة الشعب الفلسطيني بالحيرة الشديدة، والصدمة، وخيبة الأمل.

ثانياً: استسلام الإرادة العربية لإرادة الكيان الصهيوني الغاصب في فلسطين العربية، والحقيقة أن ما ينادي به التيار المسالم والمعتدل من العرب

ويروج للتطبيع مع إسرائيل هو في الواقع نوع من الهزيمة إن لم يكن جزء منها، فلا مكان للاعتدال في القضايا العربية المصيرية والجوهرية.

ثالثا: الاعتراف بشرعية وجود الكيان الصهيوني على أرض فلسطين العربية وقبول هذا الكيان الغاصب ككيان ديني وقومي وعسكري مغاير لديانة وقومية الوطن العربي.

رابعا: التنكر للشعب العربي الفلسطيني وحقه في تحرير كامل ترابه الوطني، وإضفاء الشرعية على ما تقوم به إسرائيل من مذابح همجية بشعة، وجرائم إبادة جماعية بربرية يومية بحق الشعب الفلسطيني الأعزل.

خامسا: التنكر لأرواح عشرات الآلاف من أبناء الشعب العربي الذين استشهدوا خلال الحروب العربية ــ الإسرائيلية المتتالية.

سادسا: التنكر لمبادئ جامعة الدول العربية التي تقضي بعزم الدول العربية على التشاور وتبادل الرأي فيما بينها في حالة وقوع عمل عدائي ضد أي دولة من الدول العربية.

سابعا: تحويل النصر العسكري المحدود الذي حققته الجيوش العربية إبان حرب عام ١٩٧٣ إلى هزيمة سياسية نكراء على أيدي السياسيين العرب بإبرامهم لاتفاقيات السلام مع إسرائيل.

ثامنـا: سلخ أكبر قوة بشرية وعسكرية في الوطن العربي وهي دولة مصر، واستثنائها من الصراع العربي ـــ الإسرائيلي، مما أدى إلى تقزيم دورها في هذا الصراع إلى مجرد واسطة للتوصل لاتفاقيات وقف إطلاق النار بين القوات الفلسطينية والقوات الإسرائيلية أو تفاهمات للإفراج عن الأسرى في السجون والمعتقلات الإسرائيلية، أو هؤلاء الذين يوجدون لدى المقاومة الفلسطينية.

وبالرغم من اعتراف بعض الدول العربية بالكيان الصهيوني في فلسطين العربية، وبالرغم من مبادرة السلام العربية أيضا، فلا يبدو أن الكيان الصهيوني على استعداد في الوقت الحاضر على التجاوب مع مبادرات السلام العربية، أو تغير من وجهة نظره للشعب العربي الفلسطيني وحقه في العيش بحرية وكرامة على أرض آبائه وأجداده، ولازالت آلة الحرب الإسرائيلية تمارس كل أنواع الإرهاب والقتل والعنف ضد هذا الشعب على أنواع الإرهاب والقتل والعنف ضد هذا الشعب على مرأى ومسمع من الدول العربية والعالم بأسره، وتواصل عدوانها اليومي عليه دون رادع سوى ردع حركة المقاومة الفلسطينية بإمكانياتها المتواضعة جدا، ولازالت القيادة الإسرائيلية تعمل جاهدة لإفقار الشعب الفلسطيني وتجويعه وحرمانه من

أبسط حقوقه الإنسانية حتى يكف عن مقاومته لها أو الرحيل إلى خارج أرض فلسطين العربية كما يأمل الصهاينة.

ولكن...

بالرغم من جميع المعوقات المحلية والإقليمية والعالمية، فإن تيار الوحدة العربية عائد للساحة، فالعرب يدركون الآن أكثر من أي وقت مضى أن وحدتهم وتضامنهم وتعاونهم هو سبيل خلاصهم مما يعانون منه من مشاكل قومية وعسكرية واقتصادية واجتماعية، كما وأن التيار القومي عائد بقوة للساحة العربية بعد أن تراجع لفترة طويلة وبخاصة عقب فشل التيارات الأخرى في تحقيق ما يصبوا إليه العرب من نهضة وازدهار.

وفي أواخر السبعينيات من القرن الماضي قال رئيس الوزراء الإسرائيلي الراحل الإرهابي من الرأس إلى القدمين " مناحم بيجن " ما يلي :

" أنا لا يزعجني كلمة فلسطيني ي، ولكن تزعجني كلمة عربي ".

وفي الحقيقة أن العرب قادمون إن شاء الله وبعونه وإن تأخر قدومهم بعض الوقت وإلى أن يأتي ذلك اليوم فعلى الصهاينة أن يعيدوا حساباتهم ألف مرة !

٥ – ٣: إضعاف إسرائيل داخليا :

بدلا من أن نجلس مشلولي الحركة والإرادة ننتظر أن تحقق إسرائيل أهدافها الرامية إلى تفكيكنا وتفتيتنا وإضعافنا والقضاء علينا لابد

وأن نبدأ نحن العرب من الآن وحسب خطط مدروسة جيدا في عمليات واسعة النطاق لاختراق المجتمع الإسرائيلي من أجل تفكيكه وتفتيته وإضعافه حتى إذا ما آن وقت المواجهة الشاملة مع الكيان الصهيوني، لا يقوى هذا الكيان الغاصب على التصدي والصمود طويلا، وقد تبدو مهمة تفكيك وتفتيت وإضعاف المجتمع الإسرائيلي مهمة صعبة للغاية وضربا من المحال، ولكن الأمر ليس كذلك على الإطلاق، فمهمة تفكيك وتفتيت وإضعاف المجتمع الإسرائيلي تبدو في الواقع أمرا ممكنا وقابل للتحقيق إذا ما تضافرت النوايا والجهود للوصول لهذا الهدف.

وظاهريا يبدو الكيان الصهيوني الغاصب في فلسطين العربية متماسكا ومتحدا ويدا واحدة في مواجهة العرب، وهذا راجع بالطبع إلى حالة الضعف المزرية والمهينة التي يمر بها العالم العربي في الوقت الراهن إضافة إلى الانتصارات المتتالية التي حققها الصهاينة على الجيوش العربية والحقيقة أن قوة إسرائيل وتماسكها واتحادها يكمن في ضعف العرب وتفككهم وانشقاقهم عن بعضهم البعض، ولكن إذا ما زالت العناصر التي تشكل ضعف العرب وتفككهم، فإن الصورة سوف تتغير تماما، فالكيان الصهيوني الغاصب في فلسطين العربية سيتعرض إلى خطر حقيقي يهدده بالزوال، وتماسك هذا الكيان سوف ينهار وتسود فيه الفوضى والفتن والانقسامات، وفي الوقع أن

هذه السمة سمة بارزة من سمات التركيب النفسي للشخصية اليهودية إذا ما تعرضت لخطر من أي نوع، وهي سمة قديمة فيهم وقديمة جدا، يقول الله عز وجل في كتابه العزيز واصفا هذه الصفة في اليهود بقوله تعالى:

" لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون — لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدار بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ". (*)

والتاريخ خير شاهد على هذه الصفة في اليهود، فإذا ما استعرضنا أحداث ووقائع التاريخ اليهودي القديم المزعوم في فلسطين العربية كما يراه اليهود، نجد أن بذور الشقاق والخلاف والانقسام داخل المملكة القديمة المزعومة في فلسطين العربية قد ظهرت في وقت مبكر من عمر هذه المملكة اليهودية المزعومة القديمة على يد الفلسطينيين، فمباشرة بعد موت أول ملوك المملكة اليهودية القديمة (شاؤول بن قيس) منتحرا في معركة جبل جلبوع مع الفلسطينيين ومقتل ثلاثة من أبنائه في هذه المعركة كان من بينهم ولي العهد (جوناثان)، الأمر الذي هدد وجود هذه المملكة المزعومة في فلسطين العربية بالزوال والاختفاء عن الوجود، إلا أن هذه المملكة المزعومة انقسمت بعد موت شاؤول بن قيس إلى مملكتين متناحرتين، إذ بايعت الأسباط الشمالية " اشبوشت " الابن الرابع لشاؤول ملكا عليها بدعم وتأييد في المدعو " أبنير "

قائد جيش شاؤول، واتخذ أشبوشت من بلده (محانيم) عاصمة له، بينما بايعت الأسباط الجنوبية داود بن يسي عليه السلام ملكا عليها والذي اتخذ من بلده الخليل " حبرون " عاصمة له ومقرا لحكمه، وقد دارت بين المملكتين اليهوديتين في فلسطين العربية معارك طاحنة لم تتوقف إلا بعد موت أشبوشت بن شاؤول.

وإبان ولاية داود وسليمان عليهما السلام يزعم اليهود أن المملكة اليهودية القديمة في فلسطين العربية استعادت وحدتها وتماسكها، إلا أنه وما أن توفي سليمان عليه السلام حتى انقسمت المملكة اليهودية المزعومة في فلسطين العربية ثانية إلى مملكتين :

الأولى: مملكة شمالية، تقع شمالي فلسطين العربية اسمها إسرائيل، وعاصمتها هي مدينة " السامرة " وجلس على عرشها " يربعام بن ناباط ".

والمملكة الثانية: هي مملكة جنوبية تقع جنوبي مملكة إسرائيل، اسمها " يهوذا " وعاصمتها هي مدينة أورشليم " القدس " وجلس على عرشها " رحبعام بن سليمان " ولم يمضي وقت طويل حتى أعلن الملك يربعام بن ناباط ملك المملكة اليهودية الشمالية الحرب على المملكة الجنوبية " يهوذا " ودارت بين المملكتين اليهوديتين معارك دامية، وقام يربعام بن ناباط بقتل

وأسر مئات الآلاف من أبناء جلدته، وفي هذا السياق ورد في الإصحاح الثامن والعشرين من سفر أخبار الأيام الأولى ما يلي :

"وسبى بنو إسرائيل من أخوتهم مئتي ألف من النساء والبنات، ونهبوا منهم غنيمة وافرة، وأتوا بالغنيمة إلى السامرة، وكان هناك نبي للرب اسمه عوديد، فخرج للقاء الجيش الآتي من السامرة وقال: هوذا من أجل غضب الرب إله آبائكم على يهوذا قد دفعهم ليدمركم، فقتلتموهم بغضب من السماء ". (٦)

ولقد استمرت الحروب الطاحنة بين المملكتين اليهوديتين في فلسطين العربية حتى السنة الخامسة من حكم رجعام بن سليمان — وكأن فلسطين العربية ليس فيها سوى اليهود — ولم تتوقف هذه الحروب إلا بعد اجتياح الفرعون المصري ليبي الأصل " شيشنق الأول " لجميع الأراضي الفلسطينية وأرضي شرقي الأردن فهيا بذلك أي وجود سياسي وعسكري لليهود في فلسطين العربية، هذا لو كان لهم وجود سياسي وعسكري أصلا فيها، جاء في الإصحاح الرابع عشر من سفر الملوك الأول ما يلي :

" وفي السنة الخامسة للملك رجعام صعد شيشنق الأول ملك مصر إلى اورشليم، واخذ خزائن بيت المالك، واخذ كل شيء، واخذ أتراس الذهب التي عملها سليمان ". (٧)

والحقيقة أن دولة إسرائيل الحالية ليست أحسن حالا من الدولة اليهودية القديمة في فلسطين العربية، فالمجتمع الإسرائيلي الحالي مجتمع زائف ومصنع وفيه الكثير من المتناقضات والسلبيات، فهو يتكون أساسا من خليط سكاني غريب وغير متجانس من البشر يعتمد بصفة رئيسية على الهجرات الأجنبية إلى إسرائيل، وفي الواقع أن هناك تمييز وتفرقة بين المكونات البشرية الرئيسية المكونة للمجتمع الإسرائيلي يصل في غالبية الأحيان إلى حد التمييز والتفرقة العنصرية ضد شرائح واسعة من هذا المجتمع، وهضم خطير لحقوقها الاجتماعية والمدنية والإنسانية، بالرغم أنه قد ورد في نص إعلان قيام دولة إسرائيل في فلسطين العربية عشية الرابع عشر من أيار / مايو من العام الميلادي ١٩٤٨ ما يلي :

" إن دولة إسرائيل ستفتح أبوابها أمام الهجرة اليهودية لتجمع شمل المنفيين وسترعى تطور البلد لمنفعة جميع السكان، وستقوم على مبادئ الحرية والعدالة والسلام كما تصورها أنبياء إسرائيل، وستحافظ على المساواة التامة في الحقوق الاجتماعية والسياسية لجميع سكانها دون تفرقة في الدين أو العرق أو الجنس، وستضمن حرية الدين والمعتقد واللغة والتعليم والثقافة، وستحمي الأماكن المقدسة لجميع الديانات، وتكون فيه لمبادئ الأمم المتحدة ". (٨)

إلا أن الصورة الوردية والرومانسية التي رسمها الصهاينة لدولة إسرائيل كما ورد في نص إعلان قيام دولة إسرائيل في عام ١٩٤٨ لم تكن كذلك، ففي الواقع أنه لا يوجد في هذه الدولة حرية ولا عدل ولا مساواة، ولا يوجد في إسرائيل احترام للديانات الأخرى ولا حماية لأماكنها الدينية المقدسة، ولا تلتزم إسرائيل بمبادئ وقرارات الأمم المتحدة.

وفي الحقيقة أن سكان إسرائيل ينقسمون إلى أربعة أقسام :

أولا: فئة اليهود الشرقيين.

* السفارد أو الفاردم *

وهؤلاء هم اليهود الذين أتوا لإسرائيل من البلدان العربية والإسلامية كالعراق وسوريا ومصر واليمن وبلدان الشمال الأفريقي، وإيران وغيرها.

ثانيا: فئة اليهود الغربيين.

* الأشكناز أو الأشكنازيم *

وهؤلاء هم اليهود الذين أتوا إلى إسرائيل من روسيا وألمانيا ودول أوربا الشرقية مثل بولندا ورومانيا وبلغاريا، وأيضا من دول أوربا الغربية مثل إنجلترا وفرنسا وهولندا والنمسا وغيرها.

إضافة اليهود من كندا والولايات المتحدة الأمريكية والبرازيل والأرجنتين وجنوب أفريقيا وأستراليا.

ثالثا: فئة يهود الصابريم

" الصابريم "

الصابرا هم أبناء اليهود الذين ولدوا ونشئوا فلسطين قبل أو وبعد قيام دولة إسرائيل.

رابعا: فئة العرب:

وفئة العرب في المجتمع الإسرائيلي هم العرب الذين بقوا يقيمون في مدنهم وقراهم ولم يرحلوا عنها خلال حرب عام ١٩٤٨ أو بسببها.

وبالإضافة إلى الأربع فئات البشرية السالفة الذكر في المجتمع الإسرائيلي توجد بعض الطوائف اليهودية التي ترفض دولة إسرائيل بالطريقة التي قامت عليها في العام الميلادي ١٩٤٨، وترفض أيضا الحركة الصهيونية التي قامت بتأسيس دولة إسرائيل، ولا تعترف بها مثل جماعة ناطوري كارطا والحركة الحريدية، وعلاوة على ذلك يوجد في المجتمع الإسرائيلي التيار العلماني بين اليهود الغربيين (الأشكناز) الذي يرفض الحركة الصهيونية كامتداد لليهودية الدينية، وهؤلاء يشكلون نسبة غير صغيرة من اليهود الغربيين.

وفي الواقع أن هناك تمييز وتفرقة عنصرية واضحة وجلية بين المكونات البشرية الرئيسية في المجتمع الإسرائيلي في المجتمع الإسرائيلي، فداخل منظومة هذا المجتمع يعاني اليهود الشرقيون أو السفارديم في التفرقة

العنصرية ضدهم من قبل اليهود الغربيين أو الأشكنازيم في جميع المجالات تقريبا ماعدا حق المواطنة، فاليهود السفارد " السفاردين " لا يتساوون مع اليهود الأشكناز " الأشكنازيم " في الوظائف والدخل والسكن رغم أن عدد أفراد أسر اليهود السفارد أكبر من عدد أفراد أسر اليهود الأشكناز، ولهذا فإن المستوى الاقتصادي والاجتماعي والمعيشي لليهود السفارد متدني إذا ما قورن بمستويات اليهود الأشكناز، ولا يتساوى اليهود السفارد باليهود الأشكناز في مستوى التعليم، فاليهود السفارد يغلب عليهم ضعف تعليمهم وقلة ثقافتهم وتدني مهاراتهم، ولا يتساوى اليهود السفارد باليهود الأشكناز في المجال السياسي مثل التمثيل في مجلس الوزراء والحكومة والكنيست " البرلمان " ولا في الهستدروت والأحزاب السياسية التي غالبا ما يشغل اليهود الأشكناز في هذه المواقع السياسية المراكز العليا والهامة والحساسة، ولا يتساوى اليهود السفارد باليهود الأشكناز أيضا في الجيش وبخاصة في قيادته، ويترك لليهود السفارد فيه الأعمال الدنيا مثل أعمال الحفر والهدم وقيادة السيارات وأعمال الصيانة والمطبخ.

ولا ينطبق القانون الإسرائيلي على كافة فئات المجتمع الإسرائيلي وغالبا ما يكون هذا القانون منحازا لليهود الأشكناز، وفي قضية مشهورة حدثت في العام الميلادي ١٩٦٥، فإن المدعو " رفائيل شيفل " الذي كان

يعمل وكيلا لوزارة الصحة الإسرائيلية قد أدين بقبض رشوة مالية في مقابل موافقته على بناء أحد المستشفيات، وحكم عليه بالسجن، إلا أن هذا الحكم لم ينفذ لأن " شيفل " والذين تعاونوا معه كانوا من اليهود " الأشكناز ".

إن هذا الوضع بطبيعته يؤدي إلى أن يعيش اليهود الأشكناز واثقين بأنفسهم، وينظرون لليهود السفارد نظرة كلها احتقار وازدراء لهم، ويعتبرون أنفسهم أفضل المواطنين في دولة إسرائيل، إذ يعتبر اليهود الأشكناز حياة اليهود السفارد أنها حياة القرون الوسطى، ومما زاد الأمور سوء وتعقيدا هو محاولات القيادة السياسية الإسرائيلية إنكار هوية اليهود السفارد التاريخية والثقافية والحضارية، وتهميش للغاتهم وعاداتهم وتقاليدهم التي هي مستمدة في الأصل من تاريخ وثقافة وحضارة ولغات وعادات وتقاليد الشعوب العربية والإسلامية والشرقية التي أتوا منها، والتي تمتد إليها أيضا جذورهم العرقية والاجتماعية وذكرياتهم وماضيهم كله، ولذلك يعيش اليهود السفارد وسط مركب نقص قاتل في المجتمع الإسرائيلي.

وتحاول السلطات الإسرائيلية دمج الفئات المختلفة في المجتمع الإسرائيلي بعضها ببعض وبخاصة اليهود السفارد واليهود الأشكناز في بوتقة واحدة من أجل إذابة الفوارق العرقية واللغوية والاجتماعية والثقافية

والحضارية بين هذه الفئات، إلا أن دمج اليهود السفارد باليهود الأشكناز لم ينجح لعدة أسبا لعل من أهمها ما يلي :

١ – إن هجرة اليهود السفارد إلى إسرائيل لم تكن لتحقيق أهداف سياسية، وإنما بعض اليهود السفارد هاجر إلى إسرائيل مضطرا، والبعض الآخر هاجر إليها بسبب مشاعر دينية تنفيذا لما قاله موسى عليه السلام حسب الزعم اليهودي بالعودة إلى أرض الميعاد " فلسطين العربية ".

٢ – لم يستوعب اليهود السفارد طريقة الحياة الجديدة التي أريد لهم الاندماج فيها، فمعظمهم جاء من بلاد اعتادوا فيها الزواج المبكر وكثرة المواليد، وعدم الذهاب إلى المدارس والعيش في أكواخ صغيرة.

٣ – معارضة اليهود السفارد تحرير المرأة والتعليم الإجباري والخدمة في الجيش.

ولقد وضع فلاسفة الصهيونية أملهم في اندماج الفئات المختلفة في المجتمع الإسرائيلي من خلال ما يلي :

أولا: الجيش :

كان من المفترض أن يكون جيش الدفاع الإسرائيلي هو البوتقة التي تنصهر فيها جميع الفوارق بين اليهود السفارد واليهود الأشكناز، إلا أنه وعلى العكس تماما من ذلك، فإن التمييز والتفرقة العنصرية بين اليهود السفارد واليهود الأشكناز وجدت لها مكانا رئيسيا في الجيش الإسرائيلي

والمؤسسة العسكرية بصفة عامة ولم يتحقق الدمج بين فئات المجتمع الإسرائيلي وبخاصة بين اليهود السفارد واليهود الأشكناز.

ثانيا: جيل الصابرا أو الصابريم :

كان من المفترض أيضا أن يكون جيل الصابرا " الصابريم وهم اليهود الذين ولدوا ونشئوا في إسرائيل، هو الجيل الذي تذوب فيه جميع الفوارق العرقية واللغوية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية بين اليهود السفارد واليهود الأشكناز، لأن هذا الجيل ولد ونشأ في إسرائيل ولا يعرف غيرها، كما أنه لم يعاني من مشاكل اللاسامية التي تعرض لها اليهود الأشكناز في العالم الغربي والتي يسهب اليهود الأشكناز في وصفها والحديث عنها، إلا أنه هذا التصور لم يكن صحيحا ودقيقا على الإطلاق، فجيل يهود الصابرا أيضا يتميز بالتفرقة العنصرية للسببين التاليين :

١ – أن جيل يهود الصابرا يعتبرون أنفسهم إسرائيليين حقيقيين، وينظرون إلى بقية اليهود في المجتمع الإسرائيلي نظرة استخفاف وتعالي.

٢ – والأدهى من ذلك أن الطبيعة العنصرية للمجتمع الإسرائيلي لا تعتبر أبناء اليهود السفارد من جيل يهود الصابرا رغم أنهم ولدوا ونشأوا في إسرائيل، وإنما يطلقون عليهم اسم اليهود السمر أو السود، وأصبح جيل الصابرا يطلق على أبناء اليهود الأشكناز فقط.

ولقد اعتاد القادة الصهاينة وعلى أعلى المستويات الاعتراف بوجود ظاهرة التميز والتفرقة العنصرية في منظومة المجتمع الإسرائيلي، فرئيس الوزراء الإسرائيلي الراحل " ليفي أشكول " على سبيل المثال وصف ظاهرة التميز والتفرقة العنصرية في إسرائيل في تصريح له أدلى به إلى صحيفة نيويورك تايمز في التاسع والعشرين من شهر كانون الثاني / يناير من العام الميلادي ١٩٦٥ قال فيه ما يلي :

" إن التفرقة العنصرية في إسرائيل مشكلة رئيسة في حياة إسرائيل، وقال: إن البعض يرى أن الفوارق الاجتماعية والاقتصادية والثقافة بين السفارديم والأشكنازيم تشكل خطرا حقيقيا على الوجود الإسرائيلي لا يقل عن الخطر الذي تواجهه إسرائيل من جانب الدول العربية المجاورة ".

وفي الحقيقة أن الفوارق العرقية والبيئية واللغوية والاجتماعية والاقتصادية إضافة إلى الفوارق التاريخية والثقافية والحضارية بين اليهود السفارد واليهود الأشكناز داخل منظومة المجتمع الإسرائيلي المصطنع، وما يعانيه اليهود السفارد داخل هذا المجتمع من تميز وتفرقة عنصرية وما يتعرضون له من قهر واضطهاد وتهميش لهم على أيدي اليهود الأشكناز، من الممكن أن تشكل كلها مجتمعه أرضا خصبة ومدخلا واسعا لاختراق منظومة المجتمع الإسرائيلي الهشة التوازن بل وتفكيكه وتفتيته وإضعافه وزعزعة أمنه

واستقرار إذا ما أحسن استغلال هذه الفوارق لتحقيق هذا الهدف، وهذا يتوجب علينا نحن العرب أن نبدأ من الآن وباستخدام جميع الوسائل الممكنة في توجيه جل اهتمامنا ونشاطنا نحو اليهود السفارد، وإعادة صياغتهم صياغة فكرية جديدة غير التي اعتادوا عليها داخل دولة إسرائيل تتمحور حول النقاط التالية :

١ – التركيز على أن وجود الملايين من اليهود السفارد وغيرهم يعني بالضرورة تشريد وضياع عدد مماثل من أبناء الشعب العربي الفلسطيني الصاحب الأصلي لأرض فلسطين العربية، وتحويله إلى مجموعات من اللاجئين تعيش في شتى بقاع الأرض.

٢ – ربما يود عدد كبير من اليهود السفارد ترك إسرائيل والرحيل عنها والعودة إلى بلادهم الأصلية التي أتوا منها حيث تنتظرهم فيها حياة كريمة ومتسامحة، لاسيما وأنهم هاجروا إلى إسرائيل بتأثير من الضغط والإرهاب الصهيوني عليهم، وأملا في تحسين أحوالهم المعيشية والاجتماعية والاقتصادية، ولكنهم لم يهاجروا إلى إسرائيل لدوافع سياسية، أو هربا من ظاهرة اللاسامية التي لم يعانوا منها أبدا في بلدانهم الأصلية، وفي هذه الحالة ينبغي أن تفتح البلدان ذات العلاقة أبوابها لليهود السفارد، وتسمح لهم بالعودة ليها واستعادة جنسياتهم الأصلية.

٣ – تذكير اليهود السفارد بالحياة المتسامحة والكريمة التي كانوا يعيشونها في بلدانهم الأصلية على مدى مئات السنين، والبعيدة كل البعد عن التعصب والعنصرية.

٤ – احترام تاريخ وثقافة وحضارة ولغات وعادات وتقاليد اليهود السفارد التي هي في الواقع مستمدة أصلا من تاريخ وثقافة ولغات وعادات وتقاليد الشعوب العربية والإسلامية والشرقية التي كانوا يعيشون بينها قبل هجرتهم إلى دولة إسرائيل.

٥ – احترام إنسانية اليهود السفارد وحقهم في العيش في ظل حياة كريمة ومتسامحة، إضافة إلى احترام قيمهم ومبادئهم وما يؤمنون به من تعاليم دينية سواء بقوا في إسرائيل أو هاجروا هجرة مضادة إلى بلادهم الأصلية.

ولحن إذا ما نجحنا في إعادة صياغة اليهود السفارد صياغة فكرية جديدة نابعة من النقاط الخمس السابقة، نكون قد أوجدنا شرخا في منظومة المجتمع الإسرائيلي، فاليهود السفارد بإمكانهم خلق مشاكل عديدة لهذه المنظومة الهشة، وتكوين بؤر توتر ورفض وتمرد في جسد الكيان الصهيوني، لاسيما وأن لهم تاريخ سابق في هذا المجال، الأمر الذي يساعد على تفكيك وتفتيت المجتمع الإسرائيلي ويسارع في انهياره، وبذلك نشغل الصهاينة

بأنفسهم وبمشاكلهم الخاصة، فيكفوا عن محـاولات تفكيكنـا وإضـعافنا والقضاء علينا.

والعرب داخل الكيان الصهيوني يشكلون نسبة سكانية كبيرة منـه، فالعرب الذين يعيشون داخل الخط الأخضـر ـ أي عـرب ٤٨ ـ وهـم العرب الذين ظلوا يعيشون في مدنهم وقراهم بعـد حـراب عـام ١٩٤٨ يقدرون بخمس سكان إسرائيل، إذ بلغ عددهم في العام الميلادي ٢٠٠٦ نحو مليونا وأربعمائة ألف نسمة، يعيش معظمهم في مناطق الجليـل في الشـمال والمثلث في الوسط والنقب في الجنوب، بينما تعيش البقية منهم في بعض المدن مثل الناصره وحيفا وعكا وشفاعمرو ويافا واللد والرملة، أما عرب ١٩٦٧ وهم العرب سكان الضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة، فيقدر عـددهم في العام الميلادي ٢٠٠٦ بحوالي ثلاثة ملايين وتسعمائة ألف نسمة، وهذا يعـني أن العرب داخل الكيان الصهيوني يبلغ عددهم ربما نفس عـدد اليهـود في دولة إسرائيل، وأعداد العرب داخل هذا الكيان مرشـح بـالطبع للزيـادة السريعة لكثرة ما ينجبون من أطفال، وهذا العدد من السكان العرب داخل الكيان الصهيوني لا يمكن اعتباره بأي حال من الأحوال أقليـة سـكانية أو شريحة سكانية لا قيمة ولا وزن لها.

إلا وأنه بالرغم من الحقائق سالفة الذكر، فإن السلطات الإسرائيلية تنظر للعرب وبخاصة هؤلاء الذين يعيشون داخل الخط الأخضر أو عرب عام ٤٨ كأقلية سكانية وتعتبرهم مواطنين من الدرجة الثانية وتعاملهم على هذا الأساس، وتخضعهم لمختلف أنواع التميز والاضطهاد السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، ولعل أبرز أنواع التميز ضد العرب ذلك التميز العنصري ضدهم والذي يتخذ صورا متعددة ومظاهر مختلفة تتصل بمعظم جوانب حياقم.

ومن الغريب أن اليهود السفارد الذين يعانون من التميز والتفرقة العنصرية ضدهم من قبل اليهود الأشكناز، إلا أهم يشتركون معهم في التفرقة العنصرية ضد العرب، وإضافة إلى التفرقة العنصرية ضد العرب تحاول السلطات الإسرائيلية الوقيعة بين عرب الداخل عن طريق تقسيمهم إلى فئات متعددة لكي تضمن عدم تضامنهم ووحدة كلمتهم مستغلة الدين في سبيل ذلك، لتفرق بين الأديان والطوائف، وتحاول هدم روح المحبة والتسامح بينهم.

وبدلا من أن يكون العرب داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة جميعها مجرد أحجار على رقعة شطرنج تتناقلها الأيدي الإسرائيلية كيفما شاء وفي أي وقت تشاء فقد آن الوقت لكي يتحول العرب داخل الأراضي

الفلسطينية المحتلة إلى لاعبين أساسيين في لعبة الشطرنج هذه، وفي إطار تصدي عرب الداخل لما يخطط له الصهاينة، لابد من السعي ليلا ونهارا إلى تحقيق الأهداف التالية :

أولا: الحفاظ على الهوية القومية لعرب الداخل :

١ – العمل على الحفاظ على الهوية القومية العربية لعرب الداخل.

٢ – العمل على الحفاظ على الهوية الإسلامية والمسيحية بين أبناء الشعب العربي الفلسطيني داخل الكيان الصهيوني سواء كانوا عرب ١٩٤٨ أو عرب عام ١٩٦٧.

٣ – تنمية الحس الوطني والوعي القومي بين العرب داخل الكيان الصهيوني.

٤– التصدي بشدة وحزم لجميع محاولات السلطات الإسرائيلية الرامية إلى القضاء على تضامن عرب الداخل ووحدة كلمتهم.

٥ – التصدي بقوة لجميع محاولات الكيان الصهيوني لتهجيرهم من مناطقهم ومدنهم وقراهم وطردهم من أراضيهم من أجل تهويدها وقد اندلعت أول انتفاضة للعرب داخل الخط الأخضر في العام الميلادي ١٩٧٦، عندما حاولت السلطات الإسرائيلية الاستيلاء على ٢١ ألف دونما من أصحابها العرب في منطقة الجليل، فتصدى أبناء الشعب العربي الفلسطيني داخل الخط الأخضر لهذه المحاولة، واندلعت اشتباكات دامية بين العرب والجيش

الإسرائيلي وقوات الشرطة في بلدات سخنين ـــ عرابه ـــ دير حنا ذهب ضحيتها ستة شهداء بتاريخ الثلاثين من آذار / مارس من العام الميلادي ١٩٧٦، ثم امتدت الانتفاضة إلى بلدات عربية أخرى داخل الخط الأخضر، وقد أصبح هذا اليوم يعرف باسم " يوم الأرض " الذي يحتفل بذكراه سنويا، وقد منعت هذه الانتفاضة السلطات الإسرائيلية من الاستيلاء على المزيد من الأراضي الفلسطينية.

٦ – مشاركة عرب الداخل بإعادة صياغة اليهود السفارد وغيرهم صياغة فكرية جديدة تقوم على أساس حق الشعب العربي الفلسطيني في أرضه ووطنه.

٧ – تدريس مناهج تعليمية تمجد التاريخ الفلسطيني والعربي والإسلامي، وبخاصة بين عرب ١٩٤٨ حتى ولو كان هذا التعليم يتم سرا.

٨ – أقامة علاقات مباشرة وغير مباشرة بين العالم العربي وعرب الداخل وبخاصة العرب داخل الخط الأخضر، وتوثيق الصلات الثقافية والسياسية والاقتصادية والإعلامية بينهما.

٩ – تقديم المساعدات المادية والعينية لعرب الداخل، والعمل على الارتقاء بمستواهم المعيشي والاقتصادي حتى لا تضطرهم ظروف المعيشة

الصعبة التي يعانون منها، للعمل مع الصهاينة أو ترك مدنهم وقراهم ومناطقهم والرحيل عنها إلى خارج أرض فلسطين.

ثانيا: مقاطعة الكيان الصهيوني :

مقاطعة الكيان الصهيوني في جميع المجالات هي من أهم الوسائل للحفاظ على الهوية العربية لعرب الداخل عن طريق ما يلي :

١ – مساعدة عرب الداخل في خلق قاعدة واسعة للصناعات الاستهلاكية وغير الاستهلاكية حتى لا يضطر أبناء الشعب العربي الفلسطيني إلى شراء البضائع الإسرائيلية.

٢ – عدم مجاراة الصهاينة في أسلوب حياتهم الذي تغلب عليه الإباحية والانحلال.

٣ – عدم التعاون مع الدولة الصهيونية في كافة المجالات حتى ولو أدى ذلك إلى تولد حالة من العصيان المدني.

٤ – عدم ممارسة العمل السياسي داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة إلا من خلال أحزاب قومية عربية، والحقيقة أن إسرائيل لا تسمح للعرب حتى الآن بإنشاء أحزاب سياسية خاصة بهم، إلا أن هذا لا يمنع العرب من بذل المحاولة تلو المحاولة حتى تذعن إسرائيل وتسمح للعرب بإقامة أحزاب سياسية خاصة بهم.

٥ – عدم إجراء أي محاولات تطبيعية مع الكيان الصهيوني إلا إذا كنا واثقين أن النتائج النهائية سوف تصب في مصلحة العرب.

وفي نطاق المواجهة مع الكيان الصهيوني، من المهم جداً الاتصال المباشر مع الجماعات اليهودية الأرثوذكسية الرافضة للصهيونية، ولا تعترف بدولة إسرائيل الحالية مثل جماعة ناطوري كارطا والحركة الحريدية وتوثيق العلاقات بين هذه الجماعات والعرب، وهي رغم قلة عدد أتباعها، إلا أنها تشكل قاعدة صلبة لاختراق المجتمع الإسرائيلي، وينبغي علينا نحن العرب أن نساعدها ونؤيدها ونتعاون معها على أمل التأثير في فئات المجتمع الإسرائيلي الأخرى، ولأهمية هذه الجماعات، نتناول هنا بعضها على سبيل المثال ببعض التفصيل :

١ – جماعة ناطوري كارطا :

أي: نواطير أو حراس المدينة تأسست جماعة ناطوري كارطا الأرثوذكسية اليهودية في العام الميلادي ١٩٣٥ كحركة منشقة عن حركة " أغودات إسرائيل " بعد ميل الحركة الأخيرة إلى التصالح مع الحركة الصهيونية وقبلوها من حيث المبدأ لفكرة إقامة الدولة اليهودية في فلسطين العربية، وتضم حركة ناطوري كارطا معظم اليهود الذين يرفضون الصهيونية ويعارضون قيام دولة إسرائيل في فلسطين، ولم يعترفوا بها بعد قيامها في عام ١٩٤٨.

ويقدر عدد أتباع حركة ناطوري كارطا حسب المصادر الرسمية للحركة نفسها بأكثر من نصف مليون نسمة خارج دولة إسرائيل وعشرات الآلاف داخل إسرائيل، إلا أن مصادر أخرى تذكر أن عددهم داخل إسرائيل لا يتجاوز بضعة آلاف، ويتكلم أتباع حركة ناطوري كارطا في معاملاتهم مع بعضهم باللغة اليديشية وهي اللغة الألمانية التي كانت مستخدمة في ألمانيا خلال القرون الوسطى مضافا إليها بعض المفردات العبرية، أما في صلواتهم ومراسمهم الدينية فيستخدمون اللغة العبرية، ولا يحاول أتباع جماعة ناطوري كارطا الانتفاع بالمساعدات المادية والاجتماعية التي تقدمها الحكومة الإسرائيلية لمواطنيها، وهم يمتنعون عن دفع الضرائب والجمارك للحكومة الإسرائيلية، ولا يشاركون في الانتخابات الإسرائيلية، ويرفضون الخدمة في جيش الدفاع الإسرائيلي.

ومن أهم المبادئ التي تؤمن بها جماعة ناطوري كارطا ما يلي:

١ – تزعم جماعة ناطوري كارطا أنها هي الطائفة اليهودية الوحيدة في العالم التي تلتزم بتعاليم الشريعة اليهودية دون بقية الفرق والطوائف اليهودية الأخرى.

٢ – لا تعترف جماعة ناطوري كارطا أنها هي الطائفة اليهودية الوحيدة في العالم التي تلتزم بتعاليم الشريعة اليهودية دون بقية الفرق والطوائف اليهودية الأخرى.

٣ – لا تزعم جماعة ناطوري كارطا بدولة إسرائيل الحالية لأن إقامتها لم تتم بمشيئة الرب وإنما أقيمت بالعدوان والقوة العسكرية، وهذا مخالف للشرائع اليهودية وخروج عن الديانة اليهودية التي تربط عودة اليهود إلى فلسطين بمشيئة إلهية عن طريق المسيح المنتظر أو المخلص الذي سوف يرسله الرب لإنقاذ اليهود وتخليصهم من الشتات والآلام والمعاناة.

٤ – تؤمن جماعة ناطوري كارطا بأن الحركة الصهيونية هي حركة مارقة لا تمثل امتدادا واستمرارا للتراث الديني اليهودي، ولا أن هذه الحركة هي تنفيذا للتعاليم الدينية اليهودية، ويعتقد أتباع جماعة ناطوري كارطا أن الصهيونية هي من أخطر المؤامرات التي حيكت ضد اليهودية.

٥ – تؤمن جماعة ناطوري كارطا بأن الشعب اليهودي ليس شعبا كما قدمته التوراة، وإنما هو عبارة عن جماعة دينية ظهرت منذ ثلاثة آلاف عاما، وتستمد وجودها من عهد أو ميثاق مع الرب يلتزم به اليهود بتعاليم التوراة، وقد وضع الرب اليهود بموجب هذا الميثاق في منزلة شعبه المختار، ولكن لم يكن هذا الاختيار لكي يسيطر اليهود على العالم، وإنما لخدمة الإنسانية والجنس البشري كله، من منطلق أن اليهود هم أكثر البشر سلاما وتواضعا.

٦ – يؤمن أتباع جماعة ناطوري كارطا بأن الصهيونية تأسست على أيدي مجموعة كافرة من اليهود الذين تمردوا على مشيئة الرب، وهذه الحركة هي خيانة للشعب اليهودي الذي تأسس كجماعة دينية في صحراء سيناء وليس في أرض الميعاد. (٩)

ويذهب أتباع جماعة ناطوري كارطا إلى وضع الحركة الصهيونية في مرتبة واحدة مع النازية ن لأن كلا الحركتين قامتا على الفكرة القومية التي كانت سائدة في أوربا خلال القرن الميلادي التاسع عشر، والحركة الصهيونية بذلك تكون معادية لليهودية.

يقول الحاخام " موشيه هيرش " سكرتير جماعة ناطوري كارطا للشئون الخارجية في مقال له نشر في صحيفة واشنطن بوست في عددها الصادر في مطلع تشرين الأول / أكتوبر من العام الميلادي ١٩٨٧، قال فيه ما يلي :

" إن الصهيونية تتعارض تعارضا كاملا مع اليهودية، فالصهيونية تريد أن تعرف الشعب اليهودي باعتباره وحدة قومية، وهي هرطقة، فقد تلقى اليهود الرسالة من الرب لا لكي يفرضوا عودتهم إلى الأرض المقدسة ضد إرادة سكانها، فإن فعلوا ذلك فإنهم يتحملون نتائج فعلتهم، يقول التلمود "

إن هذا الانتهاك سوف يجعل من لحمكم فريسة للسباع في الغابة "، وأن المذبحة الكبرى ستكون نتيجة من نتائج الصهيونية ". (١٠)

ومن الملفت حقا للنظر أن أتباع جماعة ناطوري كارطا يعترفون بنضال الشعب العربي الفلسطيني ضد الصهاينة، وبحقه الثابت على كامل ترابه الوطني، ويعترفون أيضا بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب العربي الفلسطيني، إلا أن جماعة ناطوري كارطا استنكرت بشدة إقدام منظمة التحرير الفلسطينية على الاعتراف بدولة إسرائيل بعد اتفاقيات أوسلو الموقعة بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل في العام الميلادي ١٩٩٣، وأدانت هذه الجماعة احتلال الجيش الإسرائيلي للضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة في العام الميلادي ١٩٦٧ وأيضا أدانت جماعة ناطوري كارطا الغزو الإسرائيلي للأراضي اللبنانية في العام الميلادي ١٩٨٢، وفي الواقع أن أتباع جماعة ناطوري كارطا لا يمانعون بالعيش مع العرب في دولة واحدة على أرض فلسطين العربية.

٣ – الحركة الحريدية :

تأسست الحركة الحريدية بمدينة القدس في العام الميلادي ١٩٢١، ويقدر عدد أتباع هذه الحركة بثلاثين ألف نسمة، إلا أن مصادر أخرى تقدر عددهم بثمانية آلاف نسمة فقط.

وعلى أتباع الحركة الحريدية التقيد بأوامر وتعاليم حاخامية ومحكمة هذه الطائفة، وعليهم أيضا أتباع ما يلي :

١ – مقاطعة دولة إسرائيل في كافة المجالات، وعدم الاشتراك في انتخابات الكنيست " البرلمان " والانتخابات البلدية.

٢ – الإيمان بأن إقامة دولة إسرائيل قبل قدوم المسيح المنتظر إنما هو عقاب إلهي لليهود.

٣ – مقاطعة حزب أغودات إسرائيل لأنه تصالح مع الحركة الصهيونية.

ويقاطع الحريديون مدارس اللغات الأجنبية ويفضلون إرسال أولادهم إلى المدارس المجازة من قبل الحركة الحريدية التي غالبا ما تستخدم اللغة اليديشية في التدريس، ويلتزم أتباع هذه الحركة بارتداء ملابس محتشمة نسبيا، وبعدم تناول أطعمة أو أشربة غير مصرح لها من حاخامية الحركة.

ولقد أدانت الحركة الحريدية حرب عام ١٩٦٧، ورفضت رفضا قاطعا اعتبار النصر الذي حققه الجيش الإسرائيلي في هذه الحرب هو مساعدة أو مكافأة إلهية لشعب إسرائيل، لأن هذه النظرية تعني أن الصهاينة كانوا على حق وأن نهجهم هو نهج صادق، وأن دولتهم ليست دولة كافرة

لأن جيشها حرر أرض إسرائيل وحائط المبكى وقبر راحيل " راشيل " والده نبي الله يوسف عليه السلام.

٥ – ٣: عزل إسرائيل عالميا وطردها من المجتمع الدولي :

بعد قيام دولة إسرائيل فلسطين العربية في العام الميلادي ١٩٤٨، ركزت الدبلوماسية الإسرائيلية على تأمين العناصر الضرورية لضمان استمرار وجود الكيان الصهيوني الغاصب كدولة مستقلة على أرض فلسطين العربية، ولهذا السبب سعت إسرائيل لإقامة علاقات دبلوماسية واقتصادية مع أكبر عدد ممكن من دول العالم من أجل إضفاء الشرعية الدولة على الكيان الصهيوني الغاصب في أرض فلسطين العربية لكي يقبلها كعضو في المجتمع الدولي، ومن ثم فرض الكيان الصهيوني على العالم العربي بأسره، والاعتراف بهذا الكيان الصهيوني على العالم العربي بأسره، والاعتراف بهذا الكيان ككيان قومي وديني في المنطقة العربية والشرق الأوسط، ومن هذا المنطلق عملت إسرائيل جاهدة إلى ما يلي :

١ – إقامة علاقات وثيقة وقوية جدا مع القوى العظمى في العالم من أجل أن توفر لها مصدرا رئيسيا ومتواصلات للدعم الاقتصادي والعسكري والإعلامي، ليس هذا وحسب بل وقوف هذه القوى العالمية في وجه أي دعم مماثل للدولة العربية من قبل قوى أخرى مع ترجيح كفة إسرائيل على الدوام في جميع المجالات.

٢ – إقامة علاقات دبلوماسية واقتصادية وتجارية مع بقية دول العالم، والتبادل الثقافي والعلمي والتقني معها.

أولاً: علاقات إسرائيل بالولايات المتحدة :

منذ تأسيس الكيان الصهيوني الغاصب في فلسطين العربية تميزت علاقات الولايات المتحدة بهذا الكيان بنوع من الخصوصية يغلب عليها طابع العطف والشفقة على ما تعرض له اليهود من مجازر واضطهاد حسب المزاعم الصهيونية في أوربا إبان الحقبة النازية، وما سبق ذلك من موجات اللاسامية أو العداء لليهود في الدول الأوربية، كما وأن موقف الولايات المتحدة من دولة إسرائيل تميز أيضا بالمحاباة والتأييد، وربما كان ذلك بسبب تأثير ما يسمى باللوبي اليهودي واللوبي الصهيوني الضاغط على مراكز صنع القرار في الولايات المتحدة، إلا أنه من الممكن أن يكون ذلك بسبب غياب أية معطيات عربية مضادة للصهيونية وإسرائيل في الولايات المتحدة من الممكن أن يعتد بها أو حتى ذكرها، إضافة إلى أن الولايات المتحدة كانت مهيئة لتقبل وجود دولة يهودية في فلسطين العربية لأسباب عقائدية دينية في الديانتين المسيحية واليهودية، فلا عجب أن تكون الولايات المتحدة أول دولة في العالم تعترف بدولة إسرائيل ولم يمض سوى إحدى عشر دقيقة على تأسيسها كما جاء في مذكرات الرئيس الأمريكي " هاري ترومان " (١١)، وكانت دولة

غواتيمالا الواقعة في أمريكا اللاتينية هي الدولة الثانية التي تعترف بإسرائيل مباشرة بعد اعتراف الولايات المتحدة لها.

وقد وفرت الولايات المتحدة لدولة إسرائيل منذ تأسيسها وحتى يومنا هذا سيلا لا ينقطع من المساعدات والمعونات الضخمة في المجالات المادية والاقتصادية والعسكرية، إضافة إلى الدعم والتأييد السياسي والمعنوي والإعلامي علاوة على التعاون الواسع في المجال العلمي والتقني والمعلوماتي والاستخباراتي، وبالرغم من اتسام العلاقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل بطابع الصداقة المستمرة إلا أن هذه العلاقة تعرضت على مر السنين لتقلبات وأزمات طارئة منها على سبيل المثال ما يلي :

١ – مشروع دالاس :

قدم وزير الخارجية الأمريكية " جون فوستر دالاس " في السادس والعشرين من آب / أغسطس من العام الميلادي ١٩٥٥ مشروعه لتسوية المسألة الفلسطينية، وفي محاولة منه لتطويق مضاعفات انضمام دولة العراق لحلف بغداد داخل الأسرة العربية، وأيضا للحد من نفوذ الاتحاد السوفيتي السابق في المنطقة العربية عن طريق إمداد دولها بالسلاح، وقد تكون مشروع وزير الخارجية الأمريكي " دالاس " من أربع نقاط هي كالتالي :

أ – يعاد توطين ٩٠٠ ألف لاجئ فلسطيني في إسرائيل وبقدر المستطاع عمليا.

ب – تمنح إسرائيل قرضا ماليا دوليا لتمكينها من دفع تعويضات للاجئين الفلسطينيين عوضا عن ممتلكاتهم، وتساهم الولايات المتحدة بالقسم الأكبر من هذا القرض.

جـ – يعاد تخطيط حدود الهدنة لتحويلها إلى حدود آمنة، مع الإشارة الخفية إلى تنازلات إقليمية من جانب دولة إسرائيل في منطقة النقب.

د – بعد تحويل خطوط الهدنة إلى حدود دائمة، توقع اتفاقية بين العرب وإسرائيل تمنع تعديل الحدود بالقوة، وتدخل الولايات المتحدة طرفا فيه، إلا أن إسرائيل لم توافق على المشروع الأمريكي الذي قدمه وزير الخارجية الأمريكي " دالاس " وقالت على لسان رئيس وزرائها ووزير خارجيتها أن التعديلات الإقليمية المقترحة في الولايات المتحدة إنما قصد منها إرضاء المطامع التوسعية للعرب وبخاصة في النقب وميناء إيلات " ميناء أم الرشاش " الفلسطيني في الأصل.

٣ – العدوان الثلاثي على مصر :

في الواقع أن الرئيس الأمريكي " داويت ايزنهاور " لم يبلغ إطلاقا بخطط الهجوم العسكري على مصر في العام الميلادي ١٩٥٦ من قبل حلفاء الولايات المتحدة، الأمر الذي أدى إلى إحراج الدبلوماسية الأمريكية في الشرق الأوسط، فما كان من الرئيس الأمريكي إيزنهاور إلا أن أعلن تأييد الولايات المتحدة لقرارات الأمم المتحدة المتعلقة بانسحاب القوات البريطانية

والفرنسية والإسرائيلية من مصر، ووضع قوات دولية تجهزها الأمم المتحدة لكي ترابط على خط الهدنة بين مصر وإسرائيل، وفي تلك المرحلة سعت الدبلوماسية الأمريكية إلى تطويق مضاعفات انحسار النفوذ البريطاني والفرنسي عن الشرق الأوسط، والحد من النفوذ السوفياتي في المنطقة، فأعلنت من جانبها منفردة تحمل مسئولية بقاء الوضع القائم في المنطقة على ما عليه في بيان ألقاه الرئيس الأمريكي أيزنهاور في الخامس من تموز / يوليو من العام الميلادي ١٩٥٧، وعرف هذا البيان باسم " مشروع أيزنهاور " وقد سمي مشروع أيزنهاور لملء الفراغ الاقتصادي والعسكري في الشرق الأوسط، إلا أنه فشل في وضع حل مقبول للقضية الفلسطينية يرضى عنه العرب ويزيد ثقتهم في الولايات المتحدة، الأمر الذي شجع التقارب العربي ــ السوفياتي.

٣ – قضية الجاسوس الأمريكي اليهودي بولارد :

خلقت قضية الجاسوس الأمريكي اليهودي " جوناثان بولارد " توترا حقيقيا بين الولايات المتحدة وإسرائيل، وكان بولارد قد تجسس على الولايات المتحدة لصالح إسرائيل وحكم عليه بالسجن لمدة عشرين عاما، وفشلت جميع المحاولات الإسرائيلية لدى قمة هرم الإدارة الأمريكية متمثلة في الرئيس بل كلينتون وجورج بوش في الإفراج عنه.

٤ – قضية الطائرة الإسرائيلية " لافي ":

كان من المفترض أن تنتج إسرائيل الطائرة العسكرية " لافي " بدعم مالي وتقني من الولايات المتحدة، إلا أنه عندما وجدت الإدارة الأمريكية أن إنتاج هذه الطائرة في إسرائيل سوف يؤثر على صناعة الطائرات الحربية في الولايات المتحدة، قامت بإلغاء مشروع إنتاج هذه الطائرة برمته.

ثانيا: علاقات الدول الأوربية الكبرى بإسرائيل:

لقد قامت الدول الأوربية الكبرى وبخاصة بريطانية صاحبة تصريح بلفور، وفرنسا التي كانت تحتل جزء مهما من العالم العربي في ذلك الوقت وهو الجزائر، في تأييد ودعم إسرائيل في كافة المجالات، وقد ساعدت دولة فرنسا إسرائيل في تطوير سلاحها الجوي، وقدمت لها أيضا المساعدة والدعم التقني لإنشاء قاعدة للصناعات النووية في إسرائيل، في زمن الزعيم الفرنسي جي موليه.

وفي محاولة لضمان أمن إسرائيل والحفاظ على استمراريتها كدولة مستقلة في الشرق الأوسط، أصدرت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا في العام الميلادي ١٩٥٠ تصريحا عرف باسم " البيان الثلاثي " فيه كثير من المراوغة والخداع بالنسبة للعرب، وجاء فيه ما يلي :

أ – إن الدول الثلاث تعلن تقديرها لحاجة الدول العربية وإسرائيل إلى الحفاظ على مستوى معين من القوات المسلحة في سبيل المحافظة على

أمنها الداخلي ودفاعها المشروع، ولتمكينها من القيام بدورها في الدفاع عن المنطقة ككل.

ب – وأكد البيان الثلاثي على اهتمام الدول الثلاث بالحفاظ على الأمن والسلام في منطقة الشرق الأوسط، ومعارضتها لاستعمال القوة والتهديد، باستعمالها من قبل أي دولة في الشرق الأوسط.

جـ – تعهدت الدول الثلاث باتخاذ إجراءات فورية داخل الأمم المتحدة وخارجها إذا عملت أي من هذه الدول خرقا للحدود أو خطوط الهدنة. (١٢)

وبهذا البيان الثلاثي الأمريكي ـ البريطاني ـ الفرنسي ساوت الولايات المتحدة وبريطانية وفرنسية بين دولة إسرائيل المعتدية والغاصبة بالعرب المعتدي عليهم والمغتصبة أراضيهم والمشرد شعبهم في شتى بقاع الأرض خارج وطنه.

إلا أن السياسة الفرنسية قد تغيرت جذريا بعد وصول الجنرال شارل ديجول إلى سدة الحكم في فرنسا، وخشيت إسرائيل من أن تؤدي هذه السياسة على المدى البعيد إلى تخلي فرنسا عن إسرائيل وبخاصة في مجال التسليح والإمدادات العسكرية، وقد توترت العلاقات الفرنسية ـ الإسرائيلية عقب تصويت فرنسا في مجلس الأمن لصالح قرار الاعتراض على

الاعتداء الإسرائيلي على قرية السموع في الضفة الغربية لنهر الأردن والتي كانت في ذلك الوقت تحت الإدارة الأردنية، ويبدو أن هذا الاقتراع كان بداية لموقف فرنسي مؤيد للعرب ومحايد لإسرائيل، فبعد حرب العام الميلادي ١٩٦٧ بين العرب وإسرائيل، طالبت فرنسا بانسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي العربية المحتلة، وألغى الرئيس الفرنسي شارل ديجول صفقة تزويد إسرائيل بطائرات " ميراج " العسكرية المقاتلة والتي كان قد سبق التعاقد عليها قبل الحرب، وأثناء زيارة الرئيس العراقي الراحل عبد السلام عارف لفرنسا في شباط / فبراير من العام الميلادي ١٩٦٨، حدد الرئيس الفرنسي شارل ديجول نفسه في خطاب ألقاه ترحيبا بالرئيس العراقي الأسس التي تقترحها فرنسا في أزمة الشرق الأوسط عن طريق تسوية دولية تؤدي إلى سلام عادل، وهذه الأسس كما أوردتها صحيفة " اللوموند " الفرنسية بتاريخ التاسع من شباط / فبراير من عام ١٩٦٨ هي كما يلي :

أ – الجلاء العسكري والإداري عن الأراضي التي أخليت بالقوة منذ الخامس من حزيران / يونيو من عام ١٩٦٧.

ب – أن تأخذ الأمم المتحدة على عاتقها التحديد الدقيق للحدود، وسلامة هذه الحدود.

جـ – إقامة علاقات سلمية وطبيعية بين جيران إسرائيل وهذه الدولة الجديدة.

د – إعادة توطين اللاجئين الفلسطينيين الذين ستسمح لهم هذه الترتيبات بالعودة إلى ديارهم على أن يؤمن مصير لائق للذين لن يتمكنوا من العودة إلى ديارهم.

هـ – ضمان حرية الملاحة المعترف بها للجميع وفي جميع الأمكنة.

ومن الغريب أن دولة ألمانيا " ألمانيا الاتحادية وقتئذ " التي كانت خارجة لتوها مهزومة في الحرب العالمية الثانية، وممرغ وجهها في الوحل، وترزح تحت وطأة عقد نفسية من ماضيها النازي، ومعزلة بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية، قدمت معونات ومساعدات مالية وعينية واقتصادية وعسكرية ضخمة للكيان الصهيونية كتعويض منها عن مزاعم الصهاينة عما عاناه اليهود في أوربا أثناء الحقبة النازية.

ثالثا: علاقات الاتحاد السوفيتي السابق بدولة إسرائيل:

في الحقيقة أن علاقات الاتحاد السوفيتي السابق بالحركة الصهيونية قد بدأت قبل قيام الكيان الصهيوني الغاصب في فلسطين العربية بفترة طويلة، فقد حاول الاتحاد السوفيتي إيجاد حل شرقي للمسألة اليهودية بعيدا عن المقترحات الأمريكية والأوربية، ففي العام الميلادي ١٩٣٤ أعلنت اللجنة المركزية لجميع روسيا رسميا على عزم السلطات السوفيتية على إنشاء إقليم

مخصص لليهود في الأراضي السوفيتية اسمه إقليم " بيروبيدجان " يقع على حدود سيبريا مع الصين، وبعد استكمال استيطان هذا الإقليم من قبل اليهود، تعلن هذه المنطقة جمهورية يهودية تتمتع بالاستقلال الذاتي في إطار اتحاد الجمهوريات الاتحادية السوفيتية(١٣). ويبدو أن هذا المشروع السوفيتي لتوطين اليهود في أراضيه قوبل باستحسان من قبل بعض الزعماء اليهود وفي مقدمتهم الزعيم الصهيوني البارز " حاييم وايزمان " الذي أعلن تأييده للمشروع السوفيتي ولكن بصفته محطة على طريق الوطن القومي اليهودي في فلسطين العربية، إلا أن هذا المشروع لم يصادف النجاح المطلوب، وربما لهذا السبب صوت الاتحاد السوفيتي لصالح مشروع تقسيم فلسطين الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في العام الميلادي ١٩٤٧، ومن الأرجح أن موافقة الاتحاد السوفيتي على مشروع تقسيم فلسطين بين العرب واليهود كان نابعا من موجة الشفقة والعطف على اليهود التي اجتاحت أوربا بعد الحرب العالمية الثانية، ولا أحد يدري السبب الذي جعل الدول العربية أن لا ترمي بثقلها في تأييد ودعم المشروع السوفيتي لتوطين اليهود في أراضيه وبخاصة وهي تعلم تماما الأطماع والمطالب الصهيونية في فلسطين العربية.

وفي الواقع أن الاتحاد السوفيتي لم يمانع في هجرة يهود أوربا الشرقية إلى فلسطين العربية وربما شجعها أيضا بدواعي الشفقة على اليهود وبعد قيام

دولة إسرائيل في العام الميلادي ١٩٤٨، أقام الاتحاد السوفيتي علاقات تجارية مع إسرائيل كان من أبرزها شحنات النفط الروسي إليها، ولكن منذ منتصف العام الميلادي ١٩٥٠، بدأ الموقف السوفيتي تجاه إسرائيل يتبدل تدريجيا، فهذه الدولة لم تكن إطلاقا كما كان يأمل الاتحاد السوفيتي أن تكون، وقد لخصت إحدى المجلات حينذاك دولة إسرائيل بألها كما يلي :

أ – ليست إسرائيل دولة ديمقراطية مستقلة كما كانت تأمل روسيا، بل هي دولة رأسمالية رجعية وصنيعة وول ستريت.

ب – تستغل إسرائيل وتضطهد الأقلية القومية والجماهير الشعبية.

وربما كان لتجاوب اليهود في الاتحاد السوفيتي مع إسرائيل سببا مهما في تبدل موقف الاتحاد السوفيتي من إسرائيل، فقد خشي الاتحاد السوفيتي أن يثير هذا التجاوب قضية يهودية فيه.

وفي العام الميلادي ١٩٥٣ حدث أول توتر بل وانفجار في العلاقات السوفيتية ــ الإسرائيلية بعد إقامة دولة إسرائيل، بعد اكتشاف السلطات السوفيتية لمؤامرة قام بها بعض الأطباء اليهود الروسي لاغتيال عدد من الزعماء السوفيتي واقمام هؤلاء الأطباء اليهود بالارتباط ارتباطا وثيقا بالمنظمة القومية اليهودية التي شكلتها الاستخبارات الأمريكية، وقد تم إعدام عدد من هؤلاء الأطباء، الأمر الذي أدى إلى قطع العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد

السوفيتي وإسرائيل، إلا أن الاتحاد السوفيتي أعاد هذه العلاقات ثانية بعد وفاة الزعيم السوفيتي " ستالين "، وعقد اتفاقيات تجارية مع إسرائيل.

أما على الصعيد العسكري، فقد زود الاتحاد السوفيتي الصهاينة بفلسطين بمعدات عسكرية في الفترة الواقعة بين صدور قرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ وحتى عام ١٩٥١ ولكن بطريقة غير مباشرة وبالتحديد عن طريق تشيكوسلوفاكية، وقد شملت صفقات الأسلحة التشيكية لإسرائيل طائرات " مسرشميدث) الألمانية الصنع وطائرات (سبتفاير) البريطانية الصنع وأيضا طائرات " موسكيتو " إضافة إلى الدبابات ومدافع مضادة للطائرات ومدافع ميدان ومدافع مضادة للدبابات فضلا على قاذفات اللهب.

إلا أن موقف الاتحاد السوفيتي من القضايا العربية ومن دولة إسرائيل تغير تغيرا جذريا مع تحسن العلاقات السوفيتية ــ العربية وتدهورت العلاقات السوفيتية ــ الإسرائيلية ابتداء من العام الميلادي ١٩٥٥ عقب صفقة الأسلحة السوفيتية ــ التشيكية لمصر، وكانت هذه الصفقة بمثابة تحول مهم جدا في موقف الاتحاد السوفيتي في العالم العربي، ومنذ ذلك الوقت والاتحاد السوفيتي يؤيد ويدعم المواقف العربي في الأمم المتحدة، وأقام علاقات سياسية وعسكرية وتجارية وثقافية واسعة النطاق مع بعض الدول العربية، وقد زود الاتحاد السوفيتي العرب بمختلف أنواع الأسلحة والتي

بواسطتها تمكن العرب من تحقيق النصر على إسرائيل في العام الميلادي ١٩٧٣، وقد استمر الاتحاد السوفيتي في التعاون السياسي والعسكري والاقتصادي والتجاري مع الدول العربية حتى بعد انهياره وحتى يومنا هذا.

رابعا: علاقات دول الكتلة الشرقية بإسرائيل:

وبالنسبة لعلاقات دول الكتلة الشرقية بإسرائيل فقد كان يحددها العوامل التالية :

أ – موقف إسرائيل من اتفاقيات ثنائية مع هذه الدول بمعزل عن موقفها من الاتحاد السوفيتي.

ب – موقف دول الكتلة الشرقية من رعاياها اليهود أي ما تسميه الصهيونية بالحقوق الروحية والثقافية لليهود في هذه الدول.

جـ – مدى دعم دول الكتلة الشرقية للعرب وبخاصة في المجال العسكري، وأبعاد هذا الدعم على التوازن العسكري بين العرب وإسرائيل.

خامسا: علاقات الصين الشعبية بإسرائيل :

أما موقف الصين الشعبية بإسرائيل فكان يختلف عن موقف بقية دول المعسكر الشرقي، فهو من البداية كان موقفا مؤيدا للعرب في أغلب الأحيان، وهو موقف ينطلق من الاعتبارات التالية :

أ – الصداقة الأفرو ــ أسيوية التي تشكل الدول العربية مجموعة إقليمية مهمة ونشطة فيها.

ب – سعي الصين الشعبية إلى محاربة الاستعمار الأمريكي بوجهه القديم والحديث وبخاصة في أسيا وأفريقيا.

جـ – سعي الصين الشعبية إلى منافسة الاتحاد السوفيتي في كسب مودة وصداقة العالم الثالث وبوجه خاص العالم العربي.

سادساً: علاقات دول أمريكا اللاتينية بإسرائيل :

نظراً للبعد الجغرافي بين أمريكا اللاتينية وإسرائيل وصعوبة قيام علاقات اقتصادية وتجارية بين دول أمريكا اللاتينية وإسرائيل، فقد اهتمت الأخيرة بتنمية العلاقات الثقافية والعلمية مع هذه الدول، إضافة إلى تقديم منح دراسية لعدد كبير من أبناء الدول أمريكا اللاتينية للدراسة في إسرائيل، وقد أقامت إسرائيل علاقات علمية وثيقة مع دول أمريكا اللاتينية مثل البرازيل وبخاصة في مجال الأبحاث النووية، وكانت علاقات إسرائيل بدول أمريكا اللاتينية نابعة مما يلي :

أ – وجود جاليات يهودية كبيرة في كثير من دول أمريكا اللاتينية.

ب – الثقل العددي لدول أمريكا اللاتينية في الأمم المتحدة وفي المحافل والأوسط الدولية، وبالطبع سعت إسرائيل إلى كسب مودة هذه الدول من أجل تأييدها ودعمها لها.

جـ – الميول اللاسامية التي كانت تجتاح عدد من دول أمريكا اللاتينية وكان الصهاينة ينظرون إلى دول أمريكا اللاتينية نظرة مشوبة بالقلق

والحذر كونها تحتوي على جاليات عربية وألمانية كبيرة، وهؤلاء من وجهة نظر الصهيونية جاليات معادية للصهيونية.

سابعا: علاقات دول القارة الأسيوية بإسرائيل :

في الحقيقة أنه من بين الثماني دول الأسيوية الأعضاء في الأمم المتحدة، صوتت دولة واحدة فقط من بينهم هي الفلبين لصالح مشروع تقسيم فلسطين إلى دولتين واحدة عربية والثانية يهودية والصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في العام الميلادي ١٩٤٧، وفيما عدا ذلك فقد فشلت إسرائيل في إقامة علاقات قوية بمعظم الدول الأسيوية المهمة.

ثامنا: علاقات الدول الأفريقية بإسرائيل :

استطاعت إسرائيل إقامة علاقات وثيقة وقوية ببعض الدول الأفريقية مثل غانا والكونغو كينشاسا وجنوب أفريقيا عن طريق المعونات الفنية والبعثات الفنية وإرسال الخبراء إليها، وقد تعاونت إسرائيل مع جنوب أفريقيا في برنامجها النووي.

وبعد هذا العرض الموجز لعلاقات إسرائيل بدول العالم، فكيف كان يجب أن يكون تفاعلنا وتحركنا نحن العرب حيال هذه العلاقات؟

في الواقع أن تفاعلنا وتحركنا نحن العرب حيال علاقات إسرائيل بالدول الأخرى كان يجب أن يتمحور في الفترة التي أعقبت قيام دولة إسرائيل حول الموضوعين التاليين :

أولاً: السعي إلى تجريد إسرائيل وحرمانها من الأسانيد والحجج القانونية التي أدت إلى قيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين العربية في العام الميلادي ١٩٤٨.

ثانياً: السعي إلى تقليص علاقات إسرائيل بدول العالم إلى أدنى حد ممكن.

أولاً: تجريد إسرائيل وحرمانها من الأسانيد والحجج القانونية التي قامت عليها:

بالرغم من أنه قد مضى زمن طويل نسبيا على صدور ما قد خيل للصهاينة أنها حجج وأسانيد قانونية في أيديهم مهدت لهم الطريق إلى فلسطين، ووفرت لهم الغطاء القانوني لاغتصاب أرض فلسطين العربية، وطرد أصحابها الأصليين منها وتحويلهم إلى مجموعات من اللاجئين تعيش على هامش أوطان الشعوب الأخرى في شتى بقاع المعمورة، إلا أن انقضاء هذا الزمن الطويل نسبيا لا يمنع إطلاقا من السعي المتواصل والجاد، واستخدام كافة الطرق والوسائل الممكنة من أجل تعطيل تلك الحجج والذرائع والأسانيد القانونية بل وإلغاؤها، وهي في الواقع أسانيد وحجج واهية ولكنها مكنت الصهاينة من الاستيلاء على أرض فلسطين العربية، وهذه الحجج والأسانيد الواهية والغير شرعية هي كما يلي :

١ – اتفاقية سايكس – بيكو المبرمة في العام الميلادي ١٩١٦ بين بريطانيا وفرنسا، وبموجب هذه الاتفاقية قسمت بلاد الشام والعراق بين بريطانيا وفرنسا، ومما هو جدير بالذكر أن فلسطين كانت وقت إبرام هذه الاتفاقية لا تزال ولاية تحت الحكم العثماني.

٢ – تصريح بلفور الصادر في العام الميلادي ١٩١٧ عن الحكومة البريطانية، وهو الذي وعد اليهود بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين العربية على غير رغبة وموافقة الشعب العربي الفلسطيني الصاحب الأصلي لأرض فلسطين، علما بأن هذا التصريح قد صدر في الوقت الذي كان فلسطين أيضا تحت وصاية الحكم العثماني، ولا يحق لبريطانيا التصرف في أي شبر من الأراضي الفلسطينية.

٣ – صك الانتداب البريطاني على فلسطين العربية الصادر عن الكومة البريطانية أيضا في العام الميلادي ١٩٢٢، وهو الصك الذي وضع فلسطين العربية في ظروف سياسية واقتصادية وإدارية أدت في نهاية المطاف إلى تهويدها وإقامة الوطن القومي اليهودي فيها، مع العلم أن بريطانيا لم تستشر الشعب الفلسطيني على انتدابها عليه.

٤ – قرار تقسيم فلسطين العربية إلى دولتين: دولة عربية والأخرى يهودية والصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في العام الميلادي ١٩٤٧،

وأثناء التصويت في الجمعية العامة للأمم المتحدة على مشروع تقسيم فلسطين، قامت الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم الهدايا الثمينة والرشاوي المالية الضخمة لأعضاء الوفود المشاركة في التصويت لكي تضمن تصويت هذه الوفود لصالح مشروع تقسيم فلسطين.

وفي الواقع أن الحجج والأسانيد والذرائع التي اعتمد عليها الصهاينة في اغتصاب أرض فلسطين من أصحابها العرب، هي وثائق قانونية ضعيفة جدا وليست ملزمة بأي حال من الأحوال من الناحية القانونية، فضلا على أنها ليست قوانين إلهية منزلة من السماء ولا هي من صنع وتدبير أنبياء الله عليهم السلام يجب الالتزام بها وتنفيذها، وإنما هي في الحقيقة من صنع ووضع بشر عاديين، وعاديين جدا بل وأقل من العاديين، إنها وبجميع المقاييس من وضع مجموعة مارقة وأفاقة وحاقدة من موظفي وزارة الخارجية البريطانية والفرنسية، وإلغاء هذه الوثائق القانونية من ذاكرة التاريخ البشري أمر ممكن وممكن جدا ذا ما تضافرت نوايا وجهود العرب والعالم الحر في سبيل هذا الهدف، وقد يتساءل البعض: ولماذا يطلب منا الآن السعي إلى إلغاء الحجج والأسانيد التي خيل للصهاينة وللعالم الغربي أنها قانونية بقيام دولة إسرائيل ؟

وما جدوى ذلك وإسرائيل قد قامت فعلا وأصبحت واقعا اعترفت به معظم دول العالم ؟

والإجابة على ذلك بسيطة جدا، فالكيان الصهيوني الغاصب في فلسطين العربي قد يكون واقعا بالفعل، ولكنه ليس حقا للصهاينة بأي حال من الأحوال، ولا أمرا مشروعا يمكن قبوله في المجتمع الدولي، والسعي إلى إلغاء جميع الوثائق القانونية التي أدت هذا الكيان الغاصب ويتمسك بها الصهاينة بشدة لتبرير اغتصابهم لأرض فلسطين العربية إنما يكون من أجل ما يلي :

١ – تجريد إسرائيل وحرمانها من الوثائق القانونية الضعيفة التي أدت إلى قيامها غداة انتهاء الحرب العالمية الثانية.

٢ – إظهار إسرائيل أمام العالم أجمع ككيان استعماري عنصري غاصب لا يتمتع بأي نوع من الشرعية من الناحية القانونية، والتصرف معها على هذا الأساس كما حدث مع نظام الفصل العنصري السابق في جنوب أفريقيا.

٣ – إظهار إسرائيل كدولة عدوانية إرهابية تشكل خطرا داهما على العالم العربي بأسره، وليست دولة ديمقراطية كما تروج الدعاية الصهيونية المضللة.

وللوصول إلى الأهداف الثلاثة السابقة كان يجب علينا نحن العرب أن نعمل جاهدين وبكل ما نملك من إمكانيات على تشكيل لجنة دولية

موسعة تضم نخبة من المفكرين والمؤرخين والمحامين والقانونيين والسياسيين والإعلاميين العرب والمسلمين والأجانب الذين تتوفر لديهم النزاهة والحيادية، ويتمتعون بقدر وافر من الصدق والأمانة لدراسة القضية الفلسطينية دراسة وافية وشاملة من جميع جوانبها، ثم وضع هذه القضية على هيئة دعوى قانونية يتم رفعها للقادة العرب وإلى جامعة الدول العربية ومحكمة العدل الدولية في لاهاي، وإلى الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي، وإلى مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، وإلى حكومات بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وروسيا والصين الشعبية وإيطاليا واليابان وألمانيا، إضافة إلى حكومة الفاتيكان ومنظمة المؤتمر الإسلامي، ومجموعة عدم الانحياز والاتحاد الأفريقي وإلى كافة منظمات الخير والحق في العالم للإطلاع على القضية الفلسطينية من الناحية القانونية، واتخاذ الأحكام المناسبة في هذه القضية والتي من المؤكد أنها سوف تكون في صالح الشعب العربي الفلسطيني، ثم العمل الجاد من جانب المجتمع الدولي على تنفيذ هذه الأحكام، وبذلك يتم إلغاء جميع الوثائق التي اعتقد الصهاينة أنها وثائق قانونية في أيديهم لتبرير اغتصاب فلسطين العربية، وأيضا إلغاء جميع ما ترتب على هذه الوثائق من نتائج مروعة ولا إنسانية وأليمة بالنسبة للشعب العربي الفلسطيني لازال يعاني منها حتى يومنا هذا.

وفي الواقع أنه لا ينبغي علينا أن نلبس ثوب التفاؤل ونتوقع الوصول إلى أهدافنا بسهولة ويسر، فالطريق أمامنا لا يزال طويلا ... وطويلا جدا، وبخاصة ونحن نعيش في زمن القطبية الواحدة التي تهيمن عليها الولايات المتحدة المؤيدة لإسرائيل مائة في المائة، وتقف على أهبة الاستعداد للوقوف حجر عثرة ضد أي قرارات دولية ضد إسرائيل، واستخدام حق الفيتو في مجلس الأمن الدولي ضد أي قرار يدين الدولة الصهيونية أو يقر بعدم شرعيتها وجودها من الناحية القانونية أو يدين ممارساتها العدوانية والإرهابية والتوسعية، والحقيقة أن الإدارة الأمريكية الحالية ومثيلاتها وحلفائها في العالم وبخاصة في أوربا لن تعمر إلى الأبد، وسوف يأتي اليوم الذي تتغير فيه نظرة الإدارة الأمريكية في المستقبل للصراع العربي ـ الإسرائيلي، وتتخذ هذه الإدارة مواقف متوازنة من هذا الصراع، ومن يدري فربما تتخذ الإدارة الأمريكية مواقف معادية لإسرائيل، فما الحل بالنسبة لإسرائيل في هذه الحالة ؟ وإلى أن يأتي هذا اليوم إذا كان سيأتي، فيجب علينا نحن العرب أن لا نمل من عرض قضيتنا العادلة وهي القضية الفلسطينية ـ قضية العرب، الأولى كما يقولون ـ على العالم بأسره، ولا نكف عن محاولاتنا الدؤوبة حتى نحقق جميع أهدافنا التي نسعى إليها.

ثانيا: السعي إلى تقليص علاقات إسرائيل بالدول الأخرى إلى أدنى عدد ممكن :

في الحقيقة أن إسرائيل كيان استعماري غاصب قام في الأساس على اغتصاب أرض فلسطين العربية من أصحابها العرب وطردهم منها ظلما وعدوانا، وتشريدهم في شتى أرجاء الأرض، وتحويلهم إلى مجموعات من اللاجئين يعيشون على هامش أوطان الشعوب الأخرى يبحثون عن المأوى والحماية، وما يسدون به رمقهم ورمق أسرهم وأطفالهم، وفي الواقع أن دولة إسرائيل هي دولة استعمارية وليدة عهد الاستعمار في نزعة الأخير، وهي ليست دولة قومية ولا وليدة عهد القوميات الذي كان سائدا في أوربا خلال القرن الميلادي التاسع عشر، كما وأنها بلا أدنى شك دولة عنصرية من طراز أول قامت في الأساس على مفاهيم عنصرية تميز وتفرق تميزا وتفرقة عنصرية بغيضة بين مكوناتها البشرية وبخاصة العرب منهم، وعلاوة على ذلك فهي دولة إرهابية بمعنى الكلمة، وهي بحق من الممكن اعتبارها قمة الإرهاب في العالم، وسوف نحاول في الصفحات القادمة إظهار الوجه الشيطاني القبيح الحقيقي لإسرائيل، والذي يجب أن نعتمده في تحركاتنا الدولية في مواجهة هذه الدولة.

أ – إسرائيل دولة استعمارية توسعية :

في الحقيقة أن دولة إسرائيل وليدة عصر الاستعمار عندما كان يلفظ أنفاسه الأخيرة وفي نزعة الأخير، وعندما نشأت الحركة الصهيونية على يد تيودور هرتزل في أواخر سنوات القرن الميلادي التاسع عشر، لم تكن الدولة اليهودية المزمع إقامتها مستقبلا مرتبطة بأرض فلسطين وإنما كان من الممكن إقامتها في مناطق أخرى مثل الأرجنتين وقبرص وأوغندا وموزمبيق وصحراء سيناء، إلا أن فكرة إقامتها في فلسطين العربية كما قال تيودور هرتزل في كتابه (الدولة اليهودية) كانت تشكل لليهود وطنهم التاريخي الذي لا ينسى، وأن مجرد ذكر اسم فلسطين يجتذب اليهود بقوة ذات فاعلية عجيبة. (١١)

وعندما استقر رأي الصهاينة على إقامة دولتهم في فلسطين العربية، استطاعوا في العام الميلادي ١٩١٤٧ ـــ أي بعد عشرين عاما على تأسيس الحركة الصهيونية ـــ الحصول على تصريح أو وعد من الحكومة البريطانية بإقامة دولتهم في فلسطين العربية بموجب تصريح وزير الخارجية البريطاني " بلفور " في رسالة بعث بها في الثاني من تشرين الثاني / نوفمبر من عام ١٩١٧، إلى زعيم الطائفة اليهودية في بريطانيا اللورد روتشيلد، وفي ذلك الوقت كانت فلسطين تابعة لحكم الدولة العثمانية، وكان اسم فلسطين اسم جغرافي وتاريخي فقط، ولم يصبح لهذا الاسم صفة سياسية محددة إلا بعد انتهاء

الحرب العالمية الأولى، وقد جاءت الصفة السياسية لاسم فلسطين كجزء من التسوية التي تمت بين دول الحلفاء لإعادة رسم خريطة سياسية للمنطقة العربية بعد هزيمة الدولة العثمانية، إلا أن تصور الصهاينة لحدود فلسطين كانت تختلف تماما عما هو معروف جغرافيا، فحدود فلسطين كما حدده الصهاينة في المذكرة التي بعثوا بها للمجلس الأعلى لمؤتمر السلام الذي عقد في باريس في الثالث من شباط / فبراير من العام الميلادي ١٩١٩ هي كما يلي :

١ - " في الشمال تبتدئ الحدود بنقطة تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط بجوار صيدا، وتتبع مجاري مياه الجبال اللبنانية حتى جسر القرعون، ومنها إلى البيرة، متبعة الخط الفاصل بين حوض وادي القرى ووادي التيم، ثم تسير في اتجاه جنوبي متبعة الخط الفاصل بين السفوح الشرقية والسفوح الغربية لجبل الشيخ حتى تصل إلى جوار بيت جن، ثم تتجه شرقا متبعة الضفة الشمالية لنهر مغنيه حتى تحاذى الخط الحديدي الحجازي غربا منه.

وفي الشرق خط محاذ للخط الحديدي الحجازي وغربا منه ينتهي في خليج العقبة.

إلا الجنوب خط يتم الاتفاق عليه مع الحكومية المصرية.

إلى الغرب البحر الأبيض المتوسط.

ويجب أن تسري أية تفاصيل للحدود أو أية تعديلات تفصيلية عليها بواسطة لجنة خاصة يكون لليهود تمثيل فيها.

٢ – إن الحدود المبنية فيما تقدم هي ما نعتبره جوهريا للأسس الاقتصادية اللازمة للبلد، يجب أن يكون لفلسطين مخارجها الطبيعية على البحار، وسيطرتها على أنهارها ومنابع مياهها، وقد رسمت الحدود على أساس مراعاة الحاجات الاقتصادية العامة والتقاليد التاريخية للبلد، وهي عوامل لابد بالضرورة أن تراعيها اللجنة الخاصة عندما تضع خطوط الحدود الأكيدة، وعلى هذه اللجنة أن تراعي أن من الملائم جدا لمصلحة الإدارة الاقتصادية، أن تكون مساحة فلسطين على أكبر اتساع ممكن لتستطيع مع الوقت أن تحتوي أعدادا كبيرة من السكان الميسورين يستطيعون أن يتحملوا أعباء الحكومية العصرية الحديثة، بأسهل مما تحملها بلاد صغيرة محدودة السكان بالضرورة.

إن الحياة الاقتصادية لفلسطين شأنها في ذلك شأن أي بلد شبه جاف، تعتمد على الموفور من موارد المياه، ولذلك فإن من الأمور الحيوية ألا يكتفي بتأمين جميع موارد المياه التي تغذي البلد حاليا، بل يمكن أيضا خزنها والسيطرة عليها في منابعها.

وجبل الشيخ هو بالنسبة لفلسطين أبو المياه الحقيقي، ولا يمكن فصله عنها بدون إنزال ضربة جذرية بحياتها، فيجب إذن أن يبقى تحت سيطرة أولئك الذين هم أرغب وأقدر على إعادته إلى نفعه الأقصى، ويجب وضع ترتيبات دولية لحماية حقوق المياه للسكان الذين يعيشون إلى الجنوب من نهر الليطاني، وإذا ما لقيت هذه المنابع عناية كافية فمن الممكن استخدامها لتنمية لبنان وكذلك لتنمية فلسطين.

والسهول الخصبة الواقعة إلى الشرق من الأردن، كانت منذ أقدم عصور التوراة مرتبطة اقتصادية وسياسيا بأراضي الواقعة غربي الأردن، وهذه البلاد يقطنها الآن سكان قليلون، وكانت أيام الرومان تعيل سكان قليلون وكانت أيام الرومان تعيل سكانا كثيرين، وهي تصلح الآن بصورة مدهشة للاستيطان على نطاق واسع، والمراعاة العادلة للحاجات الاقتصادية لفلسطين وشبه جزيرة العرب تتطلب الوصول إلى الخط الحديدي الحجازي على طول امتداده للحكومتين.

وإن التنمية الكثيفة للزراعة وغيرها من الفرص في شرق الأردن، تستوجب أن يكون لفلسطين حرية الوصول إلى البحر الأحمر وفرصة تنمية الموانئ الجيدة على خليج العقبة. (١٥)

يتبين مما تقدم نوايا إسرائيل الاستعمارية في فلسطين العربية بعد صدور تصريح بلفور، وكذلك ميلها الجارف للتوسع، فهي لم تكتف باغتصاب أرض فلسطين وإنما تطمع أيضا في المزيد من الأراضي العربية المجاورة لفلسطين والاستيلاء على مصادر المياه فيها، وبعد الحرب العربية — الإسرائيلية الثالثة في العام الميلادي ١٩٦٧، احتلت إسرائيل أضعاف مساحة فلسطين، وضمتها إليها كجزء من العملية الاستعمارية التوسعية العدوانية الإسرائيلية، وأما ترك الحدود الجنوبية لإسرائيل بدون تحديد كما جاء في مذكرة المنظمة الصهيونية لمؤتمر السلام عام ١٩١٩، واكتفت هذه المذكرة بالقول أنه خط يتم الاتفاق مع الحكومة المصرية، فيرجع ذلك إلى أطماع إسرائيل بالاستيلاء على كامل أراضي صحراء سيناء، فقد قال رئيس الوزراء الإسرائيلي الراحل " ديفيد بن جوريون " في خطاب له أمام البرلمان الإسرائيلي في السابع من تشرين الثاني / نوفمبر من العام الميلادي ١٩٥٦ عقب احتلال إسرائيل لصحراء يفيد بأنكم درستم مشروعي " مشروع استعمار فلسطين "، وأنكم توافقون عليه، وقد يثور لديكم تساؤل عن السبب في توجهي إليكم بالكتابة ؟ والإجابة هي أن مشروعي هو أيضا مشروع استعماري. (١٦)

وفي الواقع أن إسرائيل كدولة استعمارية توسعية عدوانية ليس لها حدود معروفة حتى يومنا هذا بالرغم مما جاء في مذكرة المنظمة الصهيونية لمؤتمر السلام الذي عقد في مدينة باريس في العام الميلادي ١٩١٩، وهذا بالطبع يفسح لها المجال لابتلاع أراضي عربية جديدة وضمها إليها، كما وأن إسرائيل ليس لها دستور كما جرت العادة في جميع دول العالم حتى لا يقف هذا الدستور حجر عثرة في طريق مطامعها الاستعمارية والتوسعية.

ب - إسرائيل ليست دولة قومية :

إسرائيل ليست دولة قومية، ولا هي دولة وليدة عصر القوميات الذي كان رائجا في أوربا خلال القرن الميلادي التاسع عشر

<u>سيناء ما يلي :.</u>

" كما تعلمون فإن قواتنا المسلحة انجزت قبل يومين أثر حمله صاعقة استمرت أقل من سبعة أيام تطهير شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة من الوقات العادية من رأس النقب مقابل إيلات حتى خليج شلومو، الذى كان يسمى حتى الأن شرم الشيخ على الشاطئ الجنوبى لمضايق البحر الأحمر، ومن خط إيلات – رفح في الشمال، إلى قناة السويس وخليجها الجنوبى، أى ما مساحته ٦٠٠٠٠ كيلو مترا مربعا أو نحو ثلاثة أضعاف مساحة أسرائيل إن قواتنا لم تعد على أرض مصر، بل لم تحاول أن تفعل ذلك "

وبما يدل على أن دولة أسرائيل دولة استعمارية توسعيه تلك الرسالة التي بعث بها الأب الروحي للصهيونية " تيودور هرتزل" إلى التجار الاستعماري "سيل رودس" مؤسس دولة جنوب افريقيه وقال فيها :.

(أرجوا أن تبعثوا لي بخطاب يفيد بالكم درستم مشروعي "مشروع استعمار فلسطين". وأنكم توافقون عليه، وقد يثور لديكم تساؤل عن السبب في توجهي إليكم بالكتابة ؟ والإجابة هي أن مشروعي هو أيضا مشروع استعماري) (١٦)

وفي الوقاع أن إسرائيل كدولة استعمارية توسعيه عدوانيه ليس لها حدود معروفه حتى يومنا هذا بالرغم مما جاء في مذكرة المنظمة الصهيونية لمؤتمر السلام الذى عقد في مدينه باريس في العام الميلادى ١٩١٩، وهذا بالطبع يفسح لها المجال لابتلاع أراضي عربية جديده وضمها إليها، كما وأن اسرائيل ليس لها دستور كما جرت العادة في جميع دول العالم حتى لا يقف هذا الدستور حجر عثره في طريق مطامعها الاستمارية والتوسعيه، وهي ليست كذلك على الإطلاق بسبب افتقارها وافتقار الحركة الصهيونية التي انشأتها لمقومات الأمة والقومية، فهي تضم بين سكانها أناس من عشرات القوميات أتوا إليها من شتى أرجاء العالم، ولا يمكن بأي حال من الأحوال اعتبارهم ينتمون إلى قومية واحدة، والحقيقة أن فكرة القومية اليهودية لم تنل

موافقة ورضى كثير من المفكرين والسياسيين اليهود مثل المؤرخ اليهودي المجري أرثر كوستلر، والحاخام ألمر برجر وعالم الاجتماع اليهودي مكسيم رودنسون، أما الوزير اليهودي البريطاني " أدوين مونتاجو " وهو الوزير اليهودي الوحيد في حكومة لويد جورج، وكان يشغل فيها منصب وزير الدولة لشئون الهند ،فقد قدم مذكرة شديدة اللهجة لمجلس الوزراء البريطاني ينتقد فيها تصريح بلفور، وقد ركز أدوين مونتاجو على النقاط التالية :

١ – إنه لا توجد قومية يهودية، إن أفراد أسرتي الذين عاشوا في هذا البلد لعدة أجيال لا يربطهم بأي أسرة يهودية في أي بلد أي اتفاق في رأي أو رغبة، ولا يجمعهم بها أي شيء أكثر من كونهم ينتمون بدرجات متفاوتة لنفس الديانة، ولا يصح القول بأن اليهودي الإنجليزي واليهودي المغربي ينتسبان لأمة واحدة أو ربما بجنس واحد !

٢ – إذا قيل لليهود أن فلسطين هي وطنهم القومي فإن كل دولة أخرى سوف تتجه فورا إلى التخلص من مواطنيها اليهود، وبذلك سوف نجد أن في فلسطين عددا ضخما من اليهود يقومون بطرد أهلها ويأخذون أحسن ما في البلد، ولسوف يحضر هؤلاء من كافة أرجاء الكرة الأرضية، ويتحدثون مختلف اللغات ولا يستطيعون التفاهم مع بعضهم البعض إلا عن طريق مترجم.

٣ – إنني لا اعترف بأن فلسطين اليوم مرتبطة باليهود، أو أنها المكان الملائم لمعيشتهم، إن الوصايا العشر قد أعطيت لليهود في سيناء، وحقا أن فلسطين تلعب دورا كبيرا في التاريخ اليهودي، ولكن الأمر كذلك أيضا بالنسبة للتاريخ الإسلامي الحديث، وقد أصبحت فلسطين بعد عهد اليهود تلعب دورا أكبر من أي دولة أخرى في التاريخ المسيحي، وقد يكون المعبد اليهودي موجودا في فلسطين، ولكن موعظة الجبل وصلب المسيح حدثا هناك أيضا.

٤ – وإذا كانت ذاكرتي لا تخونني فإن تعداد اليهود في العالم يبلغ ثلاثة أضعاف العدد الذي تستطيع فلسطين أن تستوعبه حتى لو طرد السكان الموجودون حاليا منها، أي أن ثلث عدد اليهود فقط يستطيع العودة إلى فلسطين، فماذا يحدث للباقين ؟ إنني لا أعلم كيف سيتم اختيار ثلث يهود العالم اللذين لا تتسع فلسطين لأكثر منهم، ولكن اليهودي بغض النظر عن البلد التي ينتمي إليها سوف يصبح لزاما عليه أن يختار واحدا من أمرين: إما أن يذهب إلى فلسطين ويعيش مع يهود غرباء عنه، أو يبقى كضيف غير مرغوب فيه في البلد الذي يعتقد أنه ينتمي إليه.

٥ – إن الحياة التي عاشها اليهود البريطانيون والأهداف التي وضعوها نصب أعينهم والدور الذي لعبوه في حياتنا العامة ومؤسساتنا تجعل

من حقهم أن يعتبروا بريطانيين يهودا أكثر منهم يهودا بريطانيين، إنني على استعداد لحرمان كل صهيوني من الحقوق المدنية، بل أنني أجد دافعا قويا لتحريم المنظمة الصهيونية باعتبارها غير قانونية وضارة بالمصالح البريطانية، إننا كيهود إنجليز نتعلم في المدارس العامة والجامعات ونلعب دورنا في السياسة وفي الجيش وفي الخدمة المدنية في بلادنا أكثر من ذي قبل، ومن دواعي سروري أن التعصب ضد التزواج قد بدأ يلين، ولكن إذا أعطى اليهودي وطنا قوميا فلا شك أن الدافع لحرماننا من حقوقنا كمواطنين بريطانيين يصبح أقوى بكثير، وسوف تصبح فلسطين الحي اليهودي في العالم... أن جميع اليهود في شتى أرجاء العالم سيصبحون بعد إقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين يهودا أجانب. (١٧)

جـ-إسرائيل دولة عنصرية :

إسرائيل في الواقع دولة عنصرية من طراز أول، ليس هذا فحسب بل أن الحركة الصهيونية التي أسستها هي أيضا حركة سياسية عنصرية قامت في الأساس على عدة مفاهيم عنصرية بالية أكل عليها الزمن وشرب مثلها في ذلك مثل الحركات العنصرية الأخرى التي عرفها التاريخ البشري مثل التشويه والداروينية والنازية والفاشستية والهندوسية والصربية ونظام التفرقة العنصرية والفصل العنصري الاستعماري السابق في جنوب أفريقيا، ويستمد

اليهود عنصريتهم وتعصبهم من نصوص كتاب العهد القديم ونصوص كتاب التلمود، وفي العام الميلادي ١٩٧٥، اعترفت الجمعية العامة للأمم المتحدة بأن إسرائيل هي شكل من أشكال العنصرية والتفرقة والتمييز العنصري، إلا أن الولايات المتحدة استطاعت إجبار الأمم المتحدة عن التراجع عن هذا القرار بتاريخ السادس من كانون الأول / ديسمبر من العام الميلادي ١٩٩١، بالرغم من أنه لم يحدث أي تغير في سياسة إسرائيل العنصرية، وقد تناولنا فيما تقدم من هذا الكتاب التفرقة العنصرية التي يعاني منها اليهود السفارد من قبل اليهود الأشكناز في المجتمع الإسرائيلي، وكذلك العرب الذين يعانون من شتى أنواع وأصناف التفرقة العنصرية من قبل اليهود السفارد واليهود الأشكناز داخل المجتمع الإسرائيلي، ولقد شرح ثيودور هرتزل في مذكراته أهداف الصهيونية في البلد الذي سوف يستولون عليه بقوله :

١ – عندما نحتل أرضا سنجلب منافع فورية للدولة التي تستقبلنا، ويجب أن نصادر بلطف الأملاك الخاصة في المناطق المخصصة لنا.

٢ – وسنحاول أن نروح عن السكان المفلسين والذين نخرجهم وراء الحدود بإيجاد العمل لهم في بلاد الانتقال، بينما نحرمهم من أي عمل في بلادنا الخاصة، وسيقف مالكو الأراضي في جانبنا.

٣ – إن عمليتي المصادرة وطرد الفقراء يجب أن تتما بلباقة وحذر، وليتوهم مالكو الأراضي أنهم يخدعوننا إذ يبيعونا أشياء بأضعاف أثمانها، ولكننا لن نبيعهم شيئا مما اشتريناه منهم. (١٨)

وبعد وصول مئات الآلاف من اليهود إلى فلسطين، وإمعانا في السياسة العنصرية للحركة الصهيونية فقد استخدم اليهود وسائل شتى لطرد السكان العرب من فلسطين من أهمها ما يلي :

١ – الإرهاب: الإرهاب المباشر ولقد كانت الأداة الرئيسية لهذا الإرهاب المباشر مذبحة دير ياسين الشهيرة التي وقعت عام ١٩٤٨، وقامت القوات الصهيونية أثنائها بمذبحة رهيبة، فقد ذبح أكثر من ٢٠٠ شخص من سكان القرية العرب دون تمييز بين شيوخ أو نساء أو أطفال، أما بقية السكان فقد نقلهم المهاجمون في ـــ موكب النصر ـــ إلى شوارع القدس، حيث سار الأسرى وثيابهم ملطخة بالدم لقد كان الهدف من هذه المذبحة الرهيبة في دير ياسين هو إثارة الذعر بين العرب في البلد ودفعهم إلى الهرب من بيوتهم، ولقد تأكد بعد المذبحة أن ذلك كان هو الهدف من أقوال الناطقين الرسميين باسم المنظمتين المذكورتين اللتين قاما بتنفيذ المذبحة، وهما أرغون زفاني لؤمي ولوحمي حيروت يسرائيل، وكذلك في المدة الأخيرة من أقوال المؤرخين الموثوق بهم لجيش الدفاع الإسرائيلي. (١٩)

٢ – استخدام وسائل الطرد المباشر كما حدث في مدينتي اللد والرملة وغيرهما، في ظل الإرهاب سالف الذكر.

٣ – اللجوء للحرب النفسية التي تضرب في مواقع حساسة من التركيب النفسي الاجتماعي، كالخوف على العرض أو الكرامة الشخصية، أو الإيذاء الجسدي مع فتح ثغرة للنجاة مضمونة أو شبه مضمونة. (٢٠)

أما ما تبقى من العرب داخل الكيان الصهيوني أو عرب ٤٨، وما حدث لأراضيهم وأملاكهم فيقول الأستاذ صبري جريس ما يلي :

(والحق يقال... فإنه منذ قيام إسرائيل تغيرت طرق امتلاك الأراضي تغيرا جذريا، ففي حين كانت الصهيونية مضطرة قبل سنة ١٩٤٨ إلى استخدام وسائل هادئة جدا لامتلاك أراضي العرب كالإغراء والضغط أو التهديد المقنع، فإنه بعد قيام الدولة تغيرت حالا الصورة تغيرا أساسيا، فمع عمليات طرد العرب التعسفية وغير القانونية ومصادرة أراضيهم، نشرت سلسلة من القوانين والمواد المعدلة والأوامر هدفها الرئيسي تبرير أعمال المصادرة التي نفذت، ومنح السلطات صلاحيات إضافية لنهب ما تبقى من أرض في يد العرب). (٢١)

ويذكر الأستاذ صبري جريس أن الأراضي التي اغتصبت من العرب حسب القوانين الإسرائيلية الجائرة والعنصرية بلغ نحو مليون دونم.

أما بالنسبة للسكان العرب فبالإضافة إلى الاحتلال والإجلاء واغتصاب الأرض فقد كانت التفرقة العنصرية ضدهم واضحة وجلية، وهذه العنصرية في الواقع من المبادئ الأساسية التي قامت عليها الحركة الصهيونية ودولة إسرائيل فيما بعد، ومن مظاهر التفرقة العنصرية الإسرائيلية التي تمارسها السلطات الإسرائيلية التي تمارسها السلطات الإسرائيلية ضد العرب ما يلي :

١ – منع العرب من مزاولة أي نشاط سياسي خاص بهم رغم أن القانون الإسرائيلي يسمح لجميع المواطنين بمزاولة النشاط السياسي وتأسيس الأحزاب السياسية، ولكن يبدو أن القانون الإسرائيلي لا يطبق بالنسبة للعرب، فقد حاولت مجموعة من العرب في العام الميلادي ١٩٦٤ تنظيم حزب سياسي باسم (حركة الأرض)، لا أن السلطات الإسرائيلية لم توافق على ذلك إطلاقا، وقد أيد القضاء الصهيوني هذا المنع تأييدا قاطعا.

٢ – التمييز والتفرقة العنصرية ضد العرب في الأجور العمالية وفي الخدمات الصحية والتعليمية وفي الوظائف الحكومية.

٣ – الإرهاب ضد الأدباء والمفكرين والمؤرخين العرب في إسرائيل، ولقد كتب الكثير عن الحركة الفكرية الفلسطينية داخل إسرائيل ووضحوا أن جميع المفكرين والأدباء والشعراء العرب قد اضطهدوا أو زجوا في

السجون والمعتقلات الإسرائيلية مرات عديدة فضلا عن إيداعهم في معيشتهم. (٢٢)

د - إسرائيل دولة إرهابية :

إسرائيل في الواقع دولة إرهابية بل ومتقدمة جدا في عالم الإرهاب والجريمة المنظمة، ويستمد الصهاينة جذور الإرهاب من التوراة، وجرائم اليهود ضد الشعب العربي الفلسطيني في التاريخ القديم أمر معروف وتعج به نصوص سفر يشوع (يوشع بن نون)، أما جرائم اليهود وإرهابهم في العصر الحديث فهو غير خافي على أحد، فقد ارتكب الصهاينة العشرات بل والمئات من المجازر والمذابح البربرية والهمجية البشعة ضد أبناء الشعب العربي الفلسطيني والدول العربية المجاورة راح ضحيتها المئات من الأبرياء، وإرهاب إسرائيل وجرائمها ضد الإنسانية وبخاصة الشعب العربي الفلسطيني تبدو من العناصر الرئيسية التي بنيت عليها العقيدة الصهيونية وقامت عليها دولة إسرائيل، يقول الدكتور هيثم الكيلاني أن العقيدة الصهيونية (وبالتالي دولة إسرائيل) بنيت في ضمن ما بنيت عليه على المقدمات التالية :

١ - الإيمان بالقوة إيمانا مطلقا، وتنشئة الأجيال المتعاقبة من الصهيونيين عليها حتى تصبح من تكوينهم.

٢ – نقض الحقوق الطبيعية للعرب نقضا مطلقا إلى درجة تصبح فيها إبادة الشعب العربي بالنسبة للصهيوني عملا مطلوبا من أجل ذاته.

٣ – تبرير اللجوء إلى أي وسيلة مهما كانت ممعنة في الإجرام لتحقيق الأهداف المقدسة للصهيونيين في أرض إسرائيل حتى ليغدو القتل والاغتيال والتدمير وغيرها من وسائل الإرهاب من عاديات الحياة اليومية.

٤ – اعتماد قانون أعلى أو (الحق المطلق) بالنسبة إليهم أو (مطلق صهيون) يضع الصهيونيين كلهم في جهة، وباقي الجنس البشري في جهة أخرى أدنى منهم.

٥ – الارتسام والدخول في (كهنوت صهيون) غايته إنقاذ وطن اليهود حتى يصبح الحقد الأعمى ضد العرب من مقومات الإيمان، وتطهير أرض إسرائيل من العرب سبيلا لتحقيق المثل الصهيوني الأعلى.

٦ – الإيمان بأن الهجرة الإسرائيلية إلى فلسطين دون الإحجام عن أي وسيلة لتحقيقها هو مجرد وسيلة للغزو الاستيطاني اليهودي.

كان فيما تقدم عرضا موجزا للوجه الحقيقي لإسرائيل، ذلك الوجه الإجرامي القبيح والبشع لتلك الدولة، هو في الواقع وجهها الاستعماري الاستيطاني البغيض، وجهها العنصري والإرهابي البربري والهمجي الممعن في الإجرام والعنصرية والإرهاب، ومن الغريب والطريف معا أن إسرائيل تحاول

دائما تلميع وجهها وتجميله أمام العالم، وتسوق لنفسها وكأنها واحة وحيدة للديمقراطية في الشرق الأوسط المحاطة بمحيط لاطم من الأعداء العرب، وهي دولة بريئة ومسالمة وتدعو للسلام، وهي بريئة من اغتصاب أراضي العرب وتهجيرهم وتشريدهم، وبريئة أيضا من دمائهم التي لازالت تنزف بسبب اليهود منذ أكثر من قرن من الزمن.

ولكن...

- هل يرى العالم الوجه الحقيقي البشع لإسرائيل ؟

- أم أنه يتظاهر بأنه لا يرى هذا الوجه القبيح ؟

- أم أنه يرى هذا الوجه فعلا ؟

- وإذا كانت الإجابة بنعم.

- فهل يشرف أي دولة من دول العالم أن تقيم علاقات من أي نوع مع إسرائيل ؟

- لا أعتقد ذلك.

في الحقيقة أن معظم دول العالم ترى الوجه الحقيقي البشع للكيان الصهيوني الغاصب في فلسطين العربية، إلا أنه كنوع من المجاملة لشعب الله المختار وللولايات المتحدة وحلفائها، تتظاهر هذه الدول بأنها لا ترى الوجه الحقيقي القبيح لإسرائيل، وإنما ترى فيها دولة شرعية ومثال حي للديمقراطية في الشرق الديكتاتوري المتخلف والمظلومة من جيرانها العرب.

وإذا كان الأمر كذلك ؟ فهو في الواقع كارثة حقيقية كبرى ما بعدها كارثة ؟

– وإذا كان العالم لا يرى الوجه الحقيقي لإسرائيل ؟

– أليس على العرب جميعهم تقع هذه المسئولية وهم الذين يعانون يوميا من الممارسات الهمجية الإسرائيلية ؟

ولكن...

– لماذا تتسابق الدول العربية للتطبيع المجاني مع إسرائيل وهي تعلم تماما غير شرعية هذه الدولة، وتدرك النزعات العدوانية لها، وميلها لابتلاع المزيد من الأراضي العربية واستيطالها استيطانا إحلاليا؟ أما كان الأجدر والأنفع للدول العربية أن تسعى للتطبيع مع بعضها البعض ؟

وفي غفلة عن العرب وهم كانوا يغطون في سبات عميق، استطاعت إسرائيل إقامة علاقات مع معظم دول العالم ومنها دول إسلامية كبيرة ومهمة مثل تركيا التي كانت في يوم من الأيام تقود العالم الإسلامي في زمن دولة الخلافة العثمانية، وأيضا دولة إيران في زمن الشاه المخلوع محمد رضا بهلوي، وأخيرا قامت بعض الدول العربية المهمة والتي تلعب دورا محوريا في المنطقة بإقامة علاقات كاملة مع إسرائيل، وهذا في الواقع يعطي ذريعة لكثير من دول العالم لتوثيق علاقتها بإسرائيل طالما أن العرب أصحاب قضية فلسطين ويعتبرونها قضيتهم الأولى أقاموا علاقات كاملة مع إسرائيل، وإقامة علاقات

من أي نوع مع إسرائيل يعني ضمنا الاعتراف بشرعية وجود هـــذه الدولـــة على أرض فلسطين العربية، وأيضا شرعية وجودها كعضو في المجتمع الدولي، وهذا في الواقع خطأ فادح جدا.

ولكن... قد يتساءل البعض:

- أليس من الحكمة والصواب فتح قنـــوات اتصـــال عربيـــة مـــع إسرائيل، لأن مثل هذه الاتصالات تصب في صالح الشعب الفلسطيني، ومن شأنها أن تخفف إلى حد ما من المعاناة الاقتصادية والاجتماعية والأمنية الـــتي يعانيها هذا الشعب داخل الأراضي الفلسطينية، وتوقف بعـــض الممارســـات الصهيونية ضده ؟

الحقيقة أن الأمر لا يبدو كذلك علـــى الإطـــلاق، فبـــالرغم مـــن الاتصالات العربية مع الكيان الصهيوني الغاصب في فلسطين العربيـــة، إلا أن إسرائيل تستغل هذه الاتصـــالات في الاســـتمرار في ممارســـاتها العدوانيـــة والإرهابية ضد الشعب الفلسطيني.

- فماذا استفاد الشعب الفلسطيني من هذه الاتصالات ؟
- أليس العدوان الإسرائيلي مازال قائما حتى الآن ؟
- أليس السلطات الإسرائيلية لازالت تمارس إرهابها على الشـــعب الفلسطيني ؟

– أمازال جيش الدفاع الإسرائيلي يمارس هوايته المفضلة في قتل أبناء الشعب الفلسطيني، وفي تدمير بنيته التحتية ؟

– أمازال أكثر من عشرة آلاف فلسطينيا في السجون والمعتقلات الإسرائيلية ؟

– أمازال الكيان الصهيوني يمارس سياسته العنصرية ضد الشعب الفلسطيني، فلا حريات له ولا حقوق، والعمليات القمعية الصهيونية ضده تجري على قدم وساق ؟

– أمازال العمل في بناء جدار الفصل العنصري مستمرا حتى الآن؟

– أما يعيش السواد الأعظم من أبناء الشعب الفلسطيني تحت خط الفقر، في ظروف معيشية وبيئية سيئة للغاية ؟

– ألم تزل صرخات الصهاينة تتعالى بين الحين والآخر داعية إلى ضرورة طرد من تبقى من العرب داخل إسرائيل من ديارهم إلى خارج أرض فلسطين ؟

ليس هذا فحسب بل وأن إسرائيل تقابل مبادرات السلام العربية بكثير من التعنت والتشنج والرفض، وترد عليها عمليا بالمزيد من جرائم الحرب ضد الشعب العربي الفلسطيني.

ودولة من طراز دولة إسرائيل تمارس عنصريتها وإرهابها على نطاق واسع داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة لابد وأن يعاملها المجتمع الدولي مثلما عامل نظام الفصل والتفرقة العنصرية السابق في جنوب أفريقيا، ويقوم بطردها في الأسرة الدولية، ولكن قبل أن نطلب من العالم هذا الأمر، يجب علينا نحن العرب أن نحزم أمرنا ونتخذ موقفا صارمة ومتشددة من إسرائيل، ونطرح جانبا قضية السلام معها، ونعد العدة لإستراتيجية جديدة رادعة لها تتناسب مع عدوانيتها وعنصريتها السافرة، ولو فرضنا جدلا أننا نقبل بوجود الدولة الصهيونية في فلسطين العربية، فيجب على هذه الدولة أن تسحب قواتها ومستوطنيها إلى حدود المناطق التي خصصت لليهود في قرار تقسيم فلسطين الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في العام الميلادي ١٩٤٧ وليس فقط إلى حدود الأراضي التي كانت بحوزة العرب قبل عدوان عام ١٩٦٧، وإذا كان الصهاينة يعتبرون قرار تقسيم فلسطين وثيقة قانونية في أيديهم، فإن هذا القرار هو في نفس الوقت وثيقة قانونية في أيدينا نحن العرب أيضا، فهذا القرار نص على تقسيم فلسطين بين العرب واليهود في دولتين إلا أنه لم ينص على اغتصاب الصهاينة لكامل الأراضي الفلسطينية.

وإزاء الوجود غير الشرعي لإسرائيل، وممارساتها البربرية الهمجية، ينبغي على القيادات العربية، وأيضا على المفكرين والمؤرخين والسياسيين

والإعلاميين والحقوقيين العرب، إضافة إلى الهيئات الشعبية والنقابات العمالية والمهنية المختلفة، أن تعمل جادة ومخلصة بين جميع دول العالم، وفي الأوساط والمحافل الدولية على إظهار الوجه الحقيقي لإسرائيل، وجهها الاستعماري التوسعي العدواني والإرهابي والعنصري لها، ثم التعامل معها على هذا الأساس، وبذلك يمكننا عزل إسرائيل دوليا وطردها من المجتمع الدولي كما طرد العالم نظام الفصل والتفرقة والعنصرية السابق في جنوب أفريقيا وتتركها لتواجه مصيرها الأسود المحتوم.

وقد يبدو هذا الأمر حلما غير قابل للتحقيق مثل آلاف الأحلام التي تراود مخيلة الملايين من البشر في شتى أرجاء العالم ولكن يجب أن لا ننسى أن مشروع الدولة اليهودية الذي وضعه الأب الروحي للصهيونية (ثيودور هرتزل) في كتابه (الدولة اليهودية) كان مجرد حلما من الأحلام غير قابل للتحقيق ولكنه تحقق.

٥ – أ: تكبيد إسرائيل أكبر قدر ممكن من الخسائر في جميع المجالات:

إن وجود إسرائيل كدولة مستقلة في الشرق الأوسط هو معجزة كما قال الزعيم الصهيوني شيمون بيريز عراب مشاريع الشرق أوسطية المتتالية في الذكرى التاسعة والخمسين لتأسيس الكيان الصهيوني الغاصب في فلسطين العربية التي صادفت العام الميلادي ٢٠٠٧، ولكن الحقيقة أنه لا توجد هناك

معجزة ولا شيء من هذا القبيل كما يعتقد الزعيم الصهيوني شيمون بيريز، فوجود الكيان الصهيوني في فلسطين العربية حتى يومنا هذا ليس معجزة على الإطلاق وبخاصة إذا ما أخذنا في الاعتبار النقاط الثلاث التالية :

١ – التفوق العسكري الإسرائيلي طيلة فترة الصراع العربي – الإسرائيلي، ففي الواقع أن كفة ميزان القوى العسكرية في الشرق الأوسط كان تميل دوما لصالح إسرائيل، وذلك بفضل الدعم العسكري لإسرائيل من الدول الأوربية والولايات المتحدة ودول أخرى، فهذه الدول هي التي صنعت إسرائيل ويهمها جدا بقاء وجود هذه الدولة في الشرق الأوسط، ويهمها أيضا بقاؤها قوية ومتقدمة عسكريا بل وأقوى من جميع جيرانها العرب وغير العرب لأسباب سبق الإشارة إليها.

٢ – حالة الضعف والوهن الشديدين التي يمر بها العرب في الوقت الراهن وبخاصة في الستة عقود التي تلت تأسيس دولة إسرائيل في فلسطين العربية التي تحتل مركز القلب في العالم العربي، ويرجع ذلك إلى عدم وحدة العرب، أو على الأقل وحدة كلمتهم في مواجهة الخطر الصهيوني القابع في بلادهم وفي وسطهم، ليس هذا فحسب بل أن دول عربية معينة ساهمت إلى حد ما في إنشاء دولة إسرائيل، إضافة إلى أن الدول العربية لم تعد نفسها إعدادا عسكريا كافيا لترقى إلى مصاف القوى الإقليمية الكبرى التي يعتد بها

ويحسب لها ألف حساب، ويمكنها مواجهة الكيان الصهيوني عسكريا والقضاء عليه وإزالته عن الوجود.

٣ – لقد كانت حركة المقاومة الفلسطينية المعاصرة أنبل ظاهرة عرفها التاريخ العربي الحديث كما قال الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، وقد حققت حركة المقاومة الفلسطينية المعاصرة نتائج إيجابية كثيرة في طريق المواجهة مع الكيان الصهيوني، إلا أن الفرقة والتناحر والخلافات بين فصائل المقاومة الفلسطينية المختلفة، وعدم وحدة كلمتها في إطار المواجهة مع إسرائيل، عطل إلى حد كبير من تقدم وتطور وفاعلية حركة المقاومة الفلسطينية في عملية التصدي لإسرائيل، وقد وصلت الخلافات بين فصائل المقاومة الفلسطينية الكبرى في الآونة الأخيرة إلى حد الاقتتال المسلح بين أخوة الدم والسلاح والقضية المقدسة والمصير المشترك لأسباب حزبية وعشائرية، وقد أدى هذا القتال إلى زهق أرواح نحو أربعمائة فلسطينيا حسب إحصائيات المنظمات الإنسانية في فلسطين، الأمر الذي أصاب الجماهير الفلسطينية والعربية بالصدمة والإحباط وخيبة الأمل، وأثلج صدور الصهاينة في فلسطين العربية لأنهم وجدوا من ينوب عنهم في قتل أبناء الشعب الفلسطيني والتنكيل بهم.

وفي سياق الحديث عن إستراتيجية المواجهة مع إسرائيل، يجب علينا أن لا ننسى تكبيد الكيان الصهيوني أكبر قدر ممكن من الخسائر في جميع المجالات حتى تصبح الحياة داخل إسرائيل بالنسبة لليهود أمرا صعبا للغاية بل ومستحيلا، ليسارع الصهاينة بمغادرة إسرائيل والرحيل عنها إلى البلاد التي أتوا منها، وهذه الخسائر ليست قاصرة فقط على الخسائر البشرية الناجمة عن العمليات العسكرية الفدائية ضد إسرائيل والتي لا يستطيع الكيان الصهيوني تحملها طويلا، وإنما أعني بهذه الخسائر أيضا في جميع المجالات المهمة والحيوية مثل قطاع السياحة والصناعة والزراعة والتجارة والبنية التحتية للكيان الصهيوني، وفي مستهل الجزء الرابع من الفصل الخامس من هذا الكتاب، سوف نتناول باختصار التوازن العسكري في الشرق الأوسط، وبالتالي هذا التوازن بين العرب وإسرائيل.

I – التوازن العسكري في الشرق الأوسط:

ليس صحيحا ولم يكن صحيحا في يوم من الأيام أن كفة ميزان القوى العسكرية في الشرق الأوسط كانت تميل لصالح العرب، وإنما كفه هذا الميزان كانت تميل دائما لصالح إسرائيل، ولا يخفى على أحد السبب في ذلك، فالدعم العسكري والسياسي والمادي والمعنوي اللامحدود لإسرائيل من العالم الغربي وبخاصة من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة، فضلا على المساعدات السخية جدا من هذه الدول لإسرائيل في المجال العلمي والتقني والتدريبي

العسكري والمعلوماتي والاستخباراتي يقف وراء التفوق العسكري الإسرائيلي، ومنذ وقت مبكر على إقامة الدولة الصهيونية في فلسطين العربية، أدرك الصهاينة أنهم محاطون بدائرة من الأعداء العرب الذين يتمنون زوال إسرائيل في أقرب وقت ممكن، ولهذا عمل الصهاينة على إنشاء جيش قوي ومدرب تدريبا راقيا ومتقدما، وكذلك اهتمت إسرائيل بخلق قاعدة واسعة للصناعات الحربية، وامتلاك أسلحة نوعية وإستراتيجية حديثة مثل الدبابات والطائرات الحربية والصواريخ، إلا أن التفوق العسكري الإسرائيلي لم يقتصر فقط على مجال الأسلحة التقليدية، وإنما تخطاها إلى مجال أسلحة الدمار الشامل أيضا كالأسلحة النووية والأسلحة الكيميائية والبيولوجية، وأخيرا خلال زيارة له لدولة ألمانية، اعترف رئيس وزراء الكيان الصهيوني إيهود أولمرت بامتلاك إسرائيل لأسلحة نووية، بعد أن كان هذا الأمر سرا تحرص إسرائيل على إبقائه سرا طي الكتمان الشديد.

وفي البداية سوف نتناول التوازن العسكري في الشرق الأوسط في مجال الأسلحة التقليدية، ويوضح الجدول رقم (١٣) حجم القوات لجيوش بلدان الشرق الأوسط المختلفة في العام الميلادي ٢٠٠٥، وما تملكه من أسلحة نوعية :

	الدولة	القوات النظامية	الاحتياط	المجموع	الدبابات	الطائرات الحربية
١	سوريا	٢٨٩,٠٠٠	١٣٢,٥٠٠	٤٢١,٥٠٠	٣٧٠٠	٥١٠
٢	السلطة الفلسطينية	٤٥,٠٠٠	–	٤٥,٠٠٠	–	–
٣	مصر	٤٥٠,٠٠٠	٢٥٤,٠٠٠	٧٠٤,٠٠٠	٣٠٠٠	٥١٨
٤	السعودية	١٧١,٠٠٠	٢٠,٠٠٠	١٩١,٠٠٠	٧٥٠	٣٤٥
٥	الأردن	١٠٠,٧٠٠	٦٠,٠٠٠	١٦٠,٠٠٠	٩٧٠	١٠٦
٦	لبنان	٦١,٠٠٠	–	٦١,٠٠٠	٢٥٠	–
٧	إيران	٥١٨,٠٠٠	٣٥٠,٠٠٠	٨٦٨,٠٠٠	١٧٠٠	٣٣٥
٨	إسرائيل	١٨٦,٠٠٠	٤٤٥,٠٠٠	٦٣١,٠٠٠	٣٩٣٠	٧٩٨

جدول رقم (١٣)

حجم القوات العسكرية في دول الشرق الأوسط وما تملكه من أسلة نوعية (٢٣)

ولقد تم إسقاط دولة العراق من الجدول السابق وهي تملك الآن نحو ١٣٠,٠٠٠ من قوات الأمن من المتوقع زيادة عددها إلى ١٨٦,٣٣٥، والعراق لا يملك الآن دبابات وطائرات حربية، ولكن هناك اتجاه لإعطاء قوات الأمن العراقية عدد صغير في الدبابات والطائرات الحربية التي كانت لدى العراق في عهد الرئيس العراقي الراحل صدام حسين، وهي الآن تحت

طرة الجيش الأمريكي في العراق، ومن بين قوات الأمن العراقيـــة يوجـــد سة وثلاثين ألف عنصرا يشكلون الجيش الوطني العراقي.

ويوضح الجدول رقم (١٤) حجم المصروفات العسكرية في الـــدول ربية وإسرائيل بين الأعوام الميلادية ١٩٨٥ و ١٩٩٥ بملايين الـــدولارات مريكية :

جم المصروفات العسكرية في الدول العربية وإسرائيل بين الأعوام ١٩٨٥ – ١٩٩٥ بملايين الدولارات الأمريكية

العام	١٩٨٥	١٩٨٦	١٩٨٧	١٩٨٨	١٩٨٩	١٩٩٠	١٩٩١	١٩٩٢	١٩٩٣
سوريا	٧٤٤٥	٥٨٧٨	٣٧٢٧	٤٠٠٠	٤٤٩١	٥٠٤٥	٤٧٣٠	٤١٥٠	٣٥٨٠
مصر	٤٢٨٩	٣٩٨١	٣٩٨٠	٣٢٠٨	١٩٥٣	١٩٨٧	١٧٦٧	١٨٤٠	١٩٠٤
الأردن	٧٤٩	٨٩٩	٨٩٤	٦٧٣	٥٩٧	٤٥٦	٤٦٦	٤٦١	٤٦٩
لبنان	١٠٠	٧٥	٧٥	١٢٠	١٥٠	٣٠١	٣١٩	٣٧٣	٣٤٤
اسرائيل	١٥٦٥٠	٩٥٥٤	٨٤٢١	٧٧٤٠	٧٦٩٢	٨٣٣٧	٦٣٣٣	٨٣٢٠	٧٨١٢

لومات الجدول من المصدر التالي :

- Antony H. Cordesman: From Arms Control ar Disarmament Agency "World Military Expediture ar Arms transfers – 1995.

الأسلحة الإستراتيجية في الترسانة العسكرية الإسرائيلية

أولا: سلاح الجو الإسرائيلي:

يعتمد سلاح الجو الإسرائيلي بالدرجة الأولى على طائرات حربية امريكية الصنع مع طراز فانتوم 2000 – 4E – F، وأيضا على طائرات حربية من طراز 16 – F (الصقر).

1- الطائرة فانتوم 2000 – 4E – F:

تعرف هذه الطائرة رسميا باسم (فانتوم – ٢)، وهي في الأساس طائرة قتالية هجومية بمحركين ومقعدين، صممت في العام الميلادي ١٩٥٤، وهذه الطائرة الحربية لها تاريخ طويل ومميز منذ رحلتها الأولى في عام ١٩٥٨ وحتى الآن، وقد أجريت على الطائرة الحربية فانتوم2000 – 4E – F تحسينات عديدة، وقد خدمت في سلاح الجو الأمريكي، وعدد من حلفاء الولايات المتحدة.

والنسخة الإسرائيلية من الطائرة فانتوم – ٢، صممت كطائرة مقاتلة متعددة المهام، وإضافة إلى إمكانية تزويدها بالوقود من الجو، لزيادة مداها في التحليق، فإن لها قدرة عالية على المناورة، وقبل سنوات جرى إعادة تأهيل خمسين طائرة إسرائيلية من طراز فانتوم – ٢ لزيادة عمرها الافتراضي، ويعتقد أن هذه الطائرات هي كل ما تملكه إسرائيل من طائرات فانتوم – ٢، وفيما يلي أهم مواصفات الطائرة فانتوم2000 – 4E – F :

١ – الأبعاد :

– الطول = ١٧,٧٦ مترا.

– الارتفاع = ٤,٦٩ مترا.

– طول الجناحين = ١١,٧٠ مترا.

٢ – المحركات : محركـــات مـــن طـــراز (J 79 – GE – 8) توربوجت.

٣ – مدى الطيران : ١٦٠٠ كيلو مترا.

٤ – السرعة : t 2 ماخ.

٥ – الحمولة من الأسلحة = ٧,٢٠٠ كيلو جراما.

وتذكر التقارير أنه أبان حرب عـــام ١٩٧٣ ـــ أي حـــرب يـــوم الغفران ـــ عندما أرغم الجيش المصري الجيش الإسرائيلي على التقهقـــر في صحراء سيناء، وكان هناك إمكانية أن تفقد إسرائيل المرتفعـــات الســـورية (هضبة الجولان) بواسطة الجيش السوري، حمل سرب من طائرات الفانتوم – ٢ بثلاثة عشر قنبلة نووية، واختير لها أكفأ الطيارين الإســـرائيليين، ووضـــع هذا السرب على أهبة الاستعداد لقصف أهداف عربيـــة لم يـــتم تحديـــدها، ويذكر تقرير لصحيفة التايم أن جولدا مائير رئيسة الوزراء الإسرائيلية وقتئذ أمرت القوة النووية الإسرائيلية لتقف على أهبة الاستعداد لقصف أهـــداف

عربية، إلا أن هذه الخطة لم تنفذ بسبب ميل تلك الحرب لصالح إســرائيل في النصف الثاني منها.

ب – الطائرة الحربية F – 16 (الصقر)

الطائرة إف – ١٦ (الصقر) طائرة أمريكية مقاتلة تم إنتاجها بأعداد كبير تصل إلى ٤٠٠٠ طائرة تقريبا، وتم تصديرها لأقطـــار عديـــدة، وقـــد صممت هذه الطائرة لتكون قادرة على تنفيذ المهام المنوط لها القيام بتنفيذها، وفي نفس الوقت رخيصة التكاليف.

والنسخ A , C من الطائراة إف – ١٦ صممت بمقعد واحـــد، في حين أن النسخة B , D من هذه الطائرة تحتوي على مقعدين، ويتم التحكم في الطائرة إف – ١٦ بواسطة كمبيوتر ونظام ملاحي جوي متقـــدم جـــدا وفيما يلي أهم مواصفات هذه الطائرة :

١ – الأبعاد :

– الطول = ١٥,٠٣ مترا.

– الارتفاع = ٥,٠٩ مترا.

– طول الجناحين = ٩,٤٥ مترا.

– الوزن فارغة = ٨,٢٧٣ كيلو جراما.

– مدى الطيران = ٦٣٠ كيلو مترا.

– السرعة = ٢ + ماخ.

- التسليح = ٥٤٠٠ كيلو جراما.

ثانيا: القدرات الصاروخية الإسرائيلية:

تشير التقارير أن إسرائيل تملك أكثر برامج الصواريخ تقدما وتطورا في الشرق الأوسط، سواء في مجال الصواريخ الهجومية أو الصواريخ الدفاعية، والمنظومة الصاروخية الإسرائيلية مؤلفة من صواريخ قصيرة المدى وصواريخ بعيدة المدى، إضافة إلى صواريخ فضائية تقوم بحمل أقمار صناعية إلى الفضاء الخارجي، ومنظومة الصواريخ الإسرائيلي مؤلفة من الأساس من صاروخ جيريكو – ١، وجيريكو – ٢، وصاروخ شافيت الذي يحمل أقمار صناعية إلى الفضاء الخارجي، وتشير التقارير الحديثة أن إسرائيل جربت بنجاح صاروخ أرو – ٢، إضافة إلى صاروخ موجه بعيد المدى.

أ – صاروخ جيريكو – ١:

صاروخ جيريكو – ١ (أريحا) عبارة عن صاروخ بلاستي قصير المدى طور في الستينيات من القرن الماضي عن الصروخ الفرنسي داسو إم – دي ٦٠٠، ولهذا الصاروخ اسم إسرائيلي هو (لوز) وأول ذكر لصاروخ جيريكو – ١ كان في العام الميلادي ١٩٧١ في صحيفة نيويورك تايمز، ولقد أجرى اختبار هذا الصاروخ لعشرين مرة في إحدى القواعد الجوية الفرنسية، وفي عام ١٩٧٠ أخذت إسرائيل على عاتقها إنتاج وتجربة هذا الصاروخ، ولو أنها كانت قد تسلمت أربعة عشر صاروخا جاهزا من فرنسا، ويذكر أن

إسرائيل أثناء حرب عام ١٩٧٣ مع سوريا ومصر، زودت صواريخ جيريكو - ١ برؤوس نووية، إلا أن هذا الأمر غير وارد لأن هذا الصاروخ في ذلك الوقت كان يعاني من مشاكل في التحكم والتوجيه، وصاروخ جيريكو - ١ مكون من مرحلة واحدة ويحمل شحنة من متفجرات شديدة الانفجار وزنها ٥٠٠ كيلو جراما، إلا أنه من الممكن أن يحمل رأس نووي، ويبلغ مدى الصاروخ ٥٠٠ كيلو مترا.

مواصفات صاروخ جيريكو - ١:

١ - الطول : ١٠ أمتار.

٢ - الوزن : ٤٥٠ كيلو جرام.

٣ - المدى : ٥٠٠ كيلو متر.

٤ - الوقود : وقود صلب.

٥ - الحمولة : رأس واحد تقليدي أو نووي.

ويعتقد أن إسرائيل تملك ٥٠ - ١٠٠ صاروخا من طراز جيريكو - ١.

ب - صاروخ جيريكو - ٢:

طور صاروخ جيريكو – ٢ عن صاروخ جيريكو – ١ بالتعاون مع دولة جنوب أفريقيا في منتصف السبعينيات من القرن الماضي، واختبر لأول مرة في العام الميلادي ١٩٨٦، وهو صاروخ ذو مرحلتين، الأمر الذي يسمح له بضرب أهداف بعيدة تصل إلى ١٥٠٠ كيلو متر، وهو بذلك يمكنه أن يضرب معظم مناطق الشرق الأوسط وإيران وجنوبي روسيا.

أهم مواصفات صاروخ جيريكو – ٣:

١ – الطول : ١٢ متر.

٢ – العرض : ١,٢ متر.

٣ – الوزن : ٦٥٠٠ كيلو جرام.

٤– المدى : ١٥٠٠ كيلو متر.

٥ – الحمولة : رأس واحد تقليدي أو كيميائي أو نووي.

ويعتقد أن إسرائيل تملك ٥٠ صاروخا من طراز جيريكو – ٢.

جـ– صاروخ شافيت (الشيزك):

الصاروخ شافيت يشبه صاروخ جيريكو – ٢، وهو الذي وضع أول قمر صناعي إسرائيلي ويسمى أفق – ١، في مدار له في الفضاء الخارجي، ومن الممكن لهذا الصاروخ أن يحمل رأس نووي بعد بعض التعديلات عليه.

وإضافة إلى ذلك قامت إسرائيل في آذار / مارس ٢٠٠٤ بتجربة صواريخ باتريوت وهوك، وأيضا في نفس العام أجرى اختبار الصاروخ

الإسرائيلي أرو – ٢ المضاد للصواريخ البلاستية في ولاية كاليفورنيا الأمريكية.

ثالثا : الأسلحة النووية الإسرائيلية :

مقدمة تاريخية :

أعلنت إسرائيل فيما مضى أنها لن تكون أول دولة في الشرق الأوسط تدخل الأسلحة النووية إلى ترسانتها العسكرية، إلا أن هذا لم يكن سوى نوع من الخداع للتغطية على برنامج إسرائيل نووي، ففي الحقيقة أن إسرائيل تملك أقوى برنامج للأسلحة النووية في الشرق الأوسط، وقد بدأ الكيان الصهيوني الغاصب في فلسطين العربية التفكير جديا في امتلاك أسلحة نووية بعد أشهر قليلة من قيامه وتحديدا في العام الميلادي ١٩٤٩، وقد أسس البرنامج النووي الإسرائيلي في عام ١٩٥٠ أول رئيس وزراء للكيان الصهيوني (ديفيد بن غوريون) وفي نفس العام أنشأت الهيئة الإسرائيلية للطاقة الذرية، وقال رئيسها حينذاك (أرنست ديفيد برغمان) أن القنبلة الذرية الإسرائيلية سوف تحمي اليهود من أن يساقوا ثانية كالخراف إلى المذابح.

وقد ساعدت فرنسا إسرائيل في إنشاء مفاعل نووي يعمل بالماء الثقيل في مدينة ديمونه الواقعة في صحراء النقب جنوبي فلسطين، وانتهى العمل في مفاعل ديمونه في العام الميلادي ١٩٦٤، ومنذ عام ١٩٦٠ بدأت فرنسا تضغط على إسرائيل لكي تعلن عن برنامجها النووي وهددتها بقطع

إمدادات الوقود النووي لها إن هي لم تعلن عـــن برنامجهـــا النـــووي، إلا أن إسرائيل لم تعلن أبدا عن برنامجها النووي، وبدلا من ذلك أعلن ديفيـــد بـــن غوريون أن مفاعل ديمونه الإسرائيلي عبارة عن مركـــز للأبحـــاث النوويـــة مخصص للأغراض السلمية، إلا أن البرنامج النووي الإســـرائيلي وإنتاجهـــا لأسلحة نووية فضح على يد فني إسرائيلي وإنتاجها لأسلحة نووية فضح على يد فني إسرائيلي يعمل في مفاعل ديمونه اسمه (موردخاي فاعنونو) فأثناء زيارة هذا الفني لبريطانيا اعترف لصحيفة سن داي اللندنيه بأن إســـرائيل تملـــك أسلحة نووية، ونشر هذا الاعتراف في الصحيفة بتاريخ الخامس من تشـــرين الأول / أكتوبر من العام الميلادي ١٩٨٦، وكان موردخاي فاعنونو قد قام قبل زيارته لمدينة لندن برحلة من الطراز البوهيمي لمدة عدة أشهر في أستراليا، وفي استراليا اعتنق موردخاي فاعنونو الديانة المسيحية، وكانـــت الجماعـــة الدينية المسيحية التي اتبعها فاعنونو لها نشاط ضد الأسلحة النوويـــة، لكـــن الموساد الإسرائيلي تمكن من اختطاف الفني موردخاي فاعنونو من بريطانيـــا إلى إسرائيل، وفي إسرائيل قدم فاعنونو لمحكمة إسرائيلية حيث حكمت عليـــه هذه المحكمة بقضاء ثمانية عشر عاما في السجن.

ولقد تعاونت إسرائيل مع بريطانيا وفرنسا وربما الولايات المتحدة في المجال النووي وبخاصة الأسلحة النووية، وتعاونت أيضا مع دول أخرى مثـــل

البرازيل وجنوب أفريقيا، ولابد أن هذه الدول زودت إسرائيل بالكثير من أسرار صناعة القنابل النووية، فعلى سبيل المثال اعترف (فريدريك دي كليرك) رئيس النظام العنصري السابق في جنوب أفريقيا في مقابلة له مع قناة الجزيرة الإخبارية القطرية بتاريخ الخامس والعشرين من نيسان / أبريل من العام الميلادي ٢٠٠٧ على هامش المؤتمر السابع للديمقراطية والتنمية والتجارة الحرة الذي عقد في مدينة الدوحة القطرية في نيسان / أبريل ٢٠٠٧، أن بلاده كانت تملك سبع قنابل ذرية قبل انهيار الحكم العنصري في جنوب أفريقيا، ثم اتجهت جنوب أفريقيا في برنامجها النووي نحو الأغراض السلمية، ولقد أصبح مؤكدا الآن أن إسرائيل تملك أسلحة نووية.

قدرات إسرائيل النووية :

فيما يلي تقديرات لما تملكه إسرائيل من أسلحة نووية في سنوات مختلفة مرتبة حسب تسلسلها الزمني :

١ – عام ١٩٦٧، حرب الأيام الستة :

– قنبلتان نوويتان. (٢٤)

– ثلاث عشرة قنبلة نووية. (٢٥)

٢ – عام ١٩٦٩:

– ٥ – ٦ قنابل نووية. (٢٦)

٣ – عام ١٩٧٣، حرب يوم الغفران:

– ثلاث عشرة قنبلة نووية. (٢٧)

– عشرون رأس نووي. (٢٨)

٤ – عام ١٩٧٤:

– ١٠٨ رأس نووي. (٢٩)

– عشر قنابل نووية. (٣٠)

٥ – عام ١٩٧٦:

– ١٠ – ٢٠ سلاح نووي. (٣١)

٦ – عام ١٩٨٠:

– ٢٠٠ قنبلة نووية. (٣٢)

٧ – عام ١٩٨٤:

– ١٢ – ٣١ قنبلة نووية. (٣٣)

٨ – عام ١٩٨٥:

– مائة قنبلة نووية على الأقل. (٣٤)

٩ - عام ١٩٩٣:

- أكثر من ٢٠٠ قنبلة نووية. (٣٥)

١٠ - عام ١٩٩٧:

- أكثر من ٤٠٠ سلاح نووي. (٣٦)

وطبقا لما أوردته صحيفة واشنطن بوست الأمريكية فإن إسرائيل تملك غواصات في سلاحها البحري من طراز دولفين - ٨٠٠ قادرة على حمل رؤوس نووية، والحقيقة أن إسرائيل لم توقع على اتفاقية حظر انتشار الأسلحة النووية متحججة بأن دول أخرى مثل الهند وباكستان وكوريا الشمالية لم توقع على هذه الاتفاقية.

وفي الوقت الراهن لا تملك أي دولة عربية أسلحة نووية، ويذكر أن دولة العراق في عهد الرئيس العراقي الراحل صدام حسين كان لديها برنامجا نوويا متقدما، إلا أنه يبدو أن هذا البرنامج قد توقف بعد قصف إسرائيل لمفاعل تموز العراقي وتدميره بأكمله، وكانت الجماهيرية الليبية أيضا تملك برنامج نووي متقدم جدا، وكانت قاب قوسين أو أدنى من إنتاج قنبلة نووية كما ذكر الزعيم الليبي معمر القذافي، إلا أن ليبيا تخلت عن برنامج إنتاج الأسلحة النووية وحولته إلى برنامج نووي للأغراض السلمية، والأسلحة النووية في الواقع قد تكون أسلحة ردع وليست لاستخدامها في الحروب ولو

أن الولايات المتحدة استخدمتها لأول مرة ضد اليابان في الحرب العالمية الثانية ومن هذا المنطلق فإن إسرائيل تضع معظم دول الشرق الأوسط تحت إرهابها النووي، ومن غير المستبعد أن تقوم إسرائيل باستخدام سلاحها النووي ضد الدول العربية إذا ما تعرض وجودها لخطر حقيقي، ولهذا السبب لابد للدول العربية امتلاك أسلحة نووية لنضع إسرائيل تحت مظلة ردعنا النووي.

رابعا : الأسلحة الكيميائية الإسرائيلية :

لقد وقعت إسرائيل على اتفاقية حظر انتشار الأسلحة الكيميائية، ولكنها لم تصادق عليها، وتشير التوقعات أن برنامج الأسلحة الكيميائية الإسرائيلي يقع في المعهد الإسرائيلي للأبحاث البيولوجية ومقره بلدة نيس زايونا، وفي الماضي حكم على نائب رئيس هذا المركز المدعو (ماركوس كلنبرج) بالسجن لمدة عشرين عاما في العام الميلادي ١٩٨٣ بتهمة التجسس لحساب الاتحاد السوفيتي السابق، وبعد هذه الحادثة أبقت إسرائيل برنامج الأسلحة الكيميائية محاطا بالسرية والتكتم الشديد لمدة عقد من الزمن.

وفي العام الميلادي ١٩٩٢ تحطمت طائرة شحن تابعة لشركة العال الإسرائيلية في مطار أمستردام بهولندا، ولقد عثر بين حطامها على خمسين جالونا من مادة ميثيل – ميثالفو سفونيت المستخدمة في صناعة غاز الأعصاب (سارين)، ولقد أصر الصهاينة على أن هذه المادة تستخدم في

اختبار الكمامات الواقية من الأسلحة الكيميائية، وفي العام الميلادي ١٩٩٣، أعلن المكتب الفني التابع للكونجرس الأمريكي أن إسرائيل تحتفظ بأسلحة كيميائي غير معلن عنها.

خامسا : الأسلحة البيولوجية الإسرائيلية :

يذكر أنه أثناء الحرب العربية — الإسرائيلية الأولى في العام الميلادي ١٩٤٨، أن وحدة عسكرية إسرائيلية خاصة قامت بتلويث مياه آبار الشرب في محيط مدينة عكا بالجراثيم المسببة لمرض التيفويد ومرض الدستاريا الباسيلاريه، وتقول الدول المجاورة لإسرائيل أن هذه الدولة تمتلك في ترسانتها العسكرية أسلحة بيولوجية، وفي الحقيقة أن إسرائيل لم توقع على اتفاقية حظر انتشار الأسلحة البيولوجية المبرمة في العام الميلادي ٢٠٠١، ويعتقد أن برنامج الأسلحة البيولوجية يقع في نيس زايونا، وحديثا عارض الصهاينة عمليات التوسع في هذا المعهد بسبب ظهور أعراض متعددة وحالات وفاة في محيط المعهد الإسرائيلي للأبحاث البيولوجية، إلا أن التقارير تشير إلى أن إسرائيل لا تنتج أسلحة بيولوجية في الوقت الراهن، ولو أنها تحتفظ بالقدرة على إنتاج هذه الأسلحة في الوقت المناسب.

وبعد هذا العرض الموجز لما تملكه إسرائيل في ترسانتها العسكرية من أسلحة تقليدية وأسلحة الدمار الشامل، فضلا عن قاعدة واسعة للصناعات الحربية، الأمر الذي يجعل الغلبة والتفوق لإسرائيل في المجال العسكري،

ويبدو أنه مع هذا التفوق العسكري الإسرائيلي ليس بإمكانية الجيوش النظامية العربية هزيمة إسرائيل بالضربة القاضية، إلا أن الأمر ليس كذلك على الإطلاق لأن حروب التحرير الوطنية لا تقاس بهذه المقاييس والتاريخ في الواقع خير شاهد على ذلك، فقد شهد النصف الثاني من القرن الميلادي العشرين هزيمة الولايات المتحدة على أيدي قوات الفيت كونغ الفيتنامية بالرغم مما تملكه الولايات المتحدة من أسلحة دمار شامل وترسانة عسكرية جبارة، وكذلك هزيمة القوات السوفيتية هزيمة نكراء على أيدي المجاهدين الأفغان، وانسحاب الاتحاد السوفيتي السابق من أفغانستان.

وماذا فعل جيش الدفاع الإسرائيلي الذي جرت العادة بوصفه أنه الجيش الذي لا يهزم إبان عدوانه الهمجي على الجمهورية اللبنانية في تموز / يوليو من العام الميلادي ٢٠٠٦؟

ألم يتلقى هزيمة نكراء قاسية في جنوب لبنان ويخرج منه مهانا وذليلا ومهزوما بالرغم مما تملكه إسرائيل من قدرات عسكرية هائلة؟ علما بأن القوات التي تصدرت للجيش الإسرائيلي في جنوب لبنان هي قوات غير نظامية تابعة لحزب سياسي لبناني ذي طابع ديني هو حزب الله، وفي الأول من أيار / مايو من عام ٢٠٠٧، صدر التقرير الأول للجنة فينوجراد التي عينها رئيس الوزراء الإسرائيلي أيهود أولمرت للتحقيق في أحداث الحرب اللبنانية

ـ الإسرائيلية الأخيرة، وجاء في تقرير هذه اللجنة الـتي رأسـها القاضـي الإسرائيلي المتقاعد (إلياهو فينوجراد) أن إسرائيل فشلت وهزمت في جنوب لبنان، وألقت بمسئولية هذه الهزيمة على عاتق رئيس الوزراء الإسرائيلي أيهود أولمرت نفسه وعلى وزير دفاعه عامير بيريتس وأيضا على رئـيس أركـان جيش الدفاع الإسرائيلي دان حالوتس الأمر الذي أدى إلى زلزال سياسـي خطير في الكيان الصهيوني.

لقد هزم الجيش الذي لا يقهر على يد حزب سياسي في جنوب لبنان وأعطى حزب الله درسا لجميع حركات المقاومة في العالم، ويجب علينا نحـن العرب أن لا ننسى إطلاقا أن الهزيمة القاسية التي منيت بها الجيوش النظاميـة العربية في حرب عام ١٩٤٨، كانت على يد عصابات صهيونية مسلحة مثل عصابة الهاغاناه والأرغون وشتيرن وغيرها، وهذه العصابات الإرهابية هي في الواقع التي أسست دولة إسرائيل في فلسطين العربية والإدراك إسرائيل التام بخطورة حركات المقاومة الفلسطينية عليها وعلى وجودها، فهي تحاول دائمـا فرض الحصار المادي والسياسي والمادي عليها ونعتها بالإرهاب لا تتعـاطف دول العالم معها وبخاصة الدول الأوربية والولايات المتحدة الأمريكيـة، وفي الوقت الراهن هناك خلط فادح بين حركات المقاومـة الوطنيـة المشـروعة وحركات الإرهاب والجريمة المنظمة المنتشرة في شتى أرجاء العـالم، ونعـت

حركات المقاومة الوطنية وبخاصة الفلسطينية منها بالإرهاب أصبح موضة في هذه الأيام، فكل من يحمل بندقية في وهو الكيان الصهيونية الغاصب هو إرهابي، وذلك بفضل السياسة الأمريكية أحادية الجانب من الصراع العربي ـ الإسرائيلي، ولكن الحقيقة أنه من حق حركات المقاومة الوطنية أن تناضل عسكريا وسياسيا من أجل تحرير بلادها من المحتل الأجنبي، وهذه حقيقة لا تقبل الجدل وكفلتها جميع القوانين الوضعية والشرائع السماوية، ومن هذا المنطلق كان يجب علينا نحن العرب أن نسعى بكل صدق وأمانة على دعم حركات المقاومة الفلسطينية بجميع ما نملك من طاقات وإمكانيات سياسية وعسكرية ومادية ومعنوية وإعلامية لتصل في مستواها العسكري إلى مستوى المنظمات العسكرية الصهيونية التي هزمت الجيوش العربية مجتمعه في حرب عام ١٩٤٨، ليس هذا فحسب بل نسعى بكل الوسائل لتحقيق اتحاد حركات المقاومة الفلسطينية، ووحدة كلمتها في مواجهة العدوان الصهيوني على بلادنا، بدلا من محاولات استقطاب حركات المقاومة الفلسطينية لصالح هذه الدولة أو تلك.

II – خسائر إسرائيلية في كافة المجالات :

في إطار المواجهة مع الكيان الصهيوني الغاصب في فلسطين العربية، لابد من تكبيد هذا الكيان أكبر قدر ممكن من الخسائر، ليس فقط الخسائر البشرية من جراء العمليات الفدائية والتي لا تستطيع إسرائيل تحملها لفترة

طويلة، وإنما إلحاق خسائر فادحة بهذا الكيان في شتى المجالات الحيوية، وبخاصة في المجالات التالية :

١ – المجال السياحي :

فلسطين دولة معتدلة المناخ، وفيها الكثير من الأماكن الدينية التي تخص الديانات السماوية الثلاثة، فضلا عن الكثير من الأماكن السياحية والأثرية، إضافة إلى جمال طبيعتها وبخاصة في شمالها، ولهذه الأسباب تتوافد عليها إعداد كبيرة من السياح الذين يوفرون للخزينة الإسرائيلية المليارات من الدولارات الأمريكية، وتخريب المواسم السياحية الإسرائيلية أمر لابد منه في آلية المواجهة مع إسرائيل :

٢ – المجال الزراعي :

٣ – المجال الصناعي :

٤ – وسائل الإنتاج المختلفة :

٥ – المجال الاقتصادي :

كما هو الحال في المجال السياحي، لابد من تخريب المواسم الزراعية الإسرائيلية في الحقول والمزارع والزراعة المحمية، وأيضا في المجال الصناعي كالمصانع والمعامل ووسائل الإنتاج الإسرائيلية المختلفة حتى تدمر الاقتصاد الإسرائيلي، وتصبح الحياة داخل الكيان الصهيوني غير ممكنة ولا محتملة بل ومستحيلة.

٦--البنية التحتية الإسرائيلية :

إسرائيل دمرت بنيتنا التحتية بالكامل، فلماذا لا ندمر نحن بنيتها التحتية أيضا، فالعين بالعين والسن بالسن.

ونحن في هذه الحالة نكون لا نعتدي على أحد، فالبلاد بلادنا أصلا، والأرض أرضنا، والحقول والمزارع الإسرائيلية هي في الواقع حقولنا ومزارعنا، والمدن والقرى الإسرائيلي هي في الأصل مدننا وقرانا نحن العرب أصحاب فلسطين الأصليين والشرعيين وما تركنا بلادنا وحقولنا ومزارعنا، ومدننا وقرانا ورحلنا عنها طواعية، وإنما كان ذلك بسبب العدوان الصهيوني الهمجي على بلادنا وما ميزه من عنف وإرهاب، وممارسات صهيونية بربرية ليس لها مثال في التاريخ، ولماذا يطلب منا نحن العرب فقط أن نسعى للتهدئة مع إسرائيل؟ ولماذا نجنح نحن فقط للسلم؟ والجيش الإسرائيلي لا يزال يعيث خرابا ودمارا وقتلا في الأراضي الفلسطينية المحتلة، ولا تزال طائرات هذا الجيش الحربية تعربد في الأجواء الفلسطينية حاملة معها الويل والهلاك لأبناء الشعب العربي الفلسطيني.

٥ – ٥ : أعادة النظر في علاقات العرب بالدول الغربية والولايات المتحدة:

في الحقيقة أن المقصود بإعادة النظر في علاقات العرب بالدول الأوربية والولايات المتحدة لا يعني إطلاقا الخضوع لتلك الدول أو القوى

الكبرى، والدوران في فلكها سياسيا وعسكريا وثقافيا واجتماعيا، ولا المقصود به أيضا العودة بالمنطقة العربية إلى الخطاب الرسمي العربي تجاه هذه القوى والدول الذي كان سائدا في العالم العربي في فترة الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي، وإنما المقصود به هو العمل الجاد والمنظم من أجل اختراق المجتمعات الأوربية والمجتمع الأمريكي والانفتاح عليها انفتاحا عقلانيا وموضعيا لإعادة تشكيل الرأي العام في هذه البلدان رسميا وشعبيا وبطريقة تدريجية ولكنها متواصلة ومستمرة ومتقنة واضعين نصب أعيننا الوصول إلى هدفنا النهائي وهو أن يدرك العالم الغربي المسيحي البروتستانتي كنه ما يجري في المنطقة العربية من صراع عربي — إسرائيلي مزمن ومتواصل منذ أكثر من قرن من الزمن، وإظهار الحق العربي في فلسطين العربية جليا وواضحا من جميع جوانبه وبخاصة التاريخية والدينية منها أمام المجتمع الأوربي والأمريكي، والكشف عن الصورة الحقيقية للكيان الصهيوني في فلسطين لتلك المجتمعات، وإبراز الوجه البشع لهذا الكيان وهو وجهه الاستعماري التوسعي العدواني والإرهابي على مستوى الدولة والشعب.

وفي الواقع أن علاقات الدول الأوربية والولايات المتحدة بالشعب المختار من الناحية السياسية والعسكرية والمالية والمعنوية قد نشأت قبل قرون طويلة من ظهور الحركة الصهيونية السياسية الهرتزلية في العام الميلادي

١٨٩٧، وأيضا قبل عشرات السنين من قيام دولة إسرائيل في فلسطين العربية في العام الميلادي ١٩٤٨، وكان ذلك عن طريق ما يسمى بالصهيونية المسيحية التي ظهرت في العالم العربي منذ عدة قرون، والتي تنادي بعودة اليهود إلى فلسطين واستيطانها ومساعدتهم على إنشاء وطن قومي لهم فيها وبالطبع فإن الدول الأوربية والولايات المتحدة ارتبطت ارتباطا وثيقا باليهود وبالحركة الصهيونية الهرتزلية بعد ظهورها ثم بالكيان الصهيوني الغاصب في فلسطين المحتلة بعد قيامه تطبيقا لمبادئ ومعتقدات الصهيونية المسيحية، وقد عملت هذه الدول على بقاء الكيان الصهيوني قوي ومتقدم وأخطبوطي القدرات وأقوى بكثير من جميع جيرانه في الدول العربية المجاورة.

وهناك عدة عوامل جعلت من العالم المسيحي البروتستانتي يهتم اهتماما بالغا بالمنطقة العربية بصفة عامة وبفلسطين بصفة خاصة، وجعله أيضا يسارع في العمل على تسهيل وتمويل موجات الهجرة اليهودية المتالية إلى فلسطين العربية ثم تمكينهم من تأسيس دولتهم فيها على أنقاض دولة فلسطين العربية وعلى أنقاض شعبها العربي، وربما كان العامل الديني هو من أهم تلك العوامل، ويتمحور العامل الديني حول إيمان العالم الغربي المسيحي البروتستانتي بالنبوءات التوراتية الزائفة التي تربط المجيء الثاني للمسيح في العصر الحديث بما يلي :

١ – عودة اليهود إلى فلسطين العربية.

٢ – إقامة دولة يهودية في فلسطين.

٣ – إعادة توحيد مدينة القدس (أورشليم) تحت السيطرة والسيادة الإسرائيلية.

٤ – إعادة بناء هيكل أورشليم الثالث في مدينة القدس على أنقاض المسجد الأقصى المبارك.

وقد أصبح هذا الاعتقاد في مقدمة المعتقدات الدينية المسيحية البروتستانتية ومن صميم فكرها اللاهوتي الذي انتشر في أوربا وأمريكا، وقد ظهر التيار البروتستانتي في الديانة المسيحية عقب تسلل الفكر والعقائد التوراتية والتلمودية إلى نسيج معتقدات الكنيسة الكاثوليكية كنتيجة للثورة الدينية التي قادها مارتن لوثر داخل الكنيسة الكاثوليكية في القرن الميلادي السادس عشر والتي عرفت باسم (حركة الإصلاح الديني البروتستانتي) ومنذ ذلك التاريخ ظهر أيضا ما يسمى باسم (الصهيونية المسيحية) التي تنادي بعودة اليهود إلى فلسطين وإقامة الدولة اليهودية فيها تمهيدا للمجيء الثاني للمسيح الذي ينتظر مجيئه أو قدومه ثانية اليهود والنصارى معا.

ولكن...

لم يكن العامل الديني هو وحده الذي دفع العالم الغربي المسيحي البروتستانتي للاهتمام باليهود وبعودتهم إلى فلسطين العربية، فهناك عوامل

أخرى أيضا من أبرزها العامل السياسي الذي يتلخص في رغبة العالم المسيحي الغربي في التخلص من اليهود الذين يعيشون في دولة وذلك بتمكينهم من الهجرة إلى فلسطين العربية ثم إنشاء دولة لهم فيها، وبذلك يحققون هدفين إستراتيجيين في وقت واحد :

الهدف الأول : تطهير بلادهم من الوجود اليهودي فيها.

والهدف الثاني : هو إنشاء دولة يهودية في فلسطين موالية لهم، وتمنع وحدة العالم العربي، وتكون قوة ردع عسكرية للبلدان العربية فيما بعد.

وإضافة إلى ذلك هناك عوامل استعمارية دفعت الدول الاستعمارية الأوربية وبخاصة بريطانيا وفرنسا للاهتمام البالغ بالمنطقة العربية وهو رغبة هذه الدول في وراثة أملاك الإمبراطورية العثمانية المنهارة في المنطقة العربية من أجل الاستيلاء على ثرواتها الهائلة بعد أن أثبتت الدراسات العلمية في مطلع القرن الميلادي العشرين أن المنطقة العربية تعوم على بحور من النفط، علاوة على أن الولايات المتحدة كانت ترغب في لعب دور استعماري غير تقليدي في العالم العربي، وقد تفتقت عقلية الغرب المسيحي على وضع كيان بشري غريب من اليهود في فلسطين العربية التي تشكل زاوية الاتصال الرئيسية بين عرب آسيا وعرب أفريقيا وبذلك تسهل السيطرة على العالم

العربي ونهب لثرواته الهائلة لاسيما وأن مثل هذا الكيان سوف يحاول منع وحدة العرب وتضامنهم، فضلا على أن هذا الكيان سوف يكون عامل ردع مؤثر للدول العربية، وإضافة إلى ذلك فإن الصهاينة في فلسطين المحتلة يزعمون أنهم واحة للديمقراطية في الشرق، وأن الدولة الصهيونية قادرة على حماية المصالح الأوربية والأمريكية في العالم العربي، وقد سبق وأن استعرضنا العوامل التي أدت إلى اهتمام الغرب المسيحي بالمنطقة العربية، ومن المفيد هنا التركيز ثانية على بعض هذه العوامل :

أولا : الأسطورة الدينية التوراتية :

إن الأسطورة الدينية التي يؤمن بها العالم الغربي المسيحي البروتستانتي تعتمد أساس على النبوءات التوراتية الزائفة والمهترئة التي أكل الزمن عليها وشرب ثم غط في سبات عميق وتفترض هذه الأسطورة تعسفا أن المجيء الثاني للمسيح (المسيح المنتظر) يرتبط ارتباطا وثيقا بعودة اليهود إلى فلسطين العربية وإنشاء دولة يهودية فيها تمهيدا لقدوم المسيح المنتظر وهو الذي تنبأت بقدومه أسفار العهد القديم المختلفة.

والحقيقة أن قضية عودة اليهود إلى فلسطين وقضية المسيح المنتظر أخذت أكثر كثيرا مما تستحق في الفكر الديني اليهودي والمسيحي وهي أقرب ما تكون شبها بالقصص الأسطوري والخيال الخرافي التي تشد الانتباه

الناس وتثير فضولهم وتجعلهم ينتظرون الآتي من أحداثها ووقائعها، إلا أنه من الصعب تصديقها أو أخذها بعين الاعتبار، وكذلك قضية عودة اليهود إلى فلسطين العربية وقضية المسيح المنتظر للأسباب التالية :

١ – إن عودة اليهود إلى فلسطين العربية التي تنبأت لها أسفار العهد القديم، قد تمت فعلا في الزمن الغابر بعودة اليهود إلى فلسطين من الأسر البابلي بعد عامين من الاحتلال الفارسي لها في عام ٥٣٨ قبل الميلاد، وقد انتهى الأمر توراتيا منذ ذلك الحين وحتى يومنا هذا.

٢ – لا يوجد في أسفار العهد الجديد كلها ما يشير من بعيد أو قريب لعودة جديدة لليهود إلى فلسطين العربية في العصر الحديث أو في أي عصر آخر، وبذلك تعتبر عودة اليهود المعاصرة إلى فلسطين العربية لاغية من الناحية الدينية، وليست تطبيقا لنبوءات أنبياء كتاب العهد القديم، وإنما كانت هذه العودة من منطلق استعماري استيطاني عدواني وتوسعي، وبالرغم من هذه الحقائق فما زال العالم الغربي المسيحي البروتستانتي يؤمن بضرورة عودة اليهود إلى فلسطين العربية وإقامة دولة يهودية فيها حسب التفسير التعسفي والمشوه والانتقائي لنبوءات العهد القديم.

٣ – والمسيح اليهودي المنتظر الذي تنبأت بقدومه أسفار كتاب العهد القديم قد بعث فعلا قبل أكثر من ألفي عاما، وهو نفسه السيد المسيح

عيسى بن مريم عليه السلام في مدينة القدس (أورشليم)، لم يؤمن به اليهود ولا برسالته وهو أصلا منهم ومحسوب عليهم، وبسببهم انتهى وجوده على وجه الأرض لأنه لم يكن على هواهم وطوع أمرهم، ولا مسيح منتظر بعد السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، ولا يزال اليهود ينتظرون مسيحهم المنتظر مسيح يهودي الهوى قلبا وقالبا، والذي لا يبدو أنه سوف يأتي إطلاقا في أي يوم من الأيام حتى ولو بعد مليون عاما.

٤ – إن السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام قد أتى برسالة إلهية وضعت حد نهائي للديانة اليهودية المتعصبة القبلية ضيقة الأفق، واستبدلتها برسالة راقية المضمون، وبانتهاء الديانة اليهودية على الصعيد العملي، أصبحت جميع العقائد اليهودية والنبوءات التوراتية الزائفة بحكم الملغاة، وغدا الخلاص الذي كان يأمل به اليهود مرتبطا بدخولهم في رحاب الكنيسة الكاثوليكية واعتناقهم للديانة المسيحية.

٥ – وفي الواقع أننا نحن كمسلمين نؤمن إيمانا قاطعا أن رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم هو آخر الأنبياء والمرسلين ولا نبي أو رسول بعده، وهذه قضية إيمانية مطلقة، فلا مسيح منتظر ولا مخزنون ولا شيء من هذا القبيل كما يؤمن اليهود والنصارى، ليس هذا فحسب بل ومن الغريب أن بعض الفرق الإسلامية تؤمن أيضا بقدوم رجل معين لكي ينقلها

مما تعاني منه، وهذه جميعها في الحقيقة أفكار مستوحاة من فكرة المنقذ المخلص في الديانة المجوسية الزرادشتية وهي ديانة وثنية كانت منتشرة في بلاد فارس إلى ما بعد ظهور الإسلام بقليل.

- فلماذا يأتي الآن المسيح المنتظر؟

- ولماذا لم يأت مسيح اليهود المنتظر أبان أوج معاناة اليهود في الغرب الأوربي؟

٦ - وفي الواقع أنه حدث خلط غريب ربما كان مقصودا وسبق التخطيط له من قبل اليهود، وهذا الخلط حدث بين مفهوم مجيء مسيح اليهود المنتظر وبين عودة السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، فمجيء مسيح اليهود المنتظر شيء، وقدوم السيد المسيح عليه السلام في آخر الزمان شيء آخر، وهما فكرتان مختلفتان ومتعارضتان بل ومتناقضتان، ففكرة مجيء المسيح اليهودي المنتظر تفرض أن السيد المسيح لم يأت بعد، والذي أتى قبل ألفي عاما هو شخص دجال ومحتال وقتل صلبا في يوم عيد الفصح اليهودي، أما فكرة عودة السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فتفترض أنه قد بعث قبل ألفي عاما، وينتظر النصارى قدومه في آخر الزمان، والفرق بين الفكرتين كبير وشاسع، فهما شيئان مختلفات تماما... أليس كذلك؟

إلا أن اليهود جعلوا العالم الغربي المسيحي يعتقد أن مسيحهم المنتظر والسيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام هما شخص واحد لكي يظهروا أمام العالم المسيحي وكأنهم امتداد عرقي لقبيلة يسوع المسيح الإسرائيلية.

والآن...

- لماذا يأتي السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان، والكل يعرف ويوقن أن عصر النبوة قد انتهى؟

- وهل يأتي السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ثانية إلى الأرض ثانية ليحاول اليهود قتله من جديد؟

فاليهود في الواقع ينتظرون مجيء مسيحهم هم، مسيح يهودي قلبا وقالبا، وهو مسيح مدجج بالسلاح وتقطر يداه من دماء الأبرياء.

ولا ينتظر اليهود قدوم مسيح النصارى عيسى بن مريم عليه السلام.

واستنادا على عدم وجود أي نص في أسفار الكتاب المقدس كلها يدل أو يشير على ضرورة عودة اليهود إلى فلسطين العربية في العصر الحديث وإقامة دولة يهودية فيها، فقد عارض الحاخامات اليهود في ألمانيا اقتراح ثيودور هرتزل ــ الأب الروحي للصهيونية ــ بإنشاء دولة لليهود، ورفضوا رفضا قاطعا هذه الفكرة، لأن إنشاء دولة يهودية في فلسطين العربية يتنافى مع الدعوى السماوية اليهودية[٣٧]، وهذا دليل على سقوط الأسطورة

التوراتية، وفي الثلاثينيات من القرن الماضي، كتب عالم الكونيات والطبيعيات اليهودي المشهور (ألبرت اينشتاين) معلقا على مشروع إقامة الدولة اليهودي في فلسطين العربية بقوله ما يلي :

(أرى أن التوصل إلى اتفاق مع العرب على أساس العيش معا أكثر حكمة من إنشاء دولة يهودية، فإيماني باليهودية يجعلني أعتقد أن فكرة إقامة دولة يهودية ذات حدود وجيش وسلطة زمنية مهما كانت ضئيلة، إنما هي فكرة تناقض روح اليهودية، وأخشى الخسائر الداخلية التي ستحيق باليهود بسبب نمو روح قومية ضيقة الأفق بين صفوفنا فلم نعد في عهد المكابيين، وإعادة تكوين أمة بالمعنى السياسي للكلمة من اليهود معناه الانحراف عن روحانية طائفتنا التي ندين لها لرسلنا). (٣٨)

وهذا أيضا دليل آخر يشير إلى أسطورة النبوءات التوراتية وكذبها، ولا أعتقد أن أحد على وجه الأرض يجرؤ أن يتهم العلامة العبقري (ألبرت اينشتاين) أنه كان ساذجا أو غبيا فيما ذهب إليه، أو كان لا يفهم أصول ومبادئ الديانة اليهودية التي كان يعتنقها ويؤمن لها.

وفي الواقع أن الغالبية العظمى من اليهود وبخاصة أولئك الذين يعيشون في الكيان الصهيوني لا يؤمنون حقيقة بالمبادئ والعقائد الصهيونية ولا يخفى على أحد أن الأحزاب الدينية اليهودية في إسرائيل والتي تلعب

دورا حاسما في سياسية هذه الدولة لا يشكلون سوى نسبة ضئيلة من الإسرائيليين، ويذهب (ناثان فيسعوك) في تعليقه على هذا التناقض بقوله ما يلي :

(إذا كانت الجاهلية اليهودية تنجح في إسرائيل، فذلك لأن الفلسفة الصهيونية لا يمكن أن تقوم إلا بالاستناد على الدين الموسوي، فإذا ما ألغينا مفهوم الشعب المختار وفكرة أرض الميعاد، فإن أساس الصهيونية سوف ينهار، ولهذا السبب تستمد الأحزاب الدينية قيمتها من التواطؤ مع الصهيونيين الذين لا يؤمنون بالدين، وتماسك البنيان الصهيوني لإسرائيل فرض على زعمائها أن يدعموا رجال الدين، وحزب الماباي أو حزب العمل حاليا هو الذي قرر تدريس الدين كمادة إجبارية في البرامج الدراسية بتوجيه من دافيد بن جوريون، وليس الأحزاب الدينية هي التي قررت ذلك). (٣٩)

وهذا في الحقيقة يعني أن دولة إسرائيل الحالية لم تقم على أساس النبوءات التوراتية الزائفة التي ليس لها وجود أصلا، وهي دولة عنصرية لا دينية وكانت من نتاج الاستعمار الغربي في نزعه الأخير.

ثانيا : إسرائيل دولة ديمقراطية :

يزعم الصهاينة بأن كيانهم الغاصب في فلسطين المحتلة هو عبارة عن واحة للديمقراطية في الشرق الديكتاتوري المتخلف، وبأنهم منارة للحرية في الشرق الأوسط، وهذا زعم كاذب وغير دقيق ومخالف للحقيقة والواقع، فدولة إسرائيل ليست دولة ديمقراطية على الإطلاق، ولا يتمتع رعاياها بالحرية التي يزعمها الصهاينة، وهناك شواهد كثيرة تدل على ذلك من أهمها ما يلي :

١ – بادئ ذي بدء فإن إسرائيل ليست دولة ديمقراطية لأنها قامت في الأساس على العدوان والقوة العسكرية واغتصاب أراضي الغير، وهي ليست دولة شرق أوسطية وإن هي وجدت في الشرق الأوسط، فهي دولة خطط لقيامها في قارة أوربا وليس في فلسطين العربية، ورسمت خطوطها العريضة في العواصم الأوربية مثل لندن وباريس وبرلين وجنيف وغيرها وليس في مدينة القدس، وأتى سكانها الصهاينة إلى فلسطين العربية من الغيتوات اليهودية التي كانت منتشرة في المدن الأوربية ومن شوارعها الخلفية، وأيضا من حارات اليهود في المدن الشرقية وليس من قرى ومدن فلسطين، ولم يكن لهم جذور وتاريخ فيها، وهؤلاء جميعهم من حثالات الشعوب، ومنذ وصول الصهاينة إلى فلسطين العربية عملوا بتوجيه من قياداتهم في أوربا على استعمارها استعمارا استيطانيا إحلاليا بغيضا على

أنقاض دولة فلسطين، واستخدموا القوة العسكرية المفرطة والعنف والإرهاب في أبشع صوره في طرد شعبها منها وتحويله إلى مجموعات مـن اللاجـئين في الدول العربية المجاورة وفيما تبقى بيد العرب من الأراضي الفلسطينية، وهذا يتنافى في الواقع مع أبسط الأسس الديمقراطية ومبادئ حقوق الإنسان وحقه في تقرير مصيره التي يتغنى بها الصهاينة والعالم الغربي.

٢ – هناك تمييز وتفرقة تصل إلى حد التمييز والتفرقة العنصرية بـين المكونات البشرية الرئيسية للمجتمع الإسرائيلي، فالتفرقة والتمييز بين اليهود السفارد واليهود الأشكناز في هذا المجتمع واضحة وجليـة وضـوح أشـعة الشمس وفي جميع المجالات تقريبا، علاوة على أن هناك تمييز وتفرقة عنصرية ضد عرب ٤٨ من قبل اليهود السفارد والأشكناز معا رغم أنهـم يحملـون الجنسية الإسرائيلية ويعتبرون مواطنين إسرائيليين مع أنهم يشـكلون جاليـة عربية كبيرة في المجتمع الإسرائيلي، فأين الديمقراطية في ذلك.

أم أنها مجرد دعاية صهيونية سخيفة وكاذبة؟

٣ – تزعم أجهزة الدعاية الصـهيونية أن المعارضـة في إسـرائيل تستطيع أن تعبر عن رأيها بصراحة وفي العلن في جميع وسائل الإعلام المقروءة والمرئية والمسموعة، وحتى في الشوارع وعلى مفترق الطرقات، وهذا زعـم غير دقيق وتنقصه المصداقية، لأن أي مواطن إسرائيلي يحاول أن يكشف عن

نوايا إسرائيل العدوانية وامتلاكها لأكثر أسلحة الدمار الشامل فتكا، يتعرض لأحكام قاسية جدا، وأبلغ مثل على ذلك قضية المواطن الإسرائيلي (مردخاي فاعنونو) الذي كان يعمل فنيا في مفاعل ديمونه النووية الإسرائيلي وكشف أثناء إحدى زياراته للعاصمة البريطانية (لندن) عن برنامج اسرائيل النووي بل وامتلاكها لأسلحة نووية، فما كان من جهاز المخابرات الإسرائيلية (الموساد) إلا أن قام باختطافه من مدينة لندن على أيدي عملاء الموساد الذين أتوا به إلى إسرائيل حيث قدم للمحاكمة وحكم عليه بالسجن لمدة ثمانية عشر عاما، وأي ديمقراطية يتحدث عنها الصهاينة وهم ينتزعون الجنسية عن اي يهودي تثبت أن والدته لم تكن يهودية، ويقوم الصهاينة بطرده من عمله، ويخرج من الديانة اليهودية أيضا.

٤ – إن ما يتعرض له الشعب العربي الفلسطيني داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ العام الميلادي ١٩٦٧ من قمع وإرهاب وتنكيل وتجويع وإبادة جماعية وتطهير عرقي بهدف تركيع هذا الشعب لدفعه على التخلي عن قضيته العادلة.

– فأين هي الديمقراطية الإسرائيلية؟

– أليست هذه هي الديكتاتورية في أبشع صورها؟

٥ – إن وجود جيش من طراز جيش الدفاع الإسرائيلي بقدراته العسكرية الهائلة لم يعد أصلا لمهاجمة دول موزمبيق على سبيل المثال، وإنما أعد لتهديد الدول العربية المجاورة لإسرائيل وقمع الشعب العربي الفلسطيني ولم يعد فقط لحماية أمن إسرائيل القومي كما يزعم الصهاينة.

– أليس هذا هو إرهاب الدولة؟

– أليس الإرهاب بجميع صوره يتعارض تماما مع الديمقراطية؟

ثالثا: إسرائيل والمصالح الأوروبية والأمريكية في العالم العربي:

يزعم الصهاينة في فلسطين المحتلة أنهم قادرون على حماية المصالح الأوربية والأمريكية في المنطقة العربية !

– ومن قال أن المصالح الأوربية والأمريكية توجد في إسرائيل؟

– ومن قال أن إسرائيل تحمي المصالح الغربية في المنطقة العربية؟

– أليست المصالح الأوربية والأمريكية بيد العرب؟

فالمنطقة العربية في الحقيقة هي التي تزود العالم الغربي بمعظم ما يحتاجه من النفط اللازم لإنتاج الطاقة الضرورية جدا لضمان استمرارية عجلة الصناعة في الدوران في الغرب، علاوة على العلاقات التجارية والاقتصادية العربية مع الغرب والتي تدر عليه المليارات من الدولارات سنويا.

وإبان فترة المد القومي العربي، وميل الدول العربية للاستقلال سياسيا واقتصاديا عن العالم الغربي وتوليها إدارة شئون ثرواتها ومواردها، ونجحت إلى حد كبير في ذلك وبخاصة في العراق ومصر وسوريا والجزائر، فماذا فعلت إسرائيل لحماية المصالح الغربية في المنطقة العربيه سوى العدوان على الدول العربية والتآمر عليها، ويبدو أن العالم الغربي متمثلا في الدول الأوربية والولايات المتحدة لا يزال متمسكا بخطابه الرسمي الذي كان سائدا في الخمسينيات من القرن العشرين وهو كما يلي :

(إن العرب لديهم أحلام وطموحات كبيرة في التحرر والاستقلال والوحدة، الأمر الذي يهدد المصالح الغربية في المنطقة العربية، ولذلك ينبغي إجهاض جميع المحاولات التحررية والاستقلالية والوحدوية العربية، وإضعاف الدول العربية وبخاصة في المجال العسكري والاقتصادي ووضع العالم العربي دوما تحت هاجس الردع العسكري الإسرائيلي).

وهذا بالطبع يستلزم من أوربا والولايات المتحدة أن تقدم العون السياسي والعسكري والمادي والتقني والتدريبي والمعلومات لإسرائيل من أجل أن تحتفظ لديها بجيش قوي وقادر على ردع جميع الدول العربية، وهذا يكلف تلك الدول أموالا طائلة تدفعها للخزينة الإسرائيلية، وكان الأولى لهذه الدول أن تنفق هذه الأموال على المجالات الصحية والتعليمية

والاجتماعية كمشكلة الإدمان على المخدرات ومحاربة الجريمة المنظمة في بلادها، وهذا الأمر يجعل من إسرائيل عالة على العالم الغربي، وليس حامية لمصالحه في المنطقة العربية، وإضافة إلى ما يتكبده العالم الغربي من أموال طائلة تنفقها إسرائيل على تدريب جيشها وتسليحه، فإن الولايات المتحدة تدفع لكل مواطن يهودي يعيش في إسرائيل مبلغ ألف دولارا أمريكيا في العام لمجرد إقامته فيها، وهذا يعني أن دافع الضرائب الأمريكي يتكبد أكثر من خمسة مليارات دولارا أمريكيا في العام تدفعها حكومته لإسرائيل، هذا غير المليارات الأخرى من الدولارات التي تتكبدها الخزينة الأمريكية على هيئة مساعدات مالية وعسكرية واقتصادية لإسرائيل.

فكيف يمكن لإسرائيل أن تحمي مصالح العالم الغربي في المنطقة العربية وهي تكبد هذا العالم أرقاما فلكية من الأموال؟ وهي بكل تأكيد أكثر بكثير مما يستفيده العالم الغربي من إسرائيل.

الانفتاح على الدول الأوربية والولايات المتحدة :

في الواقع أن الهدف من الاختراق المدروس من جانب العرب للمجتمعات الغربية والانفتاح عليها انفتاحا عقلانيا وموضوعيا هو من أجل توضيح الحقائق لهذه المجتمعات وتفنيد المزاعم والأساطير الصهيونية التي طالما روج لها الصهاينة في العالم الغربي منذ أكثر من قرن من الزمن، واستطاعوا

ولو إلى حين إقناع شرائح واسعة من هذه المجتمعات بها وبخاصة الأساطير والمزاعم الدينية والتاريخية والقانونية مستغلين الغياب التام لأي معطيات عربية وإسلامية مضادة في العالم الغربي، ولذلك يجب علينا نحن العرب أن نبدأ من الآن وبدون أي تأخير في نقل الصورة الحقيقية للصراع العربي ــ الإسرائيلي، والأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل الحالية للشعوب الأوروبية والشعب الأمريكي، لكي تتوصل هذه الشعوب للحقائق كاملة وتباشر في التأثير والضغط على مراكز صنع القرار فيها، وتبدأ في تبديل الرأي العام الرسمي والشعبي في بلدانها لصالح الشعب العربي الفلسطيني أو على الأقل لتتخذ مواقف محايدة من الصراع العربي ــ الإسرائيلي، ويجب علينا أن لا نتوقع أن تكون هذه المهمة مهمة سهلة وهينة، وإنما هي في الواقع مهمة بالغة الصعوبة ويحتاج منا إلى جهود جبارة تدريجية ومتواصلة حتى نحقق الهدف الذي نسعى إليه وهو إلغاء أكثر من مائة عاما من المزاعم والأكاذيب الصهيونية من ذاكرة العالم الغربي.

والأمر الذي يدعو للتفاؤل والأمل في الوقت الحاضر أن شرائح واسعة من شعوب العالم الغربي بدأت تتمرد فعلا على الخطاب الرسمي لحكوماتها وتبدي تعاطفا ملفتا للنظر مع القضية الفلسطينية بتأثير من جهود ذاتية وليس نتيجة لنشاط عربي فيها، فعلى سبيل المثال وفي العاشر من

حزيران / يونيو من العام الميلادي ٢٠٠٧، وفي الذكرى الأربعين للاحتلال الإسرائيلي لكامل الأراضي الفلسطينية عقب حرب عام ١٩٦٧، ظهر في الولايات المتحدة أول حدث مؤيد للقضية الفلسطينية، ففي ذلك اليوم خرجت تظاهره حاشدة في العاصمة الأمريكية (واشنطن)مؤيدة للشعب العربي الفلسطيني وقضيته العادلة تبناها تحالف العدل والسلام في الولايات المتحدة اشتركت فيها أكثر من مائة منظمة أمريكية ومنها منظمات يهودية وطالب المتظاهرون بما يلي :

١ – ضرورة الانسحاب الإسرائيلي من الأراضي العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧، وبعدم تأييد الاحتلال الإسرائيلي لتلك الأراضي.

٢ – إقامة الدولة الفلسطينية الحرة المستقلة.

٣ – وقف المساعدات الأمريكية لإسرائيل.

وفي تظاهرات أخرى مماثلة في المدن الأوربية ومنها مدينة لندن، كانت أعلام فلسطين ترفرف فوق رؤوس المتظاهرين الذين كانت هتافاتهم تتعالى باسم فلسطين الحرة المستقلة.

– ونحن من هنا يجب أن نبدأ ...

– وأن نتعلق بطرف هذا الخيط الذي امتد لنا ...

وأن نسعى إلى إقامة علاقات واسعة مع هذه الشرائح الحرة في المجتمع الأوربي والأمريكي التي توصلت بجهود ذاتية لحقيقة الصراع العربي ــ الإسرائيلي...

وأن نستغل هذه الشرائح الحرة في التأثير على بقية طوائف وفئات شعوبها، من أجل خلق رأي عام عالمي مساند للقضايا العربية.

ولكن هذا لا يعني إطلاقا أن نترك للشعوب الأخرى مهمة الوصول إلى حقائق الصراع العربي ــ الإسرائيلي، فمسئولية هذه المهمة تقع بالدرجة الأولى على عاتقنا نحن العرب، ويجب علينا أن نستغل جميع طاقاتنا وكل ما نملك من وسائل وأدوات لتحقيق الهدف الذي نرمي إليه، وفي هذا الإطار يجب أن نستغل الأدوات التالية ونسخرها لخدمة القضية الفلسطينية العادلة :

أولا : البعثات الدبلوماسية العربية في الدول الأوربية والولايات المتحدة :

من الغريب والعجيب معا أن البعثات الدبلوماسية والسفارات العربية في الدول الأوربية والولايات المتحدة بما فيها السفارات الفلسطينية ومكاتب منظمة التحرير الفلسطينية ومكاتب جامعة الدول العربية إن وجدت يقتصر نشاطها على المهمات القنصلية والمراسم البروتوكولية الرسمية فقط، أما القضايا العربية المصرية كالقضية الفلسطينية مثلا فهي خارج اهتمامها وليست أبدا من محور نشاطها وفعالياتها، ويندر في الواقع أن يجد

المرء مراكز ثقافية وإعلامية تابعة للبعثات الدبلوماسية العربية في المدن الأوربية والأمريكية.

– أليس هذا عجزا خطيرا في الإستراتيجية العربية؟

– وإلى من يلجأ أي شخص أوربي أو أمريكي أو حتى عربي في الخارج يريد أن يحصل على معلومات عن المنطقة العربية أو عن القضية الفلسطينية؟

– بالطبع سوف لا يجد أحدا !.

– أليس هذا عيبا مخزيا؟

ولذلك ينبغي على البعثات الدبلوماسية العربية باختلاف دولها أن تنشأ مراكز ثقافية وإعلامية تابعة لها في المدن الأوربية والأمريكية، على أن تكون هذه المراكز مؤهلة وطنيا وقوميا، وفاعلة وقادرة على شرح القضايا العربية وعلى رأسها القضية الفلسطينية العادلة.

ثانيا : الهيئات البرلمانية العربية :

في الواقع أن الهيئات البرلمانية في كافة الدول هي ممثلة شعوبها ولها تأثير حاسم عليها، ولذلك يجب على لجان العلاقات الخارجية في البرلمانات العربية أن ترسل وفود دورية منها إلى برلمانات الدول الأوربية والولايات المتحدة، وتوثيق أواصر المودة بينها، وإقامة علاقات طيبة معها من أجل شرح القضية الفلسطينية لها وهي بدورها تقوم بشرح هذه القضية العادلة لشعوبها.

ثالثا : النقابات العربية المختلفة :

وعلى النقابات العربية المختلفة كنقابات العمال والمحامين والأطباء والمهندسين والمعلمين والفنانين، إضافة إلى جمعيات حقوق الإنسان في العالم العربي أن ترسل وفود منها وبصفة منظمة ودورية ومتواصلة إلى المدن الأوربية والأمريكية للاتصال بالنقابات المماثلة لها وبفروعها في تلك الدول، وإقامة علاقات وثيقة وودية معها والتحاور والتناقش معها للوصول إلى صيغة مشتركة تدين العدوان الإسرائيلي الهمجي على الشعب العربي الفلسطيني وعلى أرضه وأرض آبائه وأجداده، وعلى المثقفين والأدباء والروائيين العرب إقامة ندوات ثقافية في البلدان الأوربية والولايات المتحدة لتسليط الأضواء على القضية الفلسطينية من جميع جوانبها، ولا يخفى على أحد أهمية الفن وبخاصة السينما في التأثير على الشعوب وبلورة الرأي العام لصالح قضية معينة، ولابد لنا من استغلال الفن السينمائي في خدمة قضايانا، وليس صحيحا أن الصهاينة سوف يقفون حجر عثرة في وجه الأفلام السينمائية العربية الوطنية والقومية بدليل أن المخرج السوري العالمي الراحل (مصطفى العقاد) أخرج أفلام إسلامية ووطنية في الولايات المتحدة منها فيلم الرسالة وفيلم عمر المختار رغم اعتراض الصهاينة على هذه الأفلام، وكان ينوي إخراج فيلم عن البطل المسلم صلاح الدين الأيوبي لو توفرت له الأموال

اللازمة لإخراج هذا الفيلم الضخم قبل وفاته في مدينة عمان الأردنية نتيجة لعمل إرهابي.

رابعا : رجال الدين :

ولا أحد يستطيع أن ينكر تأثير رجال الدين على الشعوب، ولذلك وجب على رجال الدين الإسلامي والمسيحي العرب بالإضافة إلى رجال الدين اليهودي المعارضين للصهيونية ولدولة إسرائيل باتجاهاتها العدوانية الاستعمارية التوسعية والإرهابية، ولابد لرجال الدين الإسلامي والمسيحي العرب وعلى حد سواء أن يقوموا بدورهم في إظهار حقائق القضية الفلسطينية العادلة للرأي العام العالمي، وهذا بالطبع يتطلب إعداد مجموعات غير قليلة العدد من رجال الدين الإسلامي والمسيحي العرب إعدادا عصريا إضافة إلى إجادتهم التامة للغات الأجنبية، ولديهم قدرات غير عادية على النقاش والإقناع فضلا على معرفتهم التامة بخفايا القضية الفلسطينية.

وليس سرا أن عدد غير قليل من رجال الدين اليهود المعارضين للصهيونية ولدولة إسرائيل سواء كانوا في داخل الكيان الصهيوني أو خارجه يعتبرون الصهيونية خيانة للديانة اليهودية، ولا يؤيدون قيام دولة إسرائيل في العصر الحديث وغير راضين عن ممارساتها الإرهابية والعدوانية بحق الشعب العربي الفلسطيني، ويجب على رجال الدين الإسلامي والمسيحي العرب دوام

الاتصال بهم، وإقامة علاقات وثيقة وطيبة معهم، لأنهم لا يتورعون عن التعبير عن آرائهم ومبادئهم ومعتقداتهم بصراحة ونزاهة أمام الرأي العام العالمي، فضلا على قدرتهم على التأثير على الطوائف اليهودية التي يعلونها.

خامسا : المواطنون الأوربيون والأمريكيون المنحدرون من أصول عربية :

هناك أعداد كبيرة من المواطنين الأوربيين والأمريكين الذين ينحدرون من أصول عربية وإسلامية بقدر عددهم بالملايين، وفي الواقع أن أولئك ربما يكون تشكيلهم الاجتماعي والثقافي والحضاري النابع من التشكيل الاجتماعي والثقافي والحضاري للشعوب الغربية التي عاشوا بينها، إلا أنهم لم ينسلخوا كلية عن ماضيهم العربي ـ الإسلامي، ولو أن مجتمعاتهم الحالية تشكل بالنسبة إليهم حاضرهم ومستقبلهم كله.

وفي الحقيقة أن هؤلاء يعرفون حق المعرفة نفسية الشعوب التي يعيشون فيها، ويعرفون أيضا كيفية الولوج إلى داخلها وسبر أغوارها العميقة، إضافة إلى أنهم يجيدون لغات الشعوب التي يعيشون بينها إجادة تامة، الأمر الذي يجعلهم أكثر قدرة على التواصل مع محيطهم ومجتمعاتهم، ومن الممكن الاستفادة من المواطنين الأوربيين والأمريكيين الذين ينحدرون من أصول عربية وإسلامية في القضيتين المهمتين التاليين :

الأولى: عرض القضية الفلسطينية العادلة عرضا معمقا من جميع جوانبها لأبناء الشعوب التي يعيشون بينها.

والثانية: تأسيس لوبي عربي ـ إسلامي إن صح التعبير في الدول الأوربية والولايات المتحدة على غرار اللوبي الصهيوني فيها، ومن البديهي أن يتبع اللوبي العربي ـ الإسلامي مؤسسات علمية تاريخية وسياسية واجتماعية ونفسية واقتصادية ومالي لاسيما وأن المواطنين الأوربيين والأمريكيين الذين ينحدرون من أصول عربية وإسلامية فيهم الكثير من المفكرين والباحثين والعلماء وعلماء النفس والاجتماع والأدباء والفلاسفة ذوي المستويات العالمية الذين يستطيعون جعل اللوبي العربي ـ الإسلامي أقوى من اللوبي الصهيوني ويؤثروا على مراكز صنع القرار في العالم الغربي وعلى الرأي العام فيه لصالح القضايا العربية والإسلامية.

سادسا: الجاليات العربية في الخارج:

وما ينطبق على المواطنين الأوربيين والأمريكيين المنحدرين من أصول عربية، ينطبق أيضا على الجاليات العربية في الخارج والذين يقدر عددهم أيضا بالملايين وبخاصة في أوربا والولايات المتحدة.

سابعا: الطلبة العرب:

والطلبة العرب الذين يدرسون في الخارج وبصفة خاصة أولئك الذين يدرسون في الجامعات الأوربية وجامعات الولايات المتحدة والذين يشكلون

النخبة من الطلبة العرب، يقع على عاتقهم دور مهم جدا في عرض القضية الفلسطينية عرضا موضوعيا واعيا للشعوب اللذين يدرسون في جامعاتهم، وربما يكون من المفيد أن يعد هؤلاء الطلبة إعدادا وطنيا وقوميا مميزا قبل التحاقهم بجامعاتهم في تلك الدول.

٥ – ٦ : الإعلام العربي في مواجهة الإعلام الصهيوني :

في الحقيقة أن الإعلام الواعي والمنظم يلعب دورا هاما جدا وحاسما في حياة الشعوب الفكرية والعقائدية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية فضلا عن حياتها الثقافة والحضارية والمعرفية، وعلاوة على ذلك فإن الإعلام الواعي والمنظم هو الذي يحدد مدى انتماء الشعوب الوطني والقومي، وهو الذي يبلور تفاعلها مع قضاياها المصيرية بطريقة ناضجة ويعبأ الرأي العام تعبئة منطقية وموضوعية إذا ما تعرضت الشعوب لأخطار خارجية أو لمشاكل وصعوبات داخلية من أي نوع، هذا من ناحية، أما من ناحية أخرى، فإن الإعلام وبخاصة الإعلام المضلل منه، من الممكن أن يضلل الشعوب ويخدعها عن طريق تحويل الأكاذيب إلى حقائق مسلم بها، وتحويل الحقائق التي لا تقبل الجدل وبكل بساطة إلى أوهام، وأبلغ مثلين على ذلك الإعلام المضلل هما الإعلام النازي والإعلام الصهيوني :

١ – الإعلام النازي :

كان الإعلام النازي في عهد وزير الدعاية الهتلري الدكتور جوبلز يعتمد أساسا على الكذب، ولا شيء غير الكذب في سياسته الإعلامية، وكان جوبلز معتادا أن يردد دائما : أكذب ... ثم أكذب ... ثم أكذب ... حتى تصدق نفسك ويصدقك الناس.

٣ - الإعلام الصهيوني :

أما الإعلام الصهيوني المضلل فقد اعتمد بالدرجة الأولى على كم هائل من الأكاذيب والخرافات والأوهام والأساطير التي مهدت الطريق للصهاينة للوصول إلى فلسطين العربية.

ومنذ مطلع القرن الميلادي العشرين اعتاد الإعلام العالمي على تناول عدة قضايا ورث بعضها عن القرن الميلادي التاسع عشر مثل قضية صراع القوميات وأضاف إليها قضايا أخرى مثل صراع الثقافات والعقائد والإيديولوجيات، وقد شهد القرن الميلادي العشرون تحولات هامة جدا في معظم المجالات تقريبا : سياسية وعسكرية وعلمية واقتصادية واجتماعية هائلة ومذهلة لم يشاهد مثلها التاريخ الإنساني طيلة عمره الموغل في القدم، ولقد انتهى القرن العشرون بحروب إعلامية واسعة النطاق كان النصر فيها من نصيب الأقدر في وسائله الإعلامية وإتقانه لفن الإعلام بغض النظر عن الحقائق، وإذا كان الإعلام كفن من الفنون الحديثة نسبيا هو فن التعبير عن

الرأي العام والتأثير فيه، فقد وضع عدة شروط وقواعد لتنظيم السيطرة أو التضليل والتزوير، وهذه الشروط والقواعد هي كما يلي :

أولا : الموضوعية :

فمادة الإعلام هي الحياة في مخططها اليومي، ولا مجال هنا للأخيلة والأوهام بل المجال كله للحقائق، وإن تعاطي الإعلام مع الخيال فإنه خيال علمي، أو مع التنبؤات فتلك التي لها أساس على أرض الواقع.

ثانيا : الواقعية :

المكان والزمان عاملان حاسمان في العملية الإعلامية، ويتم استرجاعها من خلال تقنيات الصورة والصوت والنص الإعلامي.

ثالثا : الوثائقية :

فالمادة الإعلامية مادة موثقة بالتواريخ والشهادات والأسماء والمصادر والصور الدالة وغيرها من أدوات التوثيق.

رابعا : المصداقية :

وتعني صدق الوسيلة الإعلامية فيما تنقله، واعتقاد الجمهور المتلقي لهذا الصدق، والمصداقية لا تعني التأثير، فالتأثير أعمق وأشمل، وإن كانت المصداقية أحد العوامل المساعدة على حدوثه، وتوجد عدة مقاييس منها :

١ – **المقياس اللغوي :** ويعني درجة وضوح الرسالة.

٢ – **المقياس الإيديولوجي :** ويعني عدم تركيز الرسائل على وجهة نظر واحدة.

٣ – **المقياس المعرفي :** أي مدى اتساع معرفة الإعلاميين بالموضوعات التي يشتغلون عليها.

٤ – **مقياس التزوير :** ويتعلق بمدى دقة الرسالة.

خامسا : الديناميكية :

وتعني السرعة في جمع المادة الإعلامية، والحيوية في عرضها.

سادسا : الإبداعية :

بمعنى ألا يتم نقل الواقع بشكل اعتباطي أو وفق قوالب جاهزة وجامدة وقاصرة، فثمة سرية من التفاعل الحميم والخصوصية والابتكار يجب أن تتحقق في عمليات النقل والصياغة.

سابعا : التتابع والانتظام والتنسيق :

بمعنى معاينة مكونات الواقع باستمرار وبنفس القدر من الاهتمام والتنسيق فيما بينها مع إعطاء الأولوية دوما للمستجدات.

ثامنا : الصلاحية والقدرة الاتصالية :

وتعني أن أية معلومة معدة لعبور وسائل الإعلام يجب أن تتوفر فيها ثلاثة قيم :

الأولى : القيمة المعرفية : وتعني مدى أهمية المعلومة وحداثتها بالنسبة للمستقبل.

والثانية : القيمة التقنية : وتتحدد بمعرفة الوسيلة الإعلامية، والقدرة على توظيفها بالشكل الأمثل.

والثالثة : القيمة الإجمالية : وتتعلق بالإطار والأسلوب الذي تطرح من خلاله المعلومات للتداول.

وأخيرا ينبغي التأكد من أن مصير العملية الإعلامية وأثرها النهائي رهن بأمرين :

الأول : تحديد المهام وآليات العمل وأولويات المواضيع التي سوف تثار أمام الجمهور المتلقي كي يناقشها ويكون رأيا حولها أي وضع الأجندة الإعلامية.

والثاني : مدى كفاءة العاملين في حقل الإعلام، وتوجد عدة مؤشرات لقياس الكفاءة والأداء المهني من أهمها ما يلي :

١ – أساليب التأهيل والتدريب التي يتلقاها الإعلاميون.

٢ – المعارف والمعلومات التي يملكونها.

٣ – علاقتهم بالمؤسسة التي يعملون بها.

٤ – تصورهم للجمهور الذي يتوجهون إليه.

٥ – مدى الحرية المتاحة لهم للتعبير والوصول إلى مصادر المعلومات.(٤٠)

– فأين موقع الإعلام العربي من هذا كله؟

– وهل طبق القواعد والشروط اللازمة؟

– سوف نرى . . .

الإعلام العربي

نبذة تاريخية موجزة

في الواقع أن الإعلام العربي قديم ويعود تاريخه لآخر سنوات القرن الميلادي الثامن عشر، ففي عام ١٧٩٩ صدرت أول صحيفة في العالم العربي وتحديدا في مصر إبان الحملة الفرنسية عليها، وكانت تلك الصحيفة ناطقة باللغة الفرنسية واسمها (كوريا دي ليجيبت)، وفي عام ١٨٢٧ صدرت صحيفة (جورنال الخديوي) في مصر أيضا ثم صحيفة الوقائع المصرية، ثم توالى إصدار الصحف العربية في مصر ولبنان وسوريا وفلسطين والعراق، وقد لعب الإعلام العربي المقروء دورا مهما في الحياة الفكرية والأدبية والثقافية والسياسية العربية، فقد تطرق للأدب العربي القديم والمعاصر، ونشر فكر حركات التحرر الوطني في الصحف والمجلات والكتب، إلا أن الفائدة المرجوة من الإعلام العربي المقروء كانت قاصرة على فئات صغيرة من أبناء الشعب العربي على دراية بالقراءة والكتابة وإحصائيا يصدر الآن في العالم العربي ١٥٠ صحيفة، و ٢٠٠ مجلة علاوة على النشرات والدوريات، إضافة إلى عشرين صحيفة عربية في خارج العالم العربي.

وقد بدأ البث الإذاعي العربي في العشرينيات من القرن الماضي، وفي السبعينيات من القرن الميلادي العشرين تراوحت موجات البث الإذاعي العربي المركزي والمحلي بين ثلاث موجات في بعض الدول الصغيرة، و ٧٤

موجة كما في الدول العربية الكبيرة، ومعظم الإذاعات العربية هي محطات حكومية، إلا أنه في عام ١٨٨٢ ظهرت أول محطة إذاعية عربية تجارية في المغرب تحت اسم (إذاعة المتوسط الدولية) وفي التسعينيات من القرن الماضي بدأت تنتشر في العالم العربي المحطات الإذاعية الخاصة وتحديدا تلك التي تبث على موجة الـ FM ومما لا شك فيه أن البث الإذاعي وانتشار أجهزة الراديو (المذياع) في العالم العربي ساهم مساهمة إيجابية في انتشار المواد الإعلامية المختلفة بين أبناء الشعب العربي وبخاصة الأميون منهم حيث أن نسبة الأمية في العالم العربي لا تزال مرتفعة حتى يومنا هذا.

ومنذ بدايات القرن الميلادي العشرين تصدرت مصر بلا منازع الإنتاج السينمائي العربي، ولكن يؤخذ على هذا النوع من الإعلام أن نسبة كبيرة من قضاياه كانت محلية أو مقتبسة وقليل منها تاريخي ووطني، وفي أواخر الخمسينيات من القرن الماضي أدخل البث التلفزيوني للدول العربية ومن أوائل الدول العربية التي أدخلت البث التلفزيوني إليها مصر وسوريا والعراق والمغرب، ثم بقية الدول العربية، وفي البداية كانت محطات التلفزة العربية مملوكة للحكومات، ثم بدأت تنتشر المحطات التلفزيونية الخاصة، وفي أوائل التسعينات من القرن الماضي ظهرت الفضائية المصرية تلتها فضائية دبي، وقد بلغت فترة البث التلفزيوني العربي نحو ٢٠ ألف ساعة في العام

الواحد، النسبة الأكبر منها للتلفزيون المصري (٦٦٤٨ ساعة سنويا)، ويأتي التلفزيون التونسي (١٩٩٠ ساعة سنويا)، أما ساعات البث التلفزيوني العربي فموزعة كالتالي :

- البرامج الترفيهية = ٦٣٩٥ ساعة سنويا.
- البرامج الإخبارية = ٥٠٧٨ ساعة سنويا.
- البرامج التربوية = ٣٤٩٩ ساعة سنويا.
- البرامج الدينية = ٢١٣٦ ساعة سنويا.[٤١]

ويوجد في العالم العربي ٢٢ وكالة أنباء جلها تابع لوزارات الإعلام في الحكومات العربية، وأقدم وكالة أنباء عربية هي وكالة الأنباء المصرية التي أنشأت في العام الميلادي ١٩٥٦، وإنتاج وكالات الأنباء العربية من النشرات متواضع جدا مقارنة بإنتاج وكالات الأنباء العالمية.

وأول مؤسسة إعلامية تعليمية أنشأت في عام ١٩٣٩ في القاهرة وكانت تابعة لكلية الآداب بجامعة القاهرة، ثم تحولت إلى كلية الصحافة ثم إلى كلية الإعلام، ويوجد حاليا ست عشرة مؤسسة تعليمية إعلامية في الوطن العربي ولا يوجد في العالم العربي سوى مركزين للأرشفة والتوثيق، إحداهما (مركز التوثيق الإعلامي لدول الخليج) الذي أنشأ في بغداد في العام ١٩٧٧،

والثاني هو (مركز التوثيق الإعلامي في تونس) الذي أنشأته هيئة اليونسكو والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

ثم جاءت ثورة الاتصالات والمعلومات وظهرت الشبكة العنكبوتية أو الإنترنت التي لم يكن للعرب أي دور فيها، وهذه الوسيلة الإعلامية المدهشة استفاد منها عدد محدود من أبناء الشعب العربي تبلغ نسبته ٠,٥ % من العدد الكلي للعرب، حيث أن هذه الوسيلة محتاجة إلى معرفة الفرد بالقراءة والكتابة، وعلى دراية واسعة باللغات الأجنبية، ودراية كافية أيضا بكيفية استخدام أجهزة الاتصالات الحديثة، والعالم العربي في الواقع لا يزال يعاني من ارتفاع نسبة الأمية فيه.

وللأسف الشديد فقد عانى الإعلام العربي من كارثة حقيقية منذ منتصف القرن الماضي عندما أخضعت جميع وسائل الإعلام في العالم العربي لإشراف السلطات الرسمية العربية، واحتكرت هذه السلطات جميع وسائل الإعلام لنفسها، وضربت عليها طوقا محكما من الرقابة الصارمة، وبذلك جمدت حرية الرأي في العالم العربي، الأمر الذي حد من قدرات الإعلام العربي وانطلاقه وإبداعه، وجعلته في ذيل قائمة الإعلام العالمي.

وصحيح أن الإعلام العربي فيما مضى تطرق لكثير من القضايا القومية العربية، إلا وأنه طيلة فترة الصراع العربي ـ الصهيوني والتي تمتد

لأكثر من قرن من الزمن، اعتاد أن ينقل صورة غير حقيقية بل ومضللة عن الواقع العربي توجيها خاطئا للأسف الشديد، وعبأهم تعبئة نفسية ومعنوية زائفة، وشحذ همهم بطريقة ملتوية، وخدر مشاعرهم بمعطيات باطلة، فأحيانا كان الإعلام العربي يقلل ويقزم من قدرات وإمكانيات دولة إسرائيل، ويسخر منها ويصفها بدولة العصابات وشذاذ الآفاق، وفي أحيان كثيرة كان الإعلام العربي يعملق ويضخم من حجم قدرات العرب وإمكانياتهم الخارقة كالقول مثلا أننا نملك أكبر قوة ضاربة بلا منازع في الشرق الأوسط، فصدق العالم العربي هذا الزعم ونام هانئا قرير العين، فما أن جاءت الحرب العربية ـ الإسرائيلية الثالثة أو حرب الأيام الستة في العام الميلادي ١٩٦٧، واتضحت نتائجها المأساوية والمروعة بالنسبة للعرب والتي لا زلنا نعاني منها حتى يومنا هذا، وتكشفت الحقائق المخيفة والمرعبة حتى تمخض الجبل العربي العملاق عن فأر أو عن لا شيء، الأمر الذي أصاب عشرات الملايين من أبناء الشعب العربي بالصدمة والذهول.

وحتى النصر العسكري العربي المحدود التي حققته الجيوش العربية على جيش الدفاع الإسرائيلي في حرب عام ١٩٧٣، بالغ الإعلام العربي في وصف حجم هذا الانتصار الضخم متجاهلا أنه كاد أن يتحول إلى هزيمة قاسية في أحد مراحل تلك الحرب، وفي نفس الوقت ضرب الإعلام العربي

طوقا محكما من السرية على ما أعقب هذا الانتصار من اتفاقيات السلام العربية ـ الإسرائيلي المهينة والمخجلة بالنسبة للعرب، ولم ينشرها كما هي، ومن المؤكد أن الإعلام العربي لم ينشر تلك الاتفاقيات كما نشرتها جميع وسائل الإعلام الأجنبية، وهذه الاتفاقيات هي كالتالي :

أولا : اتفاقية السلام المصرية الإسرائيلية أو اتفاقية (كامب ديفيد) في العام الميلادي ١٩٧٩.

ثانيا : اتفاقية السلام الفلسطينية ـ الإسرائيلية أو اتفاقية (أوسلو) بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل في ١٣ / ٩ / ١٩٩٣.

ثالثا : اتفاقية السلام الأردنية ـ الإسرائيلية بين الأردن وإسرائيل أو اتفاقية (وادي عربة).

ومن الغريب أن الإعلام الرسمي العربي يعد هذه الاتفاقيات زوج لفكره أن الحروب في الشرق الأوسط قد انتهت، وأن الوقت قد حان ليتمتع الجميع في المنطقة بالسلام وبالأمن والأمان، ولم يكن هذا الزعم صحيحا على الإطلاق، فالحروب العربية ـ الإسرائيلية مازالت دائرة حتى لآن، ففي عام ١٩٨٢ اجتاحت القوات الإسرائيلية الأراضي اللبنانية، وحاولت اجتياحه مرة أخرى في تموز / يوليو ٢٠٠٦، ولكنها منيت هذه المرة بهزيمة قاسية على أيدي رجال المقاومة الإسلامية التابعة لحزب الله في الجنوب اللبناني.

وماذا عن الحروب الفلسطينية ـ الإسرائيلية التي تجـري يوميـا في الأراضي الفلسطينية بين فصائل المقاومة الوطنيـة الفلسـطينية والقـوات الإسرائيلية؟

وماذا عن عمليات القمع والتنكيل والإرهـاب والقتـل والإبـادة الجماعية التي يلجأ إليها جيش الدفاع الإسرائيلي ضد الشعب الفلسـطيني، إضافة إلى الحصار الهمجي له.

وباختصار، فإن الإعلام العربي وقف خجولا ومتواضعا جدا، وفشل فشلا منقطع النظير بل ومهزوما بالضربة القاضية أمام الإعـلام الصـهيوني الناشط جدا وبجميع لغات العالم الحية.

الإعلام الصهيوني:

أدرك الصهاينة في وقت مبكر جدا من عمر الحركة الصهيونية أهمية الدعاية والإعلام بالنسبة لها للوصول إلى أهدافها الرامية إلى اغتصـاب أرض فلسطين من أصحابها العرب، وقد كتب الزعيم الصهيوني البـارز (حـاييم وايزمان) قائلا ما يلي:

(يجب أن نبني أعمالنا على أوسع مدى من شـعور الـرأي العـام، فموافقة الرأي العام هي التي تقرر في نهاية الأمر موقف الحكومات وأعمالها في المجتمع الديمقراطي).

ولقد اعتمد الإعلام الصهيوني الدعائي منذ نشأته وحتى يومنا هذا، على أساليب مدروسة ومحددة الأهداف لتضليل الرأي العام العالمي وخداعه من أجل تحقيق مآربه، والإعلام الصهيوني خلال سنوات القرن الميلادي العشرون وأيضا في أواخر سنوات القرن الميلادي التاسع عشر وحتى قبل صدور تصريح بلفور بسنوات طويلة عن الحكومة البريطانية في عام ١٩١٧، وهو التصريح الذي وعد اليهود بإقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين العربية، ودغدغ مشاعرهم بالعودة إليها من ما يسمى بالشتات (الدياسبورا)، نشط هذه الإعلام المضلل والمخادع في الدول الأوربية والولايات المتحدة في نقل صورة غير حقيقة وكاذبة عن أوضاع اليهود في أوربا، وقد جعل محور اهتمامه وجل همه وغاية مبتغاة الترويج بين الشعوب الأوربية والشعب الأمريكي على عدة أكاذيب وأساطير وخرافات وأوهام وجعلها متعلقة باليهود، تمهيدا لاغتصاب فلسطين العربية، وركز عليها تركيزا شديدا ربما كل على حدة حسب الأجواء العالمية السائدة ومن أهما ما يلي :

أولا : أن فلسطين أرض بلا شعب ينبغي أن يستوطنها اليهود الذين هم شعب بلا أرض حسب زعم الصهاينة !

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن...

– ومتى كانت فلسطين العربية أرض بلا شعب؟

– ألم يسكنها العرب الكنعانيون منذ أقدم عصور ما قبل التـــاريخ، وقبل الوجود اليهودي فيها بعده آلاف من السنين؟

– أليس الفلسطينيون المعاصرون هم امتداد ديمـــوغرافي وتـــاريخي واجتماعي وعرقي لأسلافهم العررب الكنعانيين؟

ثانيـا : أن لليهود حق تاريخي في فلسطين لأن أجدادهم القـــدامى سكنوا فيها ردحا من الزمن في التاريخ القديم !

ولكن...

– من أين أتى اصلا أجداد اليهود القدامى؟

– ألم يأتوا إلى فلسطين العربية من مصر الفرعونية فرارا من فرعونها، وطلبا للحماية والمأوى وما يسدون به الرمق، ولم يكن لهم فيها أية جذور أو تاريخ إطلاقا؟

وحق إبراهيم عليه السلام الذي يعتبره اليهود جدهم الأعلى !

– من أين أتى هو الآخر؟

– ألم يأت إبراهيم عليه السلام مهاجرا إلى فلسطين من بلاد ما بـــين النهرين كما هو المأثور؟ وكانت فلسطين في ذلك الوقت عـــامرة بســـكانها العرب الكنعانيون وباعتراف التوراة نفسها.

– وماذا يقول الفراعنة والآدميون والأشوريون والبابليون والفرس والإغريق والرومان؟ ألا يحق لهم المطالبة بأرض فلسطين لأنهم سكنوها يوما من أيام الزمن الغابر أيضا؟

ثالثا: أن لليهود حق ديني في فلسطين العربية لأن الرب كان قد وعد أرض كنعان (فلسطين العربية) لإبراهيم ونسله من بعده ملكا أبديا!

كما وأنها مهد الديانة اليهودية!

أليس هذا مضحكا؟

– فلو فرضنا جدلا صحة الوعد لإبراهيم؟

– فمن قال أن اليهود وحدهم هم نسل إبراهيم؟

– أليس المسلمون والمسيحيون العرب هم أيضا من نسل إبراهيم ولهم حق ديني في فلسطين؟

وفلسطين في الواقع ليست مهد الديانة اليهودية، ولم تكن كذلك في أي يوم من أيام التاريخ القديم.

– ألم تنزل التوراة بأكملها على موسى عليه السلام فوق جبل الطور بصحراء سيناء؟

- ألم تكتمل تعاليم التوراة وأحكام الديانة اليهودية ومراسمها وطقوسها في صحراء سيناء أيضا؟

رابعا : لقد ضخم الإعلام الصهيوني من معاناة اليهود والآلام التي صادفوها في أوربا وبخاصة في الحقبة النازية، إذ يزعم الصهاينة أن الزعيم النازي (أدولف هتلر) قد أباد ستة ملايين يهوديا إبادة جماعية إبان الحرب العالمية الثانية أي ما عرف باسم (الهولوكست) !

ويبدو أن أسطورة الهولوكست التي قامت عليها دولة إسرائيل من ضمن ما قامت عليه، لم تعد قائمة الآن، إذ تشير الدراسات الديموغرافية في أوربا خلال الحرب العالمية الثانية أن عدد اليهود فيها لم يكن يتجاوز الثلاثة ملايين نسمة، إضافة إلى أن عدد غير قليل من المفكرين والمؤرخين والسياسيين والفلاسفة من شتى بقاع الأرض كذبوا هذه الأسطورة ونفوها نفيا قاطعا، ولكن الصهاينة قد يسمحون بانتقاد جميع الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل ما عدا أسطورة الهولوكست خوفا من انهيار أهم المزاعم التي قام عليها كيانهم الغاصب في فلسطين العربية، وهذا هو السر الذي يفسر بقاء أسطورة الهولوكست قائمة حتى الآن، ولقد نجح الإعلام الصهيوني نجاحا باهرا في التصدي لجميع محاولات تكذيب أو نفي أسطورة الهولوكست مستغلا القوانين الصارمة في أوربا والولايات المتحدة التي تجعل

من نفي أو تكذيب هذه الأسطورة جريمة لا تغتفر ويعاقب عليهـــا القــانون بشدة.

خامسا : ركز الإعلام الصهيوني المضلل على ضرورة مساعدة اليهود في اغتصاب فلسطين العربية، من أجل أن تحميهم من ظـــاهرة اللاســـامية في الغرب، وتكفيرا من العالم الغربي وتحديدا في أوربا عما ارتكبه من جرائم بحق اليهود !

يا لسخرية القدر...

– فلماذا لم يقم العالم الغربي بإعطاء اليهود قطعـــة أرض في أوربـــا ليقيموا عليها وطنهم القومي بدلا من فلسطين العربية التي لم يكـــن لشـــعبها العربي أي ذنب أو دور فيما حدث لليهود في أوربا من كوارث وويلات؟

ولقد نـــجح الإعلام الصهيوني الخادع والمضلل في الترويج للمزاعم الصهيونية الباطلة وإقناع العالم الغربي بها وبخاصة المزاعم التاريخية والدينيـــة وأسطورة أن فلسطين أرض بلا شعب فضلا عن أسطورة المحارق النازيـــة في غياب كامل لأية معطيات إعلامية عربية، وصمت عربي مطبق إزاء ما يخطط له الصهاينة، فما أن جاء العام الميلادي ١٩٤٨ حتى كانت الأجواء والعقول في الغرب بتأثير من الدعاية والإعلام الصهيوني مهيأة تماما لتقبل فكرة الدولة اليهودية في فلسطين العربية كحقيقة دينية مسلم بها ولا تقبل الجدل، وقـــد

هلل العالم الغربي لقيام دولة إسرائيل وسر وابتهج امتنانا للرب لهذا الحدث العظيم، وقدم لإسرائيل كل ما في وسعه ووقف إلى جانبها سياسيا عسكريا وماليا ومعنويا واقتصاديا وعلميا وفي جميع المجالات كنوع من التأييد لها، وبعد قيام دولة إسرائيل استطاع الإعلام الصهيوني أن يوقر في نفوس ووجدان العالم الغربي ويدخل في روعة أن إسرائيل دولة صغيرة وضعيفة، ومحاطة بالملايين من العرب الذين يتحينون الفرصة المناسبة للقضاء عليها وإلقاؤها في قاع البحر، الأمر الذي ضاعف من عطف العالم الغربي عليها، وزاد من تأييده لها والوقف إلى جانبها حتى أصبحت أقوى دولة في الشرق الأوسط.

وفي مقارنة بسيطة بين الإعلام الصهيوني والإعلام العربي، نجد أن الإعلام الصهيوني اعتمد على إنفاق مئات المليارات من الدولارات الأمريكية على شئون الدعاية والإعلام، وجند المئات من السياسيين والمفكرين والأدباء من شتى أنحاء العالم الغربي لخدمة الفكرة الصهيونية، وإضافة إلى ذلك فقد اتبع الإعلام الصهيوني أساليب علمية ووسائل إعلامية غاية في الدقة والإتقان لفرض الفكرة الصهيونية على العالم بأسره، ومن هذه الوسائل والأدوات الإعلامية على سبيل المثال ما يلي :

أولا: منذ مطلع القرن العشرين قام اليهود في الولايات المتحدة بإنشاء عدد من شركات الإنتاج السينمائي الضخمة لاحتكار صناعة السينما

في الولايات المتحدة وبالتالي في العالم، والسبب في ذلك هو منع تسرب أي أفكار معادية لليهود والصهيونية في الأفلام السينمالية، حيث يدرك الصهاينة مدى تأثير الأفلام السينمالية على الرأي العام العالمي، وشركات الإنتاج السينمائي العملاقة في الولايات المتحدة هي سبع شركات كالتالي :

١ – شركة متروجولدن ماير.

٢ – شركة فوكس للقرن العشرين.

٣ – شركة بارامونت.

٤ – شركة كولومبيا.

٥ – شركة يونيفرسال.

٦ – شركة وارنر. (٤٢)

ثانيا : حتى العام الميلادي ١٩٦٧ بلغ عدد الصحف والمجلات الصهيونية التي تصدر خارج إسرائيل بأكثر من لغة ٧٦٠ صحيفة ومجلة تصدر من البلدان التالية :

١ – الولايات المتحدة الأمريكية.

٢ – كندا.

٣ – دول أمريكا اللاتينية.

٤ – الدول الأوربية.

٥ – تركية.

٦ – الهند.

٧ – إيران في زمن الشاه الراحل محمد رضا بهلوي.

ثالثا : من بين ألف وستمائة صحيفة تصدر في الولايات المتحدة يوجد ألف ومائتان صحيفة يسيطر عليها اليهود والصهيونية، إضافة إلى وجود أربعين محطة تلفزيونية محلية يسيطر عليها الصهاينة واللوبي اليهودي في الولايات المتحدة.

وعلاوة على ذلك يسيطر الصهاينة على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)(٤٣)، ويسهم الصهاينة على إنتاج تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات عن طريق عدد كبير من الشركات المتعددة الجنسيات.(٤٤)

رابعا : منذ ثمانينات القرن الميلادي العشرين أدرك الصهاينة في دولة إسرائيل أهمية الفضاء الخارجي في الاتصالات والجاسوسية ونقل المعلومات الضرورية جدا لحماية وجودها واستمراريتها، فبدأت برنامجها الفضائي بسرية تامة وإحاطته بالتكتم الشديد، وفي التاسع عشر من أيلول / سبتمبر من العام الميلادي ١٩٨٩، أطلقت إسرائيل أول قمر صناعي لها مصنوع بجهود ذاتية إسرائيلية لأغراض الاتصالات ونقل المعلومات، كما وأن إسرائيل عملت على امتلاك قاعدة واسعة من المعلومات المحسوبة

الدقيقة، ففي الواقع أن المنتجات الإسرائيلية في مجال المعلوماتية تنتشر في العالم بأسره مخترقة بذلك المقاطعة العربية لها.(٤٥)

وبالرغم من قدم مسيرة الإعلام العربي فإنه لازال مبتدئا ويحبو أمام الإعلام الصهيوني.

- فما العمل؟

في البداية وقبل كل شيء آخر ينبغي على الإعلام العربي أن يعيد تأهيل نفسه، ويطورها تطورا جذريا، ويرتقي بالمنظومة الإعلامية العربية، ويحلق بها عالميا حتى تصل إلى مستويات عالمية مرموقة وتستطيع أن تقف جنبا إلى جنب مع المنظومة الإعلامية الصهيونية بل وتقارعها وتتفوق عليها وتهزمها، وفي هذه الحالة فقط يمكن للإعلام العربي أن يقدم الكثير للقضايا القومية والوطنية العربية فضلا عن القضايا الأخرى التي يعاني منها الوطن العربي في الوقت الراهن كالقضايا الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية وغيرها، وبما أن القضية الفلسطينية هي قضية العرب الأولى كما هو الدارج لدى العرب واعتادوا أن يطلقوا عليها هذا الوصف، فكان ينبغي أن تأخذ ما تستحقه من اهتمام ويحشد الإعلام العربي كل إمكانياته وطاقاته، وليس المقصود بالإعلام العربي هنا هو الإعلام المحلي الذي يخاطب عقول العرب

فقط رغم أن ذلك له أهميته أيضا، وإنما المقصود به هنا الإعلام العربي العالمي الذي يخاطب الرأي العام العالمي بلغاته المتعددة ويؤثر فيه تأثيرا كبيرا.

فما الذي كان يجب على الإعلام العربي أن يفعله من أجل نصرة القضية الفلسطينية العادلة؟

في الحقيقة أنه بدون خلق منظومة إعلامية عربية متطورة ومتقدمة جدا قادرة على الوصول للعالمية، وتستطيع أن تهزم المنظومة الإعلامية الصهيونية، فمن الصعب جدا إن لم يكن مستحيلا أن يقوم الإعلام العربي بخدمة القضية الفلسطينية أو غيرها من القضايا المصيرية العربية وهو في حالته الراهنة، ولذلك ينبغي علينا نحن العرب أن نبدأ من الآن على خلق منظومة إعلامية عربية متطورة ومتقدمة وبدون أي تأخير، ومثل هذا المشروع يستلزم إنفاق أموال طائلة للوصول بالإعلام العربي إلى مستوى العالمية، إلا أن هذا الأمر قد لا يشكل أي مشكلة، ومن الممكن الحصول عليها من المصادر التالية :

أولا : التبرعات المالية التي تقدمها حكومات الدول العربية التي يبلغ عددها ٢٢ دولة منتشرة على مساحة واسعة من الأراضي في قارتي أسيا وأفريقيا وتبلغ مساحتها ١٣,٥ مليون كيلو مترا مربعا أي ما يقارب من مساحة قارة أوربا بأكملها، وفي الواقع أن حكومات الدول العربية لم تبخل

يوما في التبرع المالي للقضايا القومية والوطنية كل حسب استطاعتها لاسيما وأن العالم العربي يملك ثروات هائلة متمثلة في التالي على سبيل المثال :

١ – أكبر مخزون من النفط الخام في العالم.

٢ – ٧٥ % من إنتاج محصول الصمغ العالمي.

٣ – ٥٠ % من إنتاج الفوسفات العالمي.

٤ – ٢٠ % من إنتاج الغاز الطبيعي العالمي.

٥ – ١٥ % من إنتاج زيت الزيتون العالمي. [٤٦]

٦ – مصائد أسماك شاسعة جدا في البحر الأبيض المتوسط والبحر المتوسط والبحر الأحمر والمحيط الأطلسي والأنهار والبحيرات العربية.

٧ – وإضافة إلى ما تقدم تملك المنطقة العربية خام الحديد والذهب واليورانيوم والرخام.

ثانيا : التبرعات المالية التي يقدمها أبناء الشعب العربي الذين بلغ عددهم في العام الميلادي ٢٠٠٠ نحو ٢٨٠ مليون نسمة، أي ما يعادل عدد سكان الولايات المتحدة.

ثالثا : التبرعات المالية التي تقدمها الهيئات والشركات والمؤسسات التجارية والاقتصادية والخيرية العربية الرسمية والشعبية.

رابعا: التبرعات المالية لحكومات الدول الصديقة المناصرة للقضية الفلسطينية كالدول الإسلامية وكثير من الدول الأجنبية، وأيضا تبرعات شعوبها وهيئاتها ومؤسساتها وشركاتها التجارية والاقتصادية والعالم الإسلامي المكون من ٥٦ دولة الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي التي أنشأت في العام الميلادي ١٩٦٩ عقب الحريق المتعمد الذي أضرمه الصهاينة في جزء من المسجد الأقصى المبارك بمدينة القدس والذي يبلغ عدد سكانه نحو ١,٣٦١,٤٤١,٨٨٣ نسمة أي أقل قليلا من ربع سكان العالم، ومن الممكن للعالم الإسلامي تقديم الكثير من الدعم المالي للقضية الفلسطينية وبخاصة إذا ما كان هناك نتائج إعلامية ملموسة على أرض الواقع التي يقدمها الإعلام العربي على الساحة الإعلامية العالمية.

خامسا: تبرعات الجاليات العربية في الخارج التي تقدر بالملايين من العرب في الأمريكتين وأوربا وأستراليا وآسيا وأفريقيا.

سادسا: الأرباح المالية الضخمة التي سوف تدرها المشاريع الإعلامية العربية عن طريق إنتاج مؤسساتها وهيئاتها وشركاتها المختلفة.

سابعا: التبرعات المالية لجامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي، إضافة إلى الهيئات الأخرى المناصرة للقضية الفلسطينية.

ومن المفهوم أن المنظومة الإعلامية العربية الجديدة سوف لا تكون تابعة لدولة عربية معينة، وإنما تكون هذه المنظومة هيئة عربية موحدة واحدة وتنتشر مؤسساتها في جميع الدول العربية، ومن المهم جدا التركيز على أن المنظومة الإعلامية العربية الجديدة سوف تستخدم نفس الأساليب والأدوات الإعلامية التي استخدمها الإعلام الصهيوني خلال مسيرته الطويلة لاسيما وأنها أثبتت نجاحها وفاعليتها وتأثيرها في الدعاية للصهيونية ولليهود، واستطاعت استقطاب الرأي العام العالمي وكسبه والانحياز إلى جانبهم.

ومن أجل خلق منظومة عربية جديدة وقادرة فهذا يستلزم منا نحن العرب أن نجهز أعداد ضخمة من الإعلاميين العرب الأكفاء المتخصصين في القضايا القومية والوطنية العربية كالقضية الفلسطينية والقضية العراقية على سبيل المثال، ومن الممكن اختيار هؤلاء الإعلاميون من الإعلاميين العرب المتوفرين على الساحة الإعلامية العربية في الوقت الحاضر مع العمل الجاد والصادق والمنظم على خلق أجيال جديدة من الإعلاميين العرب المتخصصة في القضايا القومية والوطنية العربية وعلى رأسها القضية الفلسطينية.

وفيما يتعلق بالقضية الفلسطينية فمن المستحسن والمفيد أن يقسم الإعلاميون العرب إلى مجموعات كل مجموعة منها متخصصة في تناول جانب

من جوانب القضية الفلسطينية كالجوانب التاريخية والجغرافي والدينية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية، ودراستها دراسة شاملة ووافية وإصدار مؤلفات عنها بجميع اللغات العالمية، وغني عن القول أن يجيد الإعلاميون العرب الجدد معظم اللغات العالمية الحية كالإنجليزية والفرنسية والأسبانية والروسية والألمانية والتركية والفارسية والهندية والأوربية والصينية واليابانية إضافة إلى لغات دول جنوبي شرق آسيا وأيضا لغات وسط أسيا، حتى يكون بإمكان الإعلاميين العرب نشر مواد إعلامية عربية بجميع لغات العالم حتى لا نكون كالذي يتحدث مع نفسه فقط ويخاطبها على انفراد غير مهتم ولا عابئ بما يدور حوله في العالم الخارجي، ومن ناحية عملية قد يكون من غير الممكن للإعلامي العربي أن يجيد معظم اللغات العالمية، فهذه مهمة صعبة للغاية إن لم تكن مستحيلة، ولهذا السبب يكفي الإعلامي العربي أن يجيد لغة أجنبية واحدة أو لغتين أجنبيتين حسب استعداده وميوله ورغبته وبذلك يصبح لدينا إعلاميون يجيدون جميع اللغات الأجنبية الحية.

ومن أهم ما يمكن للمنظومة العربية الجديدة أن تقوم به لخدمة القضية الفلسطينية ما يلي :

١ – إنشاء مراكز للدراسة والبحث والتأليف متخصصة في القضية الفلسطينية.

٢ – إنشاء دور لنشر الكتب والصحف والمجلات والنشرات والدوريات التي تتحدث عن القضية الفلسطينية.

٣ – إنشاء مراكز للترجمة من أجل ترجمة المؤلفات العربية التي تتناول القضية الفلسطينية للغات الأجنبية، وترجمة كل ما يكتب باللغات الأجنبية عن هذه القضية العربية، حتى تصبح في متناول القارئ العربي.

٤ – إنشاء مراكز للتوثيق والأرشفة عن كل ما يتعلق بالقضية الفلسطينية.

٥ – إرسال وفود إعلامية عربية لمعظم العواصم والمدن في الأمريكتين وأوربا وآسيا وأفريقيا وأستراليا لشرح القضية الفلسطينية العادلة للرأي العام العالمي.

٦ – إنشاء قنوات فضائية عربية بجميع اللغات العالمية متخصصة في طرح المواضيع المتعلقة بالقضية الفلسطينية.

٧ – إنشاء شركات سينمائية ضخمة للإنتاج السينمائي العربي العالمي وينتج أفلاما عربية عالمية تتحدث عن القضية الفلسطينية.

٨ – إنشاء مواقع عربية على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) متخصصة في الشؤون الفلسطينية، ومن الأجدى والأنفع إنشاء شبكة عنكبوتية عربية.

٩ – إنشاء متاحف لتراث الفلسطيني وحياة اللاجئين الفلسطينيين في مجتمعات اللاجئين، وأيضا في الشتات.

أولا : إنشاء مراكز للبحث والدراسة والتأليف خاصة بالقضية الفلسطينية :

فيما مضى أنشأت منظمة التحرير الفلسطينية مركز الدراسات الفلسطينية في مدينة بيروت بالجمهورية اللبنانية، وكان هذا المركز يصدر مؤلفات قيمة خاصة بالقضية الفلسطينية والتي غالبا ما تكون باللغة العربية، ولكن يبدو أن هذا المركز توقف عن العمل بعد الاجتياح الإسرائيلي للأراضي اللبنانية واحتلاله لمدينة بيروت في العام الميلادي ١٩٨٢، ومن الممكن لمنظومة الإعلام العربي الجديدة أن تنشأ مراكز للبحث والدراسة والتأليف على غرار مركز الدراسات الفلسطينية ولكن على مقاييس أوسع تنتشر في الوطن العربي، وتصدر مؤلفات خاصة بفلسطين والقضية الفلسطينية بجميع لغات العالم الحية، على أن تهتم هذه المراكز بتاريخ فلسطين الحقيقي منذ أقادم عصور ما قبل التاريخ وحتى يومنا هذا، على أن تركز هذه المراكز في أبحاثها ودراساتها أثناء سردها للتاريخ الفلسطيني الحقيقي على الشخصيات التاريخية والدينية والقومية التي كان لها دور بارز ومهم جدا في تاريخ فلسطين بل وفي تاريخ العالم بأسره مثل نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام.

١ – الشخصيات القومية الفلسطينية :

أ – الملك العربي الكنعاني (ملكي صادق) :

كان الملك العربي الكنعاني ملكي صادق ملكا لمدينة القدس، وكان صديقا حميما لنبي الله إبراهيم عليه السلام، وتعتبر بعض المصادر اليهودية والمسيحية الملك ملكي صادق أحد الأنبياء العرب إلى جانب شعيب وأيوب وبلعام. (٤٧)

ب – الملك العربي الكنعاني (عبدي خيبا) ملك القدس في أحد مراحل تاريخها، ولقد ورد اسم هذا الملك في مراسلات تل العمارنة المتبادلة بين أمراء وملوك بلاد الشام والفرعون أمنحوتيب الثالث وابنه الفرعون أمنحوتيب الرابع (أخناتون)، ويبدو أن الملك عبدي ــ خيبا كان مواليا للفرعون المصري.

جـ – ملوك وأمراء فلسطين وبلاد الشام المناوئين للحكم الفرعوني في بلادهم مثل الملك (عبدي ــ عشرتا) وابنه الأمير (عزيزو)، وكذلك الأمير (زيناتا) أمير عكا، والأمير (شوادراتا) أمير مدينة أربع (الخليل)، والأمير (تاجو) أمير جات، والأمير (ميلكيو) أمير مدينة جازر.

د – الملك الفلسطيني (أخيش) ملك مدينة جات (عراق المنشية)، الذي فر إلى مملكته نبي الله داود عليه السلام هربا من بطش شاؤول بن قيس أول ملوك الدولة اليهودية القديمة في فلسطين العربية حسب الزعم

التوراتي، ومكث داود عليه السلام في ضيافة هذا الملك لمدة عاماً ونصف العام حسب الزعم التوراتي أيضا.

هـ - الملك الفلسطيني إبيمالك (أبي مالك) ملك مدينة (جرار)، وصاحب القصص التوراتية المعروفة مع إبراهيم وابنه إسحاق عليهما السلام.

٢ - أنبياء الله الذين عاشوا في فلسطين العربية مثل إبراهيم عليه السلام، والذين ولدوا وعاشوا في فلسطين مثل داود وسليمان وزكريا ويحيى وإلياس وعيسى عليهم السلام وغيرهم، مع الأخذ بعين الاعتبار حذف جميع الإسرائيليات التي تعج فيها كتب قصص الأنبياء العربية، والتي لا تليق بمقام هؤلاء الأنبياء العظام.

٣ - القادة العسكريون الفلسطينيون سواء في التاريخ القديم أو الحديث أمثال ما يلي :

أ - القائد العسكري الفلسطيني البارز (جالوت) الذي ورد اسمه في القرآن الكريم، وانتصر عليه داود عليه السلام وقتله.

ب - القائد الفلسطيني (إيتالي غات) الذي كان تحت إمرته ثلث جيش داود في حروبه مع أعدائه. (٤٨)

جـ – وفي عصر الفتوحات الإسلامية برز اسم الفاتح الفلسطيني العربي المسلم (موسى بن نصير) صاحب فتوحات الأندلس والذي ولد في قرية من قرى جبال الخليل بفلسطين العربية. (٤٩)

د – القادة الدينيون الفلسطينيون مثل الإمام الأعظم والحبر الأكرم محمد بن إدريس الشافعي المطلبي (الإمام الشافعي) إمام أهل السنة وركن الإسلام الذي ولد بمدينة غزة الساحلية في العام خمسين ومائة الهجري. (٥٠)

٤ – الزعماء الوطنيون الفلسطينيون المعاصرون مثل الزعيم الوطني الفلسطيني موسى كاظم باشا الحسيني وسماحه الحاج أمين الحسيني والقائد العسكري عبد القادر الحسيني والشيخ عز الدين القسام والشيخ حسن سلامة والزعيم ياسر عرفات والشيخ المجاهد أحمد ياسين على سبيل المثال فقط وغيرهم كثير.

٥ – المفكرون والأدباء والشعراء الفلسطينيون سواء في التاريخ القديم أو الحديث مثل القاضي الفاضل في التاريخ القديم والمفكر الفلسطيني أمريكي الجنسية الأمريكية (إدوارد سعيد)، والأديب غسان كنفاني والشاعر عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى) والشاعر هارون هاشم رشيد والشاعر الفلسطيني الكبير محمود درويش في التاريخ الحديث على سبيل المثال فقط لا الحصر.

ثانيا : إنشاء دور للكتب والصحف والمجلات :

إنشاء دور إعلامية ضخمة لإصدار الكتب والمجلات والصحف إضافة إلى النشرات والدوريات الإعلامية التي تحدث عن القضية الفلسطينية العادلة وبجميع اللغات العالمية، مع إنشاء دور للنشر والتوزيع في شتى بقاع الأرض، على أن تعتمد هذه المراكز على ما تقدمه لها مراكز البحث والدراسة من مؤلفات بجميع لغات العام الحية.

ثالثا : إنشاء مراكز للتوثيق والأرشفة :

إن إنشاء مراكز للتوثيق والأرشفة لكل ما يتعلق بالقضية الفلسطينية هو أمر مهم جدا، فهو في الواقع يمثل ذاكرة الأمم والشعوب، على أن تكون هذه المراكز منتشرة في مختلف أرجاء العالم العربي.

رابعا : إنشاء مراكز للترجمة في العالم العربي :

إنشاء مراكز للترجمة في شتى بقاع العالم العربي من أجل أن تترجم المؤلفات والمطبوعات العربية لغات الأجنبية، وتترجم كل ما يصدر في الإعلام العالمي عن القضية الفلسطينية للغة العربية، حتى يكون القارئ العربي على إطلاع بما يقوله العالم عن قضايانا، كما ويمكن استخدام هذه المراكز في ترجمة العلوم مثل الطب والهندسة والصيدلة والفلك والرياضيات للغة العربية، وما يصدر من أبحاث ودراسات بشأن هذه العلوم.

خامساً : إرسال وفود إعلامية عربية لمعظم العواصم والمدن العالمية الهامة :

وإرسال وفود إعلامية عربية إلى الأمريكتين وأوربا وآسيا وأفريقيا وأستراليا أمر مهم جداً من أجل شرح القضية الفلسطينية العادلة في المحافل الرسمية والشعبية في بلدان تلك القارات وإبراز مدى الظلم والجور الذي لحق بالشعب العربي الفلسطيني من جراء اغتصاب الصهاينة لأرضه، وتشريده في شتى بقاع الأرض وتحويله إلى مجموعات من اللاجئين تعاني معاناة بالغة من الفقر والعوز والحاجة.

سادساً : إنشاء شركات ضخمة للإنتاج السينمائي العربي العالمي:

أدرك الصهاينة ما للإنتاج السينمائي من أهمية بالغة في حقل الإعلام، وتأثير الأفلام السينمائية على الرأي العام العالمي، فإنشاء اليهود والصهاينة أضخم الشركات الخاصة بالإنتاج السينمائي العالمي، وبالنسبة للقضايا العربية لا تنتج الشركات السينمائية الأمريكية إلا كل ما يسيء للعرب وللمسلمين، والأفلام السينمائية الأمريكية تلقى رواجاً كبيراً في العالم، ولمواجهة السينما الصهيونية يجب على العرب إنشاء شركات عربية ضخمة للإنتاج السينمائي العالمي لكي تستطيع أن تنافس الإنتاج السينمائي الصهيوني وتتفوق عليه، مع الأخذ بأن تتناول السينما العربية التاريخ الحقيقي لفلسطين والشخصيات التاريخية والقومية والدينية والوطنية الفلسطينية.

سابعا: إنشاء قنوات فضائية عربية متخصصة في القضية الفلسطينية:

وهذا النوع من الإعلام من الممكن أن يدخل كل بيت في العالم، ولابد أن تكون برامج الفضائيات العربية مدروسة جيدا وتقوم على أسس علمية فائقة الدقة وجيدة التوثيق وتبث، بجميع لغات العالم الحية، وتركز برامج الفضائيات العربية على القضية الفلسطينية من جميع جوانبها وبخاصة الجوانب التاريخية والدينية والإنسانية، وتفند ما يزعمه الصهاينة من تاريخ مزور في فلسطين العربية بالوثائق والأرقام.

ثامنا: إنشاء مواقع على الشبكة العنكبوتية أو الإنترنت خاصة بالقضية الفلسطينية:

والإنترنت هو في الواقع شبكة إلكترونية للمعلومات لا يستهان بها، ويشترك فيها عشرات الملايين في طول العام وعرضه، وتتناول المواقع الإلكترونية على شبكة الإنترنت القضية الفلسطينية من جميع جوانبها، ومن الأجدى والأنفع إنشاء شبكة عنكبوتية عربية لمواجهة السيل الجارف من الأكاذيب والخرافات والأوهام التي يسوقها الإعلام الصهيوني المغرض على شبكة الإنترنت.

تاسعا : إنشاء متاحف خاصة بالتراث الفلسطيني :

من الضروري جدا في الوقت الحاضر إنشاء متاحف دائمة ومتنقلة في معظم العواصم والمدن العالمية من أجل تعريف العالم الخارجي بالتراث الوطني الفلسطيني بما فيها العادات والتقاليد الخاصة بالشعب العربي الفلسطيني، والأزياء الشعبية الفلسطينية وأيضا المأكولات الشعبية الفلسطينية التي توارثها الشعب العربي الفلسطيني منذ أقدم العصور، فقد بلغت الوقاحة بالصهاينة حدا جنونيا جعلهم يتوهمون أن الأزياء الشعبية الفلسطينية وبخاصة الثوب النسائي الفلسطيني هو خاص بهم وينسبونه لأنفسهم في معارضهم، بل وأكثر من ذلك، فالصهاينة يقدمون المأكولات الشعبية الفلسطينية في أوربا والولايات المتحدة مثل الفلافل والحمص والفول على أنها مأكولاتهم الشعبية!

وأخيرا فإن دور المنظومة الإعلامية العربية الجديدة بالنسبة للقضية الفلسطينية لابد وأن يتمحور حول النقاط الرئيسية التالية :

١ – إظهار التاريخ الحقيقي لفلسطين العربية الذي يمتد لنحو عشر آلاف عاما منذ أقدم عصور ما قبل التاريخ وقبل آلاف السنين من الوجود اليهودي في فلسطين، مرورا بجميع العصور التاريخية وحتى يومنا هذا.

٢ – تفنيد ودحض المزاعم والأساطير الصهيونية المؤسسة لدولة إسرائيل الحالية، لأن الإعلام الصهيوني المغرض يريد أن يفرض على العالم بأسره تاريخيا يهوديا مزورا في فلسطين العربية يظهر فيه اليهود وأنهم

أصحاب أرض فلسطين الحقيقيين في، في حين أن العــرب أصــحاب الأرض والتاريخ والحضارة هم الطارئون المستحدثون على هذا التاريخ.

٣ – أن دولة إسرائيل الحالية هي كيان استعماري استيطاني إحلالي غاصب قامت أساسا على اغتصاب أرض فلسطين من أصحابها العرب بقــوة السلاح والإرهاب والعنف، ولم تقم إطلاقا تنفيذا للنبوءات التوراتية الزائفة التي تربط عودة اليهود إلى فلسطين وإقامة دولة لهم فيها بعودة اليهود المنتظر الذي يبدو أنه سوف لا يأتي أبدا.

٤ – أن الكيان الصهيوني الغاصب في فلسطين العربية هــو كيــان عدواني توسعي، ولا يملك اليهود فيها حقوق من أي نــوع ســواء حقــوق تاريخية أو دينية أو قانونية كما يزعم الصهاينة.

٥ – أن الكيان الصهيوني الغاصب في فلسطين العربية يشكل خطيرا حقيقيا على المنطقة العربية وعلى بلدان الشرق الأوسط جميعها، وليس فقــط على فلسطين وحدها أو على الشعب الفلسطيني وحده.

٦ – إن نــجاح الإعلام الصهيوني في كسب الرأي العام العالمي إلى جانب الصهاينة، لم يكن فقط بسبب النشاط الصهيوني في أوربا والولايــات المتحدة، وإنما كان أيضا بسبب الغياب التام إعلام عــربي مضــاد للإعــلام الصهيوني مؤثر وفعلا في تلك البلدان، أليس كذلك؟ وبذلك تركت الساحة

الإعلامية العالمية للإعلام الصهيوني لكي يروج فيهـا أكاذيبـه وأسـاطيره وخرافته وأوهامه كما يشاء.

٧ – أن هدف الإعلام العربي الجديد في نهاية المطاف هو التـأثير في الرأي العام العالمي وإظهار الحقائق التي يجهلها العالم حول القضية الفلسطينية، وكسب هذا الرأي إلى جانب العرب في قضيتهم العادلة.

هوامش ومناهل الفصل الخامس

١ – القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني.

تأليف : نخبة من المفكرين العرب، إصدار وزارة الدفاع الوطني ــ الجيش اللبناني، الأركان العامة، الشعبة الخامسة، بالاشتراك مع مؤسسة الدراسات الفلسطينية ــ بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٣، ص ــ ٥١٧ و ٥١٨ بتصرف بسيط.

٢ – مقال للمنظمة الصهيونية : مجلة كيفونيم الإسرائيلية، عدد الرابع عشر من شباط / فبراير من العام الميلادي ١٩٨٢.

٣ – روجيه غارودي : ملف إسرائيل ــ دراسة في الصهيونية السياسية.

ترجمة : الدكتور : مصطفى كامل فوده.

دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٣، ص ــ ١٣٢.

٤ – الدكتور عصام موسى قنيبي : المدينة المسحورة ــ دراسة موجزة في تاريخ مدينة القدس خلال خمسة آلاف عاما.

دار الطليعة الجديدة، دمشق ــ الطبعة الأولى، ص، ١٩٠ ــ ١٩٢.

٥ – قرآن كريم : سورة الحشر، الآيات : ١٣ ــ ١٤.

٦ – سفر أخبار الأيام الأول: الإصحاح الثامن والعشرون (٨ ــ ١٠).

٧ – سفر الملوك الأول : الإصحاح الرابع عشر (٢٥ ــ ٢٦).

8 – Badi, ed., Fundamental Laws of State of Israel. P. 9 – 10.

٩ – الدكتور عبد الوهاب المسيري : جماعات ضـد الصـهيونية ـ الناطوري كارطا.

مجلة منبر الشرق : السنة الثالثة ـ العدد (١٥)، القاهرة.

١٠ – عبد الفتاح محمد ماضي : الدين والسياسـة في إسـرائيل ـ دراسـة في الأحزاب الدينية في إسرائيل ودورها في الحياة السياسية.

مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى ١٩٩٩، ص ـ ٥٢٥.

11 – Harrys. Truman: Year of Trial and Hope.
New York – Double day and co., 1956, P. 164.

12 – US, Department of The Sate Bulletin: June 5, 1950.

13 – B.Z. Goldberg: The Jewish Problem in the Soviet Union – Analysis And Solution.
New York, Crown Publishers, 1961 – P. 174.

14 – Theodor Herzel: The Jewish State. P – 30.

15 – The Zionist Organisation, Memorandum to Supreme Council at The Peace Conference, 3 Feb., 1919.
From, David Hunter Miller, My Diarry at the Peace Conference of Paris (New York, 1924), Vo,. 5, P, 15 – 29.

١٦ – روجيه غارودي : الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية.

ترجمة : محمد هشام.

دار الشروق، القاهرة ــ بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٩٩، ص ــ ٢٦.

١٧ - مكتب السجلات العامة البريطاني، الخزانة رقم ٢٤ / ٢٤ (٢٣ آب / أغسطس عام ١٩١٧).

18 – The Complete Diarris of Theodor Herzel, Vol., 1, P. 88.

١٩ - صبري جريس : العرب في إسرائيل ــ دراسات فلسطينية، بيروت، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية ١٩٦٧، ص ــ ١٠.

٢٠ - القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني.

مصدر سابق، ص ــ ٥١.

٢١ - صبري جريس، مصدر سابق، ص ــ ١١٨، ١١٩.

٢٢ - القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني، مصدر سابق، بتصرف، ص ــ ٥١٥.

٢٣ - معلومات الجدول من المصادر التالية :

A – Shai Felman and Shapir, eds, The Middle East Military Balance, (Cambridge, MiT Press, 2004)

B – Antony Cordsman: Syrian Military Forces and Capabilities "The Center of Strategic and International Studies" April 15, 2003. C – AIPAC.

24 – 150 Bunowsand Windem: OP.CT 280 and Cohen: Israel and The Bomb, OP. CT 273 – 274.

25 – Data From Time, 12 April 1976, Quoted in Weissm and Krosney, OP.CIT, 107.

26 – Tahtinen, Dale R.: The Arab – Israel Military Balance today. Washington D.C American Enterprise Institute for Public Policy Research, 1973, 34.

27 – How Israel go to Bomb Time, 12 April 1976, 39.

28 – Bundowsand Windrem, OP, CIT, 302.

29 – Kaku, OP, CIT, 66 and Hersh, OP. CIT, 216.

30 – Valory, OP. CIT, 807 – 09.

31 – Data from CIA, quoted in Wissman and Krosney, OP. CIT, 109.

32 – Ottenberg, Michael, Estimating Israel Nuclear Capablities, Command, 30 (Oct, 1994) 6 – 8.

33 – Pry, OP. CIT, 75.

34 – Data from NBC Nightly News, quoted in Miholin, OP. CIT. 104 and Burrows and Windrem, OP. CIT, 308.

35 – Burrows and Windrem, OP. CIT, 308.

36 – Brower Kenneths, "A propensity for Conflict: Potenetial Scenarios and Out Comes of War in Middle East, Jane's Intelligence Review, Special Report No., 14, (Feb., 1997), 14 – 15.

٣٧ – فورست : الأرض غير المقدسة.

تورنتو، مونتريال، ١٩٧١، ص — ١٥١.

٣٨ – موشي فحين : تدهور اليهودية في عصرنا : ١٩٦٩، ص ــ ٣٢٤.

٣٩ – ناثان فينسترك : الصهيونية ضد إسرائيل، ١٩٦٩، ص ــ ٣١٥.

٤٠ – نقلا عن :

د. تمامه الجندي : الإعلام العربي ــ قلق الهوية وحوار الثقافات.

نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى ٢٠٠٥، الصفحات ١٥٩ ــ ١٦٠ ــ ١٦١.

٤١ – مجلة بحوث : العدد الأول ١٩٧٩.

تقارير، ص ــ ٢٦٢.

٤٢ – محمد عبيدو : السينما الصهيونية شاشة للتضليل.

٤٣ – الدكتور خلف الجراد : الإعلام العربي في مواجهة التحديات الراهنة.

عن وثائق ندوة الإعلام العربي ــ رؤية شاملة.

المجلس الأعلى لرعاية الفنون وآداب والعلوم، دمشق، كانون الثاني / يناير ٢٠٠٤.

٤٤ – د. تمامة الجندي : مصدر سابق. ص ــ ١٩٥.

٤٥ – عبد الملك ردمان الدناني : الوظيفة الإعلامية لشبكة الإنترنت.

منشورات دار الراتب الجامعية. بيروت ٢٠٠١.

٤٦ – الدكتور إسماعيل شعبان : السياسات في المنطقة العربية ونتائجها الاقتصادية والاجتماعية.

مجلة المعرفة ــ العدد ٧، تموز / يوليو ١٩٩٦، ص ــ ٣٨.

٤٧ – عباس محمود العقاد.

إبراهيم أبو الأنبياء.

٤٨ – روجيه غارودي : ملف إسرائيل ــ دراسة في الصهيونية السياسية.

ترجمة : الدكتور مصطفى كامل فوده.

دار الشروق، الطبعة الأولى ١٩٨٣، ص ــ ٣٩.

٤٩ – مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين، الجزء الأول ــ القسم الأول.

مطبوعات رابطة الجامعية بمحافظة الخليل.

منشورات دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٣، ص ــ ٥٥.

٥٠ – قاضي القضاة أبو اليمن مجير الله الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل.

الجزء الأول، مكتبة المحتسب ــ عمان.

إصدار دار الجيل، بيروت، ص ــ ٢٩٤.

الخرائط

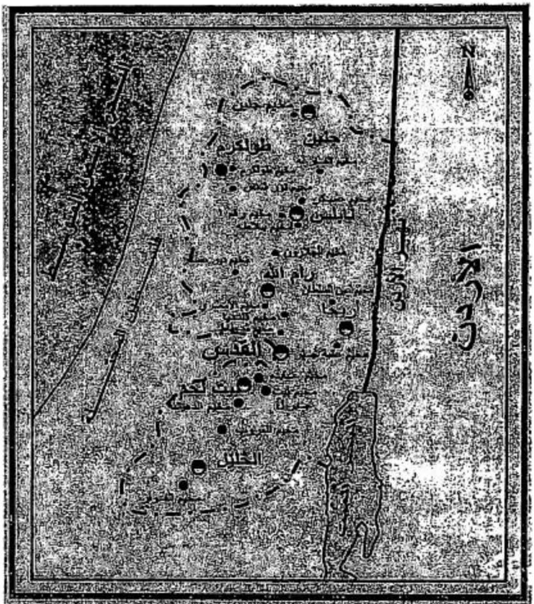

خارطة رقم ٢
مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في
الضفة الغربية لنهر الأردن

خارطة رقم (٢)

مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في قطاع غزة

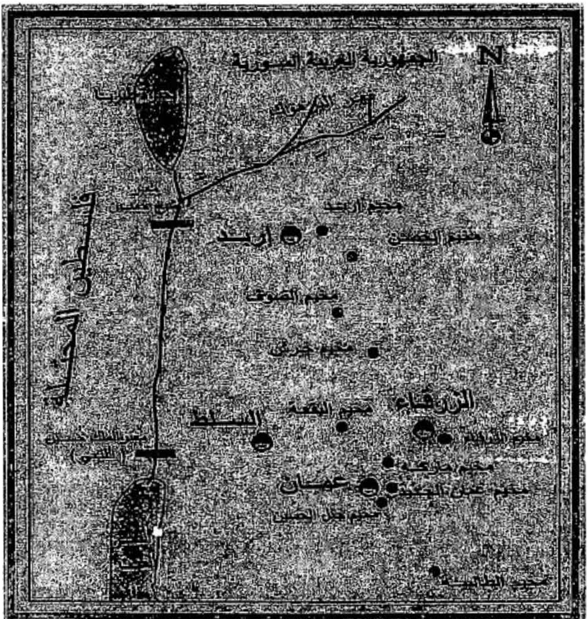

خارطة رقم (٤)
مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في
المملكة الأردنية الهاشمية

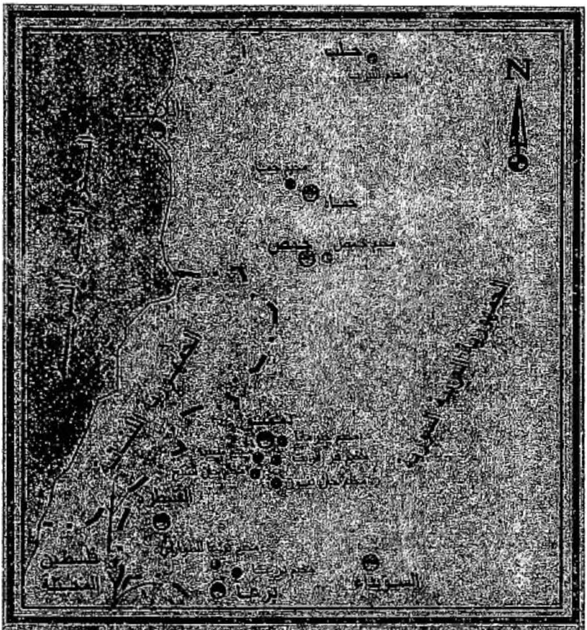

خارطة رقم ٩
مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في
الجمهورية العربية السورية

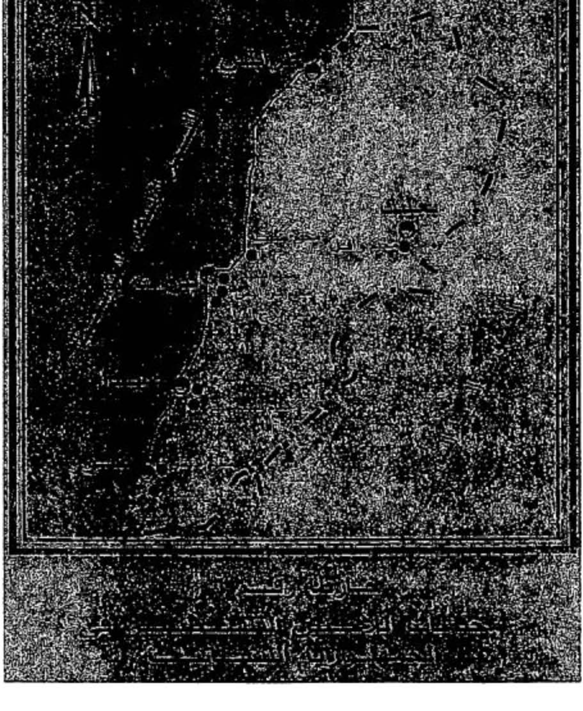

فهرس الجداول

جدول رقم (١) : أعداد اليهود في فلسطين في سنوات مختارة... ص...

جدول رقم (٢) : تطور عدد السكان العرب واليهود بين الأعوام الميلادية ١٩٢٢ و ١٩٤٨... ص...

جدول رقم (٣) : الإنتاج الزراعي الفلسطيني واليهودي في فلسطين حسب تقرير اللجنة الأنجلو ـ أمريكية للتحقيق في العام الميلادي ١٩٤٦... ص...

جدول رقم (٤) : نسبة ملكية الأراضي بين العرب واليهود في فلسطين حتى العام الميلاد ١٩٤٥... ص...

جدول رقم (٥) : تطور عدد اللاجئين الفلسطينيين بين الأعوام ١٩٥٠ و ٢٠٠٣... ص...

جدول رقم (٦) : عدد اللاجئين الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة والأردن وسوريا ولبنان... ص...

جدول رقم (٧) : ترتيب مخيمات الضفة الغربية حسب عدد سكانها في العام الميلادي ٢٠٠٥... ص...

جدول رقم (٨) : أعداد سكان مخيمات قطاع غزة في العام الميلادي ٢٠٠٢... ص...

جدول رقم (٩) : عدد سكان مخيمات الأردن في عام ٢٠٠٣... ص...

جدول رقم (١٠) : توزيع مخيمات سوريا حسب عدد سكانها في العام الميلادي ٢٠٠٢... ص...

جدول رقم (١١) : توزيع مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان حسب عدد سكانها... ص...

جدول رقم (١٢) : توزيع الديانات المختلفة في الولايات المتحدة... ص...

جدول رقم (١٣) : حجم القوات العسكرية في دول الشرق الأوسط وما تملكه من أسلحة نوعية في العام الميلادي ٢٠٠٥... ص...

جدول رقم (١٤) : حجم المصروفات العسكرية في الدول العربية وإسرائيل بين الأعوام الميلادية ١٩٨٥ و ١٩٩٥... ص...

أهم مراجع الكتاب

١ – القرآن الكريم.

٢ – الكتاب المقدس.

٣ – إبراهيم العابد : دليل القضية الفلسطينية، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية ــ بيروت ١٩٦٩.

٤ – الدكتور أحمد سوسه : العرب واليهود في التاريخ.

العربي للإعلان والنشر والطباعة، الطبعة الرابعة، دمشق ١٩٧٥.

٥ – أحمد عثمان : تاريخ اليهود.

مكتبة الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى ــ ١٩٩٤، الجزء الثاني.

٦ – الدكتور أسعد رزق : إسرائيل الكبرى ــ دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني.

مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية ١٩٧٣.

٧ – إسماعيل شعبان : السياسات في المنطقة العربية وتناقضها الاقتصادية والاجتماعية.

مجلة المعرفة، العدد ٣٧ تموز / يوليو ١٩٩٦.

٨ – إسماعيل كيلاني : الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي.

المكتبة الإسلامي ــ دمشق ــ بيروت ــ عمان، الطبعة الأولى ١٩٩٤.

٩ – قاضي القضاة أبو اليمن مجير الله الحنبلي.

الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل.

الجزء الأول : مكتبة المحتسب ــ عمان.

إصدار دار الجيل ــ بيروت.

١٠ – إسرائيل في لبنان : تقرير اللجنة الدولية للتحقيق فيما نقل من انتهاكات القانون الدولي من قبل إسرائيل أثناء غزوها للبنان.

ترجمة : محمد إبراهيم عبد الهادي.

مطبعة أثاكا ــ ١٣ وارك ستريت، لندن، الطبعة الأولى ١٩٨٣.

١١ – ألفريد غليوم :

Palestine And The Bible.

صادر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت ١٩٦٧.

١٢ – ألفريد ليلنتال : ثمن إسرائيل ــ هذه الراية ليست رايتي.

ترجمة : حبيب الحولي وياسر هواري.

دار الكشاف ــ بيروت، الطبعة الثانية ١٩٥٤.

١٣ – الكتاب السنوي لحركة فتح ١٩٦٨.

١٤ – القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني بقلم نخبة من المؤلفين.

إصدار وزارة الدفاع الوطني اللبناني، بالاشتراك مع مؤسسة الدراسات الفلسطينية. بيروت ــ الطبعة الأولى ١٩٧٣.

١٥ – إلياس زين : هجرة الأدمغة والهجرة المضادة.

مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية ــ بيروت ١٩٧١.

١٦ – إلياس سعد : الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة.
مركز الأبحاث ــ منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت ١٩٧٩.
١٧ – أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى، ومأساة الشريف حسين.
دار الكاتب العربي، الجزء الأول ــ بيروت.
١٨ – أنيس فوزي القاسم : قانون العودة وقانون الجنسية الإسرائيليان ــ دراسة في القانون المحلي والدولي.
مركز الأبحاث ــ منظمة التحرير الفلسطينية ١٩٦٧.
١٩ – أنيس القاسم : نحن والفاتيكان وإسرائيل مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية ــ بيروت ١٩٦٦.
٢٠ – بسام محمد العبادي :الهجرة اليهودية إلى فلسطين من ١٨٨٠ ــ ١٨٩٠ ــ جذورها، دوافعها، مراحلها، انعكاساتها.
دار البشير للنشر والتوزيع ــ عمان ١٩٩٠.
٢١ – بني موريس : طرد الفلسطينيين وولا مشكلة اللاجئين ــ وثيقة إسرائيلية.
ترجمة دار الجليل ــ عمان ١٩٩٢.
٢٢ – د. تمامة الجندي : الإعلام العربي ــ قلق الهوية والثقافات.
نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى ٢٠٠٥.
٢٣ – حسان علي حلاق : موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية (١٨٩٧ ــ ١٩٠٩).
جامعة بيروت العربية ــ بيروت ١٩٧٨.

٢٤ – حامد عبد الله ربيع : إطار الحركة السياسية في المجتمع الإسرائيلي.
دار الفكر العربي للطبعة والنشر، القاهرة ١٩٨١ ،
٢٥ – الدكتور حسام الخطيب : الصهيونية واليهود وإسرائيل والعرب والعالم — نظرة بالجملة إلى المواقف والعلامات.
مقال : مجلة شئون فلسطينية — العدد ٣٥ — تموز / يوليو ١٩٧٤.
٢٦ – جدع جلادي : إسرائيل نحو الانفجار الداخلي.
دار البيادر للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٨.
٢٧ – جوب سفرداي : مجموعة الفكر الحديث للقومية اليهودية عن كتاب إسرائيل الثانية.
ترجمة : فؤاد جديد.
مطابع الكرمل الحديثة، بيروت ١٩٨١.
٢٨ – رضا هلال : المسيح اليهودي ونهاية العالم — المسيحية السياسية والأصولية في أمريكا.
مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٤.
٢٩ – رنا أبو ظهير الرفاعي و د. محمد قبيسي.
الإرهاب الصهيوني والسلام العربي بين الشهادة والإبادة.
مؤسسة الرحاب الحديثة — بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٣.
٣٠ – روجيه غارودي : الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية.
ترجمة : محمد هشام.

دار الشروق، القاهرة ــ بيروت ــ الطبعة الثالثة ١٩٩٩.

٣١ – روجيه غارودي : ملف إسرائيل ــ دراسة في الصهيونية السياسية.

ترجمة : مصطفى كامل فوده.

دار الشروق، الطبعة الأولى ١٩٨٣.

٣٢ – رياض الأشقر : قيادة الجيش الإسرائيلي (١٩٦٠ ــ ١٩٨١).

مركز الأبحاث ــ مؤسسة الدراسات الفلسطينية ــ ١٩٨١.

٣٣ – سامي معوحا : الطائفة والجيش الإسرائيلي ــ أطروحات للنقاش.

مجلة الملف ــ المجلد الأول ــ العددان ٩ – ١٠ ديسمبر ١٩٨٤.

٣٤ – سميح شبيب : حكومة عموم فلسطين ــ مقدمات ونتائج.

شرق برس ــ نيقوسيا ــ قبرص ١٩٨٨.

٣٥ – الدكتور خلف الجراد : الإعلام العربي في مواجهة التحديات الراهنة.

عن وثائق ندوة الإعلام العربية ــ رؤية شاملة، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم، دمشق ٢٠٠٤.

٣٦ – صبري جريس : العرب في إسرائيل ــ دراسات فلسطينية، بيروت ــ مركز الأبحاث ــ منظمة التحرير الفلسطينية ١٩٦٧.

٣٧ – شفيق مقار : المسيحية والتوراة.

رياض الريس للكتب والنشر، لندن ــ قبرص ١٩٩٢.

٣٨ – عارف العارف : النكبة ــ نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود (١٩٤٧ ــ ١٩٥٢)، المكتبة العصرية، الجزء الأول، صيدا ١٩٥٦.

٣٩ – الدكتور عدنان حداد : الخطر اليهودي على المسيحية والإسلام.

دار البيروني، بيروت ـ الطبعة الأولى ١٩٩٧.

٤٠ – عبد الرحمن عرفة : التطبيق العملي للصهيونية.

دار الجيل ـ عمان، الطبعة الثانية ١٩٨٦.

٤١ – عبد الفتاح محمد ماضي : الدين والسياسة في إسرائيل ـ دراسة في الأحزاب والجماعات الدينية في إسرائيل ودورها في الحياة السياسية.

مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى ـ ١٩٩٩.

٤٢ – الدكتور عبد الوهاب المسيري : اليد الخفية ـ دراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسرية.

دار الشروق ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٩٩٨.

٤٣ – الدكتور عبد الوهاب المسيري : جماعات ضد الأسطورية ـ الهسطوري كارطا. مجلة منبر الشرق، السنة الثانية، العدد (١٥) القاهرة.

٤٤ – د. عزت طنوس : الفلسطينيون، ماضي مجيد ومستقبل زاهر.

مركز الأبحاث، بيروت ١٩٨٢.

٤٥ – عصام حفني ناصف : اليهودية بين الأسطورية والحقيقة.

دار المروج، بيروت ١٩٨٥.

٤٦ – غازي ربابعه : اتجاهات التعليم في إسرائيل.

مقال : مجلة مواقف، العدد الثاني ـ السنة الأولى، ديسمبر ١٩٨٧.

٤٧ – العميد الركن المتقاعد فايز جابر : الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة.

دار البيرق للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة الأولى ١٩٨٧.

٤٨ – قدري حفني : الإسرائيليون، من هم؟ مكتبة مدبولي ١٩٨٩.

٤٩ – كمال صليبي : خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل.

دار الساقي ــ لندن ١٩٨٨.

٥٠ – محمد حسنين هيكل : حرب الخليج، إصدار مؤسسة الأهرام ــ القاهرة.

٥١ – محمد طلعت الغنيمي : قضية فلسطين أمام القانون الدولي.

دار المعارف، الإسكندرية، طبعة مزيدة ومنقحة ١٩٦٧.

٥٢ – محمد عبيدو : السينما الصهيونية شاشة للتضليل.

دار كنعان ــ دمشق ٢٠٠٤.

٥٣ – مجلة بحوث العدد الأول، تقارير ١٩٧٩.

٥٤ – محمد عزه دروزه : العدوان الإسرائيلي القديم والعدوان الصهيوني الحديث على فلسطين وما جاورها.

الجزء الأول ــ دار الكلمة، بيروت ١٩٧٩.

٥٥ – مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين، الجزء الأول ــ القسم الأول.

مطبوعات رابطة الجامعين بمحافظة الخليل منشورات دار الطليعة ــ بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٣.

٥٦ – محمد مصالحه : تنمية الإعلام كشرط للتنمية العربية الشاملة.

مجلة شئون فلسطينية، العدد ٢٩. ١٩٨٤.

٥٧ – مجلة كويفونيم الإسرائيلية : مقال للمنظمة الصهيونية.

العدد الرابع عشر من شباط / فبراير ١٩٨٢.

٥٨ – موشي منحين : تدهور اليهودية في عصرنا ١٩٦٩.

٥٩ – مهدي عبد الهادي : المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلو السياسية.

المكتبة العصرية ـــ صيدا.

٦٠ – فورست : الأرض غير المقدسة.

تورنتو ـــ مونتريال ١٩٧١.

٦١ – ناثان فينستوك : الصهيونية ضد إسرائيل ١٩٦٩.

٦٢ – فارس غلوب : النازية والصهيونية ـــ علاقات والتقاءات.

مجلة شئون فلسطينية ـــ العدد ٨٤ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٨.

٦٣ – فراس السواح : مغامرة العقل الأولى دار الكلمة ـــ بيروت ١٩٨٢.

٦٤ – لرمين غوالمه : إسرائيل ـــ الأحزاب السياسية وتطلعاتها.

الدار المتحدة للنشر والتوزيع ـــ بيروت ١٩٩٥.

٦٥ – نجيب عازوري : يقظة الأمة العربية.

Reveil De La Nation Arab.

Paris – 1905.

٦٦ – نصير عازوري : العقول العربية المهاجرة في الخطة الشاملة للثقافة العربية.

المجلد الثالث ـــ الجزء الثالث.

٦٧ – يفغني بفسيف : الصهيونية في الاتحاد السوفيتي.

إعداد : هاني مندس.

بيروت ــ كمبيوتر ١٩٩١.

٦٨ – يوسف الحسن : البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيونية.

مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٠.

٦٩ – يوسف أيوب حداد : هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين.

دار بيان للطباعة والنشر والإعلام، الجزء الثاني ــ الطبعة الأولى ــ بيروت ٢٠٠٤.

٧٠ – هلدا شعبان صايغ : التمييز ضد اليهود الشرقيين في إسرائيل.

مركز الأبحاث ــ منظمة التحرير الفلسطينية بالتعاون مع وزارة التعليم السورية، بيروت ١٩٧١.

٧١ – ويليام فهمي : الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

قسم البحوث والدراسات الفلسطينية ــ مطبعة الجبلاوي ــ تونس.

72 – Andrej Kreutz: Vatican Policy on The Palestinian – Israeli Conflict.
The Struggle for Holy Land.
New York – Connecticut, Green Wood Press – 1990.

73 – Antony Cordsman: Syrian Military Forces and Capabilities – The Center of Strategic and International Studies. April 2003.

74 – Bainton: Her 1 stay. A life of Martin Lauther.
New York – Abingdon Cakebury Press – 1920.
75 – B.Z. Coldbery: The Jewish Proiblem in Soviet Union – Analyst and Solution.
New York – Crown Publicalion, 1961.
76 – Brower Kenneth: A propensily for Conflict – Potential Scenaios and Outcomes of War in Middle East.
Jans Intelligence Review Special Report.
77 – Grace Halesell: Prophecy and Politice.
Miltant Evangelist on the Road of Nuclear War.
West Point (Conn. Lawrence Hill and Co.) 1988.
78 – Gray Smith: Zionism – The Dream and Reality – The Jewish critique.
New York, Baren's and Noble Book, 1974.
79 – Harry Truman: Year of Trial and Hope.
New York, Double day and Co., 1956.
80 – J. M. N. Jeffries: Balfor Decleration Monograf. Series No. 7. Beirut, Institute of Palestine Studies – 1967.
81 – Leonadstein, The Balfor Declaration.
Vallentine Mitchell. Lodone.
82 – Macaull: History of England. Vol – I.
83 – Michael Palmbo: The Palestine Catastrophe.
London – Faber – Faber, 1987.
84 – Nivel Madle: Turks – Arab and Jewish Immigration into Palestine (1882 – 1914).
In St., Antony paper No., 17, Middle Eastenn affairs.
Ed., By A. Hourani, No – 4, Oxford, 1965.

84 – Nivel Mandle: At Arab Zionist Entent (1913 1914) No., 3 – 1965.
85 – Ottenberg Michale: Estimating Israel Nuclear Capabilities, Commad, 1994.
86 – Shai Feldman and Shapir: The Middle East Military Balance Cambridge, mit., press 2004.
87 – Tahtinen, Dale R.: The Arab – Israel Military balance today.
Washington D.C.
American Enterprise Institute for Public Policy Research. 1973.

محتويات الكتاب

- إهداء

- مدخل

- الفصل الأول : الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل الحالية

١ – ١ : أسطورة شعب الله المختار

١ – ٢ : أسطورة الوعد الإلهي

أ – أسطورة الوعد الإلهي لإبراهيم عليه السلام

ب – نسل ابراهيم

١ – ٣ : أسطورة المسيح المنتظر

١ – ٤ : أسطورة الحق التاريخي لليهود في فلسطين العربية

- من أين كان ابراهيم عليه السلام؟

١ – ٥ : أسطورة الحقوق القانونية لليهود في فلسطين العربية

- اتفاقية سايكس – بيكو

أولا : تصريح أو وعد بلفور

ثانيا : صك الانتداب البريطاني على فلسطين

ثالثا : قرار تقسيم فلسطين العربية

١ – ٦ : أسطور أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض

١ – ٧ : أسطورة التفوق الحضاري لليهود

١ – ٨ : أسطورة القبول الفلسطيني

١ – ٩ : أسطورة الطابع الإنساني للمسألة اليهودية

١ – ١٠ : أسطورة الهولوكست

- هوامش ومناهل الفصل الأول

الفصل الثاني : أوضاع الشعب الفلسطيني في القرن العشرين
٢ – ١ : جهاد شعب فلسطين
- انتفاضات وثورات الشعب العربي الفلسطيني
أولا : انتفاضة موسم النبي موسى
ثانيا : ثورة مدينة يافا
ثالثا : ثورة البراق
أ – لجنة والترشو للتحقيق
ب – لجنة جون هوب سمبسون للتحقيق
جـ – لجنة البراق الدولية
د – الكتاب الأبيض لعام ١٩٢٠
رابعا : انتفاضة العام الميلادي ١٩٣٣
خامسا : ثورة الشيخ عز الدين القسام
سادسا : الثورة الفلسطينية الكبرى
سابعا : قوات الجهاد المقدس الفلسطينية
ثامنا : العمليات العسكرية للفدائيين الفلسطينيين
تاسعا : المقاومة الفلسطينية المعاصرة
أ – العمليات الفدائية من الأردن
ب – المقاومة الفلسطينية في لبنان
عاشرا : الانتفاضة الفلسطينية الأولى
حادي عشر : الانتفاضة الفلسطينية الثانية
٢ – ٢ : مشروع الدولة الفلسطينية المستقلة
- حكومة عموم فلسطين

- النظام المؤقت لحكومة عموم فلسطين
٢ – ٤ : اللاجئون الفلسطينيون
- أوضاع الشعب الفلسطيني
أ – أوضاع الشعب الفلسطيني قبل حرب عام ١٩٤٨
ب – أوضاع الشعب الفلسطيني بعد حرب عام ١٩٤٨
- الحياة داخل مخيمات اللاجئين الفلسطينيين
- توزيع مجتمعات اللاجئين الفلسطينيين
أولا : مخيمات الضفة الغربية لنهر الأردن
I – مخيمات الضفة الغربية حسب موقعها الجغرافي
II – مخيمات الضفة العربية حسب عدد سكانها
ثانيا : مخيمات قطاع غزة
I – توزيع مخيمات قطاع غزة حسب موقعها الجغرافي
II – ترتيب مخيمات قطاع غزة حسب عدد سكانها
ثالثا : مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في المملكة الأردنية الهاشمية
I – مخيمات الأردن حسبموقعها الجغرافي
II – ترتيب مخيمات الأردن سب عدد السكان

رابعــا : مخيمــات اللاجــئين الفلســطينيين في الجمهورية العربية السورية

I – توزيع مخيمات اللاجئين في سوريا حسب موقعها الجغرافي

II – توزيع مخيمات سوريا حسب عدد سكانها

خامســا : مخيمــات اللاجــئين الفلســطينيين في الجمهورية اللبنانية

I – توزيع مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان حسب موقعها الجغرافي

II – توزيع مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان حسب عدد سكانها

الفصل الثالث : المجتمع الإسرائيلي :

- من حل في مكان الشعب العربي الفلسطيني صاحب فلسطين الأصلي والشرعي

٢ – ١ : تاريخ الهجرات اليهودية إلى فلسطين

أولا : الهجرة اليهودية إلى فلسطين في العهد العثماني

ثانيا : الهجرة اليهودية إلى فلسطين في عهد الانتداب البريطاني

ثالثا : هجرة اليهود إلى فلسطين بعد قيام دولة إسرائيل

رابعا : الهجرة اليهودية المعاكسة

٢ – ١ : التركيبة السكانية في إسرائيل

أولا : اليهود الشرقيون أو السفارد (السفارديم)

ثانيا : اليهود الغربيون أو الأشكناز (الأشكنازيم)
ثالثا : يهود الصابرا (الصابريم)
رابعا : العرب (عرب ٤٨)
خامسا : فئات أخرى في المجتمع الإسرائيلي
٣ – ٣ : التفرقة العنصرية داخل المجتمع الإسرائيلي
أ – التفرقة العنصرية ضد اليهود الشرقيين
أولا : التفرقة في النواحي الاجتماعي
١ – التفرقة في الوظائف والدخل
٢ – التفرقة في الإسكان
٣ – التفرقة في التعليم
ثانيا : التفرقة في المؤسسة العسكرية والجيش
ثالثا : التفرقة في التمثيل السياسي
- مقاومة اليهود السفارد للتفرقة العنصرية في اسرائيل
ب – التفرقة العنصرية ضد العرب في اسرائيل.
الفصل الرابع : أوربا وأمريكا والمسيحية واليهود وفلسطين العربية
٤ – ١ : مقدمة
٤ – ٢ : النبوءات التوراتية الزائفة والصهيونية المسيحية
- الحركة الدينية الإصلاحية البروتستانتية
- انتقال اللاهوت البروتستانتي المتهود إلى الولايات المتحدة
٤ – ٣ : المسيحية الكاثوليكية
٤ – ٤ : اللوبي اليهودي - الصهيوني في الولايات المتحدة

- اللجنة الأمريكية - الإسرائيلية للشئون العامة (إيباك)
الفصل الخامس : الطريق إلى فلسطين
٥ – ١ : الوحدة العربية
- الهيكل الوحدوي العربي
٥ – ٢ : إضعاف إسرائيل داخليا
٥ – ٣ : عزل إسرائيل عالميا وطردها من المجتمع الدولي
أولا : علاقات إسرائيل بالولايات المتحدة
ثانيا : علاقات الدول الأوربية بإسرائيل
ثالثا : علاقات الاتحاد السوفيتي السابق بدولة إسرائيل
رابعا : علاقات دول الكتلة الشرقية بإسرائيل
خامسا : علاقات الصين الشعبية بإسرائيل
سادسا : علاقات دول أمريكا اللاتينية بإسرائيل
سابعا : علاقات دول القارة الأسيوية بإسرائيل
ثامنا : علاقات الدول الأفريقية بإسرائيل
أولا : تجريد إسرائيل وحرمانها من الأسانيد والحجج القانونية التي قامت عليها
ثانيا : السعي إلى تقليص علاقات إسرائيل بالدول الأخرى إلى أدنى عدد ممكن
أ – إسرائيل دولة استعمارية توسعية
ب – إسرائيل ليست دولة قومية
ج – إسرائيل دولة عنصرية
د – إسرائيل دولة إرهابية

٥ – ٤ : تكبيد إسرائيل أكبر قدر ممكن من الخسائر في جميع المجالات

I – التوازن العسكري في الشرق الأوسط

- الأسلحة الإستراتيجية في الترسانة العسكرية الإسرائيلية

أولا : سلاح الجو الإسرائيلي

أ – الطائرة فانتوم (F – 4E – 2000)

ب – الطائرة إف - ١٦

ثانيا : القدرات الصاروخية الإسرائيلية

أ – صاروخ جيريكو – ١

ب – صاروخ جيريكو – ٢

ج – صاروخ شافيت (النيزك)

ثالثا : الأسلحة النووية الإسرائيلية

رابعا : الأسلحة الكيميائية الإسرائيلية

خامسا : الأسلحة البيولوجية الإسرائيلية

II – خسائر إسرائيلية في كافة المجالات

٥ – ٥ : إعادة النظر في علاقات العرب بالدول الأوربية والولايات المتحدة

أولا : الأسطورة الدينية التوراتية

ثانيا : إسرائيل دولة ديمقراطية

ثالثا : إسرائيل والمصالح الأوربية والأمريكية في العالم العربي

- الانفتاح على الدول الأوربية والولايات المتحدة

أولا : البعثات الدبلوماسية العربية في الدول الأوربية والولايات المتحدة
ثانيا : الهيئات البرلمانية العربية
ثالثا : النقابات العربية المختلفة
رابعا : رجال الدين
خامسا : المواطنون الأوربيون والأمريكيون المنحدرون من أصول عربية
سادسا : الجاليات العربية في الخارج
سابعا : الطلبة العرب
٥ – ٦ : الإعلام العربي في مواجهة الإعلام الصهيوني
- الإعلام العربي
- الإعلام الصهيوني
- ماذا كان يجب على الإعلام العربي أن يفعله من أجل نصرة القضية الفلسطينية العادلة
- هوامش ومناهل الفصل الخامس
- الخرائط
- فهرس الجداول
- أهم مراجع الكتاب
- محتويات الكتاب

كتب أخرى للمؤلف

١ - المدينة المسحورة.

دراسة موجزة في تاريخ مدينة القدس خلال خمسة آلاف عاما.

دار الطليعة الجديدة، دمشق - سوريا.

الطبعة الأولى ٢٠٠٤

٢ - الخداع على صفحات مقدسة

دراسة لبعض المزاعم التاريخية اليهودية

دمشق - سوريا

الطبعة الأولى ٢٠٠٥

٣ - العودة الملعونة

دراسة في سبل عودة اليهود إلى فلسطين العربية

دار الطليعة الجديدة، دمشق - سوريا

الطبعة الأولى ٢٠٠٦

٤ - سلاسل من دخان

دراسة في مصادر الفكر الديني اليهودي

دار الطليعة الجديدة، دمشق - سوريا

الطبعة الأولى ٢٠٠٧.

الصراع
على
الديار
المقدسة